

# من تراث النعم الوطني عبد الله النديم

٤ - سلافة النديم

في منتخبات عبد الله النديم

خطيب الثورة العرابية

جمعها شقيقه عبد الفتاح نديم

وأعدّها وقدم لها

د. / عبد المنعم إبراهيم الجميعة

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

أهل البنوكا والأطيان صاروا على  
الأعيان أعيان وابن البلد ماشى  
عريان ممعاه ولاحق الدخان شرم برم

حالى غلبان

عبد الله النديم

أرونى أمة بلغت مناها  
بغير العلم أوجد اليماني  
عبد الله النديم

وما المرء إلا قوله وفعاله  
وباقية حظ للتراب إذا ماتا  
عبد الله النديم

رقم الإيداع

٢٠٠٧ / ١٦٢٤٩

## دراسة تحليلية

ترك النديم آثارا فكرية خالدة تشهد له بعظيم أثره فى الثقافة والعلم والأدب وتضعه فى الصفوف الأولى مع كبار المؤلفين. وتراث النديم الفكرى متعدد الجوانب فمنه التراث الصحفى، ومنه خطبه ومؤلفاته التى تفتقت عنها قريحته وخاصة فى أثناء فترة اختفائه عن أعين الانجليز داخل نجوع مصر وريفها وحواضرها فقد شغل نفسه بالتأليف فوضع من المؤلفات الكبيرة والصغيرة والرسائل العلمية والأدبية والدينية - التى عبرت عن البيئة المصرية ومشاكلها خير تعبير - ما يعد بالمئات<sup>(١)</sup>. ولسوء الحظ فإن ما وصلنا منها جد قليل فقد فقدت معظم مؤلفاته أما عن طريقة السرقة أو أنها حرقت أو ألقى بها فى النيل<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك فإن ما وصل إلينا منها يكفى للحكم على مؤلفاته التى تتوعت ما بين أشعار<sup>(٣)</sup>، ومقالات أدبية وعلمية وسياسية ودينية كان قد نشرها فى الصحف سواء التى عمل بها<sup>(٤)</sup>، أو التى أسسها<sup>(٥)</sup>، ولتى عبرت عن مظاهر الحياة الاجتماعية التى عاشها النديم، ولتى تعد من أهم فترات تاريخ مصر الحديثة فى القرن التاسع عشر حيث تجاذبت البلاد تيارات سياسية مختلفة تحاول تغيير أوضاعها والسيطرة عليها ، وقد عبر النديم عن ذلك فى مؤلفاته أصدق تعبير سواء فى روايته "الوطن وطالع التوفيق والعرب"، أو فى كتابه "كان ويكون" الذى طبع بعضه فى مجلة الأستاذ، أو فى مؤلفاته الأخرى.

وقد جمع شقيقه عبد الفتاح نديم بعض هذه الكتابات المتناثرة فى هذا الكتاب المكون من جزئين تصدر الجزء الأول منه ترجمة للنديم كتبها أحمد سمير أحد الكتاب المقربين منه عرض فيها مسيرة حياة هذا الزعيم الوطنى بشكل تغلبت فيه عاطفته تجاهه، ورغبته فى عدم تذكير الناس بمشاكل الماضى بشكل أبعد عن الحقيقة فى بعض الأحيان لدرجة أن الباحث المتمحص فى تاريخ النديم يرى فى هذه الترجمة بعض الهنات والهيئات، كما يرى عدم تكاملها فى بعض جوانبها. وعلى سبيل المثال نذكر:

١- ذكر كاتب الترجمة أن والد النديم "كان وسطا فى اليسار"<sup>(٦)</sup>، بينما الحقيقة أن والد النديم كان خبازا فقيرا يصنع الخبز البلدى ويبيعه ويحصل من ذلك على مقدار الحاجة من العيش البسيط هو وأسرته<sup>(٧)</sup>، ويؤكد ذلك حالة التقشف التى عاشها النديم فى مقتبل حياته

(١) للتفاصيل ذلك انظر: اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وأثر المصنفين.

(٢) للتفاصيل انظر: سلافة النديم، ج١، ص ٥٩.

(٣) قيل أنه كان للنديم ديوان شعر يشتمل على نحو أربعة آلاف بيت بالإضافة إلى ديوان آخر فى نحو ثلاثة آلاف بيت.

(٤) مثل المحروسة والعصر الجديد.

(٥) مثل التنكيك والتبكيك، والطنائف، والأستاذ.

(٦) سلافة النديم، ج١، ص ٣٤.

(٧) للتفاصيل انظر: عبد المنعم الجميلى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة العمالية والاجتماعية، القاهرة - دار الكتاب الجامعى ١٩٨٠،

كما يؤكد أنه أحوال والد النديم المادية لم تساعده على إرسال ابنه إلى الأزهر للتعلم واكتفى بإرساله إلى جامع الشيخ إبراهيم باشا بالإسكندرية هذا إلى جانب أن أسرة النديم كانت تسكن في حارة ضيقة متواضعة من حواري حى الجمرك بالإسكندرية.

٢- اغفل المترجم من حياة النديم أنه لم يصبر طويلا على الدراسة في جامع إبراهيم باشا حيث أحس بجفافها وعمق الطريقة التي تدرس بها حتى اضطر إلى الفرار منها والهروب من الدراسة في الجامع إلى الشارع الذي وجد فيه مدرسة الحياة الواقعية التي كانت الكتب حتى ذلك الحين تترفع عن دراستها والتعرض لها. (١) والتي كانت بمثابة الجامعة التي تعلم منها النديم الكثير، وشاهد فيها الكثير، واغترف منها بذكائه الفطري ما يشبع مزاجه وهوايته في الأدب حيث أحاط بالحياة الشعبية، وسمع الأمثال والحكايات من شعراء الربابة ونوادير الظرفاء، كما إرتاد المقاهى والمنتديات والمجالس الأدبية حتى بزغت شمس حياته الأدبية وأخذ في إبتكار الأساليب الجديدة في الإنشاء حتى فاق أقرانه واشتهر أمره، وأن والد النديم عندما بلغه ترك ابنه للدراسة وانقطاعه عنها ضاق به ذرعا وخيره بين الانتظام في طلب العلم أو تخليه عنه مع رفض الإنفاق عليه فاختر النديم الأمر الثاني مما اضطره إلى البحث عما يسد رمقه حيث أن مهنة الأدب في ذلك الوقت لم تكن تقيم الأود، والمعروف أن النديم تعلم صناعة التلغراف لكي يكتسب رزقه بعد ترك أبيه له وليس كما يذكر المترجم بأنه تعلمها ليوقف بواسطتها على أسرار الأمم في مخابراتها والممالك في سياساتها حتى يتيسر له المقابلة بين أحوال بلاده وغيرها من الممالك البعيدة لعله يقدر على إصلاح المفاسد، وتقويم المعوج (٢)، فظروف النديم المادية كانت تتطلب منه البحث عن مصدر للرزق وليس الوقوف على أسرار الأمم كما يذكر صاحب الترجمة.

٣- لم يذكر المترجم ما تعرض له النديم خلال عمله في مكتب تلغراف القصر العالى الخاص بالأميرة "خوشيارخانم" والدة الخديو اسماعيل فالمعروف ان اتصال النديم بالافغانى وانخراطه فى سلك تلاميذه، وتقارب أفكارهما أدى إلى فصله من عمله (٣)، وتشاجره مع "خليل أغا" كبير أغوات القصر.

(١) عبد اللطيف حمزة: مستقبل الصحافة في مصر. القاهرة - دار الفكر العربي، ١٩٥٧، ص ٣٥.

(٢) سلاقة، ص ٣٥.

(٣) عن تفاصيل ذلك انظر:

احمد امين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث - القاهرة - النهضة المصرية - الطبعة الثالثة ١٩٧١، ص ٢٢٤.

٤- لم يذكر المترجم أن النديم أثناء بحثه عن عمل بعد فصله من قصر الأميرة وتعرف على "الشيخ أبو سعده" عمدة "بدواي"، الذي دعاه إلى الإقامة في قريته كي يعلم أولاده القراءة والكتابة والدين، وأنه استطاع خلال تواجده بهذه القرية معرفة أحوال الفلاحين والظلم والواقع على كواهلهم ثم ما لبث أن اختلف مع مضيفه وتشاحنا لدرجة أن النديم أنشد في العمدة هجاء خرج به عن حد الأدب، وأنه بعد خروج النديم من قرية "بدواي" تعرف على "شاهين باشا كنج" مفتش الوجه البحرى الذى قربه إليه، وفي صحبته تعرف على أحد رجال الحاشية الخديوية وهو "تتونجى بك" التى عينه وكيلًا لدائرته مما أتاح له فرصة التردد على القاهرة ليقابل موكله هناك<sup>(١)</sup>، وخلال ذلك استطاع التردد على مجالس أستاذه الأفغانى الذى بدأ يجهر بالتحدث عن ضرورة التخلص من الظلم الاجتماعى والحكم الفردى والتدخل الأجنبى والاستبداد الواقع على أعناق المصريين.

٥- مع أن المترجم أرجع عودة النديم إلى الاسكندرية مسقط رأسه بحجة أن "الغربة كربة"<sup>(٢)</sup>، فالمعروف ان "الأفغانى" هو الذى طلب من النديم التواجد بالاسكندرية بعد أن دخل هو وتلاميذه "المحفل الماسونى" وكان مكان النديم من هذا التنظيم الاسكندرية حيث كانت مهمته أن يكتب فى صحف المحفل الماسونى هناك المقالات التى يبصر الناس عن طريقها بمبادئ وآراء الأفغانى.<sup>(٣)</sup>

٦- ذكر المترجم أن النديم كان عضواً فى "جمعية مصر الفتاة" السرية التى كانت تهدف إلى قلب حكم الخديو اسماعيل ثم تركها خشية اكتشاف الحكومة لأمرها<sup>(٤)</sup>، وهذه حقيقة نضيف إليها أن الأمر لم يكن كذلك فحسب بل ان طبيعة العمل السرى كانت لا تتفق مع طبيعة النديم الشعبى ومن هنا فقد قام بمساعدة بعض أصدقائه بإنشاء "الجمعية الخيرية الإسلامية".

٧- جانب المترجم الصواب فى قوله أن رجال الثورة العربية اغتصبوا من النديم "جريدة الطائف"، ولم يبق له منها غير الاسم<sup>(٥)</sup>، فالمعروف ان النديم هو الذى كان يوجه الموضوعات فى الطائف وان كتاباته فيها كان يصدرها بنفسه من ميدان القتال<sup>(٦)</sup>، كما

(١) على الحديدى: عبد الله النديم خطيب الوطنية، القاهرة، سلسلة أعلام العرب، ص ٦٤.

(٢) سلاقة، ج١، ص ٣٨.

(٣) عبد المنعم الجميلى: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٤) سلاقة، ج١، ص ٣٨.

(٥) سلاقة، ج١، ص ٤٢.

(٦) عبد المنعم الجميلى: المرجع السابق، ص ٤٣٢ - ٤٣٧.

أن عرابي باشا قائد الثورة كان يستشير النديم في كافة الأمور ومن هنا فالقول بار رجال الثورة اغتصبوا من النديم جريدته أمر يشوبه الدقة.

٨- أن النديم جعل من حادث ٤ فبراير ١٨٨١ المعروف بحادث قصر النيل حركة شعبية التف حولها الناس حيث أشار على عرابي بطبع منشور يطلب فيه من الشعب ان يفوضه في المطالبة بحقوقه والتحدث باسمه فيما يتعلق بشئون البلاد<sup>(١)</sup>، فإن المترجم لم يتعرض لهذا الحادث في ترجمته للنديم.

٩- مع أن دور النديم خلال مظاهرة عابدين كان واضحا حيث قام بجمع العرائض الكثيرة الموقع عليها من الأهالي بتوكيل عرابي في الدفاع عن حقوقهم والتي أطلق عليها البعض "المحضر الوطني"<sup>(٢)</sup>، فإن المترجم لم يتعرض لها بشئ يذكر.

١٠- مع أن النديم شجع على تأسيس جمعية ذات صبغة سياسية بالاسكندرية لتوعية الشبان وتعبئتهم وطنيا وهي "جمعية الشبان بالإسكندرية" والتي كانت سندا للثورة وركيزة لها في محنتها<sup>(٣)</sup>، فإن المترجم لم يتعرض لها يذكر.

١١- مع أن النديم كان له دورا بارزا أثناء المعارك مع الانجليز حيث عبا الشعور الوطني داخل البلاد ولحق بعرابي في مقر قيادة جيشه، وعمل مستشارا سياسيا له وتحمل عبء الدعاية كاملا فإن المترجم لم يتعرض لذلك.<sup>(٤)</sup>

١٢- على الرغم من أن النديم استنهض الهمم للدفاع عن القاهرة بعد الهزيمة فى التل الكبير فإن المترجم لم يتعرض لمثل ذلك الموضوع.

١٣- ومع أن النديم كان صانعا للزعامات فهو صاحب التأثير الأول فى تكوين مصطفى كامل الصحافى والخطابى والسياسى وان جريدته "الاستاذ" كانت الاستاذ لمصطفى كامل ولغيره من الوطنيين فإن المترجم لم يتطرق إلى ذلك.

١٤- مع أن البارزة الفكرية بين النديم والصيداى والتي نتج عنها تأليف النديم لكتاب "المسامير" الذى آثار ضجة كبيرة فى الأستانة ومصر معروفة ومشهورة فإن المترجم لم يتعرض لها بشئ يذكر.

(١) احمد عرابي: كشف الستار عن سر الأسرار - مخطوط، ص ٢٢٩.

(٢) محمد خليل صبحي: تاريخ الحياة النيابية فى مصر- القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٣٩، ج٥، ص ٩٩-١٠٦.

(٣) عبد المنعم الجميلى: المرجع السابق، ص ٧٥-٧٧.

(٤) نفسه، ص ١١٣.

١٥- جانب المترجم الصواب حين ذكر أن النديم توفي ليلة الأحد عاشر شهر أكتوبر ١٨٩٦<sup>(١)</sup>، فالوثائق تثبت أنه توفي في ١٣ أكتوبر ١٨٩٦. (٢)

والسؤال هو لماذا اغفل المترجم كل هذه الوقائع المهمة في حياة النديم؟

الواقع أن السبب في ذلك ربما يعود إلى أن هذه الترجمة كتبت بعد هزيمة الثورة العربية ونفى زعمائها، وحالة السكون والإعياء التي خيمت على البلاد واستكانة النفوس، وانتشار اليأس والقنوط بين الناس، وتضاؤل الروح الوطنية في النفوس، مما جعل المترجم يؤثر السلامة، ولا يحاول تذكير الناس بمآثر الحركة الوطنية وموقفها من التدخل الخارجي والظلم الداخلي.

وعلى كل حال فإنه نظراً لرغبة "عبد الفتاح نديم" في جمع تراث أخيه الذي لعبت بأكثره أيدي الضياع، فقد جمع ما استطاع أن يجمعه منه في هذا الكتاب وقام بتقسيمه إلى خمسة أقسام هي:

١- منتخبات الرسائل الأدبية.

٢- منتخبات التتكييت والتبكييت وقد استعان في جمعها من مقالات الأعداد الأولى من مجلة التتكييت والتبكييت.

٣- منتخبات الأستاذ، وقد انتقى لها المقالات المهمة من مجلة الأستاذ مثل مقالة وظائف العلماء في العالم، ومقال "لو كنتم مثلاً لفعلتم فعلنا" ووضعها ضمن موضوعات السلافة.

٤- منتخبات علمية.

٥- منتخبات متفرقة.

وفيما يلي نعرض لبعض هذه المنتخبات.

**أولاً: منتخبات الرسائل الأدبية:**

لقد عشق النديم الأدب، ونهل من موارده وأسهم في ميادينه المختلفة، خاصة في فترة صباه ومر بتجارب عديدة كونت لديه العديد من التجارب التي استغلها في تنمية الوعي الوطني والاجتماعي والثقافي بين أبناء شعبه.

وقد جمع شقيقه عبد الفتاح نديم نماذج من هذه الرسائل التي تتضمن مختارات مما كتبه في أغراض مختلفة وهي لواء النصر في أدباء العصر، والتطور المسحور في المفارقة بين السفينة والوابور، وطالع الكرامة بحسن السلامة، ونار الغدو وثار العدو، واستعطاف المقرر

(١) -سلافة، ج١، ص ٥٣.

(٢) -أنظر. عبد المنعم الجميبي: المرجع السابق، ص ٤٥٦.

قلب المحرر، ودرر النحلة ودرر الرحلة، وحفظ الودائع لدرر البدائع، وتبويه اللبيب وتسليه الحبيب، ودفع العرام بذل العزام، ونجوم الليالي فى عقود اللألى، والساق على الساق فى مكابدة الشتاق، ورياض الرسائل وحياض الوسائل، وزند الأذهان وذبد الأذهان وحوض الخمر وقوض الجمر هذا بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل لبعض أصدقائه.

وفيما يلى نعرض لنموذجين من هذه المنتخبات لتوضيح مدى افتتان النديم ببعض ألوان

البييع السائدة فى ذلك العصر.

#### ١-لواء النصر فى أدياء العصر:

عندما استقر النديم بالقاهرة خلال عمله بمكتب التلغراف فى القصر العالى الذى كانت تقيم فيه الأميرة "خوشيار خانم" والده الخديو إسماعيل والكائن بالعباسية أخذ النديم يتردد على المجالس التى كان يجتمع بها رجال الفكر وعشاق الأدب وعن طريق هذه المجالس تعرف على أحمد وهبى الطرابيشى<sup>(١)</sup>، الذى قدمه إلى ست من الأدياء العصر كان لهم أكبر الأثر فى تكوينه الأدبى وهم محمود سامى البارودى، وعبد الله باشا فكرى، والشيخ على أبو النصر، والشيخ أحمد الزرقانى، ومحمد بك سعيد، ومحمود صفوت وقد نعتهم النديم بأحسن النعوت فى الرسالة التى بعث بها إليهم.

والمتمعن لهذه الرسالة يجد أنها منسوجة على منوال من السجع<sup>(٢)</sup>، وفيها عدد مزايا هؤلاء الأدياء الستة الذين جالسهم، وأخذ عنهم، وشاركهم فيما هم فيه يتنافسون من صنوف الأدب حتى تقف نفسه ثقافة حرة واسعة النطاق غير مقيدة بمنهج دراسى أو غيره.<sup>(٣)</sup>

ومن المعروف أن النثر فى ذلك العصر كان يعتمد على الصياغة اللفظية والبراعة فى الأسلوب والسجع والتقفية فى بعض الأحيان مما جعل النديم يحاول اظهار براعته فى الانشاء وقدرته على تأليف الكلام بشكل متكلف دفعه إلى العناية بالصياغة اللفظية دون المعنى، ومن هنا نجد جمل رسالته قصيرة المترادفات ومن ذلك قوله بنس الصنيع، يتقدم الوضيع، ويتأخر الشريف ويتناول اللنيم فى مجلس الكريم، ويذم الظريف... إلخ والنديم فى ذلك لم يخرج على الطبيعة الأدبية التى تملى على الأديب فى أول عهده بالأدب أن يهتم بالأسلوب وجمال اللفظ دون المعنى.

(١) يمكن يهوى الآ... وسعر... وافتتح مكانا للطرابييش بشارع عابدين تجاه جامع الكخيا بالقاهرة جعل منه منتدى للأدياء والشعراء، وكان عبد الله النديم من السج... عنده دار الوثائق: محافظ الثورة العربية - محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦.

(٢) للتفاصيل انظر سلفه ج١، ص ٦١-٦٨.

(٣) عبد المعهد الجمبى مرجع سابق، ص ٤٣.

## ٢- طالع الكرامة بحسن السلامة: (١)

وهي رسالة كتبها النديم إلى أستاذه الشيخ محمد العشرى الذى تتلمذ عليه قبل تركه للدراسة فى الجامع الأنور بالاسكندرية وفيها يهنئ النديم أستاذه بالنجاة من الحادث الذى وقع للعربة التى كان يستقلها، وفى هذه الرسالة يعترف النديم لأستاذه بالفضل موضحا أنه غرس بستانه فكتب مخاطبا إياه "ربيت فأحسنت وغذيت فأسمنت مؤدبا ليثا، ولنت فسودت ووجدت فعودت مهذبًا غيثًا وعلمت فافهمت وأشرت فألهمت، غرض سهمك وقد نلت ما أملت، فيمن فيه عولت بحسن فهمك غلامك الشهير بالنديم، ومن صار فى البيان كالنسيم، وكيف لا يكون لسانى قوس البديع، وكلامى السهم السريع، وأنت بارية وراميه...".

ومن هذه الرسالة يتضح مدى إخلاص النديم لأستاذه، كما يتضح التزامه بألوان من السجع المتكلف داخل رسالته هذه التى كتبها فى مطلع حياته الأدبية تشبها بكتاب عصره فى الأسلوب والكتابة.

## ثانيا: منتخبات مجلة التنكيت والتبكيث: (٢)

قدم النديم أفكاره عن طريق الصحافة فى محاولة منه لتكوين رأى عام يقف ضد الظلم الواقع على أبناء مصر سواء من الداخل أو الخارج، وشجعه استاذه الأفغانى على ذلك. وقد نالت مقالات النديم الصحفية أعجاب الناس لأنها كانت غريبة عليهم من حيث الأفكار والجرأة فى التعبير، كما كانت جديدة عليهم من ناحية الأسلوب الذى تناول فيه النديم الأحوال السياسية التى مرت بها مصر بأسلوب رمزى<sup>(٣)</sup>، اتخذ فيه من بعض الكائنات غير الانسانية ستارا لثب أفكاره ومبادئه حيث لم تتح له ظروف مصر السياسية ما يريد أن يقوله بطريق مباشر فى تلك الفترة.

وقد اتجه النديم إلى تأسيس صحيفة تحمل إلى الناس أفكاره، واستطاع الحصول على إذن من رياض باشا رئيس النظار فى ذلك الوقت بإصدار جريدة تحت عنوان "التبكيث والتبكيث" وعن ذلك قال "اجتمعت برياض باشا فى مصر، وقد اضمر لى الأضر فناقته وناقنى، وجاذبته الحديث فوافقتى حتى أخذت منه إذن بجريدة التنكيت وما أردت إلا التبكيث، وقصدت أن تكون لسانى ليكون لى فى كل بلد محافل خطابية"<sup>(٤)</sup>.

(١) - سلافة، ج ١، ص ١٢٣

(٢) - نشر مركز تاريخ مصر المعاصر إعداد هذه المجلة كاملة بعد أن قمت بعمل دراسة تحليلية عنها.

(٣) - (للتفاصيل انظر: د. عبد المعصم الجميلى: مرجع سابق، ص ٤٢٢ - ٤٢٤).

(٤) - (د. محمد احمد خلف الله عبد الله النديم ومذكراته السياسية. القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٥٦، ص ٥٥).

وفى مطبعة جريدتى المحروسة والعصر الجديد فى الإسكندرية صدر العدد الأول من التكتيت والتبكتيت فى يوم الأحد ٦ يونيو ١٨٨١ صحيفة وطنية اسبوعية أدبية هزلية. انقسمت الكتابة فيها إلى قسمين قسم للتكتيت بمعنى السخرية من العيوب التى لحقت بالمصريين، وقسم للتبكتيت بمعنى توبيخهم على ما وصلوا إليه من عيوب فى أسلوب قد يكون لاذعا وقد يكون مضحكا. وقد كانت هذه الصحيفة مؤثرة فى موضوعاتها وأسلوبها حيث تناولت آفات المجتمع بأسلوب التزم اللغة السهلة البسيطة كما احتوت على قوالب متعددة مثل القصص الرمزية والنوادر والزجل والمحاورات والأبحاث الهادفة.

وفيما يلى نعرض للمقالات التى نقلها عبد الفتاح نديم من هذه المجلة فى النسبة لموقف النديم من المفسدين لعقول الشباب الذين يقومون بتشجيعهم للانغماس فى الموبقات التى لا توافق تقاليد أهل الشرق ولا أديانهم كتب النديم مقالا تحت عنوان "مجلس طبى لمصاب بالافرنجى"<sup>(١)</sup>، وصف فيه أحوال مصر وما وصلت إليه من افلاس ووصاية اجنبية وحكم استبدادى بأسلوب رمزى خاصة وان أحوال البلاد السياسية والاجتماعية فى ذلك الوقت لم تكن موائمة له لكى يقول ما يريد، فاحتال وسط هذا الجو للتعبير عن أفكاره باختيار شخوص معينة ليجرى على السنتها هذه الأفكار، ونتيجة لذلك صور فى هذا المقال أن أحد المفسدين إدعى انه من الاتقياء (يقصد بذلك الأوربيين) تسلل إلى شاب قوى جميل نكى مستقيم الحال صحيح الجسم معتز بنفسه (يقصد به مصر) متظاهرا بالنوايا الحسنة حتى استولى على مشاعره وأبعده عن الاستقامة وإغراه بالفوانى من النساء حتى أوقعه فى مهاوى الرذيلة لدرجة تسببت فى سلب صحته وما له فبهت لونه، وبرزت عظام وجهه وأصيب بداء الزهرى وتمكن الداء منه فهزل، ولما اجتمع الأطباء حوله يبحثون عن العلاج المناسب له، وجدوا ان ذلك لا يتأتى إلا "بتطهير أعضائه وحفظه بحيث لا يتركون الغرباء يتولون خدمته ولا يمكنون الأجانب من الوصول إليه خوفا من إفسادهم العلاج وسعيهم إلى اتلافه اكثر مما صنعوه به"<sup>(٢)</sup>.

وبذلك جعل النديم الخلاص الوحيد لهذا المريض لا يتم إلا على أيدى أهله. وعن الاندفاع فى تقليد الأوربيين بما لا يتفق وواقع الحياة الاجتماعية للشعب المصرى حذر النديم أبناء وطنه من أن تبهرهم المدينة الغربية فيندفعوا فى تقليدها بغير هدى ظنا أن كل ما عليه الغربيون من الأخلاق والعادات هو سبب نهضتهم، كما هاجم هؤلاء فى مقاله المعنون "عربى

(١) نشر النديم هذا المقال فى العدد الأول من مجلته التكتيت والتبكتيت، بتاريخ ٦ يونيو ١٨٨١، ص ٤-٦. وكلمة الافرنجى تعنى مرض البربرى.  
(٢) سلافة، ج ١، ص ١٣٦-١٣٩.

تفرنح<sup>(١)</sup> والذي تحدث فيه عن شباب من أبناء الفلاحين سماه "زعيط" أرسلته الحكومة المصرية إلى أوروبا لاستكمال تعليمه، وبعد أن أتم دراسته هناك عاد إلى بلاده مقترماً بعبادات قومه وأخلاقياتهم، ولم يكتف بذلك بل أخذ يذم أهله وبلاده كما نسي لغته العربية.

وقد وصف النديم هذا الشاب بأنه لم يتهذب صغيراً ولم يعرف حقوق وطنه ولا حق لغته، ولا قدر شرف أمته، كما نعتّه باللئيم الجاهل بحق الوطن.

وبالنسبة لمضار عادة الكيف تعرض النديم في مقاله "سهرة الانطاع"<sup>(٢)</sup> عما يسببه تعاطى الحشيش من تكاسل وتراخي أبناء الوطن وتركهم للعلوم ووسائل التقدم، وقد استخدم النديم في قصته إحدى الشخصيات أطلق على صاحبها اسم المهذب فأوضح أن أحد المهذبين دخل بيتاً وجد فيه عشرة من الرجال جالسين متكدرين مبهوتين ساكتين لا يتكلمون ولا يتحركون، فظن المهذب أن رب الدار أصيب بمصيبة وهؤلاء متكدرون مما أصابه ولما سأل عن السبب نكروا له أنهم مجتمعون للأنس والمفاكهة ولما سألهم هل ما يدور في مجلسهم هو تقدم الصناعة وانتشار التجارة في العالم المتقدم أوضحوا أنهم لا يهتمهم في هذا المجلس سوى تعاطى الكيف والتفنن في القاء النكات حتى ينامون وهم سعداء ولا يسألون عن الدنيا وعلى عن ما فيها.

فاتهم المهذب هؤلاء بأنهم لم يتربوا في الصغر التربية النافعة والسليمة فخرجوا أسرى شهواتهم وابتعدوا عن المعارف والمنافع. وعن التخريف والاحتيال وتخريب عقول الناس، وإفساد أخلاقهم وتزوير أدبهم الشعبي الأصيل ومحتواه هاجم النديم مروجي هذه الآفات فكتب تحت عنوان تخريفه "الجنون فنون"<sup>(٣)</sup> مقالا ندد فيه بالجهال من شعراء الربابة الذين يجهلون ما يقولون ويحفظون عن ظهر قلب ولا يفهمون فأوضح أن أحد المحتالين ذهب إلى قهوة، وأخذ يقرأ تخاريف سماها قصة عنتره فاجتمع إليه عدد من عامة الناس، فلما رأهم منصتين إليه ذكر بعض عبارات نسبها إلى عنتره انقسم الناس على أثرها إلى قسمين كل فريق يدفع النقود لذلك المحتال ليؤيد مطلبه، وظل المحتال يتفنن في الكذب حتى الفجر وأخيراً قال وبينما هم في قتال ونزال، وقد انكشف الغبار عن أسر عنتره وسنخلصه في الليلة المقبلة، فثار أحد المستمعين قائلاً لا بد أن تخلصه الآن، وخذ عشرة جنيهات فأبى المحتال وسكت عن الكلام فشتمه المجنون، وعلت أصواتهما بالقبح والامر إلى الضرب والإهانة ثم ذهب المجنون وقد تذكر أن عنده قصة عنتره ولكنه أمى لا يقرأ فقص بيت ابنه وأيقظه من النوم وهو يبكي، وطلب منه أن

(١) انظر: العدد الأول من مجلة التنكيت والتبكي بتاريخ ٦ يونيو ١٨٨١، وسلافة النديم، ج١، ص ١٣٩.

(٢) التنكيت والتبكي: العدد الأول في ٦ يونيو ١٨٨١، ص ٨، وسلافة النديم، ج١، ص ١٤٤-١٤٤.

(٣) التنكيت والتبكي في ٦ يونيو ١٨٨١، ص ١٠-١١، وسلافة النديم، ج١، ص ١٤٤-١٤٥.

يحضر قصة عنتره، ويخلصه من الأسر وإلا قتل نفسه، ولما حاول الابن اقتناع أبيه بأن هذه حكاية مكدوبة وقصة كلها تخريف، وما عنتره إلا عبد أسود أخذ شهرة بما صنعه من قتل بعض الناس بلا حق قام الرجل بسب ابنه كما ضربه بعصاه حتى سال دمه، وطرده من بيته انتقاماً منه لأنه شتم عنتره فخرج الإبن يسب الجهل وأهله قائلاً: "لاشك أن الجنون فنون".

ومن هذه القصة يتضح كيف كانت حياة المقاهى المصرية فى القرن التاسع عشر، وكيف كان الناس ينصرفون عن مشاكلهم الحقيقية إلى غيبوبة القصص الخرافية والحكايات الوهمية، كما يتضح كيف ان النديم فى نقده لمجتمعه كان يهدف إلى الإصلاح وتقديم البلاذ، فحاول ان يبصر أبناء وطنه بعيوبهم ويعرض عليهم مشاكلهم ويبحث معهم عن أيسر الطرق لعلاجها دون تملق أو تزلف .

وحول رغبة النديم فى تحرير الفلاحين من شباك الدائيين والمرابين الذين يستغلون جهلهم فى ابتزاز أموالهم كتب مقالا بعنوان "محتاج جاهل فى يد محتال طامع"<sup>(١)</sup>، كشف فيه عن غش هؤلاء وتسترهم تحت حماية القوانين والمحاكم المختلطة مستغلين فى ذلك سوء أحوال الفلاحين حيث لم يجدوا من سبيل سوى الالتجاء إليهم مع أنهم كانوا من أكبر أعوان الظلم فى ذلك الوقت ومن أشد أنصاره، وقد ضرب النديم مثالا على ابتزاز الأجانب الذين انتشروا بين الفلاحين انتشار الذناب بين الأغنام فقال ان أحد المزارعين استدان من أحدهم مبلغ مائة جنيه فاعطاها له بالربا بمائة وعشرين، ولعدم معرفة الفلاح للحساب كان المرابى يستغل ذلك فى غشه ومغالطته حتى تدخل أحد النبهاء وأنب المرابى على ذلك وتمنى أن تعمل الحكومة على حفظ الحقوق حتى لا يقع بعد ذلك جاهل محتاج فى يد محتال طامع.

ومن هذا المقال يتضح لنا أن وطنية النديم كانت تأبى عليه استغلال الأجانب لأبناء وطنه من الفلاحين فحاول تنبيههم إلى ما وصل إليه هؤلاء من ثروة بينما هم فى حالة شديدة من السوء<sup>(٢)</sup>، وعبر لهم عن ذلك بكل الوسائل التى يمكن أن تصل إلى افهامهم وكان منها الزجل، الذى قال فيه:

أهل البنوك والأطيان      صاروا على الأعيان أعيان  
واين البلد ماشى عريان      ممعاه ولا حق الدخان  
شرح برم حالى غلبان<sup>(٣)</sup>

(١) ينشر هذا المقال فى العدد الأول من مجلة التنكيت والتكيت فى ٦ يونية ١٨٨١، وسلافة النديم، ج١، ص ١٤٥-١٤٨.

(٢) عبد المنعم الجميلى: المرجع السابق، ص ٣٦٤.

(٣) التنكيت والتكيت: العدد الثانى فى ٣١ يوليو ١٨٨١.

وعن دفاع النديم عن اللغة العربية ووقوفه في وجه محاولات الاستعمار للتقليل من شأنها ونقده لأبناء الوطن الذين يتفاخرون باستعمال اللغات الأجنبية كلغة للتفاهم والتعامل والمخاطر التي ستترتب على مستقبل الوطن والدين نتيجة لما يفعلون كتب مقالا تحت عنوان "إضاعة اللغة تسليم للذات" خاطب فيه المتفرجين قائلا: "أيها الناطق بالضاد - بم تستبدل لغتك وليس لها من مثيل وان تتركها وأنت لها كفيل، وما الذي استحسنته في غيرها واستقبحت مقابله فيها"<sup>(١)</sup>، كما بين لهم أن اللغة هي سر الحياة، يترجم بها اللسان عن خواطر القلب، وأنها في حد ذاتها شخصية استقلالية لأن الذي يعبر بلغته يشعر بالقوة وتتطبع نفسه على حب الكرامة والاستقلال ثم انتقدهم بقوله "بقي لما نتكلم بلغة ضيوقك وكل من جه تأخذ لك من لغته كلمتين حتى تركب لك لغة من هنا ومن هنا حتى بقيت غريب عن الديار، وضيعت مجدك وشرقك، كما طالب النديم بالاكثار من مدارس الجمعيات وصرف ثلث وقت الطفل في تعلم اللغة العربية بطريقة تهييبيية.<sup>(٢)</sup>

وحول المفاصد التي تترتب على عادة الكيف كتب النديم مقالا بعنوان "هف طلع النهار"<sup>(٣)</sup>، أوضح فيه ما تسببه عادة الكيف من الجبن وتبدل الفكر وسوء الأخلاق، وطالب أبناء الوطن بالعمل على ما يساعد على تقدم البلاد، كما حذر الشبان من أبناء الذوات من الاسراف والانهماك في شرب الخمر ولعب الميسر.

وحول ضرورة تنظيم أحوال العمال وأهمية ترقية أمورهم كتب النديم مقالا بعنوان جواب عن سؤال<sup>(٤)</sup> اقترح فيه أن تعقد جمعية لكل طائفة من العمال للنظر في شئون أفرادها وتوزيع الأعمال بينهم على أن يفرض مبلغ ضئيل من المال على كل صانع بصفة سهم يدفعه على حسب قدرته بحيث توضع هذه المبالغ في صندوق تدار منه الأموال، ثم توزع الأرباح على أصحاب الأسهم بعد أن يحجز من كل صانع جزءا يضيفه إلى سهامه حتى يصبح ذا ثروة من حيث لا يشعر كما طالب بترك التحاسد والتباغض بين أصحاب المهنة الواحدة حتى لا تموت الصنائع، واقترح على النبهاء إطلاع أهل الصناعة على محتويات الجرائد التي يقرأونها حتى يروا مدى تقدم صناعات أوروبا وطرق اجتهادهم في زيادة الثروة لأن ذهن الصانع المصري كامل التيقظ ولا ينبه بأكثر من الإشارة، كما حث الحكومة على مساعدة الصانع حتى تظهر الصنائع إلى الوجود وحذر من أنه إذا لم يحدث ذلك فإن أهل الصناعة سيصبحون خدما للتمولين وتضيع الصناعة وتفقد الثروة ويختل نظام الأحوال الاجتماعية وطالب بتكوين بنك قومي لمساعدة

(١) التنكيك والتبكيك: العدد الثاني في ١٩ يونية ١٨٨١، ص ١٩، وسلافة النديم، ج١، ص ١٥٣-١٥٦.

(٢) نفسه.

(٣) ينشر هذا المقال في العدد الثاني من التنكيك والتبكيك في ١٩ يونية ١٨٨١، ص ٢٢-٢٤، وسلافة النديم، ج١، ص ١٦٦-١٦٨.

(٤) ينشر في العدد الثاني من التنكيك والتبكيك بتاريخ ١٩ يونيه ١٨٨١، وسلافة النديم، ج١، ص ١٧٠-١٧٣.

الصناع ومساندة الصناعة الوطنية وحمايتها بحيث يتكفل بمساعدة أصحاب الصناعات الموجودة بتقديم السلف اللازمة واستحضار ما يلزمهم من الآلات الحديثة، وليكون وسيلة للتخلص من سيطرة الأجانب على الاقتصاد المصرى.

وهكذا دعا النديم إلى إصلاح أحوال الصناعة والصناع وحذر من إهمال ذلك فوضع أساسا جديدة لإصلاح أحوالهم قبل أن يضع محمد فريد أساس حركة النقابات فى مصر.<sup>(١)</sup> وعن الخرافات الشائعة فى ذلك الوقت باسم "الاستخارة" و "المندل" تحدث النديم عن إقبال الناس عليهما فذكر ان أحد الدجالين حضر من المغرب مدعيا أنه عليم بالاستخارة والخرافة الذائعة فى مصر باسم "المندل" فهب الناس قائمين إجلالا له وذهب إليه الكثيرون ليكتب لهم خرافة من أساطير الأولين، فكانوا يأخذونها فرحين والسنتهم تقول (خذ من عبد الله وتوكل على الله).

وقد نصح النديم أبناء وطنه بعدم الاعتقاد فى هذه الخرافات التى تعطل الفكر والإرادة لأنها لو كانت صادقة ما بقى فى الدنيا غامض ولا مخبأ ولا عتمدت عليها المحاكم فى كشف السرقات والجناة ولصار أصحاب هذه الخرافات من أغنياء الدنيا.

وقد نذب النديم الوطن لتواجد مثل هذه البدع والخرافات فيه فقال هل توجد مذنية على جانب من الجهل مثل مدنيتنا وعقائدنا الواهية يقوم الغربى من رقاذه باكرا ويفتح عينيه على قوته العاملة، ويقوم الشرقى صحوة النهار إلى مشعوذ سخيف ينظر فى مستقبله فينحرف هذا حتى يشبع ذلك مالا.

كما انتقد النديم تقليد الناس لبعض الأفراد دون النظر إلى النفعة التى ستعود عليهم من ذلك فقال تحت عنوان "غفلة التقليد"<sup>(٢)</sup>، أن "رجلا بنى بيتا وزخرفة وملأه بالأثاث والمتاع ثم دعا بعض أصدقائه إلى وليمة ، وكان فى جملة المدعوين أحد النبهاء، ولما انتهى بهم المجلس أخذ يقص عليهم مقدار ما صرفه فى بناء هذا البيت وانه اشترى خزانة كتب، وضع بها كتباً بمائة جنيه، ولما سئل عن الكتب التى يفضل قراءتها قال أنه لا يفضل منها شيئا ولكنه دخل بيت الشيخ فلان والسيد فلان والحاج فلان والهمام فلان والأمير فلان، فوجد فى مضيئه كل منهم خزانة بها كتب وعليها ستارة خضراء وبجانبيها منشة من الريش والخادم كل يوم يفضها ويمسح الزجاج والخزانة فأحس أن هذا طراز جديد فى بناء البيوت فرتب مضيفته مثلهم ليكون فى صف المتمدينين قلن النبيه الجهل وسب التقليد قائلا لقد "أصبح الكل نائما فى غفلة التقليد".<sup>(٣)</sup>

(١) عبد المنعم الجميلى: المرجع السابق، ص ٣٥٦.

(٢) التنكيك والتبكيك : العدد الأول فى ٦ يونيه ١٨٨١ ، ص ١٣-١٥ ، ص ١٤٨-١٥٢.

(٣) التنكيك والتبكيك : العدد السابق، ص ١٥.

وفى علة الطلاق وإسراف المسلمين فيه وفى التزوج بأكثر من واحدة طالب النديم الحكومة ورجال الشرع بوضع حد له وان يكون هناك نظاما للطلاق حتى لا تتشرد الأسرات ويتحطم الأبناء وحتى لا يساء فهم الدين، وطالب من يتدخلون لفض النزاع فى مثل هذه الحالات ان يكون تدخلهم للخير والاصلاح، ولا يحكمون على شئ قبل التروى حتى لا تشتعل نار الحقد بين العائلات بل يقومون بإصلاح ذات البين درءا للمفاسد المترتبة على الخلاف والخصام لأن أكثر النزاع بين الناس يكون سببا عن وشايات أرباب المفاسد، وسعايات سيئ المقاصد.

وفى مقال "تسمية البهيم بالمتوحش ظلم للإنسان"<sup>(١)</sup> خاطب النديم ضمائر الأغنياء مؤنبا لهم ترك الفقراء يتضورون جوعا بينما هم يجلسون أمام الموائد الحافلة يصنفون الطعام، والفقراء ينتفضون من شدة البرد وقلة الغطاء بينما هم ينامون على الفراش اللين الوثير فقال: "أيها الفرح بما ملكت يداه ما أحزنك لو تأملت المضطر يتضور جوعا والبائس ينتفض بردا والغريب لا مأوى له يستكن فيه واليتيم لا قيم له يرشده ويعلمه والمريض المعدم لا مال له يطيب به نفسه ولا متاع يبيعه لينفقه فى حفظ حياته أف لك ولمالك" ونصحهم بأن ما يصرفونه فى الملاهى الليلية يمكن صرفه على الأيتام والفقراء حتى يستقيم حال المجتمع وحذر الغنى من غضب الفقير عليه فقال "أنت تحى الكثير من غير أهلك وتلتذ بشهواتك وأنت تنغص حياة الألوفا.. فيؤت بغضب الأمة وسخط البلاد".

ورغبة من النديم فى تمكنه من نقل أفكاره إلى أبناء وطنه بشتى الطرق أخذ ينتقل بين البلاد لتحريك أفكار الناس<sup>(٢)</sup>، كما كان يرتقى منابر المساجد، ويقف فى كل محفل، ويخطب فى كل ناد حيث يرتجل الكلام ارتجالا، ويتدفق فيه تنقفا<sup>(٣)</sup>، يستخدم أحيانا النكتة الممزوجة بالتهكم والسخرية من الأوضاع التى تردى فيها المجتمع، ويستخدم أحيانا أخرى الزجل والشعر وألفاظ من القرآن الكريم ولما كانت الخطابة فى ذلك الوقت قاصرة على خطباء المساجد وعاظها وفى معظمها عبارات دينية مكررة ومحفوظة تتلى على مسامع العامة دون أن تحرك القوى الكامنة فى نفوسهم فقد حاول النديم تغيير منهج هذه الخطب لأهميتها فى نشر الوعى الوطنى، وتحويل المجتمع إلى قوة وطنية ضاربة فكتب مقالا تحت عنوان "السن الخطباء تحى وتميت"<sup>(٤)</sup> ذكر فيه أن الخطابة هامة لتتوير العقول حيث هى بمثابة الغذاء للبدن على مر العصور، ثم نكر أن خطبة الجمعة فرضت على الإسلام لأمر تخيب عن كثير من الناس حكمته، وهو أن يقف

(١) التبكيت والتبكيك : العدد الثالث فى ٢٦ يونيه ١٨٨١، وسلافة النديم، ج١، ص ١٧٦-١٨٢.

(٢) ينتقل النديم بين ميت غمر والمنصورة ودمياط ودمشق وزقنى.

للتفاصيل: أنظر: التبكيت والتبكيك صفحات ١٥٧، ١٥٩، ٢٠٢، ٢٠٨.

(٣) للتفاصيل انظر: د. عبد المنعم الجميلى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة المسيحية والاجتماعية، ص ٤٠٩.

(٤) سلافة النديم، ج١، ص ١٩٢-٢٠٠.

الخطيب بين قومه وقفه الخليفة الأمر الناهى فيقص على الرعية ما ورد عليه من الأخبار، وما يرجوه من الإصلاح ويوضح لهم احوال البلاد، وأحوال من بعد عنهم من أخوانهم المؤمنين لتكون الأمة على علم بأحوالها فى سائر بلادها حيث يكون فى هذا من النصح والوعظ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما لا ينكره إلا مقيد بديوان أمر مربوط فى بعض وريقات صنفها غيره، ثم تحدث عن أهمية خطبة الجمعة فقال ان امة تجتمع كل اسبوع فى ساعة واحدة فى سائر أنحاء بلادها وتسمع من حوادثها وغوامض سياسة خلفائها ما يقف به كل فرد على أحوال البلاد وسيرها وتقدمها لى امة جديرة بالتقدير، وذكر الخطباء أن الخطابة لم تكن فى الإسلام قاصرة على ذكر الموت والزهد والتحذير من الدنيا وزخرفها كما يحدث الآن بل كانت تتضمن أخبار الأمة وحوادثها لأنها بمنزله الجرائد، ودعاء إلى أن يتبرع الأعيان بمبلغ من المال يخصص لنشر الخطب الأدبية والسياسية كما أعلن عن استعداده لكتابة خطبة فى كل أسبوع تتناسب مع الأحوال ثم تطبع وتنتشر فى سائر أنحاء البلاد لتتبع الأفكار وتعرف الأمة قدرها، وما تحفظ به نظامها بين الأمم وطلب أن يجتمع الأعيان، ويعرضوا ذلك على ديوان الأوقاف ليتمكنوا من العمل بالخطبة، وقد وضع النديم نموذجا لخطبة<sup>(١)</sup> يمكن السير على منوالها تحدث فيها عن أهمية الاتحاد وحث على الائتلاف، وحذر من الاختلاف، وطالب بالابتعاد عن الظلم والبغى فى معاملة الآخرين والتمسك بالدين مع عدم التعرض للأديان الأخرى، والابتعاد عن التهور لأن ذلك يجلب الشر للأمة، وذكر بحقوق النزلاء وعدم الإساءة للأجانب.

وبهذه المعانى أراد النديم ان تسيّر خطب الجمعة لتوضح للمواطنين ما يمكنهم من السير فى الطريق السليم لأنها تعد بمثابة إذاعة محلية وطنية لا يقتصر سماعها على الحاضرين لها فحسب، بل تمتد فائدتها إلى الآخرين عن طريق تناقلها بين الأفواه، وطبعها وتوزيعها على الناس وهكذا كان هدف النديم من نقد مجتمعه الإصلاح، وتهذيب أخلاق الناس فكان بذلك المصرى الصادق الذى لا يتملق أبناء وطنه أو يداهنهم بل كان يبصرهم بعيوبهم، ويناقش معهم مشاكلهم ويشاركهم فى البحث عن اقصر الطرق لعلاجها ومن المعروف أن النديم كان خطيبا مفوها طار صيته منذ أيام خطابته فى الجمعية الخيرية الإسلامية وخلال حوادث الثورة العرابية. وعن العمل المسرحى وفن التمثيل عرض عبد الفتاح النديم لجهود أخيه فى هذا الفن فتعرض لمقال منشور بمجلة الأستاذ للنديم ذكر فيه بأنه "قن بديع يقوم فى التهذيب وتوسيع أفكار

(١) بحول هذه الخطبة انظر سلافة النديم، ج١، ص ٢٠٠-٢٠٢.

الأمم وأخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الأدبية مقام أستاذ وقف أمام تلامذته يلقنهم العلم بما تألفه نفوسهم وتميل إليه طباعهم".<sup>(١)</sup>

وقد أرجع هذا الفن إلى العرب والمصريين منذ القدم ثم نقله عنهم الأوربيون عند مخالطتهم لهم في الأندلس والشام.<sup>(٢)</sup>

وقد كتب النديم روايتين قدمهما للمسرح وهما "رواية الوطن وطالع التوفيق"، ورواية "العرب" ولم ترد بين أيدينا من هاتين المسرحيتين سوى فقرات من رواية الوطن المنشورة ضمن صفحات هذا المجلد من تراث النديم، والتي رسم منها النديم صورة ناطقة للمجتمع المصرى الذى أفقد الاستبداد إرادته، وأما المصائب المتراكمة إحساسه حتى فقد الأمل وترك العمل وانحصرت لذاته فى ألوان من المتع الرخيصة وقد كتب النديم هذه الرواية بالعامية والفصحى معا حيث جعل كل شخصية تتحدث باللغة التى تناسبها بهدف حث أبناء الوطن على النهوض من وهدة الحضيض إلى أوج التقدم<sup>(٣)</sup> ورسم صورة ناطقة للمجتمع المصرى الذى أفقده الاستبداد إرادته وأما المصائب المتراكمة إحساسه فصور الوطن بشخصية رمزية تتادى بالتعاون بين جميع المصريين، كما اختار شخصا من سكان القرى، وبعضها الآخر من سكان المدن، ومنها من هو من فلاحى الأرض أو الصيادين أو الجهلة<sup>(٤)</sup>، مثل أبو دعموم وأبو الزلفى والحاج حسين وأبو العلا والسيد على والسيد إبراهيم والحاج زريجه وأبو رجب وعزت أفندى ومظهر وبدر وعامر وسلمى ودعدومى والطيفة والنابغة والعرب.

والشكل الحوارى لهذه الرواية عبارة عن الدعوة لتطوير المجتمع وما يسوده من اخلاق وعادات فصور النديم الظلم الواقع على الفقراء، وانتقد أسلوب رجال الحكومة أمثال الطوافة ومشايخ البلد وحكام الخط والمديرين فى جمع الأموال وانتشار الرشوة بينهم وأوضح للفقراء بأن الإصلاح لا يكون إلا بالاتحاد وإنشاء الكتاتيب ليتعلم أولادهم فتنتشر المعارف وتعرف الحقوق، وانتقد ما يردده البعض من أنه لا يذهب إلى المدرسة إلا الأولاد المصابون بعاهة فى أبصارهم أو فقدوا أحد أطرافهم حتى يرتزقوا من قراءة القرآن على الأضرحة وفى المقابر، كما طالب النديم الفقراء بالمساهمة فى إنشاء الجمعيات، وذكرهم بأنهم أصل كل شئ، وصور الأغنياء بالبخلاء الذين لا يعرفون حق الوطن كما صور رجال الحكومة بالمفسدين، وامتدح الخديو فى نهاية الرواية ووضع الأمل على يديه للأكثر فى إنشاء المدارس<sup>(٥)</sup>، ومع أن الرواية تنقصها

(١) سلافة النديم، ج٢، ص ٢٨١، والأستاذ الجزء الحدى والشرى فى ١٠ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان: "فريق التمثيل العربى".

(٢) نفسه.

(٣) التنكيوت والتبكيوت: العدد السابع فى ٢٤ يوليه ١٨٨١، ص ١١٣ مقال للشيخ حمزة فتح الله عن رواية الوطن وطالع التوفيق.

(٤) د. محمد محمد حسين: الاتجاامات الوطنية فى الألب المعاصر. القاهرة، مكتبة الألب ١٩٥٦، ج١، ص ٢٢٥.

(٥) سلافة النديم، ج٢، ص ٢٤٥-٢٨٠.

الحبكة الفنية فإنه يمكن القول بأن النديم اتخذ من المسرح وسيلة حاول ان يوصل من خلالها إلى الشعب رسالته ويلقنه عن طريقها بالمبادئ الوطنية والاجتماعية<sup>(١)</sup>، وتبدأ الرواية بحوار يدور بين رجلين يشكوان سوء الحال على النحو التالي:

ابو دعموم: كانت فين دى الغيبة

أبو الزلفى فى جهنم الحمرة

أبو دعموم ليه من غير شر ما أنت بخير

أبو الزلفى ما بار علينا ما بخير ولا

أبو دعموم ايه بس ما تقلش نصيبتك ايه

أبو الزلفى: يبقى ما أنت شايف الطوافة نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينا بالصرم، وحاكم الخط مشرمطنا بالكرميش والمدير مكسرنا بالنباييت له الواحد بقا حديد ولا ايه.

أبو دعموم: يا دم بلهفك يا خى يبقى ما ترميش للكلب بريزية وتخلص

أبو الزلفى: عوار يحول عينك هي كام بريزية دا اللى بيطلبوه الصبح ما بيطلبهشى المغرب...! الخ .

وهكذا انطق النديم شخوص مسرحيته بما يتناسب مع الطبقة التى ينتمون إليها فتحدث الفلاح بلهجة أهل الريف "يبقى ما أنت شايف الطوافة نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينا بالصرم..". والصيد يستعمل لهجة أهل السواحل "هي كان بريزية" واجرى على لسان المتعلم لغة فصحي قريبة من العامية "تعلمت شيئاً كثيراً"، كما جعل حديث الشباب من المتفرجين بلغة عربية ممتزجة بلغة أجنبية "بنجور يا مسيو مظهر" و"بنجور عليك يا منشير عزت"<sup>(٢)</sup>، ثم جعل الوطن يتحدث بلغة عربية فصحي كما خص سكان البادية بالشعر العربى الفصيح وبذلك استطاع النديم ان يحقق نوعا من الواقعية فى نصه المسرحى.

وقد مثل تلاميذ النديم تحت إشرافه هذه الرواية على مسرح زرينيا أكبر مسارح الاسكندرية فى ذلك الوقت فى حضور الخديو توفيق وكبار رجال الدولة، فكان لها فى النفوس أثر كبير بعد أن نبهت الأذهان إلى العيوب الاجتماعية والسياسية فى المجتمع المصرى وما يتحمله الأهالى من الظالم والمغارم.<sup>(٣)</sup>

(١) نجيب توفيق: عبد الله النديم خطيب الثورة العربية - القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٠، ص ٢٨٥.  
(٢) التنكيث والتنكيث: العدد الخامس فى ١٠ يوليو ١٨٨١، ص ٨٧.  
(٣) انظر سلافة النديم، ج٢، تحت عنوان: (شجرة من رواية الوطن).

ومع أن النديم قد مدح الخديو في نهاية المسرحية إلا أنها كانت تبرز الظلم الواقع على كواهل الناس وتحارب الدكتاتورية والحكم المستبد والاستسلام للأجنبي المسيطر على الأجهزة الحكومية.<sup>(١)</sup>

وبما أن الكتابة للمسرح تحتاج إلى خبرة ودراية لا تتوازن لغير المنقطع لهذا الفن يدرسه ويروض نفسه عليه فإن للنديم العذر في عدم إجادته فيما كتبه للمسرح فروايته مزدحمة بالكثير من الشخصيات، وقارئها لا يعرف متى أدخلت هذه الشخصيات إلى المسرح ومتى خرجت ومع ذلك فإن استعماله للسخرية اللاذعة بقصد علاج النقائص الاجتماعية، ومدى انتشار الرشوة بين رجال الحكومة كان له أكبر الأثر في النفوس.<sup>(٢)</sup>

يذكر البعض أن مسرحيات النديم جاءت في صورة عظات وخطب وكان من الأجدر لمؤلفي هذه الفترة أن يتذكروا أن وظيفة المسرح هي الترفيه عن النفس قبل كل شيء، أما الخطب الرنانة والعظات القيمة فمجالها المنابر ودور العبادة<sup>(٣)</sup>، ولكننا نرى أن الظروف التي مرت بها البلاد في تلك الفترة جعلت من المسرح صدى للأحداث القائمة، وحثمت على رجل مثل النديم أن يساير هذه الأحداث بل يطوع مسرحه لخدمة الحركة الوطنية مع التركيز على القاعدة الشعبية.

ومعنى ذلك أن النديم استعمل كافة الوسائل لتبنيه أبناء وطنه وانقاذهم مما تردوا فيه، وكان المسرح ضمن وسائله وكانت مسرحيته "الوطن وطالع التوفيق" صدى قويا لما ألم بالمجتمع المصري في مساوئ اجتماعية وسياسية.

وعلى أى حال فإنه نتيجة لانضمام النديم إلى العربيين، وبعد أن أصبح داعيتهم الأول، وأصبحت جريدته هي لسان حالهم طلب منه عرابي تغيير اسم جريدته من التكتيت والتبكيث إلى اسم يتناسب مع الظروف التي يمر بها الوطن، واقترح عليه أن يكون هذا الاسم هو لسان الأمة لكن النديم اختار اسم "الطائف" لتفاوله بأن هذه الجريدة ستطوف البلدان الإسلامية، وتيمنا منه بالبلدة الموجودة بهذا الاسم في الحجاز، ومن هنا ظهرت الطائف<sup>(٤)</sup> بدلا من التكتيت والتبكيث ثم ظهرت بعد ذلك الاستاذ التي تعد ثالثة صحف النديم وقصة إنشاء هذه الصحيفة هي أنه بعد أن صدر الخديو عباس الثاني عفوه عن النديم وأباح له العودة إلى مصر بعد أن نفاه الانجليز إلى افا على أثر انكسار العربيين وصل النديم إلى مصر في ٩ مايو ١٨٩٢، وبالرغم من أن قرار

<sup>١</sup> (حرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية. الجزء الرابع، ص ٨٠.

<sup>٢</sup> (محمد عبد الوهاب صقر وفوزي شاهين: عبد الله النديم، القاهرة - الألف كتاب، ص ١٩٧.

<sup>٣</sup> (يوسف عبد العزيز: المسرح الاجتماعي بمصر - رسالة ماجستير غير منشورة، بجامعة القاهرة، ص ٢٤١.

<sup>٤</sup> (جريدة سياسية اسبوعية اصدرها عبد الله النديم لمساعدة العربيين خلال مقاومتهم للانجليز، والموجود منها بدار الكتب المصرية ممزق غير كامل.

العفو عنه اشترط عليه ألا يعمل في السياسة، ومع أن أحواله الصحية كانت قد تضعفت نتيجة لما تعرض له خلال الاختفاء والنفي من متاعب ومشقات، ومع أنه كان باستطاعته ان يكتفى بما قدمه من تضحيات في سبيل مصر، وكان يمكنه أن يجنح إلى مصانعه الاحتلال مثلما فعل غيره، وبالرغم من تلميحاته اللورد كرومر له بمسألة الاحتلال في نظير الحصول على منصب كبير في المعارف أو الأوقاف فإن وطنيته أبت عليه ذلك فقد عقد العزم على ان يبدأ الكفاح من جديد لكي يعيد الثقة إلى نفسية الشعب الذي خيمت عليه روح الهزيمة والاستسلام، وانتشرت بين أفراد روح اللامبالاه، ولكن كيف السبيل إلى ذلك وهو يعرف انه ممنوع من العمل السياسي فلا يستطيع الطواف بالبلاد واعتلاء المنابر كما كان يفعل من قبل، ومن هنا لم يكن أمامه من طريق للوصول به إلى الشعب سوى الصحافة، ولكن ما هو الطريق الذي يوصله إلى الحصول على تصريح من نظارة الداخلية بإصدار صحيفة، وموقفه من الانجليز والحكومة يقف عثرة أمام ذلك.

استطاع النديم ان يجتاز هذه العقبة بحيلة بارعة، وهي أنه أوعز إلى أخيه عبد الفتاح نديم بأن يستخرج تصريحاً بإصدار صحيفة باسمه ثم يوكل أمرها إليه، وفعلاً استطاع أخوه الحصول على التصريح المطلوب بصدور صحيفة تحت اسم الأستاذ. (١) غير أنه اشترط عليه ألا يتعرض فيها للأمور السياسية لا من بعيد ولا من قريب، وبعد أن تم له ذلك وكل أخاه عبد الله النديم في تحريرها وترتيب رسائلها (٢)، وقد صدر العدد الأول من هذه الصحيفة في أول صفر ١٣١٠هـ الموافق ٢٤ أغسطس ١٨٩٢ كصحيفة علمية تهذيبية فكاهية تصدر يوم الثلاثاء من كل اسبوع في ٢٤ صفحة في حجم الكتاب المتوسط لكي تكون كما ورد في مقدمتها "خزانة لشوارد العلوم وفوائد الرسوم لا تقتيد بفن ولا تقتصر على موضوع فتتشر ما يحسن نشره ، ويلذ سماعه من المعقول والمنقول مما لا يطعن في دين ولا يمس شرف شخص، ولا يقرب من الاهاجي ولا تتعرض للأمور السياسية الحاضرة أي أنها لا تتكلم في الإدارات والأعمال والعمال سواء في ذلك الداخلية والخارجية، وأما فن السياسة من حيث هو فانه يدخل في موضوعها العلمي فإن علم التاريخ والأخلاق والعادات وتدبير الممالك ووحدة الاجتماع العالمي من الفروع السياسية وهي مستقلة عما يتعلق بالسياسة الإدارية". (٣)

وقد قسم النديم الكتابة في هذه المجلة إلى ثلاثة مستويات حتى تصل فائدتها إلى جميع طبقات الشعب على مختلف مستوياته العلمية والثقافية فهناك مقالات علمية وطنية كتبت بأسلوب

(١) د. علي الحبيدي: مرجع سابق، ص ٣٢٩.

(٢) الأستاذ: العدد الأول في ٢٤ أغسطس ١٨٩٢، ص ٣ تحت عنوان: "مقدمة"

(٣) نفسه، ص ٣٠٢.

رصين للمثقفين من القراء وقصد بها أن تكون امتداد لمجلة العروة الوثقى التي أصدرها الأفغانى ومحمد عبده، وهناك مقالات كتبت بأسلوب مبسط لانصاف المتعلمين وتلاميذ المدارس وهى قريبة إلى العامية، وتحتوى على دروس للتلاميذ ترمى إلى تهذيب الأخلاق وتوسيع المدارك، كما أن هناك مقالات ومحاورات باللغة العامية التي يعرفها غالبية الشعب وذلك لتوضيح الأمور لهم فى شكل حوارى يستطيعون فهمه بهدف تهذيبهم وترقية أفكارهم. ومعنى ذلك أن النديم أراد أن تكون مجلة الأستاذ كالمدرسة التي تدخلها كل فئات الشعب سواء كانوا من المتعلمين أو انصاف المتعلمين أو الأميين يتولى بقلمه وفكرة صفة الأستاذ فيها يبيث تعاليمه وأفكاره بينهم ليأخذ كل منهم على قدر فهمه للحياة وبمقدار سعة رثته<sup>(١)</sup>، ومن هنا استطاع النديم أن يتصل بسواد الشعب المصرى بجميع طبقاته أما عن موضوعات المجلة فقد التزم فيها النديم الأبتعاد عن الموضوعات السياسية فى بداية الأمر، واتجه إلى الخوض فى النواحي الاجتماعية باظهار عيوب المجتمع فى محاولة منه لترقية أفكاره، ووصف الدواء الذى يمكن به معالجة الأمور مستخدماً طريقتة فى التورية والتلاعب بالألفاظ للوصول إلى نقد الاحتلال بطريقة غير مباشرة فكتب على صفحات الأستاذ عن أهمية تعميم التعليم وانتشار المعارف بين أفراد الشعب، وطالب بإصلاح الأزهر ودافع عن اللغة العربية وطالب بضرورة إنشاء مجمع لغوى للمحافظة عليها، وانتقد البدع والخرافات التي كانت تعشش فى عقول أفراد المجتمع، كما انتقد موجه المفاصد والانحلال الخلقى التي شجع الأوربيون على انتشارها بين الناس، وانتقد الأخذ بالعبادات المستوردة من الغرب، ودافع عن أهمية إحياء الصناعة، وطالب بتحقيق العدالة الاجتماعية بين المواطنين ودافع عن الوحدة الوطنية وطالب بالتمسك بها.

ولم يقتصر أمر مقالات الأستاذ على ذلك بل أخذ النديم يكشف النقاب عن كراهيته للاحتلال منذ قيام الأزمة الوزارية عام ١٨٩٣<sup>(٢)</sup>، فوقف بجانب الخديو، وقام يستنهض الهمم لمساندته كما انتقد الاحتلال ووجه إليه مسئولية إفساد المجتمع المصرى وعن ما كتبه النديم فى هذه المجلة، ونقله شقيقه إلى السلافة نذكر مقال تحت عنوان: "فى معاملة الأخوة والأخوات"<sup>(٣)</sup>، أوصى فيه النديم بالتمسك بصلة الأخوة حتى لا يتبدد شمل العائلة، وأوضح وظائف الأخوة أكبرهم وأوسطهم وأصغرهم فقال ان وظيفة الأخ الأكبر تقوم مقام الأب فى تربية الأصغر ومساعدته، وتعليمه فضائل الأشياء وردة عن منكراتها ونفقد أحواله، وإذا كان له أخوات فيجب عليه تفقد أحوالهن ومراقبة أمورهن، وإذا طلب أحد يد إحداهن تفحص أمره وعرف أصله

(١) على الحيدى: المرجع السابق، ص ٣٢١.

(٢) عن هذه الأزمة وتفصيلها انظر:

د / عبد المنعم الجميلى، الخديو عباس الثالثى والحزب الوطنى، القاهرة، دار الكتاب الجامعى ١٩٨١.

(٣) سلافة النديم، ص ٢٣١ - ٢٣٤.

وسيرته وأهله دون أن يغتر بمظهره، فإذا تمت الخطبة وجب عليه مساعدة والديه فى تحمل أعباء متاعها وجهازها، وبعد ذهابها إلى بيت زوجها وجب عليه زيارتها وإخلاص النصيحة لها ومعاضدتها فى نوازلهما، والوقوف بجانبها إذا تعرض لها زوجها بسوء، وإذا أخطأ أحد الأخوة فلا يجب عليه أن ينزل به عقاباً صارماً بل يستحضره فى خلوة ويقوم بنصحه فإذا تراجع عن غيه وجب عليه إبلاغ والديه بأمره فإن لم يرجع وجب الكلام معه بين أخواته الصغار والكبار ثم هجره فى الكلام والجلوس، حتى تتحرك فيه الحمية ويثور فيه دم الحياء والخجل" ويرجع عن أفعاله، كما حذر النديم الأخ الأكبر من ضرب أخواته الصغار مبيناً أن ذلك يؤدى إلى الفرقة والعداوة بين أفراد الأسرة.

هذا عن أكبر الأبناء أما عن أوسطهم فقد طالبه النديم بالافتداء بأخيه الأكبر فى بر والديه ومراعاة أخواته الصغار، أما عن الأصغر فقد طالبه النديم بالحرص على التأدب فى حضور أخيه الأكبر، وعدم عصيان أوامره، وبالأ يرفع صوته فى وجوده، أو يضحك دون ما يبرر الضحك أمامه وإذا حضر ضيفاً لديه فيجب إعطاؤه حقه من الاحترام أمام ذلك الضيف وأن يبدي له الهيبة أمامه.

وعن ما كتبه النديم تحت عنوان "وظائف العلماء فى العالم"<sup>(١)</sup>، فقد عرف العالم بأنه "كل ذى علم ينتفع به" وأشار إلى أن أول العلماء قياماً بوظائفهم كانوا الأنبياء عليهم السلام حيث فتحوا أبواب العلوم النافعة، ودعوا الناس على اختلاف طبقاتهم إلى الصراط المستقيم دون خوف من تهديد أو وعيد، وبعد أن قضى الأنبياء أدوارهم فى هداية البشر أخذ عنهم الحكماء والعلماء أفكارهم، ولما احتكت أفكار هؤلاء بعضها ببعض انقسم الناس على أثرها كل على حسب فكره ووجهة نظره.

ونتيجة للجدل بين العلماء توصلوا إلى التعرف على غرائب الأمور والمبتكرات والمخترعات وطرق السياسة وتنظيم الإدارات والفصل فى القضايا، وعقد المعاهدات وغيرها، وتبعاً لذلك اضطر الملوك إلى الاعتماد على هؤلاء العلماء فى تدبير أمور بلادهم، فأكثر هؤلاء من المدارس واختاروا لها الأنكباء والنبهاء الذين لفتوهم العلم ثم نقلوهم إلى ساحات العمل فامتلاً الكون بالعلماء والأمراء الذين نفعوا الشرق والغرب بعلمهم.

وقد أرجع النديم الحضارة الأوربية إلى الأصول العربية واعتبر الشرق معلم أوربا، وأرجع إليه الفضل فى نهضتها بقوله: "ما فى الكون الآن من العلماء باى علم كان إنما هم

(١) سلافة النديم، ج ٢، ص ٢٣٥ - ٢٣٩.

تلامذه المسلمين، وفي عنق كل منهم نعمة للدين الإسلامي وإن دان بغيره<sup>(١)</sup>، وأشار النديم إلى نجاح الغرب في تفتيت بلاد الشرق وفك أوصاله حتى يسهل عليه ايقاع العداوة بين شعوبه، وتتحول إليه أمجاد المسلمين العلمية، ونتيجة لذلك اصبح للغربيين طول وباع في الحضارة والمدنية بينما طويت أمجاد الشرقيين.

ومع أن النديم حذر أبناء وطنه من الأجنبي فإنه لم يمانع في تعلم علومهم حتى يمكنهم معرفة ما توصلوا إليه من تقدم ومدنية<sup>(٢)</sup>، فقال: "أن الأدوار الشرقية طويت في سجل كان والدور الغربي هو العلوم الآن.. فلا عيب علينا إذا أخذنا من أوربا واقتدينا بها الآن"<sup>(٣)</sup>، كما أوضح أن أهم اسباب تقدم أوربا هو بحث أبنائها في العلوم ونشرها في سائر أطرافها.<sup>(٤)</sup>

وعن ما كتبه النديم حول طبقات المجتمع فقد تطرق إلى "طبقة الملوك والأمراء" و "طبقة الوزراء" و"طبقة التجار والأغنياء"، "طبقة علماء الرياضة والطبيعة" و "طبقة الكتاب والمنشئين" وعن طبقة الملوك والأمراء أوضح أن لهذه الطبقة مهامها الخطيرة في تسيير أمور المجتمع منها ترتيب "المحاكم والإدارات وإعداد الآلات وتشييد الحصون وجمع الجنود... الخ"<sup>(٥)</sup>، مبينا نشأة هؤلاء وإعدادهم لمثل هذه الأمور فذكر أنهم لا يتمكنون من اتقان ذلك إلا باتقانهم العلوم منذ الصغر ودراستهم "الجغرافية العالم وأخلاق الأمم والشرائع والقوانين والنظام والوقوف على مشارب الأحزاب ومساعي الملوك"<sup>(٦)</sup>، حتى يسهل عليهم القيام بأعمالهم كما أوضح النديم مشاغل الملوك فأوضح أن الملك دائما ما يكون دائم الفكر في أمور مملكته ويشاركه في إدارتها الوزراء الذين يستمد منهم المشورة.

أما عن الأمراء فقد صورهم النديم بأنهم يتوددون إلى الناس غنيهم وفقيرهم تتشيطا لهمم وحنًا على العمل .

وخلال ذلك يتمرنون على أمور الملك فيتعرفون على المحكومين وما هم عليه من عادات وأخلاق، كما أنهم يساعدون الجمعيات العلمية والدينية ويحضرون محافلها ويحثون أعضائها على المثابرة والاجتهاد ويساعدونهم بالمال ويمدونهم بالسلطة وبهذه الطريقة يستطيعون جذب النفوس إليهم.

(١) المقال السابق.

(٢) عبد المنعم الجميلى: عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية، ص ٣٨١.

(٣) سلافة النديم، ج ٢، مقال سبق ذكره.

(٤) التبكيوت والتبكيوت : العدد الرابع في ٣ يوليو ١٨٨١، ص ٥٣.

(٥) سلافة النديم، ج ٢، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٦) نفسه.

وعن "طبقة الوزراء"<sup>(١)</sup>، كتب النديم أنهم "أعجب الناس فكرا" يقضون نهارهم وليلهم فى تدبير أمور بلادهم وتتبع أخبارها اليومية والسهر فيما ينفع البلاد ويحفظ الأمن ويوسع دوائر التجارة والزراعة والملاحة والصناعة والمكاتب الدينية والعلمية.. أعينهم ناظرة وآذانهم صاغية"<sup>(٢)</sup>.

وعن "طبقة التجار والأغنياء" كتب النديم عن تجار أوربا فذكر انهم يشكلون الطبقة التى اجتهد أهلها فى معرفة الحساب وطرق الأرباح من الاتجار بالأصناف الصناعية والزراعية والمعدنية والأوراق والبنوك<sup>(٣)</sup>، ففتحو المحلات التجارية والبورصات لمعرفة أحوال التجارة والوقوف على الأسعار وأخبار السلع التجارية، ولهم القدرة على احتكار النقود والأصناف مما يضطر بعض الدول إلى الاستدانة منهم، ونتيجة لذلك قبضوا على أمورهم السياسية وصاروا من أهل الحل والعقد فى مجالس الحكومات، وتدخلوا فى أمور هذه الدول حتى قبضوا على زمام أمورهم الاقتصادية وبالرغم من وفرة ثروتهم فانهم لا يقتصرون فى حياتهم على اللذائذ البدنية بل مددا ايديهم لمساعدة أبناء جلدتهم ففتحو الجمعيات العلمية والدينية، كما فتحوا العديد من المدارس على نفقتهم فى محاولة منهم لاستكشاف ما غاب من أمورهم وعن "طبقة علماء الرياضة والطبيعة"<sup>(٤)</sup>، ذكر النديم ان أهلها هم أهل الاختراع والابتداع ففيها "الطبيب والكيميائى والمهندس والفلكى... إلخ، وكل واحد منهم يجتهد فى شرح غوامض تخصصه وتبيان فوائده كل مهمم إعلاء شأن بلادهم وتقدم العلوم والمعارف فيها، فهم السلم الذى ترتقى عليه الأمم إلى درجات الكمال" أما عن "طبقة الكتاب والمنشئين"<sup>(٥)</sup>، فقد قال عنهم النديم أنهم "طبقة السلطة على العقول والسطوة على الأعمال" وانهم يقضون أيامهم فى نشر الفضائل والحض على الابتعاد عن الرذائل كما انهم يقفون ضد الفتن بكلماتهم الاصلاحية المؤثرة كما وصفهم بانهم "أساتذة الخواص والعوام وأئمة الوزراء والعقلاء والرعية" لهم إنشاء بديع يرشد إلى طرق التقدم ويحذر من التهاون والتقهقر.

وقد اختتم النديم مقاله بالحديث عن الجرائد، فابرز أهميتها فى تتبع الأخبار العالمية سواء أكانت سياسية أو تجارية أو علمية.

وعن مقال النديم المعنون "فى معاملة الوالدين" فقد أوصى الأبناء بحسن معاملة الوالدين مذكرا إياهم بفضلها عليهم منذ فترة الحمل والرضاعة فقال إن الله تعالى قد أنزلها منزلة ليس

(١) سلافة النديم، ج٢، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٤) نفسه، ج٢، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٥) نفسه، ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

فوقها منزلة من منازل الفضل إذ أودع في ماء الأب سر التصوير والتخطيط والتشكيل، وفي رحم الأم سر التطوير والتكوين والتنمية<sup>(١)</sup>، كما أن الأم تقوم بتغذية الابن وهو بين أحشائها بخلاصة من خلاصات غذائها، وبعد الولادة تقوم بالسهرة عليه تحزن لبكائه، وتجزع لمرضه، وتفرح لفرحه وتؤانسه وتسليه بما يهوى، وتداعبه بما يرضى، وإذا أساء إليه أحد لم يتوان الأب والأم في الدفاع عنه ولو حدث لهما الضرر من جراء ذلك، وعندما يشب الابن ويتعرع يقوم الوالدان بإرشاده إلى النافع وتحذيره من الضار وتعليمه ما يفيد وتدريبه على التعامل مع الناس، ومساعدته على أن يقف على قدميه ويصل إلى غايته دون ملل أو كلال مضحين بكل ما يملكانه من غال ونفيس، كما يحرصان على إرضائه وإبعاد الضرر عنه وألا تقع عيناه على مستنذر، ولا تسمع أذناه ما يكره ولا يشم أنفه ما يستقبح.<sup>(٢)</sup>

ومن هنا طالب النديم الأبناء بضرورة الاهتمام بخدمة الآباء والأمهات والعمل على إرضائهم موضحاً أن الله تعالى قد قرن طاعة الوالدين بطاعته في قوله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين أحساناً" وإذا كبرا في السن يجب معاملتهما بأحسن العبارات والاعتناء بشئونهما ومعرفة ما يبغضهما والعمل على زواله، ومجالستهما واستشارتهما في أمور البيت. وحذر النديم الأبناء من إهانة الآباء والأمهات أو زجرهما، واستشهد في ذلك بالقرآن الكريم حيث يقول "ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً" وإذا مرض أحدهما فمن واجب الأبناء الانفاق على معالجته ومؤانسته وتسليته.

وإذا كانا يعيشان في بيت مستقل بعيداً عن الأبناء ينبغي ألا تتقطع مراسلتها ومودتهما وزيارتها.

وقد استشهد النديم بحسن معاملة "الحسن" و"الحسين" أبناء سيدنا علي بن أبي طالب لوالديهما، وطالب بالافتداء بهما فقد "كانا لا يجلسان بحضرتهما إلا بائنهما، ولا يتكلمان إلا إذا أذنا أو سألهما أحدهما، ولا يرفعان صوتهما إلا بقدر ما يفهم الكلام".<sup>(٣)</sup>

ولم يقتصر مقال النديم على ذلك بل أوضح لنا العديد من عادات المصريين وتقاليدهم الاجتماعية خلال القرن التاسع عشر ففي سياق حديثه عن فضل الوالدين تطرق إلى مسألة تعدد الزوجات واختيار الأهل لعروس الابن، وموقف الحموات من زوجات الأبناء وغير ذلك.

(١) سلافة النديم، ج٢، ص ٢٢٠ - ٢٣١.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

فمن زواج الأب بغير الأم أو زواج الأم بغير الأب طالب النديم الأبناء بعدم مقاطعتهم نتيجة لذلك أو النفور منهما لأنه ربما ما حدث يكون للعصمة ولا يعتبر ضارا بالأبناء أو مسقطا لقدرهم أو مزرية بشرفهم .

وعن اختيار العروس للابن أوضح النديم بأن الابن إذا بلغ مبلغ الرجال اسرع الأب والأم إلى أحسن بيوت الشرف وبنات الفضل المتماتلات معهما واختارا له احبهن إليه واليقهن به".<sup>(١)</sup>

وتطرق النديم أيضا إلى خفايا النفس البشرية في الأم فأوضح بأنها لا تحب زوجة أبنها بقدر ما تحب زوج بنتها وعلل ذلك بقوله ان الأم شديدة المحبة لولدها تحب له الراحة ودوام الصحة وتكره من يؤذيه أو يجلب عليه شرا أو يتسبب في ضعفه ووهن جسمه و "هو إذا تزوج تحمل أتعاب العمل ومشاق الكسب سعيا على زوجته، وصرف ما يكتسبه عليها وفي مرضاتها ثم يضعف ضعفا بينا بالمضاجعة ويسقم ويمرض، وكلما صرف حياته في مرضاه زوجته احبته بقدر كراهة الأم لها".<sup>(٢)</sup>

أما عن زوج البنت فقال النديم ان الأم "تحب من يرضى بنتها ويجرى ويكسب لينفق عليها ويلطفها ويؤانسها ويداعبها ويواصلها بما تنمو به اعضاؤها وتدوم به صحتها فهي لا تملك نفسها في محبته تبعاً لمحبتها لبنتها".<sup>(٣)</sup>

كما تحدث النديم عن أسباب نفور زوجة الابن من الأم فأرجع السبب إلى أن الأم غالباً ما تكون حجاباً مانعاً بينها وبين تصرفها في ولدها وماله"<sup>(٤)</sup>، وحذر النديم الأبناء من سماع كلام الزوجات في كل ما ينقلونه لهم عن أمهاتهم، وطالبهم بالألّا يجعلوا للزوجات سلطة في البيت تمس حقوق الأم بل يكون للأمّ الأمر والنهي والحل والعقد والترتيب" وألا تكون الزوجة إلا خادمة مطيعة لها مشيراً إلى قول الرسول الكريم "الجنة تحت أقدام الأمهات" وموضحاً بأن الزوج إذا ترك الزوجة يستطيع أن يجد غيرها من الزوجات اما إذا فارق أمه فلا يجد له ام غيرها.

وعن مقال النديم المعنون "لو كنتم مثلنا لعلتم فعلنا" فقد أوضح فيه ما حدث في البلاد من تغيرات اجتماعية وسياسية وقد بدأ النديم هذا المقال بتوضيح أسباب اختياره لعبارة "لو كنتم مثلنا لعلتم فعلنا" كعنوان لموضوع مقاله فقال إن أوروبا كانت توجه هذه الكلمات دائماً إلى الشرقيين كلما حاولت تبرير أفعالها لذلك قسم المقال إلى فقرات كل فقرة يبدؤها بعرض إدعاء من إدعاءات الأوروبيين في محاولاتهم الانتقاص من قدر الشرقيين أو في سعيهم لتحقيق

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

مصالحهم الاقتصادية والسياسية ثم يرد على كل إيداع بالحجج والأسانيد الواضحة ويختتم كل فقرة بعبارة "لو كنتم مثلنا لفلتتم فعلنا".

تحدث النديم في الفقرة الأولى من مقاله عن إدعاءات الأوربيين بجهل الشرقيين في الصناعة حتى يتمكنوا من إدخال مصنوعاتهم إلى الشرق فقال "قالت أوروبا انكم متوحشون لكونكم لا تحسنون صناعة الأثاث واللباس وإنكم في حاجة إلى مصنوعنا ولا تصلون إليه إلا بعقد المعاهدات التجارية وبذا تمكنت من ادخال مصنوعها في الشرق لتحول الثروة إليها فأمانت ما كان يصنعه الشرقيين".<sup>(١)</sup>

ثم يرد على هذا الادعاء بحث أبناء وطنه على إحياء الصناعة الوطنية وتوضيح الطريق لحماية مصنوعاتهم أمام المنافسة الأوربية بقوله "أن كثيرا من الممالك التي لا آلات فيها استعانت بالآلات اشترتها من الغير، وأحييت صناعاتها الوطنية وحثمت على أهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير، حفظا لثروة أهلها".<sup>(٢)</sup>

ثم ندد بضعاف العقول الذين لا يتحركون للعمل من أجل إحياء الصناعة الوطنية لوقوعهم في اليأس والقنوط بالمغريات ورجال أوروبا تتعجب من تقاعدهم وتقول وتقول لهم لو كنتم مثلنا لفلتتم فعلنا".<sup>(٣)</sup>

وفي الفقرة الثانية من المقال تحدث النديم عن محاولات الأوربيين جر الشرقيين إلى مهاوى الرذيلة، وابعادهم عن عاداتهم الشرقية، وإخلاق الآباء والأجداد فقال "قالت أوروبا أن وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخلقكم بأخلاق آبائكم بقاء على الهمجية والتوحش فلا بد من مجاراتنا في حركاتنا المدنية لتساوونا في الرتبة، وفتحت لنا البير والخمارات والمقامر وأباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران ففعل الشرقيون رغم ما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف".<sup>(٤)</sup>

وقد هاجم النديم الانجليز لاتخاذهم المدينة الحديثة ستارا لنشر الموبقات في الشرق فقال "ان الانجليز هم الذين نشروا قانون المومسات، ورخصوا للنساء ان يخرجن للبغياء تحت حماية القانون، وهم الذين سنوا كشف الأطباء على البغايا واعطائهن شهادات بأنهن صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراه".<sup>(٥)</sup>

(١) سلافة النديم، ج٢، ص ٢٨٢ وما بعدها، والامتياز الجزء الثاني والعشرون من السنة الأولى في الثلاثاء ١٧ بغير ١٨٩٣ ص ٥٠٧.

٥٣٣

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

ثم قام بتحذير أبناء وطنه مغبة ما يحدث موضحا لهم أن هدف أوربا من ذلك هو افساد الأخلاق واتلاف العقول والأجسام وضياع الدين والبلاد فقال: "وانما هذه اشراك وفخاخ تنصب فى طريق الشرقى حتى لا يخطو خطوة إلا وقد وقع فى حباله أوربا ولما رأت أوربا أن الشرقيين لا ينتبهون من غفلتهم " ولا يسعون فى صالح بلادهم ولا يحافظون على دينهم ولا يعرفون شرف لغاتهم، ولا يحفظون كراسى ملوكهم، ولا يهمهم ضياع أوطانهم اتخذتهم كرة تلعب بهم كيف تشاء، وهى تقول لهم "لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا".<sup>(١)</sup>

وفى الفقرة الثالثة من المقال تحدث النديم عن ادعاءات الأوربيين بأن الشرق فى حاجة دائمة إليهم حتى يتمكن من إصلاح شئونه فقال "قالت أوربا أن الشرق فى حاجة لتداخل أوربا لإصلاح إدارته وماليته وتجارته وتهذيب أممه بالتعاليم الأوربية، وأجمع رجال أوربا على جعله قسما مقابلا لها، وربطوا عزمهم على ضمه إليهم الجزء بعد الجزء، والقطعة بعد القطعة على اتفاق معقود بين الدول هذا لى وهذا لك".<sup>(٢)</sup>

وقد رد النديم على ذلك مناقشا أولى الأمر بضرورة الاهتمام بالرجال فقال لو اهتم ولاة الأمور بالرجال ، "ومرنوهم على الأعمال وبعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة، وهذبوهم بالأدبيات، وصانوهم من المفساد العقلية وعلموهم العقائد الدينية وعودوهم على الشعائر المليية، ونبهوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية.. لوجدوا امامهم رجالا وأى رجال، ولكنهم أهملوا ممالكهم وأهدروا حقوق رعاياهم فأصبح ملوك أوربا يفخرون عليهم ويعيرونهم بما صاروا إليه من الضعف والاضمحلال ويقولون "لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا".<sup>(٣)</sup>

وفى الفقرة الرابعة من المقال تحدث النديم عن سعى الأوربيين لتحقيق مصالحهم بينما الشرقيون لا يتحركون لمجاراتهم فقال: "انهم يسعون فى مصالحهم واتساع ممالكهم وتجاراتهم والشرقيون.. ينظرون إليهم نظر المغشى عليه من الموت ولا يتحركون لمجاراتهم أو لايقاف تيار تداخلهم"<sup>(٤)</sup>، ثم انتقل إلى الدفاع عن الدولة العثمانية بوصفها زعيمة العالم الاسلامى والمدافعة عنه فوصفها بقوة العزيمة وهاجم الذين يرمونها بالعجز والضعف ثم حض مواطنيه على عدم التهاون فى حق الوطن محذرا لهم من محاولات الأوربيين السيطرة عليه فقال: "ولقد أذهلتنا أعمال أوربا التى لم تسمح لشرقى بامتلاك شبر من أراضيها، وهى تخرجنا من مساكننا

(١) نفسه

(٢) سلافة النديم، ج٢، المقال السابق نكره.

(٣) نفسه

(٤) نفسه

وتقيم فيها بلا شروط معقودة ولا حجة مسجلة، ولكنها معذورة فإنها لم تجد من يعارضها أو يجارها فهي لا تعترف أننا معها في ثوب الإنسانية بل تقول "لو كنتم مثلنا لفلتم فعلنا".<sup>(١)</sup>

وفي الفقرة الخامسة من المقال كشف النديم النقاب عن الأساليب التي يستخدمها الأوروبيون للتدخل في شئون الشرقيين بحجة الإصلاح ونشر الحضارة والمدنية، وتدريب الشرقيين على إدارة شئونهم فقال: "أن دولة من دول أوربا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء، وإنما تدخل باسم الإصلاح وبت المدنية، وتتأدى أول دخولها أنها لا تتعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئا فشيئا" ثم تحدث عن أن هدف إنجلترا من إطلاق حرية المطبوعات هو إيجاد التناقضات بين أبناء الشعب المصري، كما تحدث عن تفضيل الإنجليز للأجانب على المصريين في كافة الأعمال فقال: "هم الذين ابعثوا المصريين عن الخدمة وحشروا الغرباء في المصالح حتى اصبح الألف من المصريين لا يجدون القوت"<sup>(٢)</sup>، وهاجم محاولات الإنجليز إيماته اللغة العربية فقال: "هم الذين .... تدرجوا إيماته اللغة الوطنية بفرض المكافآت لمن ينبغ في الإنجليزية لتتسى لغة القرآن فينسى بها الدين"، ثم طالب النديم أبناء وطنه بمجاعة الإنجليز وكافة الأوربيين في أعمالهم فقال: "وما يدعوهم .. إلا إلى مجاعة الأوربيين - بما هم فيه من معرفة قدر نفوسهم والمحافظة على حقوقهم ولغاتهم وأديانهم وعوائدهم والداب خلف الاستقلال".<sup>(٣)</sup>

كما طالبهم بالعمل الجاد والاجتهاد، وترك التكاسل والتقاعد فقال: "مضت والله أيام التقاعد والاعتزاز بالثرهات وصرنا بين يدي خديو يريد أن نجاري الإنجليزي في الأعمال الإصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية، ونحن عن إرادته السنية ساهون ويجب ان نتقدم في التجارة والصناعة والزراعة والمعارف ونقبض على أزمة أمورنا ونحفظ عرشه المصري بالمصريين".<sup>(٤)</sup>

ثم قرظ الخديو عباس الثاني ولقبه "بالهمام الحازم الصادق الوطنية المحب لجميع أجناس رعيته على اختلاف أديانهم الساعى في منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الإدارية وما يحتاج في تنفيذ إرادته إلا إلى رجال" ثم قال: "فأى مانع يمنع المصريين من المطالبة بحقوقهم بالتظاهرات الأدبية أصرنا أقل درجة من فعله الإنجليز والغزاليين الذين تعصبوا لحقوقهم وتجمعوا لراحتهم وأذهلوا العالم بأفعالهم التي ما دخلها شغب ولا تخللها خل".

(١) نفسه

(٢) سلافة النديم، ج٢، مقال سبق ذكره.

(٣) نفسه

(٤) نفسه

ثم حذر من المرجفين الذين يبتون. الشائعات فقال: "تعوننا سماع الأراجيف من الدخلاء وتسليط الأوربيين على كل بلد نوذى فيه بالمحافظة على وطنيته، ونحن نضع حجرا فى فم هذا الدخيل قبل ان يحرك شفتيه بكلمة اغراء".<sup>(١)</sup>

وتحدث النديم عن الوحدة الوطنية بين المسلمين والاقباط فقال: "هم فى اختلاط أهل بيت ومعاملة عشيرة واتحاد عائلة ما جرى بينهم يوما واقعة عدوانية مسببة عن اختلاف الدين ولهذا لم تجد دولة من الدول العدوانية علة دينية تتداخل بها فى شأن مصر باسم راحة المسيحي والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الأقباط حريتهم فى عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجابا بين مصر وبين تلك الدعوة التى تعونتها أوربا تغريرا وتضليلا وفتحاً لباب الحروب بعلل وهمية".<sup>(٢)</sup>

ثم ناشد أبناء وطنه تقليد عقلاء أوربا فى أفعالهم، وعدم اللياذ بالأجنبى فقال: "قلدوا عقلاء أوربا فى أفعالهم، وكفاكم الاغترار بترهات المضلين واللياذ بالأجنبى الذى سلبكم ثوب المجد، ولم يبق إلا أن يأكل لحمكم ويشرب دمكم غيظاً".<sup>(٣)</sup>

كما طالب النديم بتحريك الهمم وزيادة النشاط للاكثار من الثروة فقال: "أيقينا من الثروة ان نرى أكبر تاجر منا لا تزيد ماله من عشرين ألف جنيه وإذا عدنا هذا القسم قلنا واحد اثنان فإذا انتهينا إلى التاسع وقتت بنا الأعداد، أما تتحرك الهمم الخادمة لفتح محال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيرا وتفتح بيوتا أغلقت أبوابها أو كادت أعجزنا عن مجارة الأمم حتى فى هذا العمل الذى يقوم به الأميون والجهلاء الذين تبعنهم ضرورة المعاش إلى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد".<sup>(٤)</sup>

ثم تحدث عن التعليم والمنهج الدراسى الصحيح الذى يجب أن يدرس للتلاميذ فقال مناشدا الأباء "لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم. حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم ردوهم إلى الوطنية قبل ان يحملوا سلاح العداوة" وانتقد النديم الأباء الذين يرسلون أبناءهم إلى المدارس الأجنبية وناشد ولاة الأمور بفتح المدارس بقوله: "أفلا يحسن فى أعينكم ان تفتحوا مدارس لأبنائكم تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الأوربية التى تغرسها ببلادنا مدارس أوربا" ثم ناشد أبناء وطنه بتوحيد كلمتهم وخدمة وطنهم فقال: "جاهدوا انفسكم فى توحيد كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن أبواب أوربا وفتنها ، واخدموا بلادكم بظهوركم أمة واحدة واقفة على قدم الخدمة لأمرها والمحافظة على حقوقها".

(١) نفسه

(٢) سلافة النديم، ج ٢، مقال سبق ذكره.

(٣) نفسه

(٤) نفسه

وتحدث النديم عن محاولات الاحتلال التفارقة بين السوريين الموجودين بمصر وبين المصريين ودعا إلى اجتماع الكلمة والائتلاف فقال: "ولو اجتمعت كلمتنا وانتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هذه الهمم في حفظ الوطنيين واعلاء كلمتهم لحسدتنا المعالي ووقفت أوربا تنظرنا بعين الإعظام والاجلال".<sup>(١)</sup>

كما قال: "إذا شددنا أزر بعضنا وجمعنا الكلمة شرقية مصرية وشامية وعربية وتركية أمكننا ان نقول لأوربا نحن نحن وأنتم أنتم وان بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقيا بعد فريق حق لأوربا أن تطردنا من بلادنا إلى رعوس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشى وتصدق في قولها لو كنتم مثلنا لفلعلم فعلنا".<sup>(٢)</sup>

وهكذا عرض النديم آراءه في هذا المقال بطريقة واقعية وجريئة، واقعية لأنها عبرت عن سوء أحوال البلاد وما ألم بها في ظل الاحتلال، وجريئة حيث ان النديم لم يخش أحدا حيث تكلم بصراحة، وعبر عما سمعه وشاهده بنفسه في أسلوب متأجج بالحرص على الوطن والحماسة له، وكان حديثه بلغة عربية فصيحة لأن الموضوعات التي طرحها في مقاله كانت تتميز بالنوع الجدى الذى لا تلائمه إلا اللغة الفصحى، كما تطرق إلى موضوعات متعددة فعرضها بطريقة موضوعية فخرج المقال متماسكا ومعبرا عما يجيش في نفوس أبناء وطنه حيث كان صدى لما يعانیه الشعب من آلام، وصدى لما يحدث في البلاد من أزمت فأنبت النديم انه يحمل بين جنبیه نفسا أقوى من الكوارث وعزيمة لا يوهنها الفشل.

وعن خطبة النديم التي قالها أثناء الاختفاء والمعنونة "من خطبة يوم الجمعة وهو مختفيا في الريف" فالمعروف ان النديم كان يرتقى منابر المساجد لتوعية الناس وتحريك أفكارهم دون ان يعرفه أحد خشيه معرفة الحكومة او الانجليز بمكانه.

وقد استغل النديم قدرته على التمكن من اللغة العربية في إبراز مواقف الخطابية، كما كان يستشهد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وبآيات من الشعر لتأييد فكرته وحتى تكون حجته مقنعة، ولكي يعطى لأسلوبه مذاقا يقبله السامعون كان يسجع أحيانا ويسترسل في أحيان أخرى وقد أعانه على ذلك لسانه الفصيح وبديهته الحاضرة وجرأته الفائقة في مواجهة المواقف فكان كما يذكر معاصروه لسننا<sup>(٣)</sup>، متوقد الذهن صافى القريحة قوى الأداء جهير الصوت.

(١) نفسه.

(٢) سلافة النديم، مقال سبق ذكره.

(٣) لويس شيخو اليسوعى: الآداب العربية في القرن التاسع عشر، ص ٥٠.

وفى الخطبة موضوع الحديث اوضح النديم خطورة التعامل بالربا مستشهدا فى ذلك  
 بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما حذر المرابين بالكف عن أعمالهم حتى  
 لا يجمعون بين خزى الدنيا وعذاب الآخرة، وطالبهم بتقوى الله وطلب المغفرة منه.  
 وفى خطبة أخرى للنديم أثناء الاختفاء أيضا أوضح للناس خطورة الخمر والميسر  
 وطالبهم بالابتعاد عنهما لأنهما رجس من عمل الشيطان، مستشهدا فى حديثه بالقرآن الكريم  
 والأحاديث النبوية.

ومما سبق يتضح أن مقالات النديم ومؤلفاته التى جمعها شقيقه فى هذا الكتاب تشهد له  
 بأن كان حر القلم متمسكا بأهداب الحرية، محبا لعامة الناس يتواضع معهم ويضاحكهم ويلطفهم  
 ويؤانسهم ويتحدث معهم بأسلوب ينم على اهتمامه بإصلاح أحوالهم. لقد فتحت كتاباته فى  
 جريدته التكييت والتبكييت، والاستاذ وغيرهما أمام الناس أبوابا من التعرف على الإصلاح  
 الاجتماعى كانت مغلقة أمامهم سواء فى التعليم أو فضائل الأخلاق أو الزراعة والصناعة وما  
 إلى ذلك والى كتبت بأسلوب ينم عن شجاعه صاحبه فكان النديم بمثابة المصرى الصادق  
 المبصر للناس بعيوبهم يعرض عليهم مشاكلهم ويشاركهم فى البحث عن ايسر الطرق الموصلة  
 لعلاجها، يحارب الطغيان فى الداخل ويناهض المستعمر الوافد من الخارج دون خوف ولا وجل  
 خاصة وانه كان شجاعا، يسعد بمواجهة العظماء ومنازله الكبراء وربما كان اعظم شئ فيه ثباته  
 على مبدئه فكتب عن عيوب مجتمعه بكل جرأة وصراحة ولم ينكر ما قال حتى فى أحلك  
 الظروف.

ومع ذلك فقد كان ثمرة جهاده ان يلقى فى مخبئه الأهوال وان ينفى بعيدا عن الوطن، ثم  
 يموت ويدفن فى غير الوطن الذى ناضل من أجله، ولاقى العذاب والآلام فى سبيله.  
 وعلى أى حال فان كتاب سلافة النديم الذى تقدمه إلى الناطقين بالضاد بعد ما يقرب من  
 مئة عام من جمع شقيقه لموضوعاته يعتبر خلاصة لما كتبه النديم من موضوعات هامة  
 ومتنوعة خاصة وانه شمل بحوثا أدبية ودينية وسياسية وتاريخية هامة تم تناولها فى أسلوب  
 شيق جذاب، مما جعلها من المصادر الهامة لكل من يحاول التعرف على تاريخ مصر  
 الاجتماعى والثقافى فى القرن التاسع عشر.

د. / عبد المنعم الجميى  
 القاهرة - ميدان لبنان - المهندسين  
 يوليو ٢٠٠٧

سلافة النديم

الاستاذ

الاولاد



كان  
ويكون

عبد الله النديم

# فَيْضُ الْإِسْلَامِ

في منتخبات

عبد الله بن عبد الله النديم

جمع شقيقه عبد الفتاح نديم

## الجزء الأول



### بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي أفصحت آياته عن بديع حكمته ودلت آلاؤه على عظيم نعمته فنطق بحمده لسان الوجود واعترف بفضلته كل موجود، وصلى الله على سيدنا محمد خير من أدب وعلم وعلى آله وصحبه وسلم ويعد فهذا ما تيسر جمعه بعد بذل الجهد وطول العناء وتكبد المشاق من منتخبات فقيد العلم والوطن السيد عبد الله النديم وهو وإن كان ليس بالشيء القليل إلا أنه كنقطة من بحر في جانب ما جادت به أفكاره السامية من الأشعار البليغة والرسائل الأدبية البديعة مما لعبت بأكثره أيدي الضياع كما يعلم ذلك من ترجمة حياته المدونة في صدر هذا الكتاب وقد اعتنيت بجمع هذه المنتخبات ودعوتها «سلافة النديم» تخليداً لذكر الفقيد وإن كانت أعماله العظيمة قد تكفلت له بذلك واعترافاً بما له من الفضل والمنة.

وتتقسم هذه المجموعة إلى خمسة أقسام القسم الأول منتخبات الرسائل الأبية والثاني منتخبات «التكيت والتبكيث» والثالث منتخبات «الاستاذ» والرابع منتخبات علمية والخامس منتخبات متفرقة وبالله التوفيق ومنه الإعانة .

**ترجمة فقيه مصر السيد عبد الله النديم**

**بقلم صديقه الكاتب الشهير أحمد أفندي سمير**

هو الأبيب الكاتب الشاعر الناصر السياسي المشهور عبد الله بن مصباح بن إبراهيم وينتهي نسبه إلى إريس الأكبر من أسباط الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد رحمه الله بالإسكندرية سنة إحدى وستين ومائتين وألف من التاريخ الهجري (= ١٨٤٣) فحفظ القرآن الكريم وأتمه قبل أن يبلغ التاسعة من عمره وكان أبوه وسطا في اليسار غاية في مكارم الأخلاق فلما رأى مخايل النجابة بادية عليه أدخله المدرسة الدينية الكبرى الشهيرة باسم «جامع الشيخ إبراهيم باشا» فحضر دروس أكابر الأشياخ كالشيخ محمد جاد شيخ الشافعية بالإسكندرية إذ ذاك والشيخ إبراهيم السرسى والشيخ إبراهيم الشافعي والشيخ خفاجة والشيخ محمد العشري وبه انتفع وعليه تخرج فائقن فقه الشافعي والأصول والمنطق وعلوم الأدب اللسانية وبلغ منها ما لم يبلغه أحد قبله وذلك كله وهو في سن المراهقة وحينئذ بزغت شمس حياته الأدبية من أفاق الفضل فأخذ يقول الشعر الرقيق والنثر المسجوع المحكم هبة من الله لانقلا عن أحد فما لبث أن سارت الأمثال ببدايع أدايه وتسايق بلغاء الكتاب والشعراء إلى مطارحته بالسنة الترسل. وكانت الكتابة إلى ذلك العهد قاصرة على السجع لا يعرف أحد من الأدباء غيره حتى في المحررات العامة تقليدا للأعاجم الذين لو تأمل العربي لجرع حسرة وأسفا على أن لفته لم تصل إليه إلا بواسطة أولئك

القوم إذ اضطرتهم بلاغة القرآن الكريم لإتقانها درسا وبحثا وتأليفا فوضعوا فيها ما وضعوا من الكتب التي لازالت تشهد بفضلهم على تماقب الأجيال فخلف من بعدهم خلف مشوا وراءهم خطوة خطوة متابعين لهم في الاسجاع وما وضعوا من المحسنات البديعية وكانت نتيجة ذلك أن بقيت الكتابة العربية أكثر من عشرة قرون على حالها الأولى يجارى فيها الخلف السلف حتى كانت كأنها ضرب من الألفاظ أو الطلاسم لا يصل إليها إلا من صرف نفيس عمره في حفظ المقامات المسجوعة والرسائل المنمقة بالتجانيس والألفاظ المترادفة إلا من عصم ربك وقليل ما هم.

فلما انتظم المترجم في عقد أهلها جازاهم أولا في طريقتهم ثم ما لبث أن برز عليهم وزاد بابتكار أساليب جديدة في الإنشاء فاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين أن يلحقوا له في مضامنها غبارا تشهد بذلك رسائله الأدبية ومؤلفاته التي تبلغ نحو مائة مؤلف في فنون مختلفة فقد أكثرها سرقة أو اغتصابا أو رميا في النيل على ما ستحققه في غير هذا المكان.

ولقد بدت على المترجم منذ ترعرع دلائل الجرأة والإقدام وركوب الأخطار والأهوال ومعاناة الشدائد والخطوب سعيا وراء المعالي وحبا للظهور الحق في عالم المشاهير من الرجال وقد رأي أن ذلك لاينال عفوا ومن خطب الحسنة لم يغل المهر. فكان أول ما بدأ به من تلك المطالب المعجزة أن نظر في الوجود نظرة باحث مدقق فتبين أن الاشتغال بالعلم ربما عاقه عن بلوغ مقصده فتظاهر بترك المظهر العلمي وطلب تعلم صناعة التلغراف ليقف بواسطتها على أسرار الأمم في مخابراتها والممالك في سياساتها حتى يتيسر له المقابلة بين أحوال بلاده وغيرها من الممالك البعيدة لعله يقدر على إصلاح الفاسد وتقويم المعوج. ولم يكن للجرائد اليومية إذ ذاك وجود فدفعته قوة نكاته الفطري البالغ حد

الإعجاز إلى تعلم تلك الصناعة بخصوصها فاتقنها في أقل مما يتصور من الزمن كأن الكهرباء لم توجد إلا لتكون مزاحمة لخطره في السرعة فلم يمض عليه بضعة أسابيع حتى استخدم تلغرافيا (= أو تلغرافجيا) في مكاتب مختلفة أهمها مكتب تلغراف القصر العالي الخاص على عهد عزيز مصر المغفور له اسماعيل باشا الخديو الأسبق..

ومع ذلك لم تكن وفرة الأعمال عائقة له عن التحصيل إذ كان ينتظر نوبة فراغه من العمل فيمضي إلى الجامع الأزهر ويطلع مع بعض رفاق شببيته الدروس التي كانوا يشتغلون بها. وأخص من بين هؤلاء الرفاق إمام البلغاء وحجة القويين في هذا العصر المولى الفاضل السيد السند الثبت الحجة الثقة صديقنا العلامة الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية بنظارة المعارف المصرية حالا فلقد أخبرني المترجم أنهما كان تربين لايفترقان لدى المطالعة كأنما هي جذيمة وهما النديمان.

ثم طرأ من الحوادث التي لا يخلو من مثلها وقت ما أوجب انفصاله عن الخدمة فاتصل بكثير من المقربين والعظماء كالمغفور له شاهين باشا كنج وغيره من وجوه القطر وأعيانه فكانت له لديهم مجالس مشهودة حضرها أفاضل الشعراء والمنشئين وناظروه وطارحوه في أساليب متنوعة وفنون متعددة من النظم والنثر فظفر بهم جميعا حتى كانوا لديه كلراعي لدى جرير أو كالخوارزمي أمام بديع الزمان فاعترفوا له بالسبق وهم ما بين طائع وكاره.

إنكر له من ذلك أنه حضر اجتماعا حاقلا لدى شاهين باشا تحامل عليه فيه كل القوم فاقترح بعضهم على إنشاء قصيدة يعارض بها دالية المتنبي المشهورة التي مطلعها :

أقل فعالي به أكثره مجد \* وذا الجد فيه نلت أو لم أنل جد .

وقال أنه لا يتأتى لشاعر أن يعارض قوله في هذه القصيدة :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى \* عبدوا له ما من صداقته بدّ

فغضب المترجم وأمسك القلم وأنشأ قصيدته الدالية التي أولها :

سيوف الثنا تصدا ومقولي الغمد \* ومن سار في نصري تكفله الحمد

إلى أن قال معارضا ذلك البيت الذي ظنه المتعنت معجزا :

ومن عجب الأيام شهم أخو حجا \* يعارضه غر ويفجمه وغد

ومن غر الأخلاق أن تهدر الدما \* لتحفظ أعراض تكفلها المجد

وأردفهما بخمسة أبيات على شاكلتهما ولكن لم يبق غيرهما في محفوظي

لأني إنما سمعتها منه سماعا سنة إحدى وثمانين وثمانمائة وألف فاقم

المعارض وأبلس ولم يدر كيف يقول .

ومن غرائب بدائنه ماجرى له في طنطا مع جماعة المكين المعروفين

«بالأبائية» وهي منشورة في العدد ٤٦ من الأستاذ .

وأعرف له من هذا القبيل أشياء كثيرة لو كنت أعلم أنني الذي ساكتب

ترجمة حياته لطلبتها منه وحافظت عليها حتى يرى القارئون منها ما لم يكن

يخطر لهم على بال .

ثم اختار المترجم أن يقصد المنصورة ترويحاً للنفس فمضى إليها ورأى أن

التجارة خير ورياضة له فأنشأ متجراً ملاء بكثير من أنواع السلع الغالية فراج

سوق بضاعته رواج أدايه ولكن تغلب كرمه الحاتمي على رأس المال والريح

ففقدهما جميعاً وكان بيته ومتجره في تلك الاثناء كلامها كعبة يحج إليها من

رجال الأدب من استطاع إلى الحنق سبيلا فكانوا يتحدثون بمعجز رسائله

ومحمراته نظما ونثرا ولا يزال كثير من بلغائهم يباهي بما يحفظ منها في الأندية

والمجتمعات .

ولما رأى أن الغربة كربة حبيب إليه الرجوع إلى مظهر وجوده ودار مولده الاسكندرية فعاد إليها أوائل سنة ١٨٧٩ وهناك أخذت شمس حياته السياسية تبدو ليستضيء بها الوجود المصري وكان أول سعيه في هذا السبيل أن اجتمع ببعض أصدقائه المخلصين ممن يتحقق فيهم حب البلاد والميل إلى إعلاء شأنها بالوسائل الشريفة وهما اثنان من مؤسسي جمعية مصر الفتاة أحدهما نائب رئيسها والثاني كاتم أسرارها فتعرف منهما ليلة اجتماعه بهما بالمسوف عليهما أديب أفندي اسحق وسليم أفندي النقاش صاحبي جريدتي مصر والتجارة كما تعرف بكثير من أعضاء هذه الجمعية فكان ذلك بدء حياته السياسية وشرع في بث أفكاره السلمية بما كان ينشره في تينك الجريدتين معزوا إلى أقلام محرريهما ثم لما رأى أن جمعية مصر الفتاة (وكانت في بدء نشأتها) جمعية سرية يخشى عليها من غوائل الحكومة في ذلك العهد أقنع هذين الصديقين بالانفصال منها فانفصلا وتبعهما كثير من أعضائها ثم ذكروهما في إنشاء جمعية عليه تسعى فيما يعوطفى الوطن وأهله بالمنفعة الحقيقية فاستصوبوا رأيه. ومنذ ذلك العهد شرع في تأليف قلوب أهل الثغر وجمع كلمتهم علما بأن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه وقد تم له ما أراد بعد مصاعب هائلة ومشاق لا تحتمل فتألفت الجمعية الخيرية الإسلامية وذلك في أواخر ولاية المغفور له اسماعيل باشا والاستبداد قد بلغ أشده والظلم جاوز حده والقلوب واجفة والأفكار مضطربة وقد خسرت الأمانة وغلغلت الأيدي إلى الأعناق واشتغل كل امرئ بنفسه فأصبح خانقا يترقب زوال نعمته أو نهاية محنته حتى بنت ساعة الفرج فلم تشعر الأمة المصرية إلا بالعزيب الكريم المرحوم محمد توفيق باشا جالسا على سرير الملك فقوت العيون وهذات الأفكار فقام المترجم يثبت دعائم دعوته ويبيث في الأذهان فوائد الاجتماع

بلسان طلق وعبارة هي السكر لولا أنها تذيب ولا تنوب فبرزت الجمعية الخيرية بمساعيه في ثوب الانتلاف وتسارع أعيان الثغر ووجهائه للانتظام في سلكها عن طيب خاطر وسرور نفس وكانت هي أول جمعية إسلامية أسست في القطر المصري من لندن عام الفتح إلى الآن ..

ولم يكن لها مقصد سياسي قط وإنما كانت ترمي إلى غرض واحد شريف وهو تربية الناشئة وحث روح المعارف فيهم لترقية أفكارهم وتطهير أخلاقهم من دنس الجهالة التي ليس للألم داء سواها على ما أوضحه المترجم في خطابه الطنان الرنان الذي ألقاه يوم الاحتفال بافتتاح تلك الجمعية ولم يزل صداه في الأذان والأذهان مسموعاً محفوظاً ..

انشأت هذه الجمعية مدرستها العظيمة لتعليم الأيتام وأبناء الفقراء مجاناً فسعى المترجم جهده حتى أكسبها عناية أمير البلاد فجعلها تحت رآسة ولي عهده ووريث تاجه إذ ذاك وهو خديونا الحالي أطال الله عمره فكان ذلك أذعى لنشاط رجالها وزيادة اهتمامهم فوسعوا دائرة اهتمامهم دائرة المدرسة واستحضروا لها فضلاء المعلمين من العرب والإفرنج وأقاموا المترجم مديراً لها فوضع لها أساساً (= بروغراماً) محكماً وأخذ على عهده تعليم الإنشاء وعلوم الأدب فتمت وعظمت وبلغ عدد الطلاب بها أكثر من ثلثمائة طالب في زمن وجيز ورتبت لها نظارة المعارف ٢٥٠ جنيه في كل عام .

فلما رأى المترجم أن غرسه قد كاد يثمر استرحم المغفور له الخديو السابق أن ينعم على الجمعية بالمدرسة البحرية لاتساعها وجودة موقعها فأجابته إلى ما طلب .

ولقد بلغت هذه المدرسة من الشهرة وبعد الصيت على قصر العدة ما لم يبلغه غيرها في أزمان وحضر المرحوم توفيق باشا مرة امتحانها العام في يوم

مشهود كان يسأل فيه رحمه الله بعض التلامذة بنفسه فسر من إجابتهم ونجابتهم سرورا بدت على أسرة وجهه لوائحه. فاعتتم المترجم هذه الفرصة واستعطف مقامه الكريم أن يضيف إلى منته القديمة منة أخرى وهي السماح بزيارة صاحب السمو الملكي ولي العهد (أميرنا الآن) ودولة شقيقه المدرسة تنشيطا للطلبة وتكرمة لرجال الجمعية فتفضل بالقبول فما لبث أن حضر الأميران تتقدمهما المهابة ويحف بهما الوقار فجلسا في مجلس خاص مزين بالأعلام وبدائع الزهور وتقدم نفر من نجباء التلامذة فوقفوا بين أيديهما وألقوا ثمانية وعشرين مقالا مختصرا نظما ونثرا أغلبها من إنشاء المترجم ثم انصرف الأميران في أبهة ملكهما مودعين بالإبصار والقلوب فزادت بذلك المدرسة شهرة على شهرتها التي أوصلها المترجم إليها بما كان يعود التلامذة عليه من الخطب والمقالات المؤثرة في النفوس فيعقد لذلك حفلات عامة في بهرة المدرسة يحضرها كبار القوم وسراتهم فيسمعون المطرب والمغرب منه ومن تلامذته ثم ينصرفون ولا حديث لهم إلا تفاهم ما سمعوا من تلك العبارات الأخذة بمجامع القلوب إنشاءً والقاءً. وكان مراده بذلك تدريب الناشئة وتمريتهم على أساليب الخطابة والجدل من جهة وبث روح الغيرة والنخوة في أفكارهم من أخرى ليتمكنوا إذا بلغوا مبلغ الرجال من أداء مقاصدهم بلا حياء بلا خجل لأن الأمة كانت لاتزال في أشد الحاجة إلى ذلك بسبب ما قضى به ضغط الحكام السابقين على أذهانها من الحين والضمول حتى أن أعظم عظيم فيهم كان لايقدر أن يحدث نفسه في سرير نومه بشيء من نواعي الإصلاح خوفا من الطيف أن ينم عليه كأنما كل مصري كان هو المقصود بقول أبي الطيب :

إذا رأى غير شيء ظننه رجلا

ولهذا الغرض بعينه اختار المترجم أن يمثل بالاسكندرية في الملهى الأكبر

(تياترو زيزينيا) حالة البلاد وكيف يكون الوصول إلى الشهامة والمروءة فانشأ روايته المشهورتين باسم «الوطن» و«العرب» ومثلها هو وتلامنته في ذلك المهلى، بحضرة ساكن الجنان الخديو السابق فكان لهما في نفسه من حسن الوقع ما بعث على أن يدفع من ماله الخاص مائة جنيه مساعدة للجمعية التي لمدرستها مدير كالمترجم يعرف كيف يتلطف في أداء المقاصد العائدة على الوطن وينيه بالنفع العام.

غير أن هذه المقدمات بنتيجة لم تكن في حسابان عاقل إذ ظن جماعة من سفهاء الأحمال أن في شهرة النديم ضياعا لصيتهم وخطا من كرامتهم فأجمعوا أمرهم وانتصروا على الإيقاع به شيمة كل ختال فخور مناع للخير معتد أثيم وقد ساعدهم بعض كبار الحكام في ذلك الوقت وكان هو الرئيس العامل للجمعية فدعا الأعضاء للاجتماع في ليلة استمدت من آراء المناققين ظلامها وغاب فيها الرشيد عن العقول فهمس بعضهم في أذان بعض وظهر ذلك الكبير بمظهر عدو ألد للنديم فطلب من الجمعية تقرير فضله من إدارة المدرسة والعضوية جميعا وكان المترجم قد أحس بالمكيدة قبيل ذلك بأيام فكتب إلى الجمعية كتابا يستعفي به من الإدارة والعضوية بعبارة ترقص الأبواب طريا ببلاغتها وقوة حجتها فأبرزه الرئيس وتلاه على الجمعية واتخذ من ضمن الأسباب التي ينقم بها على النديم. وكان الحاضرون تلك الليلة مرغمين على الخضوع لأمر الرئيس إذ إنه كان من أذنان نولة الاستبداد فأمر بإغلاق الأبواب وكتب وأفضيحتاه كتابا كله هنر وهذيان وضلال وإقتزاء مبين وتطويل بارد خلاصته أن النديم لا يليق أن يكون عضوا في الجمعية أو مديرا لمدرستها- مع أنها غرس يديه- وكتبوا منه عدة صور ودارت الزبانية على الحاضرين تطلب التوقيع على ذلك الكتاب الذي سموه منشورا، ثم انفض الحفل فمضيت إلى المترجم وحديثه بكل

ما جرى فلم يتأثر بل قال «لكل نبي مستقر وسوف تعلمون» .

وقد كان قبل هذه الحادثة بشهور ترك الكتابة الأدبية واشتغل بالتحريير السياسي على الأسلوب الحديث بلا سجع ولا تقفية فكان يحرر جريدتي «المحرسة» و«العصر الجديد» اللتين صرح للمأسوف عليه سليم افندي سليم النقاش بإصدارهما عقيب إلغاء «التجارة ومصر» وإبعاد فقيده سورية أديب افندي أسحق إلى خارج مصر فجاء فيهما بالمعجب والمطرب من غير تكلف قط حتى كان من شاهده لا يظن إلا أنه ناسخ يرسم ما يحفظه .

وما زال مستمرا على كتابتهما احتسابا إلي أن استدعى صاحبهما من بيروت بالكاتبين الفاضلين سليم افندي عباس وقضل الله افندي الخوري فترك لهما أمر هاتين الجريدتين وأنشأ «التنكيث والتبكيث» وهي جريدة اسبوعية ظاهرها هزل وباطنها جد، وحقيقتها حكمة وتهذيب فاقتصر عليها وأودعها من الآيات البيئات ما لم يسبقه أحد من كتاب العرب إليه وإن يقدر غيره على مجاراته فيه ثم استبدل هذه الجريدة بالطائف على ما قضت به المناسبات الزمانية وذلك قبيل الثورة العراقية وكانت جريدة سياسية محضة بلغت من الشهرة ما لم تبلغه جريدة قبلها وأتاه الله فيها من التأثير على الأفكار ما لم يوت أحدا من العالمين. ثم اغتصبها منه أمراء الجند ولم يدعوا له منها غير الاسم فكانوا يحررون فيها ما يشاؤون نون أن يقدر على رد أمر واحد منهم حتى انطفأت جمرة تلك الثورة المشؤومة فاختمت .

وهنا يقف قلمي ويضيق صدري ولا ينطلق لساني لو أردت بيان الدواعي الحقيقية التي اضطرتة للانضمام إلى القائمين بأمر تلك الثورة وكنت أود أن يبقى ذلك سرا مكتوماً حتى عن نفسي فما كل ما يعلم يقال ولكن ليس من الحزم كتمان أمر مثل هذا من أهم ما تضمنه تاريخ حياته فاسمع إن شئت وإلا

فلك الخيار.

كان التديم ميالا بفطرته إلى الظهور في عالم الأدياء بمظهر الخادم لأبناء وطنه وملته فأخذ يخطب بذلك على ملا الأشهاد ارتجالا في كل ناد ومحتفل بصوت جمهوري ولسان أمضى من الحسام وقلب أجراً من الأسد. ويعلم الله أنني ما رأيت عمري أخطب منه على كثرة من سمعت في الشرق والغرب من كبار الخطباء الذين تضرب ببلاغتهم وقوة براهينهم الأمثال. فلما ناصبته الجمعية الإسلامية العداوة وقلبت له ظهر المعجن غادر الاسكندرية واتخذ القاهرة دار هجرة ومقام وكان اسمه قد اشتهر وفضله ظهر وبهر فظن أن الهيئة الحاكمة تحفظ له ذلك ولكن ما لبث أن تبين فساد ظنه إذ إن تلك الهيئة تركت أبناء البلاد عموما ويعثت فاستدعت برجل من غير المصريين مبعود إلى بلاده فقلدته منصبا خطيراً ثم عرضت على المترجم وظيفة أقل من تلك في الاعتبار المعنوي ولو أن مرتبهما واحد فأبى نفسه إلا الأباء حيث تيقن أن في تفضيل غيره عليه بعض التفضيل امتهانا لقدره فأسرها في نفسه ولم يبدها لهم وصادف أن أخذت نيران الثورة تبدو من خلل الرماد فأصابته منه هوى في القواد فتمكنت لا حبا في الهيجان، ولا شقا لعصا الطاعة ولكن لكونه سمع رجالا تنادي بطلب الإصلاح وتعقد الاجتماعات العلنية لذلك مجاهرة بمقاصدها في أهم الصحف الخيرية المتداولة عربية وغير عربية حتى أتفتت كلمة الباحثين على أن مصر حزبا وطنيا لاهم له إلا السير بالبلاد في سبيل الحضارة والمدنية وانتشالها من وهدة الخراب التي ألقاها فيها الحكام السالفون ولم يستطع أحد من أهل الشرق والغرب إنكار هذا القول البتة. فكانت رسل الحزب العسكري تتردد على المترجم ورؤسائه يكرمونه ويعظمونه والقوة كلها في قبضة إيمانهم وتحت تصرف سيوفهم وكل ميال للسلم في اعتقادهم عدو للبلاد مبين فما زالوا

به حتى انضم إليهم رغم إرادته فوسموه بخطيب الحزب الوطني واتخذوا  
جريئته مجالاً لأقلام الكثير منهم ومظهراً لأفكارهم ولكنه كان يتأفف سرا من  
وقوعه في تلك الورطة فإذا خلا باحد من أخصائه أظهر له حقيقة ما يضمرة..  
سمعتة مرة في غرفة نومه حيث لاثالث بيتناً يقول ما معناه أن البلاد قد  
ضاعت بتهور رؤساء الجند الذين خدعونا في مبدأ الحادثة وأوممونا أن لاخوف  
من العاقبة ولافرع فإنما هي أقوال تضرب بأقوال وقد اعتاد الأجانب أن يبلغوا  
منا ما أرادوا بالتهديد والإيهام فنحن إنما نقابلهم بالمثل ولا فهم أعدل بكثير  
من أن يقصدوا محاربتنا فعلا ولكن وجداني الآن يحدثني بفساد هذه المزاعم  
فلقد تقام الخطب واشتدت النازلة وظني أن الحرب واقعة ولا بد فلا حول ولا قوة  
إلا بالله العلي العظيم أنه ليس لنا اليوم إلا أن نبقى مسيرين لامخيرين فقد  
ملئت الكاس ولا بد من شربها.

ولم يمض أكثر من أسبوعين على هذه المحادثة حتى زلزلت الأرض زلزالها  
وماجت القاهرة وماجت إذ حمل البرق إلينا من الاسكندرية أخبار ضرب  
الانكليز لها في الحادي عشر من شهر يوليو سنة ١٨٨٢ وانتشاب الحرب بينهم  
وبين عرابي فقام المترجم مع محمود سامي البارودي وغيره من رؤساء الجند  
المتخلفين إلى الاسكندرية فوجدوا الجيش المصري يتأهب لمغادرتها إلى كفر  
النوار بعد أن صارت معالمها نوارس فباتا (هو وسامي) في منزل المترجم  
ولحقوا جميعا بزعيم الثورة فاقام المترجم معه حتى كان ما كان من انتقال  
الجند الانكليزية بحرا إلى بورسعيد فالاسماعيلية ومحاربتهم المصريين في  
نفيشة والقصاصين والمحسمة فانتقل عرابي إلى التل الكبير ومعه المترجم.  
فلما وقعت تلك الألوية المضحكة المبكية المسماة بواقعة التل الكبير فر عرابي  
وأخوه وعلي الهويي وتبعهم المترجم وذلك في الخامس عشر من شهر سبتمبر

سنة ١٨٨٢ وقت السمر فحضروا إلى القاهرة في الساعة الرابعة بعد الظهر وقصدوا في الحال قصر النيل مركز نظارة الحربية إذ ذاك وكنت هناك وقتها فرأيتهم في منظر لايسر فقصدت المترجم واستخبرته الخبر فأخبرني أن الانكليز استولوا على التل الكبير ولم يزد على ذلك شيئا. ثم ركب ومعه صاحب له عربة وتبعتهما بعد قليل إلى بيته فلم أتمكن من رؤيته لأنني صادفت بالباب من أخبرني أنه لايريد أن يقابل أحدا إلا غدا حيث يكون قد ارتاح من تعب السفر فقصدت في المساء بيت عرابي لعلي أقف منه على بعض الشيء فوجدته يتأهب هو وطلبه عصمت لتسليم أنفسهما وسلاحهما إلى القائد الانكليزي المخيم بالعباسية، وفي تلك الساعة بلغني أن وقد مؤلفا من المترجم وجماعة من العظماء على عزم المضي ذلك المساء إلى الاسكندرية يحملون كتابا من عرابي ورفاقه إلى أمير البلاد يتضمن التوبة مما قرط ويعترفون بالعودة للطاعة والخشوع والإذعان .

ولما أصبح الصباح بكرت إلى دار المترجم فوجدتها مقفرة من ساكنيها أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا فسألت عن الخبر فقبل لي أنه لم يصل إلى الاسكندرية وإنما عاد من كفر اللوار في الساعة الرابعة بعد نصف الليل ثم اختفى هو ووالده وخادمه ولم أعد بعد تلك الساعة اسمع عنه شيئا بالمرّة مدة عشر سنين متوالية أمضيت بعضها في مصر وبعضها في القسطنطينية وأوروبا وقد ثبت في ذهني أننا لن نجتمع إلا في يوم النشور لما نقل إلي الكثير من الناس أنه قبض عليه عقب اختفائه وقتل في بعض الليالي خنقا بسجن دمنهور وأكد لي ذلك اعتقادي أنه لو كان حيا لراسلني وأنا بعيد عن القطر المصري حيث لاخوف من رقيب..

إلا أنني تبينت بعد ظهوره أنني كنت مخطئا في اعتقادي فقد سمعت من

لفظه أنه لما عاد من كفر الدوار خرج هو وأبوه وخادمه إلى ساحل بولاق ثم ودعه أبوه بعد أن أوصاه أن يدعو الله كلما وقع في خطر بسر رضا والديه عنه واكترى لنفسه سفينة ركبها وأقام فيها مصعدا منحدرًا إلى أن عفا المولى الخديو. عفو العام فذهب إلى الإسكندرية كما كان. أما هو فإنه مضى إلى صديق له مخلص من أهل بولاق فمكث لديه مستترا ومعه خادمه نحو عشرة أيام تمكن في خلالها من استحضار ثوب من الصوف المصري الأحمر المعروف «بالزعيوط» فلبسه وتعمم بعمامة حمراء ووضع على عينيه غطاءً وأمسك بيده عكازة طويلة وخرج وكانت لحيته قد طالت فأرسلها إلى صدره حتى صار لا يعرفه أدنى الناس إليه ومشى هو وخادمه ليلاً إلى الساحل فوجدا سفينة مقلعة إلى بنها فركباها وتظاهر بأنه من مشايخ الطرق الريفيين فلما وصلت السفينة إلى بنها نزل إليها قوم من رجال التفتيش ليفتشوا عليه بخصوصه فخفى عليهم ولم يعرفوه ثم انتقل من تلك السفينة إلى أخرى وقصد بلدة يقال لها «ميت الغرقا» (محرف منية الغرقى) فأقام بها دهرًا عند رجل من نوبي المكانة ونفوذ الكلمة وكانت الحكومة قد جعلت لمن يدل عليه ألف جنيه فتعب كثير من الحمقى في البحث عنه ولكن رجعوا بصفحة المغبون وهو آمن مطمئن يقرأ ذلك في الجريدة الرسمية وغيرها فلا يهتم ولا يضطرب .

وقد كان خادمه أميا أجهل من دابة فبكى وانتحب عقيب اختفائهما بأيام قلائل وطلب الرجوع إلى أهله فخشى المترجم أن يفتضح به أمره فجاء بالجريدة الرسمية ونظر فيها فأظهر الجزع والتأسف وضرب كفا بكف فسأله الخادم عن السبب فقال أن الحكومة جعلت لمن يرشد إلى ألف جنيه ولمن أتاها برأسك خمسة آلاف فخاف الخادم وأخذ يببالغ في التكرار زيادة عن سيده وكان ذلك سببا في ملازمته خدمته مدة اختفائه وقد كافأه المترجم أحسن مكافأة

فعلبه القراءة والكتابة وحفظه جملة سور من القرآن الكريم واقراه مبادئ التوحيد والفقہ ثم زوجه واتخذہ صاحباً ورتب له بعد ظهوره ما یکنیہ هو وأهلہ .  
ولما جدت الحكومة فی طلبه ولم تصنع شیئاً حکمت علیہ بالنفي المؤبد غیابیا فقرأ ذلك فی الجرائد وهو غیر هیاب ولا وكل ولكن الطلب لم ینقطع فاستعان برجل من الأجانب شہم فاشاح هذا أن التمیم هرب إلى «لیفورنو» من أعمال إيطاليا وقد نقلت هذا الخبر جريدة الأهرام فی سنة ١٨٨٣ وعرفت رجال الضبط والربط علی إهمالهم تعینفاً شديداً وحينئذ تحوات الأنظار عن البحث عنه فی مصر . ویلغ الحق ببعض كبار الحکام أن بعث مندوباً خاصاً إلى لیفورنو لیقته فذهب وعاد بخفي حنین لم یقطع إلا رأس مال مرسله .

ومن الغریب أن المترجم بعد نحو سنة من تاریخ اختفائه عرض علی من أوامه أن یبعث به إلى محل آخر فأرسله إلى رجل یثق به فی بلدة تابعة لمديرية الغریبة تسمى «العتوة» ولم یمض علی مفارقتها مختفاه الأول بضع ساعات حتی أجلب رجال الحكومة بالخیل والرجل للتفتیش علیہ فلم یظفروا منه بطائل .

وما مضى علی إقامته بتلك البلدة أكثر من سنة حتی قضی رب البیت نحبه فجات زوجته بأكبر أولادها وهوشاب لم یجاوز الخامسة عشرة من عمره فقالت له هذا عبد الله التمیم الذي جعلت الحكومة لمن هداها إليه ألف جنیه اقتريد أن تؤويه وتکرم مثواه كما فعل أبوک أم ترغب فی حطام الدنيا فاکون بريئة منك إلى يوم الدين فقال حاشا لله أن أخفر نامی فسترین أني أحافظ علیہ محافظتي علی عرضي وإن یصل إليه أحد بسوء ما دمت حیا فقالت له والدته الکریمة بآرك الله فیک من شهم حازم فمکث فی جوارهم نحواً من أربع سنین ضيقاً کریماً ثم وشى به بعض أقرباء الرجل لضغائن بينهما فعضی هو لیلاً وصار یضرب فی بلاد مديرية الغریبة وكلما ألقى عصا التسيار فی مکان أکرمه أهلوه وأنزلوه

على الرطب والسمة وشدوا أزره بتزويجه منهم..

ولاغرو فقد كان له من حلاوة الملقى وبلاغة القول وذلاقة اللسان ما لا يستغرب في جانبه غريب فتلك خاصة طبيعية فيه جذبت إليه القلوب كما يجذب المغناطيس الحديد فلم يبال أحد من أولئك المفضلين بما كان يتهددهم في هذا السبيل الشاق من الحبس أو التشريد أو غيرهما من أنواع العقوبات العاقبة على من أخفى رجلا تهتم الحكومة بالبحث عنه حتى استقرت به النوى في بلدة تعرف بالجميزة فلم يبرحها إلى أن قبض عليه هو وخادمه بسعاية بعض الطامعين غير أن ميعاد المكافأة كان قد انقضى فذهبت مطامع النعام أدراج الرياح.

والم يكن له على أحد ممن آواه سابقة فضل ينتظر عليه اجرا أو مكافأة وإنما هي مكارم أخلاق وطيب عنصر ومحض شهامة خصوا بها فجزاهم الله عن الإحسان خيرا.

ولقد كان في أثناء اختفائه كلما انتقل من موضع إلى آخر غير زيه واسمه فتارة كان يبخر لحيته بالكبريت إلى أن تبيض ثم إذا جاء الليل غسلها ومرة يجعل نفسه مغربيا وهكذا وإنما نقل عن أبي زيد السروجي حيله. وقد انتحل تسعة أسماء منها الشيخ يوسف المدني والشيخ محمد الفيومي وسي الحاج علي المغربي وغيرها مما أتى على ذكره في كتاب الاختفاء في الاختفاء.

ومن مدهشات وقائعه أثناء اختفائه أنه اجتمع بكثير ممن كانوا يعرفونه حق المعرفة وحادثهم في شؤون مختلفة وهم لا يظنون إلا أنه رجل غريب نظرا لتغيير الشكل والصوت واللجة. أخبرني أنه اجتمع بالمرحوم مصطفى باشا صبحي مدير الغربية في ذلك العهد بالكوم الطويل وتكلما طويلا فقال هذا لولا علمي بأن النسيم قد مات وانقضت أيامه لقلت أنه هو هذا الرجل بعينه ولكن جل من لاشييه

له. وجلس ليلة على افريز (رصيف) محطة طنطا ينتظر القطار القائم إلى كفر الزيات وكانت الحكومة قد أرسلت الجواسيس في أكثر البلاد للقبض عليه فلقبه هنالك فريق منهم اشتبهوا في أمره وقد عرفهم وهم له منكرون فما زال يحدثهم حتى اعتقدوا أنه رجل من الصالحين المقربين فلما جاء القطار أوصلوه إليه وحملوا أمتعته وظلوا وقوفا إلى أن أوشك القطار أن يتحرك فقبلوا يديه وسألوه الدعاء.

وغاية الغايات الماثورة في مكارم الأخلاق أنه لما قام من ميت الغرقا قاصدا العتوة صادفه في طريقه أحد مأموري المراكز وكان جركسيا ومعه قوة صغيرة من الجند فأمرها أن تسبقه قليلا ثم لوى عنان فرسه إلى المترجم فقال لا ضرورة للتكر فقد عرفتك وأنت النديم فلم يكن له بد من الاعتراف بجلية أمره فقال له المأمور لابس عليك اذهب في دعة الله وحفظه ولا تخف واعلم أنني وإن كنت جركسي الأصل فأني عربي الكرم ولهذا وهبتك حياتك وتنازلت عن الجعل الذي جعلته الحكومة لمن دل عليك مع احتياجي للقليل كما تنازلت عن كل ما عسى أن أناله بواسطة القبض عليك من الرتب والمناصب لتعلم أن في الوجود بقية للكرام. ولكن إياك وهذا الطريق المسلوك فريما صادفك من يقبض عليك فيه فخرج عنه إلى جهة اليمين ثم مد يده إلى جيبه وأخرج ثلاثة جنيهات ودفعها إليه وقال والله هذا هو كل ما أملك الساعة فخذ واستعن به على أمرك.

وكان القبض عليه في شهر نوفمبر سنة ١٨٩١ أواخر ولاية المرحوم توفيق باشا فجيء به إلى طنطا مركز مديرية المرييه وهناك حبس أياما حبسا سياسيا لاجنائيا وسئل عن موجب اعتقاله فأوضحه بما لا يخرج عما تقدم فعفا عنه الجناب الخديوي ولكن أمر بإبعاده إلى حيث يساء من البلاد سيراه حصية. فاختار ياقا من ثغور فلسطين لأنها مدخل بيت المقدس فسافر إليها على إحدى

البواخر المصرية. وشيعة محافظ الاسكندرية إذ ذاك صاحب السعادة عثمان عرقي باشا ولما أُرست السفينة على ساحل ياقا نزل إليه بعد أن دفع له ريانها خمسين جنيتها كانت الإدارة السنية الخديوية قد تعلقت بصرفها له ليستعين بها في غريته. وكان في استقباله على الشاطيء عدد عديد من العلماء والأدباء والأعيان والوجوه فقابلوه بالبشر والترحاب ودعاه رب المجد والكرم والعلم والأدب والفضل السيد علي أفندي أبو المواهب مفتي ذلك الثغر الباسم للنزول عنده فقبل الدعوة شاكرا وبقي في ضيافته أياما ثم اتخذ لنفسه دارا خاصة وأقام فيها نحو سبعة أشهر فكانت ناديا عاما يجتمع فيه أفاضل القوم وسراتهم للبحث والمذاكرة. وحينئذ أخذ يكاتبني بعد أن انقطعت عني رسائله أكثر من عشرة أعوام .

وفي تلك الأثناء كان يتردد على مجلسه للسلام والمحاضرة كثير من كبراء بلاد فلسطين فيسمع من أخبار مواطنهم ما يبعث فيه روح الشوق ويحرك منه ساكن الأمانى ابتغاء الوقوف على الحقيقة فعقد النية على السياحة في تلك الأماكن المقدسة ليتعرف مجاهلها فقام على ما نقلت من خطه في الثامن عشر من شهر شعبان سنة ١٢٠٩ (مارس سنة ١٨٩٢) ومعه صديق له من أكابر الشرفاء قوصلا إلى جبل الطور المسمى جبل جازيم حيث شاهدا بأعلاه محج السامرة ومن هناك قصدا مقام العزيز فزاراه هو وكثيرا من قبور أنبياء بني إسرائيل ثم مرا بعدة قرى ووديان مختلفة إلى أن بلغا نابلس فلبثا بها في حفاوة وإكرام مدة يومين غادراها بعدهما إلى سبطينية وبها أديا حق الزيارة لمشهد سيدنا يحيى الحصور (مار يوحنا المعمدان) ثم عادوا المسير وقصدا طريق الناقورة فلما جاوزاه سارا في طرق صعبة المسالك كلها عقاب وهضاب فكانا يترجلان كثيرا لعدم قدرة الخيل على قطعها وظلا كذلك ترفعهما النجود

والثايا وتخفيضهما الأغوار والمنحدرات حتى عادا إلى نابلس بعد أن نظرا من غرائب الآثار وبدائع الطبيعة شيئا كثيرا بينه المترجم في رحلة له صغيرة شرح فيها هذه السياحة شرحا بديعا .

وقد زار مدينة الخليل وبيت لحم والمسجد الأقصى وعدة أماكن مقدسة كان موضوع التجارة والإكرام في جميعها ولاسيما لدى العلماء والحكام خصوصا صاحب السعادة والفضل ابراهيم حقي باشا متصرف القدس الشريف .

ثم لما خلف مولانا العزيز عباس الثاني والده الأبر على سرير الملك عفا عن المترجم وذلك في سنة ١٨٩٢ فعاد من ياقا إلى القاهرة وظل مترددا بينها وبين الاسكندرية أكثر من شهر ثم اتخذ الأولى موطناً وأنشأ بها مجلته العلمية الأدبية التهذيبية الشهيرة باسم «الاستاذ» فجاء فيها من دلائل الإعجاز بما لم يأت به أحد من قبله فأخذت من الشهرة العظمى ما لم تأخذه جريدة سواها وأثرت في أفكار الأمة على اختلاف نحلها تأثيرا كاد يضطر كل قادر على القراءة أن يشترك فيها فبلغ من ان يطبع منها أخيرا نحو ثلاثة آلاف نسخة من أن عمرها لم يطل أكثر من عشرة أشهر كان كل عام من أعوام اختفائه يقابل شهرا في مدة ظهوره .

ثم ألفت لأسباب يعلمها كل متدبر خال من الغرض لأن العهد بها غير بعيد . وأعقب ذلك أن كلف المترجم بالخروج من مصر فغادرها ثانية إلى ياقا ودفعت له الحكومة المصرية أربع مائة جنيه يعتد بها لسفروه ورتبت له ٢٥ جنيها كل شهر على شرط أن لا يكتب شيئا في الجرائد يختص بسياسة مصر فلبث أربعة أشهر في ياقا . ثم سعى به بعض أرباب القواية والتضليل فأبعد منها بإرادة سلطانية فرجع إلى الاسكندرية وأقام أياما قابل في خلالها صاحب النولة الغازي مختار باشا المنسوب السلطاني العالي فساعدته هذا على المضي إلى

القسطنطينية فسافر إليها بإرادة شاهانية. وما كادت تستقر بها قدماء حتى صدرت الإرادة السلطانية بتعيينه مفتشا للمطبوعات بالباب العالي وترتيب ٤٥ جنيها مجيديا له كل شهر فكان يتقاضاها هي والمرتب له من الحكومة المصرية ويأبى كرمه إلا أن يصرفها جميعها مع ما كانت تجود به عليه المكارم الصمبية من الإحسانات الخاصة في سبل الخيرات والبر بالأهل والأقارب والاصدقاء.

وقد نال هناك لدى المقام السلطاني الحظوة الكبرى التي لاتتال وتعرف بكثير من الوزراء وأرياب المظاهر العلمية ولكنه اختص بالملازمة والصحبة والعودة الإمام العلامة الخطير فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الأفغاني فاتصلت بينهما أسباب الألفة وتمكنت منهما روابط الاتحاد حسا ومعنى فكان لا يصير أحدهما عن الآخر ولا يطيب له مجلس إلا إذا كانا فيه معا. وقد بلغ تعلق السيد جمال الدين به وجميل اعتقاده فيه أن أصبح وأمسى يعجب بقوة حجته في المناظرة والجدل وسرعة بديهته في التحرير حتى صرح في عدة مجالس بأنه ما رأى مثل النديم طول حياته في توفد الذهن وصفاء القريحة وشدة المعارضة ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعا محكما بإزاء معانيها أن خطب أو كتب.

ومن عجائب المقدور أن واشيا وشى به إلى السلطان ونسب إليه أمورا كثيرة هو منها براء فكاد الأمر يصدر بنفيه إلى بعض الولايات البعيدة لولا أن الخبر بلغه وهو في إحدى ضواحي القسطنطينية فكتب إلى السلطان تلغرافا يتبرأ فيه مما اختلقه الواشي وختمه بعبارة حماسية معناها أنك أنت أمير المؤمنين القادر على الانتقام والعقاب بلا معارض أو منازع ولكننا سنقف بين يدي عادل قاهر يقضي بيننا بالحق وهو خير الحاكمين. وكان السلطان يحب

الثبات على العبادي، ويميل لكل رجل فيه عزة نفس وإباء فأعجبت تلك الشهامة  
وذلك عاد فرضى عنه ورجع عن عزيمته ورد الله الذين مكروا بفضيهم لم ينالوا  
مما أراؤا نصيبا.

وقد كان يود الرجوع إلى مصر ليقضى بها بقية أيامه شأن كل حر كريم  
لا يهنا له عيش إلا في أرض نشأته ومعهد أهليه وأقربائه ولعل هذه هي الأمانة  
التي أعجزه نيلها فما كل ما يتمنى المرء يدركه، ولما سافر الجناح العالي  
الخدوي إلى القسطنطينية منذ سنتين شرفه باستدعائه إلى سدته الشريفة  
مرارا وكان يسر بلقائه وما يسمع من لطائف محادثاته فلما أزمع الأوبة إلى  
القطر سار المترجم بأمره العالي في منادته إلى مضييق الدردانيل (جناق  
قلعه) ثم عاد وقد ضمن الجناح السلطاني به على مصر فحسده الدهر على  
مكانته وكأنا خاف على نفسه من نفثاته فتنبه له بعد الرقاد واستعان عليه من  
السل الرئوي بعدو شديد البأس فتاك غطى على أعين الأطباء ثم انقض عليه  
فأورده حتفه في ليلة الأحد عاشر شهر أكتوبر سنة ١٨٩٦ فمات بموته العلم  
والأدب وحزن عليه من عرفه ومن لم يعرفه وحاشا له أن يكون مجهولا..

وعندما علم سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بموته أصدر أمره المطاع بالاحتفال بمشجده على نفقة الجيب الشاهاني الخاصة فسار أمام نعشه فرقتان من الجيش المظفر وفرقة من الشرطة (البوليس) وتلامذة المكتب السلطاني وعدة من الوجوه والكبراء والعلماء يتقدمهم العلامة السيد جمال الدين الأفغاني والمولى الشيخ محمد الظافر شيخ السلطان والشهم الكريم المفضل السيد عبد الرحمن الجزولي (وهو الذي توفي المترجم في بيته إطاعة لإشارة الأطباء) وغيرهم من الفضلاء الذين

خرجوا به ولكل باك خلفه \* صعقات موسى يوم دك الطور  
وأودع صدف التراب من مقبرة يحيى أفندي في باشكطاش در جسمه  
النضيد

بالأمس كان غريبا في ديارهم \* واليوم صار غريب الحد والكفن  
وكانت والدته وأخوه لما علما باشتداد العلة عليه قد برحا الاسكندرية إلى القسطنطينية لعلهما يريانه قبل أن يلحق بريه ولكنهما لم يبلغاها إلا بعد أن سكن الثرى فليس يعلم إلا الله مقدار ما حاق بهما من الهلع الذي تتخلع لهوله القلوب وتنوب الأنفس حسرات ومع ذلك تجلدا وقصدا بيته عسى أن يجدا فيه من آثاره ما يخفف عنهما ألم المصاب وليتهدما لم يفعلا فقد وجدا البيت أفرغ من فؤاد أم موسى لأن بطانة المترجم استحوذت على كل ما كان فيه من الفرش والامتعة والأثاث ولم تترك إلا الهواء ولو قدرت عليه لأخذته فكان موتا وخراب ديار لأن تلك المقتنيات الثمينة كانت مشتراة بمال من الجيب السلطاني الخاص وفق ما قضى به الأمر الكريم.

ولقد مات المترجم ولم يورث أهله إلا الحزن والعناء فقد كان يقبض مرتبه

من مصر والقسطنطينية فلا يمضي عليه بضعة أيام حتى يفرغ من توزيعه على الأتارب والأبعاد لئلا أن يسأل عن نفسه مكتفيا بأن له أجر العناول.

أما أخلاقه فكانت عجبا للناس إذ إنه كان أبرهم بوالديه ونوي قرابته وقصاده ولو لم يكن يعرفهم فما أقرض أحدا شيئا وطلبه به ولا رد يوما سائلا ولا خضع لعظيم قط وإنما كان يلين ويتواضع لصغار الناس وأوساطهم.

وأما خطبه وتأثيرها السريع في الأذهان فيكفيني مؤونة الكلام الطويل فيه إجماع كتاب الجرائد العربية والأجنبية على تلقيبه بخطيب الشرق فهو أول شرقي وقف المواقف الهائلة وخصوصا قبيل الثورة العراقية إذ كان يستعدي بالتلغراف إلى الاسكندرية وسواها فيرتجل من حر القول البليغ القوي القويم الحجة ما يترك الألباب سكارى من غير مدام

حضرت له من ذلك يوما في دار وزارة الداخلية تكاد السموات يتفطرن منه وتتشق الأرض وتخر الجبال هذا إذا اجتمع في بهرة تلك الدار بعد انقطاع المواصلات بين القاهرة والاسكندرية عدد عظيم من سراة المدينة وعظماؤها وعلمائها وفيهم رؤساء الملل الإسلامية والمسيحية والإسرائيلية للمشاورة في أمر الحرب فلما دار الأخذ والرد بينهم قال المرحوم علي مبارك باشا ما الذي يمنع من أن يكون كل ما بلغنا من أخبار الاسكندرية كذبا وزورا وكأنه كان يقصد بذلك التهكم أو المغالطة قلم يكذ يتم عبارته حتى ابتدره النديم بصوت أجش وقال إذا كانت لاتكفيك شهادة نحو ثمانئة ألف نسمة من الرجال والنساء والصبيان خرجوا من ذلك الثغر مهاجرين لا يملكون إلا أنفسهم هائمين على وجوههم في البلدان والقرى لا يلوي الوالد منهم على ولده ولا الأخ على أخيه كأنهم إلى المحشر يساقون فما ذا الذي يكفيك . ثم استمر في خطابته والقوم

سكوت كأنما على رؤوسهم الطير حتى كانت النتيجة تعيين وفد من أعضائه  
المفقور له على باشا مبارك ليذهبوا إلى الإسكندرية فيحققوا الأمر بأنفسهم  
فمضوا إليها واستمروا بها إلى أن وضعت العرب أوزارها .

وأما الحفظ فإني كنت أعتقد أن ما يروى عن المنصور فيه من باب المبالغة  
ولكن لما رأيت المترجم يأخذ ما يراد له من الكتب والرسائل فيقرأ فيه عدة  
صحائف ثم يعطي الكتاب أو الرسالة لبعض من يحضر ويعيد عليه جميع ما  
قرأ حرفا بحرف علمت أن كل ما نقل عن المنصور صحيح.

ولا تسلم عن الكتابة فقد كان فيها أمة وحده فلو تدبرت أمره من بدئه إلى  
نهايته لرأيت رجلا قال في صباه وشببيته السجع الأدبي والشعر المعجز  
والزجل العجيب ثم اختار التحرير المرسل في الجرائد ونسك أخز عمره من لدن  
اختفى وطالع كتب القوم فأنشأ في العقائد والمذاهب شيئا كثيرا وكان لا يداينه  
مدان في واحد منها والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

وله من المؤلفات الكبيرة والصغيرة ما يعد بالآلاف منها ديوان شعر يشتمل  
على نحو أربعة آلاف بيت نظمها وشبابه باسم الثغر طلق المحيا وديوان آخر  
في نحو ثلاثة آلاف بيت- وروايتا «الوطن» و«العرب» ورسائل أدبية مسجوعة لم  
تصل أيدي جامعي السلافة منها إلا إلى أربع عشرة رسالة بعد السعي الكثير  
ومكابدة العناء الجزيل. وكان ويكون . وهو الذي طبع بعضه في الاستاذ)-  
وواحد وعشرون كتابا في فنون مختلفة قطع لأجلها أيام حرب الاختفاء رقاب  
الفراغ بسيف الأقاليم. منها ديوان شعر يحتوي على ما يقارب عشرة آلاف بيت  
وهو الآن محجور عليه في القسطنطينية مع باقي تلك الكتب التي ينادي لسان  
حال كل واحد منها :

عسى فرج يأتي به الله أنه \* على فرجي لون الأنام قدير

ومنها «النتحة في الرحلة- والاحتفاء في الاختفاء- والشرك في المشترك- وكتاب في المترادفات- وآخر في اللغة سماه موحد القصول وجامع الأصو والقرائد في العقائد- واللألى والدرر في فواتح السور- والبديع في مدح الشفيع- وأمثال العرب»، وغير ذلك مما ينطق بأنه هو المجلي في كل فن وسواه السكيت .

ولما كان في يافا أول مرة بعث إليّ محرراً يكلفني به أن أطلب ديوان شعره الصغير من صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ: (والد تلميذنا الأبر المفقور له مصطفى افندي توفيق أحد أساتذة المدارس الأميرية كان) فلما قصدته وجدته مصاباً في قواه العقلية بما لم يدع للطلب مجالاً. ثم كتب إلي كتاباً ثانياً بأن ديوانه الأوسط عند م. بك ف. ف. قطبته فاعتذر بأنه ضاع قلما أنبأت المترجم بذلك أرسل إلي في مكتوبه الثالث أنه إنما طلبهما ليحرقهما براءة منهما ومن أمثالهما لأن فيهما هجوا كثيراً وخبم المكتوب بهذه العبارة «قد خلعت تلك الثياب الدنسة ولبست ثوب إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا».

وعلى ذكر الشعر وبراعته التي لاتدرك فيه نورد له هنا طرفاً يسيراً مما عثرنا عليه صدفة لاقصدا فمن ذلك قوله متغزلاً :

سلوه عن الأزواج فهي ملاعبه \* وكفوا إذا سل المهند حاجبه  
وعودا إذا نامت أراقم شعره \* وولوا إذا دببت اليكم عقاريه  
ولاتنكروا الأشباح باله عنده \* فلو أتلّف الأرواح من ذا يطالبه

وقوله

أزاه بعيني والدموع تكاتبه \* ويحجب عني والغزاد يراقبه  
فهل حاجة تدني الحبيب لصبه \* سوى زفرة تنثى الحشا وتجاذبه  
فلا أنا ممن يتقيه حبيبه \* ولا أنا ممن بالصدود يعاتبه

إلى أن قال

فلو أن طرفي أرسل الدمع مرة \* سفيراً لقلبي ما تواتت كتائبه  
وقوله مفتخراً

أتحسبينا إذا قلنا بلينا      بلينا أو يروم القلب لينا  
نعم لمجد نقتحم النواهي      فيحسب خامل أنا دهينا  
تناوشنا فتقهرها خطوب      ترى ليد العرين لها قرينا  
سواء حريها والسلم أنا      أناس قبل هدنتها هدينا

إلى أن قال

إذا ما الدهر صافنا مرضنا      فإن عدنا إلى خطب شفيينا  
صلينا ياخطوب فقد عرفنا      بأننا الصلب صلنا أو صلينا  
وقري فوق عاتقنا وقولي      نزلت اليوم أعلى طور سينا

ومنها

ولسنا الساخطين إذا رزينا      نعم يلقي القضا قلبا رزينا  
فأنا في عداد الناس قوم      بما يرضى الاله لنا رضينا  
إذا طاش الزمان بنا حلمنا      ولكننا نهينا أن نهينا  
وأنا والورى قسيمان لكن      إذا ماتوا بنازلة حيينا  
وإن شئنا نثرنا القول درا      وإن شئنا نظمناه ثمينا  
وإن شئنا سلبنا كل لب      وإن شئنا سحرنا العنثيينا  
ومسطرنا يناجي كل حبر      بما يهوى ويعلي الكاتبينا  
سلوا عنا منايرنا فانا      تركنا في منصتها فطينا  
ورثناها عن الآباء بحق      فإن صرنا ثورتها البنينا  
سرى فينا من الآباء سر      يسوق البر نحو المعوزينا  
فإن عشنا منحنا سائلينا      وإن متنا نفحنا الزائرينا

واضياع أغلب مؤلفاته بواعث شتى منها أنه كان إذا سود شيئا جاء إليه من يستعيره منه ثم لايرده عليه وقد فعل ذلك معه جماعة من أهل القاهرة والاسكندرية والمنصورة، ومنها أنه كان مقيما في بلد من أعمال الدقهلية يقال لها بداوي فبلغه أن فريقا من أهل البلدة يأمرون به ليقطوه فاتخذ الليل جملا ومضى إلى حيث يأمن فلما جاء المؤتمرون ولم يجدوه احرقوا البيت حنقا فاحترقت كتبه فيه، ومنها أنه زمن مقامه بالمنصورة للإتجار غافله خادمه وسرق بعض متاع البيت ومنه الكتب وهرب، ومنها أن والده رحمه الله هاجر من الاسكندرية إلى القاهرة فيمن هاجر يوم الحرب الأخيرة فاحضر معه كتبه جميعها (وكان لي أنا أيضا فيها كتب قيمة) وملا بها وبباقى أمتعه عربة نقل من عربيات السكة الحديدية فلما وصل القطار إلى كفر الزيات ازدحم المسافرون من المهاجرين وغيرهم ازدحاما هائلا فلم يسع رجال المحطة إلا أن رموا جميع ما بتلك العربة في النيل ليركب الناس فيها ولم ينتطح فيها عنزان.

وإن شاء القاريء أن يعلم الباعث على اتصال المودة بيننا حتى يعرف من أمره ما لم يعرفه غيري فذلك إنني كنت في أوائل سنة ١٨٨٠ عقيب خروجي من الأزهر مدرسا بمدرسة الجمعية الخيرية القبطية بالاسكندرية فجاها المترجم يوما زائرا وهناك تعارفنا فمال كلانا لصاحبه وما لبثنا أن تأخينا فتركت المدرسة القبطية وسكنت معه في بيت واحد بعد أن قاسمني التدريس بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية فكان يعلم الإنشاء وأنا أدرس علوم اللغة حتى انفصل منها فتبعته ثم جننا القاهرة معا وبقينا متلازمين ليلا ونهارا وسفرا ومقاما إلى أن فرقت الحوادث بيننا نحو إحدى عشر سنة ثم اجتمعنا وكأنا لم نجتمع إلا لنتفرق فإنه

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت \* لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

فماذا أقول أم ماذا أكتب في ترجمة رجل طبقت سمعته الأفاق وكان في كل  
نور من أنوار حياته شغلا شاغلا لأفكار الباحثين وأقلام السياسيين فإن أخبار  
خطبه وكتاباتة السياسية وما تبع ذلك من اختفائه وظهوره والنفوس عنه وسفره  
وإيابه إلى أن أدركه القضاء المحتوم شغلت كل الجرائد الشرقية والعربية حتى  
صحح أن يتخذ مثلا للشهرة بدل النار على العلم . فيأليت مبدع الصور المتحركة  
قد تمكن من نقل صورته ليبرزها لرجال المستقبل عنوانا على أنه نادرة مصر  
في هذا العصر أدبا وفضلا

وليس لله بمستكر \* أن يجتمع العالم في واحد

أحسن الله عزاء الوطن فيه وأنزل على قلب الوجود لفقده الصبر والجلد أنه  
على كل شيء قدير .

## (القسم الأول)

### (منتخبات الرسائل الأدبية)

(وهي مما أنشأه في أيام صباه)

(لواء النصر في أدباء العصر)

وهي رسالة أنشأها عند دخوله محروسة مصر للإقامة بها سنة ١٢٧٧ هجرية وكان سنة إذ ذاك ستة عشرة سنة وقد اجتمع بجماعة من الشعراء والمنشئين بواسطة أديب مصر المرحوم الشيخ أحمد وهبي وقد تعرف منه بستة من الشعراء علم أنهم أدباء العصر على التحقيق فكتب هذه الرسالة في تراجمهم منسوجة على منوال من السجع لا على وتيرة واحدة وهي :

الحمد لله \* مولاه \* والصلاة على أصل البديع \* الشفيع \* ويعد فهذه نتيجة  
\* بهيجة \* عن ناقل الأكياس \* من الناس \* روى عن فكره \* عن لبه \* عن  
نظره \* عن قلبه \* حديثا \* حديثا \* الصدق \* منه \* والحق \* عنه \* والدقة \*  
اليه \* والرقعة \* عليه \* أنه ركب أقراسه \* وثار \* واستصحب القراسة \*  
وسار \* يجب الأقطار \* اختبارا \* ويترك الأوطار \* اختيارا \* ويقرأ الجرائد  
\* اكتشفا \* وينظر الخرائد \* استطافا \* في شرف نفس \* عن الناس \* على  
طرف أنس \* بلا كاس \* لاترده المتاعب \* عن أمله \* ولا تلهيه الملاعب \* عن  
عمله \* حتى ملأ أوعيته \* حكما \* وعاد أنديته \* حكما \* وقابل أحباره \*  
بيضاوته \* وقص أخباره \* على جماعته \* فغطوا رؤوسهم \* وناموا \* ثم قطبوا  
وجوههم \* وقاموا \* سكوئا لايتكلمون \* من الهم \* ومرضى يتألمون \* من الذم  
\* فتعلق بالأذيال \* وصاح وتحقق الوبال \* فراح ونادى بأعلى صوت \* أيها  
الكرام هذا هو الموت \* تقومون بلا كلام \* مع أنني عبدكم \* في الخدمة \* وعند

عهدكم \* في الذمة \* ما أضعت لكم مالا \* ولا أطرت لكم سرا \* ولا عكست لكم  
حالا \* ولا أثرت لكم شرا \* زودتموني للسفر \* فجبت \* وقضيت الوطر \* وأبت  
بكواكب برية \* كلها غرر \* وغرائب أدبيه \* حليها درر \* حسبما أوصيتموني \*  
وقت النحلة \* فلم تركتموني \* بعد الرحلة \* هل بضاعتي رديئة \* أم بيعتي  
نسيئة \* كلا لبضاعة أحلى من جوهر العقد \* في جيد السعد \* ولا أجل بعد  
التقد \* يدا بيد \* ولئن أبيتم القبول \* بقبح أنواقكم \* مضيت بها قبل الذبول \*  
لغير أسواقكم \* ثم رحل بها إلى الأسواق المانوسة \* أسواق الأدب \* في  
مصر المحروسة \* بستان الأرب \* ووضعها بخان \* شاهبندر التجار \*  
فحفظها وما خان \* وأمنت البوار \* إلا أنه لم يعرض البضاعة \* على أهل  
الصناعة \* من أول الأمر \* بل لزم حده \* وسكت مده \* على نار الجمر \*  
واستصحب الجلد \* ودار البلد \* لمعرفة السلع \* حتى عرف الجديد من الرث  
\* والشمين من الفث \* من الجواهر والخلع \* فرأى الناس يتهانون بالمواهب \*  
مع اختلاف المذاهب \* في المعاملة \* وكل ينادي على بضاعته \* ويفتخر  
بصناعته \* حتى يكثر امله \* فلا يريح منها غير الكاسد \* ولا ينجح منهم إلا  
الحاسد \* البليد الحمار \* تراه في المشدقه \* كأنه في مشنقه \* يحاول الفرار  
\* يعارض استأذه \* ويفتت أفلأذه \* بما ييديه أن دخل على أمير \* لا يفارق  
السريز \* حتى يسديه \* وإن فارق صوبه \* جر ثوبه \* مهولا في مشيته \*  
يسلم بالبنان \* وينكر بالجنان \* ويعبث في لحيته \* إن جلس تفرطح \* وإن نام  
تبطح \* وإن قام تمطى \* وإن تكلم مقمت \* وإن استفتى سكت \* فإن أجاب  
أخطأ \* وما ذاك إلا من عدم الإلمام \* والخروج عن مذهب الإمام \* والاقتصار  
على الاجتهاد \* فلو اكتسى بالحلم \* وإزم أهل العلم \* لروى واستفاد \* فإن  
من حاد عن هذا المورد النهل \* ورضي بمر الجهل \* ضل \* ومن اعتمد على

العقل \* وأزدرى بالنقل \* ذل \* ولكن صان الجهل شرابهم \* فاستتق البوم  
غرابهم \* لخراب رؤسهم \* واتخنوا الطمع أمامهم \* فحول الفقر نمامهم \* لنل  
نفوسهم \* فقال ينس الصنيع \* يتقدم الوضيع \* ويتأخر الشريف \* ويتناول  
اللئيم \* في مجلس الكريم \* ويذم الظريف \* فرجع إلى الشاه الكبير \* الجليل  
الأمير \* السيد الشهير \* تاج النباهه \* بدر الكرام \* وداوي الأوام \* بل باب  
السلام \* ونفس النزاهة \* لسان العرب \* ومعين الأدب \* عريق النسب \* طاهر  
الأخلاق \* روض البيان \* ثبت الجنان \* حلو اللسان \* سليم الأنواق \* بفيض  
المعازف \* حبيب المعارف \* الفيث الواكف \* سمير المعالي \* البليغ الرشيد  
\* اللبيب المجيد \* العقد الفريد \* ناظم اللالكى \* انسان عيني \* وعين انساني  
\* بل نور لبي \* فون لساني \* السيد أحمد وهبي \* وجلس بين يديه \* وأخبره  
بالحقيقة \* إلى آخر القصة \* فمال بعطف إليه \* وأدخله الحديقة \* وداوى له  
الفصه \* بجديت أحلى من الشهد \* وأطيب من القرب \* وألذ من الوصال \*  
فاستراح من السهد \* واقتحام الكرب \* في نقد الرجال \* ثم استعاده منه \*  
لحلاوة الوعظ \* في هذا المجال \* ليرويّه عنه \* لفظاً بلفظ \* فابتدأ وقال \* لكل  
سلعة قوم \* ولكل قوم بضاعة \* ولكل عصر رجال \* وحالنا اليوم \* تزييف  
الصناعه \* وطلب المحال \* والعادة أن اعتيدت \* صارت طبيعة \* لا يمكن فوتها  
\* والسادة ابديت \* في المدة البديعة \* ومضى وقتها \* ولكن على من اجتمعت \*  
وجلست معه \* ومن عرفت \* ومن سمعت \* وكنت تبعه \* ومنه اغترفت \* هل  
اختبرت بنفسك \* وعلمت أفرادهم \* أم اتكلت على الأخيار السائرة \* فإن أبناء  
جنسك \* لا يحسنون إنشادهم \* إلا في الأمور الطائرة \* وقد كثرت تجار هذه  
البضاعة \* في كل سوق \* وكل معترى \* فهجرت الناس هؤلاء الباعة \* ومالوا  
إلى الفسوق \* فقل المشتري \* فالتزم كل دلال \* أن يحمل على رأسه وكفه \*

ويمشي في طرق غير مستقيمة \* ليروج هذه الأحمال \* بتزيينه وحلفه \* ولو  
 بدون القيمة \* فقال أني لم أجيء للبيع والشرا \* مع هذه الطائفة الزائفة \*  
 وجوب القرى \* في العدة السالفة \* للأمة العارفة \* ولم أدخل بيت أحد \* طمعا  
 في فوائد \* أو جريا على عوائد \* بل نخوالي هذا البلد \* يرسم السيد الماجد  
 \* الفرد الواحد \* الكامل المؤدب \* البارح النجيب \* البليغ الأديب \* الشهم  
 المهذب \* المجيد اللبيب \* المحب الحبيب \* عزيز الوجود \* حافظ<sup>(١)</sup> العهود \*  
 ومنه تعرفت بحضرتكم \* وبه تقرت إليكم \* ثم أخذت أسأل جرائد الأخبار \*  
 عن أهل المعارف والعارف \* فرأيت فيها من عد من الأبحار \* وهو من أهل  
 المعارف \* أو المناسف \* حتى سئمت نفسي \* وعلمت أن الأدب عدم صحبه \*  
 فقضى نحبه \* وتحققت فوت أنسي \* وقلت أقتع من الغربة \* بحسن الأويه \*  
 والزم وكري \* فهو لي جنه \* بل جنه \* وأجانس فكري وأحسن ظنه \* بلامنه  
 \* فقال أنك لم تر غير هذا الشهم \* سماء اخوانه \* وبدر خلانه \* وسحاب  
 جيرانه \* صائب القهم \* المعنى الوجيز \* عبد العزيز \* الحافظ المجيز \*  
 الواله بالجوذ \* حسن الخلق والخلق \* محب الصواب والحق \* باب الوفاء  
 والصدق \* ذي السير المحمود \* والرأى الصافي \* والعقل الوافي \* والقول  
 الشافي \* نعم وإن كان شمس الإمارة \* ومعادن الكرم \* وثابت القدم \* بل  
 المفرد العلم \* إلا أنه لم يجلس لهذه التجاره \* وإنما هو ذو مقام عالي \*  
 يشتري اللابي \* بالثمن الغالي \* وإلا فصناعها في هذا العصر \* كثيرو العدد  
 \* قليلو الرشد \* عادمو المدد \* لا لفقده المشتري في هذا العصر \* بل لسعي  
 الأجلاف \* في غش الأصناف \* مع عدم الاتصاف \* فشقتي كل بفعله \*

(١) إشارة إلى صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ

وانكسر جملة \* وخاب أمله \* وضل عمله \* فلم يبق متهم على أصله \* سوى  
من لاذ به البديع والتجا \* ولم يرض منه بمسكن غير الحجا \* حتى أمن من  
السفلة ونجا \* من رضع قلمه ثدي البيان \* فجرى في بحر الأدب وخط \* وسار  
بالسلامة من شط إلى شط \* ولم يدركه عطب قط \* فنظم فكره عقود الجمان \*  
وحلى بالدرر \* النحور والفرر \* بل الطرر \* العالم المدقق \* بدر هذا العصر  
\* ولسان الألب في مصر \* السيد على أبو النصر \* زكي محقق \* أمام كبير  
\* حافظ خبير \* ليس له نظير \* فإنه إن تكلم أوجز \* وإن أنشأ أعجز \* وإن  
وعد أنجز \* وإن سكت هابتة القلوب \* ليس في مجلسه شغب \* بل كله طرب \*  
في أدب \* بكل أمر محبوب \* وفيه من حسن الأخلاق \* ما تتحلى به الأنواق  
\* بل الأطواق \* في الرقة \* وعنده من المعاني \* حصن الأمانى \* محكم  
المباني \* بكل دقه \* فهذا قوى الجلد \* طاهر الخلد \* أديب البلد \* أبو  
الفصاحة \* ابن الشرف \* وخذن التحف \* مباهى السلف \* بحسن السماحه  
\* نظمه نظم اللاكى \* ونجمه بدر المعالي \* وحظه مدح الموالي \* وحليه النوق  
السليم \* والطبع القويم \* يقول الزجل \* على عجل \* بلا وجل \* بأقصح لسان  
\* وبالسجع \* يداوي الصدع \* ويشنف السمع \* بلوضح بيان \* - ولبيه  
صاحب الحماسه \* والفطنه والكياسه \* روض البديع \* وثمرة أفنانه \* مجلي  
عرائس الأبيكار \* في خدور الأفكار \* لكل مقام رفيع \* من قومه واخوانه \*  
الذي طلع في سماء المعارف شمساً \* وطاب برقائق الأقوال نقسا \* وأوضع  
العلم للبراعه \* فنطقت بأحسن براعه \* زاحم من تقدم حتى جلس في الصدر  
\* وسهر الليالي حتى رأى ليلة القدر \* ففارق الجماعة \* في هذه الصناعة \*  
تمشى المعاني تحت ظل ركابه \* وتجري البلاغة طبق أمر جنباه \* فإنه زينها  
حتى تحلت \* وزفت في الوجود وتجلت \* خاتمة أهل الأدب \* وقاموس لسان

العرب \* من سحت سحب معانيه فأروت \* محمود أفندي صفوت<sup>(١)</sup> فهو المشار إليه بالبنان \* المنفرد بالبيان \* في الرقائق الأدبية \* والمحاسن العربية \* لم يلحقه في هذا الميدان فارس \* ولم يدرك معارفه ممارس \* وانسجام البيعية \* يقضي له بالأفضلية \* مع بقية غرائب الشهيرة \* وكواكب سمائه المنيرة \* التي شهرت للعيان \* فأبصرها العميان \* لا ينكرها إلا الجاهلون \* ولا يعقلها إلا العالمون \* ويلية الشاب الذي غرس غصن القريض فأنثر \* وأطلع هلال البديع فأنمر \* وفوق سهم الإجداد فأصاب الغرض \* وعالج جسم العروض حتى نفسه من المرض \* اللوذعي السري \* المدره الجري \* مجلي من خدود أفكاره كل بهناتة رعبويه \* ومبدي للوجود كل آية أعجوبه \* المرجف بفخامة لفظه قلوب المران \* والمخرس بجزالة نظمه السنة الخرصان \* من رق حتى استعبد حر الكلام \* وعف حتى تشربته قلوب الكرام \* ان جلس للانشاء جثا سبحانه على ركبته \* وان اعمل قلمه كف قس عن خطبه \* غيث البديع الهامي \* محمود بك سامي<sup>(٢)</sup> \* - ويلية بستان الكلام \* وعنوان الكرام \* الشاب الذي شمر عن زند الفهم وحسره \* وحمل على جيش المعاني فأسره \* البارح الذي فاح عطره على المعارف فنشقته \* ورأت بنات الأفكار جمال ذهنه فعشقته \* الفاضل الذي ألفتة اللغة العربية \* وعرفته المعاني الأدبية \* فطلع في سماء العلم بدرا \* \* وجرى في قيافي الفنون بحرا \* \* الأديب الذي سمعه بلبل النوق فأنفصح \* ورآه زهر البديع ففتح \* ولزمته المحاسن لزوم النور للبتور \* وهامت به المعارف هيام النفوس بالسرور \* خد البديع المورد القاني \* الشيخ أحمد

(١) الشهير بالساعاتي السكندري أصلا .

(٢) محمود باشا سامي البارودي رئيس مجلس النظار في الحوادث العراقية ونزيل سيلان الآن.

الزرقاني - \* ووليه الأمير الذي دعا الأدب قلباه \* وسياسه حتى زياه \* فظهر للوجود بدرا \* ما به أقول \* وغصنا لم يعتره نبول \* فهو بين أهل الصناعة الرئيس \* والجوهر النقيس \* نظم من المباني أرقها \* ومن المعاني أدقها \* الشاعر الثائر \* المجيد الماهر \* من غاص بحر الأدب واستخرج الصدف من قاعه \* وحاصر جيش البديع حتى صار من حزبه واتباعه \* عقد جيد الزمان الفريد \* محمد بك سعيد<sup>(١)</sup> فإنه امتد في البلاغة باعه \* فأعيا معاصريه اتباعه \* - وأفضلهم بستان العلم \* وزهر الحلم \* مجري جياذ أفكاره في كل ميدان \* محلي بجوار ألفاظه كل ديوان \* رامي نبال وعظه إلى الاحشاء \* ومفوق سهام بديعه إلى الانشاء \* حامل لواء العلوم العقلية \* وقائد جيوش الفنون النقلية \* مطلع شمس الأمانى \* ومبارز فرسان المعاني \* الهمام الذي أن أطنب أطرب \* وإن أعرب أعزب \* اللوذعي الذي إن ألف \* لم يتكلف \* بل يجعل الانسجام زينة الكلام \* وإن نثر كر بهجوم \* على سرايا النجوم \* فالنثر كتاب هو عنوانه \* لوبه ملك والنظم ديوانه \* نثت في المعاني نفثة ماهر \* لا نفثة ساحر \* وخدم الفنون خدمة مجدي \* لا خدمة مكدي \* ورواه الصديق بنهله \* حتى اعترف بالفضل لأهله \* من ملأت من دنان أبيه اقداح سكري \* عبد الله بك فكري<sup>(٢)</sup> فهو واحد الدنيا \* ومعتطي العليا \* فهؤلاء هم تجار البيان \* ونبلاء الزمان \* لانتشر الرقائق إلا عنهم \* ولانتقبس المعارف إلا منهم \* ومن عداهم رعا \* لم يضيء لهم شعاع \* يسرقون الكحل من العيون \* ويمزجون الجد بالمجون \* فساق في صفة عباد \* وسفلة في هيكل زهاد \* ثياب منقوشه \* وعمائم منقوشه \* (واعباب) كبيره \* ممثله كبيره \* لا يعرفون من العلم إلا اسمه

(١) نجل المرحوم جعفر باشا مظهر .

(٢) المرحوم عبد الله باشا فكري ناظر المعارف المصرية سابقا .

\* ولا من الأدب إلا رسمه \* فإن رأوك على بساط الأدب تطفلوا \* فإن أخذت  
في البحث تتصلوا \* على أن شهرتهم أكبر من الاجرام \* ولحاهم أطول من  
إلية الأغنام \* فعلمت أنه التزم الصدق \* وقال الحق \* وعجبت من حسن قريحته  
\* وشكرته على نصيحته \* .

### (التنور المسجور)

وهي رسالة وضعها أيام صباه أيضا في المفاخرة بين السفينة والوابور  
وكانت مسودتها قد تمزقت وبقي منها جانب اعتينا بتبيضه وإن لم يكن تاماً  
حرصاً على ما فيه من القوائد قال:

حديقة معاني \* ونادي مغاني \* وبستان أفكار \* به قصور أ بكر \* وجياد  
تجري بفوارس الألباب \* وعروس تجلي وكانت لونها أبواب \*

تسحر اللب ان تأمل فيها \* بمعان تمر خلف معاني

رافعات على البديع بنودا \* ساحبات على البيان يمانى

مثل جيش اجابه النصر يوماً \* فتوالى كأنه الملوان

فكاهة نفوس \* وزينة طروس \* هزلها أدب \* وجدها طرب \* ان سنلت  
أوجزت \* فان سألت أعجزت \* لو أقت لها حكماً \* وجدها كلها حكماً \* بكر  
ما تُبط عنها سجف \* ولطف مركب من لطف \* لا يمل منها ناظر \* ولاتأسمها  
الفكر \* لم يحم حولها فهم \* بل ما ترقى لها وهم \* ولا تصورها عقل \*  
ولاحواها نقل \* محاوره \* في مفاخره \* تأليف عجيب \* وتركيب غريب \* سر  
ضاق به الصتر \* وصبح نم عليه الفجر \* بحر كله ندر \* وأنجم كلها غرر \*  
بل روض كله ثمر \* وسما ما غاب لها قمر \* سفينة مشحونة برقائيق \* وساعة  
لم يخلها الدهر بدقائق \* اكليل بديع رسمه الفكر بجواهر \* ويدر تم باتت لها

الألباب سواهر \* ولست أعني بها جواهر لعبت بها القيان \* ولا ببوراً سترها  
الكسوف عن العيان \* وإنما هي عقود سلوكها لطائف \* في جيد آداب تخدمها  
من ابتكار المعاني وصانف \* الطف من النسيم في الرقة \* وأحكم من الذكر في  
الدقه \* وأفصح من قلم روى حديثه عن المحابر \* وأوقع في النفس من خبر  
دعا أميراً \* إلى المنابر \* تتزاحم فيها المعاني مزاحمة الشفاء للأمراض \*  
وتحن إليها النفوس جنين السهام إلى الأغراض \* بكر صداقها الصدق \*  
وأنسها الرجوع إلى الحق \* لا يكشف لثامها \* ويفيض ختامها \* ويحظى  
بوصلها \* ويفتخر بأصلها \* إلا من رغب في صحبتها \* فبادر لخطبتها \* ليبرى  
نفاسة حليها \* وبراعة وليها \* فإنه قال

أرسلت فكري في ميدان المفاخرات \* وبخلت به حومة المحاورات \* فرأيت  
كل ضد زاحم ضدا \* وكل لبيب نظم منهما فراند وعقدا \* إلا السفينة  
والوابور فانهما لم يتفاخرا في جمع \* ولا حاول ذلك بينهما فكر ولاسمع \* ولا  
حواه منقول ولا ماثور \* وليس لهما ذكر مسطور \* فسرحت في حالهما النظر  
\* وأطلقت فيهما سراح الفكر \* فرأيتهما جلسا يوماً للمناظرة والفخر \* وقابل  
كل صاحبه بقلب كالصخر \* وطلبوا الزكوب للبراز \* والدخول في ذلك المجاز \*  
فشمرت السفينة عن الذراع \* وسحبت طرفها ونشرت الشراع \* واعتدلت  
ومالت \* وابتدأت وقالت

حمداً لمن أسبغ على عباده جزيل الانعام \* وسخر لهم من فضله السفن  
والانعام \* وجعلهما مطيتين لحمل الارزاق والانتقال \* وحافظين للذخائر عند  
السفر والانتقال \* وأمتن بهما على عباده وهو عليم بما يصنعون \* فقال تعالى  
وعليها وعلى الفلك تحملون \* وصلاة وسلاماً على من أسفرت أسفاره عن عظيم  
أخلاقه \* فانفتح بتوجهاته الشريفة باب السياحة بعد اغلاقه \* وآله وأصحابه

الذين تحملوا في الغزوات مشاق البرد و الحر \* واقتحموا في نصر دينه عقبات  
البحر والبر \* وبعد فإن المخترعات في الدنيا كثيرة \* وقد صارت سهلة بعد أن  
كانت خطيره \* ولكن من المعلوم لكل عاقل \* عارف بأحوال الأوائل ناقل \* ان  
شكلي أول غريب ابتدع \* واحسن عظيم اخترع \* ما تقدمني سوى الحيوان  
والكواكب \* وضروريات الزرع وبعض آلات المعاطب \* وكان البحر قبلي ظلمة  
ما طلع لها فجر \* ولا انشرح لها صدر \* بل غرضاً ما أصابه سهم \* ومعنى  
ما ترقى له وهم \* حتى أمر الله نبيه نوحاً بصنعي \* وعلمه تركيب ضلوعي عند  
جمعي \* فبذل في جهده \* وياشر عملي وحده \* وكلما مر عليه ملا من قومه  
سخروا منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون \* فقال تعالى  
واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولاتخاطبني في الذين ظلموا انهم مفركون \*  
فاستمر حتى أتم عمله \* وحقق رجاءه وأمله \* وأنزلني البحر عروسا \* وأطاب  
بي نفوسا \* فلتقاني البحر على راسه \* وجريت بين روحه وأنفاسه \* وصار كل  
غريب حاضرا لدي \* وكلما تلاطم البحر ضربه بيدي \* لاترهبني منه الأمواج  
\* ولاتردني عنه الأبراج \* أحمل النخائر والارزاق \* وأجمع الأحباب والعشاق  
\* ومع ذلك فإن أصلي معدن الثمر \* ونزهة الأرقاء عند السمير \* فمن له أب  
كأبي \* ومن قبلي صنعه نبي \* فمجدي شامخ ومجد غيري متهدم \* والفضل  
كل الفضل للمتقدم \* فالتهب احشاء الوابور بقحم الحجر \* وصعدت أنفاسه  
مشوية بشرى \* وزمجر وكفر \* وصاح وصفر \* وجرى حتى خرج عن الشريط  
\* وقال السكوت على هذه من التفريط \* ثم كر بعجلة وجال \* وأبتدأ رادا عليها  
فقال \*

الحمد لله خالق كل موجود \* الذي شرفني بالذكر قبل الوجود \* حيث امتن  
على عباده بخلق عليها يحملون \* ثم قال ويخلق ما لاتعلمون \* ويستأنس لي

بقوله وخلقتنا لهم من مثله مايركبون \* ولايففل عن ذكرى إلا الجاهلون \*  
 والصلاة والسلام على من تكلم بالمغيبات من غير شك ولا التباس \* المنزل عليه  
 وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس \* وأصحابه الذين اتخذوا من  
 معدني دروعا وتيجانا \* وقاتلوا بها حتى أظهروا ديننا وأرضوا ديننا \* وبعد  
 فالوقوف عند حد النفس انصاف \* والخروج عنه من قبيح الأوصاف \* الفخر  
 لا يكون إلا عن كبر أو غباوه \* وهو أول داع للحرب والعداوه \* فكم أثار حربا  
 وأضرم نارا \* وكم هدم قصراً وأباد دارا \* ولكن شر أمر ذا ناب \* وكوة  
 فتحت بها أبواب \* فإني ما كنت أظن أن السفينه \* الحقيرة المسكينه \* تخرج  
 من الاجراف \* وترفع في وجهي الجداف \* ولكن قد يلقي الإنسان ضد أمله \*  
 والمرء مجزي بعمله \* ومن سل سيف البغي قتل به \* وأهم أمرىك الذي أنت به  
 فانتبه \* فقابل أعداك بآردا الحجاره \* وإياك أعني فاسمعي بإجاره \* فإنك  
 وإن كنت أول عمل للخلق \* وصناعة نبي بوحى الحق \* إلا أنك حمالة الحطب \*  
 قريبة العطب \* ان هبت عليك نسمات \* هلك من فيك ومات \* وان كتبت لك  
 سلامه \* فلا حيا ولا كرامه \* وان كسر ضلعك فار \* علا فيك الماء وفار \* بم  
 تفخرين وأنت مكتفة بالحيال \* وخدمتك ينادون بالويال \* إن سلكت طرق الامن  
 ارتجفت القلوب \* وان ساعدتك الصبا اهلكتك الجنوب \* تغرقين ان زاد عليك  
 (طرد) \* وتهلكين ان نزل عليك (شرد) \* فان أبيت السير سحبوك على وجهك \*  
 وان كلوا تركوك وياتوا على قلبك \* ما أقبح أصوات الأنياس \* حين يصعدون  
 لسحب القماش \* وما أقطع تلك الضجه \* (إذا شحطت) وسط اللجه \* كم  
 عقت محبا عن حبيبه \* واحرمت تاجرا من نصيبه \* وكم جعلوك مطيه للفساد  
 \* وآلة لهلاك العباد \* فان كنت ذكرت في الكتاب صراحة فقد ذكرت ضمنا \*  
 وان ظهرت قبلي لفظا فقد كنت معنى \* ما تأخر لتاجر عندي سبب \* ولاحرم

من صاحبني بلوغ أرب \* طريقك معوج وطريقي مستقيم \* لايملني صحيح ولا  
يسأمني سقيم \* فسحبت السفينه (المداري) \* وقالت له (باري باري) \* كم  
تعرض وتصرح (واصفح واصلح) \* ولكن مهلاً يا أبا لهب \* فقد خرجت عن  
الأدب \* ولا بد ما (ارسي) على برك \* واحرقك بلهيب جمرك \* حصرت بين  
(عجل وقضيب) \* ووقعت في حميم ولهيب \* وتغذيت (بالخشب والفحم) \*  
وتفككت (بالزيت والشحم) \* وتولعت (بالمشاقاة والكهنه) \* وتحليت (بالنقش  
والدهن) \* وتمكن الغيظ فيك وانحبس \* حتى صار فيك (نفس) \* وجئت تقول  
اني حمالة الحطب \* وانت حمال النار واللهب \* واني قريبة العطب \* وانت أبو  
البلايا والكرب \* ان جرئت فضحت عرضك \* وان وقفت تاكل بعضك \* وان  
صدمك شيء هلكت \* ووقفت وما سلكت \* وان كسر (ذراعك) وقعت \* وقليل ان  
طلعت \* وان دخن أنفك تعمى صورتك \* وان ظمئت يوماً طقت (ماسورتك) \*  
تجري في الخلاء والقفار \* وتقول النار ولا العار \* ما أوسخ رجالك \* واضيق  
مجالك \* يامفرق الأحباب \* ومفزع الركاب \* غريقي أرجى من حريقك \*  
ويحري أنجى من طريقك \* كم هرست من شخص وطحنت من حيوان \* وخلفت  
راكبا وتركته حيران \* وكم جعل رجالك الناس مسخرة \* اذا لم يجدوا معهم  
(تذكره) \* وكم أضعت على تاجر فلوسه \* اذا فقدت منه (بوليسه) \* أعلى غير  
(الشريط) تجري \* فضلاً عن لحي ويحري \* ادخل نفسك في (مخزن الوفر) \*  
(وقضك من النفخ والصفر) تفتخر على أغصان الطعوم \* وأنت (حديد يامشوم)  
واثن سرت على (عجل) \* فقلوب أهلك في وجل \* أما علمت ان العجلة من  
الشیطان \* وان الباغي جزاؤه النيران \* شغلت بالاكل والتمني \* ففانك الرق  
والتاني \* وبالجمله فاني سابقة هذا الميدان \* ولا ينتطح فيها عزان \* فتحرك  
الوابور تحرك ناقد \* وتتهد تنهد حاقد \* وقطع (قطره) وأبى (شحننا) \* وقال

أسمع جعجة ولا أرى طحنا \* أبعوض تظن في أذن قيل \* وصورة تعد في  
التمثيل \* ولكني قد بيت مخاطبتك وعفت \* وكرمت وجهك المدهون (بالزفت)  
\* فإن حالك حال الحيران \* ومباحك صباح (القطران) \* وكيف أفاخر امرأة  
عقلها في (موزها) \* وهلاكها في تمزيق منزرها \* تقاد بحبل طويل \* وتنقاد  
لأنني (عويل) \* يديرها (شاغول) \* ونكرها مشفول \* تتبع هزاهما في السير \*  
ولها جناح كالطير \* أمية وفيها (قاربه) \* ويد عاجزة لها (با) . ثاب  
الميرين في ذل (الوتد) \* حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد \* ١ -

### (طالع الكرامة بحسن السلامه)

وهي رسالة كتبها إلى أستاذه المرحوم الشيخ محمد العشري وقد بلغه أنه كان راكباً عربية مع بعض الناس في زمن المطر فوقعت به العربية ونجا الشيخ سالماً وأصيب الذي كان معه فكتب إليه بعض الإخوان من الاسكندرية يهنته بسلامة الاستاذ وكان اذ ذاك بينها فكتب إلى الشيخ هذه الرسالة وهي سجعات مختلفة الأوضح والأوزان من مبتكراته كما سيظهر للقاري .

منحتنا اللهم سلامة الروح فلك الحمد على هذه المنحة \* حمداً بلا عد \*  
ووهبتنا صحة لب البيان فلك الشكر على هذه الصحة \* شكراً بلا حد \* يلوح  
يدره \* ويفوح عطره \*\*\* روح هو عين الحياه \* ومدد العقل \* ولب هو منطق  
الشفاه \* وسند النقل \* طال عمره \* وجال أمره \*\*\* غذاء النفوس \* وبهجة  
المهجه \* ونور الشموس \* ومهجة البهجه \* أمنا سره \* وعمنا بره \*\*\*  
استاذي وقنوتي \* وعين بشري \* وملاذي \* وعمدتي \* محمد العشري \* قام  
ذكره \* ودام شكره \*\* سيدي \* ومجيرى \* ومؤيدي \* ونصيري \* يخضك  
التحيه \*\*\* غرس بستانك \* وغصن رقتك \* وزهر احسانك \* وثمر دقتك \*  
الطيبة الشبيه \*\*\* ويهدي لسيادتك \* الرفيعة الشريفة \* ويعرض لسدتك \*  
المنيعه المنيفه \* سلام لسان وجنان \*\*\* ويميل لراقتك \* وعظيم فضلك \* بل  
إلى رحمتك \* وعميم عدلك \* ميل حيران ولهان \*\*\*.

رمي بالعناء يطول التناهي \* على أنه مختص في الوفاء

لعبت به الأشواق \* في مصارع العشاق \* لعب الراح \* بالأرواح \* في  
مجلس الأنس \* وجرت به الاتواق \* في ميادين الاتواق \* جري السحاب  
والأرواح \* في حومة الشمس \*\*\* وقاد الهيام \* إلى باب السلام \* قظلتته

الارواح \* وطابت النفس \* حتى طرق الباب \* وتقدم للجناح \* فكتب في  
الالواح \* مزيل اللبس \*\*\*

صار عين البديع بحر المعاني \* باب كثر الفنون سر البيان

وما زلت تغمسه في ألوان الفنون \* حتى انصبغ \* وتنشده الجد والمجون \*  
حتى نبغ \* وجرى خلك \* في ميدان النباهه \* وصار الفك \* في العفة  
والنباهه \*

قد كابد الصبر حتى صار مطعمه \* لا يسأل الناس الحافا والحاحا

إن تكلم بلسان \* فبيان \* من جنان \* وان خط بيان \* فباحسان \* عن  
عرفان \* وان انتسب \* فنعمة النسب \* مع الحسب \* ولاعجب \* فالى العرب \* فن  
الأدب \*

أباؤه الغر أهل الجود والكرم \* وكلهم غاية في الطم والكلم

ربيت فأحسننت \* وغذيت فأسمنت \* مؤدبا ليثا \*\*\* ولنت فسودت \* وجدت  
فعودت \* فهذبنا غيثا \*\*\* وعلمت فأفهمت \* وأشرت فألهمت \* غرض سهمك \*\*\*  
وقد تلت ما املت \* قيمن عليه عوات \* بحسن فهمك \*\*\*.

غلامك الشهير بالنديم \* من صار في البيان كالنسيم

وكيف لا يكون لساني قوس البديع \* وكلامي السهم السريع \* وانت باريه  
وراميه \*\*\* أم كيف لا يكون مقامي الحصن المنيع \* وقدري العزيز الرقيق \* وانت  
معليه وبانيه \*\*\* فوجه جمال العلم انت غرته \* وإنسان عين العلم انت قرته \*  
حاليه وجاليه \*\*\* وجبين العقل انت طرته \* وكتاب الفضل أنت صورتته \* وطاليه  
وتاليه \*\*\*

على بابك العائلي من الفضل راية \* على رأس أرباب المغارف تخفق  
 فعلمك جنات وحلمك جنة \* وكلك خيرات وغيتك مفدق  
 أرى غصن من يدعو إلى الفضل نفسه \* من الفضل عريانا وغصنك مورق  
 اذا رمت انشاء فمن صدق فكرة \* تهادي بأبكار وغيرك يسرق  
 ثم أنهى لفضيلتك وحض ٢ السنه \* ما وصل الي \* فأوجب الشكر علي \*  
 مادمت حيا \* \* \* وهو سلامتك من تلك البليه \* بمعرفة المريبه \* وقد وقع في  
 الري \* من أدركه الصي \* ولم يع شيئا \* \* \* أدخله التقصير \* في جمع التكسير  
 \* فكنت في جمع السلامه \* تحية وكرامة \* اذ كنت تقيا \* \* \* وظهر نراعه  
 الكسير \* ظهور الضمير \* ومذ رأى أولاده آلامه \* وفهموا كلامه \* صاحوا  
 بكيا \* \* \*

قد أتى أهله فساعت دياره \* اذ وهت رجله ويانت يساره

ولو جاءهم الخير \* في الابتدا \* لطلبوا الفدا \* وقالوا انقبر \* هل للصدى  
 \* رد الندى \* ولو سلك الفحل \* طرق الهدى \* أمن الردى \* وما وقع في  
 الوحل \* وترك العدا \* تجلو الصدا \* فالحمد لله على السلامه \* والنعمة  
 والكرامه \* اذ انقذ عمدتي \* وانجد منيتي \* فانه باب السلام \* ويدر التمام \* .

نار الفدا (الصدى)

وهي رسالة من غرائب المنشور فإنها سبب وأية ترأثية مع تمكن الدخول  
 على الآية من غير خرق \* \* \* كتب بها إلى مسدقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ  
 تنيبها وإيقاظا حينما راه يجتمع ببعض المفاربه ويشتغل معهم بخرافات باطلة  
 واوهام ما أنزل الله بها من سلطان

لاحول ولا قوة إلا بالله \* اشتبه المراقب باللاه \* واستبدل الطوبى بالمر \*  
 وقدم الرقيق على الحر \* وبيع الدر بالخزف \* والخز بالخسف \* وأظهر كل لنيم  
 كبيره \* ان في ذلك لعبره \* سمعا سمعا فالوشاة ان سعوا لا يعقلوا \* ويحيون  
 ان يحموا بما لم يفعلوا \* فكيف تشترون منهم القار في صفة العنبر \* وقد  
 بدت اليغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر \* وكيف تسمع الأحباب  
 لعن نهى منهم وزجر \* ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدرج \* عجبت لهم وقد  
 دخلوا دارنا وهم عنها معرضون \* فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون \*  
 فقابلوهم بنبال الطرد في الاعناق \* حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق \*  
 أيدخلون بما لا يفتق \* في بيوت اذن الله أن ترفع \* سيعلمون مقام الهبوط  
 والعروج \* يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج \* ويقولون اذا لم  
 يجدوا ملاذا \* ياريلنا قد كنا في غفلة من هذا \* فإنهم عزموا على الإقامة مده  
 \* ولو أراونا الخروج لاعدوا له عده \* وانت يا عزيز العليا \* ووحيد الدنيا \* قد  
 بينت لك فعلهم \* فيما رحمة من الله لنت لهم \* ولكنهم طعموا في عميم طولك \*  
 ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك \* أترام يعقلون كلامك أم يفهمون  
 \* لعمرك أنهم لفي سكرتهم يعمهون \* لهم قلوب لا يدرين بها للحسد قرارا لو  
 اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا \* واني قد شيدت لك بقلبي حصنا صعبا \*  
 فما استطاعوا ان يظهروا وما استطاعوا له نقبا \* نسيت بالعاذل جميل الصوت  
 وأنكره \* وما أنسانيه إلا الشيطان أن أنكره \* رميت ايها العاذل بسيف الغدر  
 في نحر \* اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك \* فإن لم ترجع عن السحر  
 وقعله \* فلنأتيناك بسحر مثله \* كيف يسعى العاذل بين النديم والقه \* وقد خلت  
 النذر من بين يديه ومن خلفه \* فيا سادتي دعوني من المعجب والمطرب \* ليس  
 البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب \* واجعلوا سيف ثباتكم للعدال

مبلولاً \* وأوفوا بالعهد ان العهد كان مستولاً \* فإنهم ان قالوا كذب النديم او  
 بطر \* سيعلمون غدا من الكذاب الأشر \* وما قد صار أمر الحزبين عندك جلياً  
 \* أي الفريقين خير مقاما واحسن ندياً \* أتظن عهد العاذل عند غضبك لاينكث  
 \* مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث \* على انه لكم عدو كبير \* ففروا إلى  
 الله إني لكم منه نذير \* فإنه جمع لقتالك الأولاد والاحفاد \* وآخرين مقرنين في  
 الاصفاد \* تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه \* فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم  
 إلى يوم يلقونه \* وظني ان وصل اليك كتابي انهم يطردون ويردعون \* وحرام  
 على قرية أهلكتها إنهم لايرجعون \* ايعجبك اذا مشى هذا اللاه \* ثاني عطفه  
 ليضل عن سبيل الله \* وانك وان فرحت بعلم مايجهلون \* قد نعلم انه ليحزنك  
 الذي يقولون \* فإن قلت ان اجتماعي بهم لاجل الصدقة او شيء من هذا القليل  
 \* إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين  
 وفي سبيل الله وابن السبيل \* على أنه لاتحل الصدقة لدميم \* همام مشاء  
 بنميم \* وطباعهم كما تعلم منكراً مستقذره \* كأنهم حمر مستفجرة \* فرت من  
 قسوره \* وقد قال وفائي خاطب عزيزك هذه المرة وان لم يعمل فيك فكراً \* وما  
 يدريك لعله يزكى أو ينكر فتنفعه الذكرى \* فقال لساني إن الود هو الرسول  
 المأمون \* فارسه معي رداً يصدقني إني أخاف أن يكذبون \* فقلت سيروا مع  
 المحبة ذات الفتوه \* ولاتكونوا كاتي نقضت غزلها من بعد قوه \* وقولوا له عند  
 الغايه \* قد جنتاك بأية \* ولاتهابوا جيش الاعداء وان كبر \* سيهزم الجمع  
 ويولون الدبر \* ولا تظنوا من ظاهر الأمر حلول البلوى \* اذا انتم بالعدوة الدنيا  
 وهم بالعدوة القصوى \* بل قاتلوهم قتال المستشهادين \* وليجدوا فيكم غلظة  
 واعلموا أن الله مع المتقين \* واذا اشتبك القتال فليذب كل منكم عن مولاه \*  
 وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله \* فسيروا ودعوا الاولاد والجنه \*

وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنبه \* ولا تسألوا عن الميرة من أصله \* وإن خفتم  
 عليه فسوف يغنيكم الله من فضله \* فإن الله قد أثاركم لقتال العدال العائنين \*  
 ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين \* واحملوا عليهم فإنهم  
 متى طعنوا في جنوبيهم \* رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم \*  
 ولا تدبروا إذا أرتبتمهم اقدامكم \* ان تتصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم \*  
 وان أخذتم أسرى فقاتلوا أنصارها \* فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب  
 أوزارها \* فإن أطعتم رفعتهم واصلح الله بالكم \* وان تولوا يستبدل قوما غيركم \*  
 ثم لا يكونوا أمثالكم \* وسأتلو في خطبتكم عند قدمكم سالمين \* فقطع دابر  
 القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين \*.

### (استعطاف المقرر قلب المحرور)

وهي رسالة مسجوعة بعث بها إلى المرحوم الشيخ أحمد عبد الرحيم محرر  
 الوقائع المصرية سنة ١٢٨٩ وسببها أنه كان قد نظم قصيدة بديعة في مائة بيت  
 وخمسة ضمنها وصف الافراح التي قام بها ساكن الجنان اسماعيل باشا  
 الخديو الاسبق لانجاله احتفالا بأهلهم وقد أتى فيها على شرح ما جرى في تلك  
 الافراح بالتفصيل وارسل بها مسودة إلى ذلك الشيخ لينشرها في الجريدة  
 الرسمية فتداخل بعض حساد النديم وكلفه أن لا ينشر منها إلا القليل فنشر  
 منها سبعة أبيات فقط ومزق المسودة فضاقت ورقا وحفظا وكان مطلعها

بيت السعادة مطلع الافراح \* دامت سلالته غذا الارواح

وشطرة التاريخ (نور الخديوي يوم الافراح)

أما الرسالة فهذه هي :

راكب جياذ الآداب \* في ميدان المعاني \* ومطلع بدر الابواب \* في سماه  
 الاماني \* وياري قوس الملح \* لصيد البيان \* ورامي سهم المنح \* لفرض

التبيان \* ومنتضى سيف الايضاح \* لحسم المشكلات \* ومفوق نبل الافصاح \*  
 لقسم العضلات \* لسان سمر \* مطرب العقول بلفظه \* في ثغر قمر \* يشرح  
 الصدور بوعظه \* لزم الأدب لزوم الممنوح للشكر \* فخدمته البلاغ \* وقام  
 بالانشاء قيام المعاني بالفكر \* فأحسن الصياغة \* فما ترى إلا جواهر في جيد  
 عرائس \* تجلى على الأذهان \* وكنزا ينهب منه النقائس \* إنسان كل انسان \*  
 ان قلت نبيه في فصاحة سحبان \* خطاك حسن نسج لسانه \* أو قلت بلاغة  
 زياد بن أبي سفيان \* كذيك لطف تطريز بنانه \* وإنما هو سر ضاق صدر  
 الألب عن كتمانته \* فآظهرته البراعة ظهور البدر \* وكتاب بديع عرف بعنوانه \*  
 كما عرفت بالنور ليلة القدر \* فإنهم وان تقدموه في الوجود \* فكم تقدم الصباح  
 فجر كاذب \* وان حازوا أصول البلاغة والجود \* فكم سبق العروس خاطب \*  
 كيف وهو ثمر أفنان المعاني \* وزهرها العاطر \* وبدر سماء التهاني \* وغيتها  
 الماطر \* مجلي أبقار الأفكار \* على كل كفؤ نبيه كريم \* فمن يتوهم الإنكار \*  
 على مخاطب أحمد عبد الرحيم \* محرر الوقائع المصرية \* وحافظ الحوادث  
 المصرية \* وما على النديم اذا وقف ببابه \* كباقي الشعراء \* وعرض على رحابه  
 \* تهنئة الامراء \* أظنه يحظى بمشاهدة جلاله \* ويتروح بتلك البدائع \* ويذكر في  
 طبقة أمثاله \* ضمن صحف الوقائع \* فإنني أمرت بذلك وما تكلفت \* كبعض  
 الطفيليه \* فقالت فكرتي هلا نظمت درا والفت \* في الحضرة الخديوية \* أما  
 ترى سماء اجلاله \* وسحبه الصييه \* منيرة هامة بانجاله \* في حياته الطيبه \*  
 انظر إلى الافراح \* في ديار مصر \* وابتهاج الارواح \* في رحاب القصر \*  
 ألت مستظلا بهذه النوحة العظيمة \* دام ظلها \* وغارقا في بحار نعمها  
 العميمه \* فاض نيلها \* ألم يك أحب اليك \* أن تشمر عن الذراع القصير \*  
 ولا بأس عليك \* فلك أسوة بكثير

وما عليك اذا ماقلت تمدح من \* في مدحه يحسن الانتشاء والكلم

فما أراد بليغ مدح سيده \* الا تسابق فيه الفكر والقلم

فثرت وحقك من نومي بهمه \* كائني عثرت على كنز لآلي \* وصرت أهجو  
التأخير وأكثر ذمه \* على فوات تلك الليالي \* ولكني رأيتني ان دنوت من القول  
شبرا أخرتني الاشغال ميلا \* فيغيب بدر فكري في محاق الاقول \* فان لكرت  
نزرا من نعم سيدي أو جميلا \* أرى الذهن صفا ووجب أن يقول \* وما زلت على  
هذه الحال \* عدة أيام \* لا أنوق المر والحال \* ولا طيب العنام \* فناداني لبي عند  
نكر الطول \* وقال ما هذا الاهمال \*

(جيتت وماعهدتك بالجبان)

فقلت له اذا الزمتني القول \* مع ملازمة الاشغال \*

(أتر لي فكري وألن لسانني)

فوديك لقد رأيتني تحن إلى المعاني حنين السهام إلى الأغراض \* في ملاعب  
فرسان \* وتزاحمني الغرائب مزاحمة الشفاء للأمراض \* في مسالك أبدان \*  
فقلت بليلة طلع بدرها وقت الأصيل \* فلم أر فيها ظلمات \* حتى مال علي الفجر  
بخصره النحيل \* وما بقي إلا كلمات \* فشربت على ذكر سيدي راحات  
الراحات \* برهه \* وأجلت فكري في تلك الساحات \* نزهه \* فرأيتني تلثمت من  
شراب تلك النعم \* حتى كاد يفترسني النوم \* فما نمت ولاسعت لي قدم \* في  
صباح ذاك اليوم \* بل قلت لايد للسكران من كاس \* لعله من سكره يفيق \*  
فأردفت كاسا بطاس \* على محبة ولي عهدنا توفيق \* ثم ملت إلى شراب خدمة  
صدقها اصفى من اللجين \* تستدعي لشربها الصالح الحليم \* فسكرت في

مدح نولة الوزراء حسن وحسين \* وأصهار الخديوي طوسون وإبراهيم \* ومن  
سكري بحبابهم \* وشكري لجنايبهم \* ما قمت ولا ارتحلت \* حتى أتممت ما  
ارتجلت \* وسميتها خدمة المملوك \* في تهانيء الملوك \* وهي بفضل الله  
بمدحهم وفيه \* وإن صعبت القافية \* وكنت قد أرسلتها بجملتها إلى نايدك \*  
لتشرها \* فاضم هذه اليد إلى أيديك \* واشكرها \* ولكن خاب الأمل \* بتعرض  
الحاسد \* المتشاعر \* فقل لي ما العمل \* أيها الواحد \* فإنك أمر \* لا أرى  
سبيلا للوصول \* غير العتاب \* فقد ضاعت الأصول \* وأغلق الباب \*.

### (درر النجلى وغرور الرحلة)

وهي رسالة بعث بها من الاسكندرية إلى صديقه الشيخ أحمد وهبي :

لك الحمد يا موفى كل عامل أجره \* والصلاة والسلام على صاحب الهجره \*  
وبعد فقد ألهمني خير من رحم \* السعي في صلة الرحم \* فخرجت آخر الصوم  
وقت العصر \* من المحروسة مصر \* بوابور يقطع الطرق قطع الصواعق للجو  
\* والفيث للنو \* كلما أطمعوه نفر \* وزمجر وصفر \* حتى اذا التهب قبسه \*  
وطلع نفسه \* أرسل الدخان خلفه نوايب \* والابخار أمامه جوايب \* ثم نبه  
رفقته للسير \* وحثها على الطير<sup>(١)</sup> \* وسار ولكن بحساب \* وهي تمر  
مرالسحاب \* فما ندرى اهو النعمان يوم عيوسه \* أم الحجاج يمر على حبوسه \*  
أم عنتره يكر على أسر عيله \* أم الكسعي يشفع قوسه بنبله \* أم جبان رأى  
الصمصامة في يد عمرو \* أم سياف صدر له من الخليفة أمر \* تارة يرينا  
حملة عليّ على ابن ودّ \* وهجومه على باب خيبر وقد سد \* ويقول خنوا من

(١) المراد برفقته العريات المقطورة خلفه

اندفاعي \* كيفية سير الأفاعي \* فلم نعلم أبساط الأرض يطوي على عجل \* أم  
ليالي الأنس تسرق الأجل \* فانا كنا لانتظر في هيئته \* ونعجب من مشيته \* إلا  
وقد عدل عن السير وكف \* وأدرك المقصود ووقف \* إذ ذاك يضيق عليه  
المجال \* لكثرة النساء والرجال \* والأطباء تجس نبضه \* وتتعهد طوله وعرضه  
\* فإن وجد فيه اختلاج \* بادروه بالعلاج \* حتى إذا صح السقيم \* وأخذ شهادة  
الحكيم \* ودع القوم وثار \* وأرسل العنان وسار \* وأنا أقول فيه \* لاكون من  
واصفيه \*

نظر الحكيم صفاته فتحييرا \* شكلا كطود بالبخار مسيرا  
نوما يحن إلى ديار أصوله \* بحديد قلب باللهيب تسعرا  
ويظل بيكي والدموع تزيده \* وجدا فيجري في الفضاء تسترا  
تلقاه حال السير أقمى تلتوي \* أو فارس الهيجا أثار العثرا  
أو أكرة أرسلتها ترمي بها \* غرضا فجلت إن ترى حال السرى  
أو سبع غاب قد أحس بصائده \* في غابة فعدا عليه وزمجرا  
فكائه العديون جاء غريمته \* فانسئل منه وغاب عن تلك القرى  
أو انه شهب هوت من أفتها \* أو قبة المنطاد<sup>(١)</sup> تنبذ بالعرا  
لاعجب للثيران إذ يمشي بها \* فمن اللظى تجري الوردى كي تحشرا  
وما زال يقوم من محطة بعد محطه \* وهو على نسق لا يخالف خطه \* حتى  
شممت الشذي العنبري \* من النسيم السكندري \* فتحركت الاعضاء  
واضطربت \* وأحست النفس بالسرور وطربت \* وتلعثمت تلعثم المخمور \*  
وحرت حيرة اليعمور<sup>(٢)</sup> \* وزناد الانس ان قدح أذكى \* وهكذا السرور ان زاد

(١) المنطاد هو البالون

(٢) اليعمور حيوان إذا رأى الماء دار به حيران ولا يشربه .

أبكي \* وما زلت أشرب السرور شيئاً فشيئاً \* واتفرس القصور هيئة وفيئاً \*  
حتى مزجت بالفرح \* وتناساني الترح \* فحصرت عن أن أقول شعراً \* أو  
أكتب نثراً \* بل اقتصرت على التمتع بنورها الطبيعي \* وتروح الفكر بشكلها  
البيعي \* فإنها نزهة نفسي \* ومركز أنسي \*

(وأول أرض مس جسمي ترابها)

فلما انجابت عني الكروب \* ودخلتها وقت الغروب \* وجدت السماء عابسة  
إليها \* والمزن حاقدة عليها \* ترمقها بعين الانتقام \* وتوبخها على فوت النظام  
\* والذي أدركته من كلامها وسمعته من ملامها \* قولها : أيها الثغر المحروس  
\* العامر الماتوس \* جوك لله الحمد منير \* وخيرك يون الثغور كثير \* وبيوتك  
في غاية النظافة \* وطرقك في نهاية اللطافة \* ودرجة الكسب فيك عظيمة \*  
وعاقبة الامور بك سليمة \* وخيرك لم يكن قاصراً على القريب \* بل هو متاح له  
والغريب \* والصحة فيك سهلة الحصول \* إذ كنت معتدل القصول \* وفيك من  
الرياض والبساتين \* ما هو جنة للناظرين \* وحوالك نهر وبحر كالحرس لك وقت  
العجاج \* هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج \* وفيك من قديم  
المصانع \* ما يعجز كل صانع \* وكم فيك من مسجد يشرح الصدر \* وعباد  
كأن وجوههم البدر \* وكتب العلم تقرأ فيك وتسمع \* في بيوت اذن الله أن ترفع  
\* وبالجملة فانك مصر الامصار \* ونزهة الارواح والابصار \* فعلام تتعصب  
على أهل الأدب \* وتحرمهم القصد والارب \* وتجلب عليهم بخيلك ورجلك \*  
وتجشمهم المشاق من أجلك \* حتى اذا ضاقوا وملوا \* تركوك لجة وانسلوا \*  
ورحلوا بالحريم والاولاد \* واستوطنوا غيرك من البلاد \* وهذه عادتك مع كل  
ايب برع \* وأخذ في جمع شمل البيع وشرع \* وليس هذا من الانصاف \*

ولاجميل الاوصاف \* فقال الثغر أيتها السماء العالية \* ذات الذراري الفغاليه \*  
 من عهد ما أنشأني الله من العدم \* لم تزل العالم في قدم \* ولا خاب له في  
 الحياة سعي \* ولاضاح له بعد الممات نعي \* ولا كدرت عليه عيشه \*  
 ولاقصصت منه ريشه \* ولا ألزمته بكد \* ولاضربت في حد \* وهذا ما اعلمه  
 من نفسي \* فلم حجبت عني شمسي \* فقالت السماء ان كان ما تقوله هو  
 الحق \* ولم يعص أحد منهم ولاعق \* فكيف ارتحل عنك لسان العرب \* وأصل  
 الظرف والطرب \* غصن روض النباهه \* وزهر ثمر البداهه \* مقلد جيد الكلام  
 بلاكيه \* ومحلى جبين الايام بلياليه \* غارس أغصان البديع في رياض ذهنه \*  
 وجاعل أيكار المعاني في ضمائنه ورفنه \* من أروضع البلاغة ثدي فكره حتى  
 تربت \* ودعا بطون اللغة فهروا اليه ولبت \* حتى عرف الأدب بخديم ركابه \*  
 واشتهر البيان بنديم رحابه \* بليغ استجارت به الفصاحة من الاغبياء فأجارها \*  
 واستتجده الغرائب فعبأ لها عساكره واثارها \* من تتهافت عليه الرقائق تهافت  
 الفراش على النور \* وتحن اليه المحاسن حنين المؤمنين إلى الحور \* أديب  
 رقت يرقة كلامه الأرواح \* وتحلت بزهر معانيه الأدياح \* وانتشرت النجوم  
 تشاكل نثره \* ويدررت البذور تختلسه نظره \* فضلت الشعري في محاسن  
 شعره \* وابت الزهرة إلا أن تسام بسعره \* ونزل زحل من الاقق الاعلى الى  
 الحضيض \* ووقعت نقود المشتري فاستجد جاهه العريض \* ونظر نعش الى  
 بناته فكأنه ما واد \* وحمل العقرب على الشمس وهي في بيت الأسد \* فتدلّت  
 تدلي كفة الميزان \* وغابت عن الوجود وقد لحقها السرطان \* والبنور رأّت  
 وجوه أيكار أفكاره كشفت \* فأدركها ظلام المحاق لوقتها وكسفت \* مجيد تلتذ  
 بالفاظه المعاني \* لذة الاسماع بالأغاني \* قد شيد للبراعة أبياتا على أحسن  
 أساس \* فدارت أبيات غيره البلاد تقول لامساس \* لييب يكاد قلمه ينطق بلسان

\* وفخامة لفظه تقتل بسنان \* من أرضعته النزاهة لبانها \* وسلمته القناعة  
عنانها \* وقال الأدب هذا الفاضل لون أهل العصر حسبي \* العالم التحرير  
السيد أحمد وهبي<sup>(١)</sup> \* فإنه نشأ فيك وترى \* ثم دعت الغربة فليبي \* فلم لم  
تعظم له النحلة \* وتمعنه عن الرحله \* أخرج حالة سهوك \* أم كنت في حظك  
ولهوك \* أم أنت زاهد في أهل الأدب \* وكاره لسان العرب \* أم حظك موقوف  
على أهل العي \* ورجال الفجور والغي \* فقال الثغر أيتها السماء ما منعت من  
الزلال ولا صاقيه \* ولا أخرجته زهدا فيه \* وإنما لا يخفك ان الجار \* كساكن  
الدار \* وقد أوصى النبي على أكرامه \* ومواساته واحترامه \* وانت تعلمين أن  
مصر المحروسة \* ذات الرياض المغروسة \* لها علي حق الجوار \* وملاحظتها  
وقت البوار \* وكان قد بلغني ان الأدب فيها كسد \* وعدم الروح والجسد \*  
واندرس رسمه \* وما بقي فيها الا اسمه \* فساغتني هذه المصيبة \* وخفت  
على تلك الحبيبه \* فعينت لها هذا السيد المجيد \* العالم الوحيد \* ليجمع  
شتات هذا الفن \* ويقطع باليقين رقاب الظن \* ويحل معضلاته \* ويبين  
مشكلاته \* حتى يجيبه من العدم \* ويعلمه ولو للخدم \* فودعته وقلبي طائر \*  
فوجدهم يسمون شقشقة اللسان \* عنوان البيان \* ويريون البلاغة والفصاحة \*  
في الهجاء والوقاحه \* ويعدون اللفظ الشنيع \* من أنواع البديع \* فتحررت فيه  
همة حفظ الود \* وشمر حرسه الله عن ساعد الجد \* وقام باعبائه \* واجتهد  
في ايحائه \* حتى ظهر بهمته الشهيره \* ظهور الشمس وقت الظهيرة \* فمالت  
إليه الناس \* وتناولته بالكاس والطاس \* حتى كادت تقتحم لججه \* وتعرف من  
أين أخذ حججه \* فعاقبهم عن ذلك حب الظهور \* واشتفاهم بحساب الأيام

(١) توفي رحمه الله يوم العاشر من المحرم سنة ١٢٩١ بعد وصول هذا اليه بنحو العشرين  
يوما ومرأته مذكوره في الديوان الثالث من نواوين شعري ، مؤلفه .

والشهور \* وميلهم للسعي والكسب \* واو بالنهب والغصب \* ولكنهم اغترفوا  
منه بطريق الشوق \* ما طهر منهم الفكر والنوق \* وصاروا من أهل الأدب لا  
الطلبه \* ولزمهم هذا الاسم بالغلبه \* فانسدت الطرق بالاشعار \* وباعوها  
بأوهى الاسعار \* حتى ملأوا البلد بيوتا من غير تحكيم \* فهدم أغلبها وضاع  
في التنظيم \* ولم يظهر إلا ما شيدته الاكابر \* ظهور الخلفاء على المناير \*  
ولخوفه من ذهاب الادب بموت أهله<sup>(١)</sup> \* ورجوع العالم لفتلله وجهله \* أنشأ  
في هذا الفن بديعيات عده \* هي للمتأدب سلاح وعده \* ونون في الشعر ديوانا \*  
جعله للأمراء ايوانا \* ما غرس كوجه غارس \* ولاندخل حومته فارس<sup>(٢)</sup> \* كيف  
وقد قاتل عليه بالرمح الرديني \* حتى اشتهر بالشاعر الحسيني \* وطالما بذل  
الهمة العلويه \* في مدح الحضرة النبوية \* فمن ذا الذي شاكله في فعله \* ومن  
له فضل كفضله \* كلا لم يدركه طالب \* ولم يفته هارب \* فإنه أمام الدنيا \*  
وقبله العليا \* ولم أزل في وجد عليه \* وشوق إليه \* فإنه من سوء الدهر وغدره  
\* كان يشكو بصدرة \* فلم أزل أسأل عنه كل حاضر \* وأرسله مع كل صابر  
\* حتى حضر الليلة أخوه وخديمه \* وصديقه ونديمه \* فسكن روعي بما أبداه  
\* وأوصله لسعي وأهداه \* من أنه في صحة وعافية \* وأحوال صافية \* منعم  
بنزاهة نفسه \* ممتع بضياء شمسه \* قد فتح باب الأدب بعد الاغلاق \*  
واستغنى عن الخلق بالخلق \* لا يقول إلا الحق الظاهر \* ولا يختم إلا البيت  
الظاهر \* فسررت بهذا الخبر \* وألبسته عليه الحبر \* واكتفيت منه بهذه

(١) قد وقع رحمة الله فيما خاف منه فإن ديوانه وبديعياته عثرت عليها أيدي المتشاعرين  
فاختلستها من التركة ليدعوا ما لم يكن مشهورا فحسبني الله ونعم الوكيل. مؤلفه.  
(٢) في فارس التوريه بالمرحوم أحمد فارس محرر الجوائب .

الإشارة \* فهي عندي أعظم بشاره \* فقالت السماء أو حضر النديم لبلده \*  
لزيرة امله وولده \* فقال الثغر نعم قد حضر \* وسرني بهذا الخبر \* فقالت  
السماء يلزمننا مقابلته بالملابس الرسميه \* والامطار الهسميه \* فقامت وقعدت  
\* ويرقت ورعدت \* وأرسلت السحب كالبحار \* وسوت بين الليل والنهار \*  
فاستكنت في الأماكن الأبدان \* حتى تطهر الثغر من الايران \* ثم طلعت الشمس  
بعد أريمة أيام \* وامتلات الطرق بالظباء والأرام \* فأردت الخروج للزومه \*  
واقامتي مع بعض الاخوان برمه \* فرمدت بعيني اليسار \* وأردت أن أنور  
فصرت أزار \* فلما برنت من الرمد \* أدركني الكمد \* بخروج دمل تحت ابطي  
\* كانه مخ الشرطي \* فانه عاندي عناد السكارى \* والزمني حاله الاسارى \*  
وكبر الى أن صار كئدي الناقه \* وألمني بما هو فوق الطاقه \* فاستعملت له  
اللبخ \* حتى لان وانطبخ \* ثم ضربته بريشة من الحديد \* وشغلته بفتيل جديد  
\* حتى تحققت انه برىء من سقمه \* وتطهر من دمه \* فقطعت الفتيل عنه \*  
بعد فراغ الدم منه \* فالتأم وختم \* وضم ثغره وكتم \* ويعد يوم ظهر في  
جبهتين \* وكنت في بلوى فصرت في بلويين \* فلبخت لهما أياما \* وتحملت  
منهما ألما \* حتى صار يستحقان الضرب \* ليزول عني الكرب \* فضربت الذي  
لان بريشه \* رجاء أن تصفو العيشه \* فلا تسل عن ضرب الحكيم جسمي  
الليل \* ولاتس هول تغيير الفتيل \* ويعد يومين من فتحه \* اكتحل الاصلي من  
قيحه \* ففتحت عينه العميا \* ورمت بالدموع رميا \* فزاد الالم في يدي \*  
واتسع حتى خفت على كبدي \* وبين هاتيك الاحوال \* مصائب وأهوال \* منها  
أن الدم وقف باعضائي حتى يبست \* وهدمت الاحساس لو بالنار لمست \* ثم  
زادت الرطوبة حتى صرت كالبرد \* وقد وهى جسمي كأنه انبرد \* فتحقق  
لاهلي الموت \* وضجوا بالصياح والصوت \* وقد لزممتي الغمرات \* وقامت بي

السكرات \* فكنتى أنظر للروح تمشي مشية مدلً بنفسه \* وجسمي بعدها يتهبأ  
 لرمسه \* وعينيك ما تصورت نفسي سوى باريها \* ومعدها وذاريها \* ولم  
 أكثرث بعيويبي \* ولاكثره ذنوبي \* بل انحصر رجائي في ربي \* واتسع أمني  
 في حسبي \* فطليت الماء وتوضأت \* واستقبلت القبلة وتهيات \* فبعد برهة  
 تداركني الله بإحسانه \* ولطفه وامتتانه \* وعادت الروح للبدن \* وشب جسمي  
 من العافية وشدن \* فادركت الجس واللمس \* وتكلمت ولكن بهمس \* ثم قلت  
 الحركة عما بدأت \* وسكنت الاعضاء وهذأت \* فرأيت الفرح ينشر على أهلي  
 راياته \* والسرور يتلو عليهم آياته \* وقد غص البيت بالجيران \* وكثير من  
 الاخوان \* فلما تم لي الشفاء \* ونور بيتنا الصفاء \* تحركت الهمة القرشيه \*  
 ولرافة الاخوية \* في شقيقي عاشق أفعالك \* ومحب أهل الأدب أمثالك \*  
 فأحضر جملة من حملة القرآن \* ودعا مئينا من الاخوان \* وأحيا تلك الليلة  
 وليتتين بعدها \* شكرا لله إذ أتم لهذه العائلة سعدا \* وأحيا لها عديما \*  
 وانطق فيها نديما \* والوالدة الرؤوفة \* المحبه العطوفه \* ما صاحت ولا بكث \*  
 ولاندبت ولا اشتكت \* بل لم تتحول عن القبلة ليلتها \* فسبحان من قواها وثبتها  
 \* والناس يدخلون علي أفواجا \* فرادى وازواجا \* حتى اذا طوى الليل بساطه  
 \* وحل النهار رباطه \* نمت ساعة أو ساعتين \* وقمت وقد شغل ابطي بالبلويين  
 \* فعا وجدت سببا لانسي \* وراحة نفسي \* سوى مخاطبة مقامكم العالي \*  
 واستهداء عذبكم الحالي \* فإنه مرهم النفوس الجريحه \* وأشد العيون القريحة  
 \* فكتبت والالم يطاردني \* والامل يساعدي \* شوقاً إليك \* ونداء عليك \*  
 فادرك اخاك ولو بحرف \* او شرف ولاتستكثر الصرف \* وعلى أية حالة  
 فالقصد لفظك \* ورقائقك ووعظك \* فالشفاء كلماتك \* والشفاء ذاتك \* ثم إنى  
 اعرض لسنتك السنيه \* وحضرتك البهيه \* اني مع هذا المرض الأليم \* توجهت

مرة إلى الشيخ سليم \* فوجدت العدوى سبقتني إليه \* وتخلف في بيته بعينيه  
\* فسألت عن داره \* من جاره \* فإقادني إفاذة ركيكه \* وقال سل ابنه أو سل  
شريكة \* فلشدة المطر \* وخوفي من الخطر \* رجعت إلى مسكني ولزمت  
مأمني \* وقلت عند الشفاء أرجع إليه \* وأسأل عليه \* حتى لا أعود إلا بخير  
صحيح \* وقول صريح \* فسجنت بعدها تحت العرش، ولزمت الوساد والقرش  
\* وشربت صبر أيوب بالكاس \* وأظهرت المتجدد للناس \* أسامرهم وأنا حريق  
\* وأنجدهم وأنا غريق \* وهم يضحكون وأنا الباكي \* ويلعبون وأنا الشاكي \*  
وقضيت على هذا عدة ليال \* أسامر الصحب والأل \* وقد صبرني الألم \*  
كالرمح بل القلم \* فكنت ما كتبت \* ودر ألفاظك طلبت \* وأنا مخاطر بنفسي  
\* مظهر لنفسي<sup>(١)</sup> \* طامع في شراء الصدف \* برديء الخزف \* واستهداء  
الذلي \* بالخلق البالي \* ولكن عادة كل أمير \* أن يخاطبه الصغير والكبير \*  
ولطفه يشمل الكل \* ولا تمنعني من سروري \* وارمق الخادم بلحظك \* وداو  
كبدك بلفظك \* فإنه يستفتح باب أبياتك \* ويقسم عليك بحياتك \* وحاشاك أن  
تغلقها أمامه \* وتجعل جوابه حمامه \* وأنت السيد حيثما كنت \* فله أنت ثم  
أنت \*

(١) النفس : العيب

## (حفظ الودائع لدرر البدائع)

(وهي رسالة كتب بها إلى بعض أصدقائه شكرا على محرر وصله منه)

لييك كوكب الصبح دام نداءك \* وسعديك نسيم الصبا طاب شذاك \* وأهلا  
بك يا نور النهار \* ومرحبا بك يا نور النهار \* فاني أرتقت للقاء \* مذ سمعت  
بالأسراء \* وما زلت أسأل عن ركبكم في منازل البدر \* واستفهم من ركبان  
النجوم حتى مطلع الفجر \* فالشعري تقول تركتكم بتلك المرحلة \* وعطارد  
يقول تقدمتم بمنزله \* والمرخي يقول اناخوا ركائبهم \* والمشتري يقول أثاروا  
نجايبهم \* والدجى تقول ليلهم قمرى \* والزهرة تقول هم ادلاء على أثري \* وكل  
ذلك وأنا هائم كحاطب ليل<sup>(١)</sup> \* حتى طلع علي من جانب السحر سهيل \*  
فهمت بتقبيله فابى \* وارتفع عني ونبا \* فأشرت له بتلطف \* وانشدت  
بتعطف \*

سهيل انعطف وانزل بساحة مغرم \* يراك بعين طول ليلتها عبرى  
عسى يأخذ الأخبار منك عن الآلى \* سيصلي بهم حمر الغضا ولك البشرى  
فسحب رداء التيه \* وانشدني من فيه \*

كانك بالذكري وقد بان ركبهم \* اليك ونجم الصبح في القبة الخضرا  
فشاهد محياه وقبل يد الصبا \* لعلك باللقيا من الاصطلا تبرا  
فقلت أثره الف الف \* وحوات نظره إلى خلف \* وإذا بيريد النسيم يناديني  
\* ودليل الفجر يناديني \* ويقول أنا الضمير المستتر \* وما كنت تنتظر \* فما  
لويت من وجهته جانبا \* بل شكرته وإن كان كاذبا \* فلما رأني أجيب نداه \*

حاطب ليل طائر لايسكن الليل كله

وعيني تنظر وراءه \* تلتف في الكلام \* وانصرف بسلام \* ثم اعقبه السيد  
الأصيل \* والأمير الجليل \* منبع الاشراق \* ومعدن الأرزاق \* منبه القوم من  
الغفلة \* ومانع الانام ظله \* شارح الصدور \* وباعث النشور \* ينادي امامه  
الفجر والوضاح \* سبحان فائق الاصباح \* ونسيم الصبا يعيس بحسن القد \*  
ويعطر الوجود بنشر المسك والند \* وداعي الخير والصلاح \* ينادي حي على  
الفلاح \* فقتت أتعثر في أنيالي \* لأقابل هؤلاء الموالي \* فرأيت الصبح قد  
تقنع بقناع أحمر \* وتحلى بنفيس الدر والجوهر \* والتسيم قد زادت رفته \*  
وازدانت دفته \* والنور قد كشف اللثام عن وجه النهار \* والروض شاكل السماء  
بتفتح الازهار \* والقطر طيب الوجود بماء الغوالي \* والغصون ماست تحاكي  
السمر العوالي \* والارض توشحت بوشاح أخضر \* وجرى عليها الماء حتى  
تقنطر \* فقلت للصبح أيها الأمير \* الزاهي المنير \* هذه اللمعة \* أنوار يوم  
الجمعة \* أم ذاك فجر عرفه \* وأنت صبح مزدلفه \* فقال أنا ذاك \* لاعدمت  
شذاك \* إنما أنا صبح الوسائل \* ونور الرسائل \* وهذا نسيم الطب \* حامل  
كتاب الحب \* وما تراه في الوجود زينة قدومه \* وواجبات رسومه \* فقلت من  
أين يامطلع شمسي \* فذاك روحي ونفسي \* امن حبيب صادق \* ام من عدو  
منافق \* فقال بمن المخلص في وده \* الوفي في قربه وبعده \* الصادق في  
حبه \* الواله في صبه \* عنوان الادب \* ومنتهى الارب \* وكتاب الامان \*  
وانسان التبيان \* غارس المعاني في حديقة افكاره \* وجاني ثمر البديع بعد  
قطف أزهاره \* مجرى جياذ القريض في ميدان البداهه \* ورامي نبال الانتشاء  
في غرض النباهه \* اثيل المجد \* أصيل الجد \* فرع شجرة الجود المثمره \*  
ونجم ليلة القدر المقمره \* واحد السلالة المطهره \* وزهر النوحة المنوره \*  
شقيقي نسبا \* وصديقي حسبا \* السيد الشريف \* والمولى الظريف \*

## الصاحب الابر \* والخليل الاغر

الماجد الحر اهل الجود والكرم \* اباؤه الفر أصل الخير والنعم

شوقي إليك لطيف السود حركه \* فطرز الود في نوع من الكلم

فمقت لمقابلة النسيم على قدم الاجلال \* ووقفت وقفة المستمنع من الجواد

النوال \* فوافاني وقطر النداء يسيل من يمينه \* واشعة الشمس تشرق من

مشارك جبينه \*

سر به تتعش الارواح من طرب \* مخلق الثوب مطبوع على الرشد

ناديته سيدي بلغ رسالة من \* بلفظه تشتقي الاحشا من الكمد

فجاء نحووي بكل اللطف ينشدني \* ابشر نديم بيره القلب والكبد

هذا كتاب الصفا في طبي برده \* شفاء داء الحشا والصدر والرمد

اخذته يمين العهد مستمأ \* من غير واسطة لكن يدأ بيد

ووضعتة على رأسي \* وروحت به نفسي \* ثم كشفت لثامه \* وقضضت

ختامه \* ونظرت له بعين الجلال \* وللتجوم بعين الجمال \* فإذا النجوم رسوم

وهو حقيقتها \* والمعاني غصون وهو حديقتها \* ان شبهت مداده بالمسك كان

عكس التشبيه \* او حروفه بالدر كان عين التمويه \* فانما المسك ترب شم

مداده فتعطرت عكته \* والدر خزف شابه حروفه فلا ثمنه \* وما هو إلا ترياق

النفوس \* وأنوار الشموس \* تبتهج الارواح بتلاوته \* وتتلى الانواق بحلاوته

وتضى العيون برويته \* وترتاح القلوب برويته \* كيف لا وقد رق النسيم بحمله \*

وحل البديع به على جمع شعله \* كتاب تهيم فيه الالباب \* هيام قيس بالرباب \*

وتميل اليه الارواح \* ميل النور إلى الصباح \* وتتعش به القلوب \* انتعاش

الولي يعلم الغيوب \* وتحن إليه الافهام \* حنين الاغراض للسهام \* كتاب لو  
 سمعه الحريري لعاقه عن المقامات العي \* أو علمه فرعون لرجع عن البهتان  
 والفي \* بل لو تلي على سحبان ما تفنن في خطبه \* أو نشر على ابرهة لارتد  
 على عقبه \* كلماته أبطلت سحر هاروت \* وألفاظه أوهت قوى جالوت \* من  
 بيانه اخذ الصحاب ابن عباد \* ويحسنه تحسنت ذات العماد \* كتاب لفظه  
 عنوان الحماسه \* ومعانيه اسرار الفراسه \* تتبختر الآداب في رحابه \* وتتيه  
 محاسنه على أترابه \* اذا قرأت لفظه \* وسمعت وعظه \* ورأيت ما فيه من  
 المرقص والمطرب \* والمنعش والمعجب \* وتلوت ما فيه من الرقائق \* ونظرت  
 ما حاز من الدقائق \* علمت انه معجزة المتتبي وان تأخر زمانها \* وفطنة  
 المعري وان بعد مكانها \* كيف لا وعطر نرجس بلاغته أزرى بطيب الريحانه \*  
 وحسن دمية بيانه نبه على ضيق الخزانه \* وانسجام رقائق كلماته أغنى عن  
 البديعيات \* ورقه لطف سجعته تاهت على الارتقيات \* سكرت من سلاف  
 معانيه رشقا \* وقرأت ما فيه حرفاً حرفاً \* فاذا هو سفير عن قواد وبدود \*  
 وترجمان عن ضمير غني عن الشهور \* ضمير ظاهره المراسله \* وباطنه  
 المواصله \* ما أصاخ اذنا للاحى \* ولا اعتاض سكران بصاحي \* قد سكن  
 قلباً شعاره الود \* وبتاره حفظ العهد \* ما اساء محبه \* ولا مل قريه \* ولا  
 رغب في صد \* ولا غر بضد \* ولا ابق من حب \* ولا تحول عن حب \* قلب  
 اصفى من الصفاء \* واوفى من الوفاء \* كامن بحب ظاهر \* في صدر طاهر \*  
 واسع رحب \* عامر باللصحب \* صدر كانه اصداق اللاكي \* او صفحه مقمر  
 الليالي \* ركب في جسم جليل \* ورسم جميل \* في غاية الجمال \* ونهاية  
 الكمال \* يحار فيه الطرف \* ويعجز عنه الوصف \* جسم قده غصن البان \*  
 وانامله اقلام مرجان \* وسواعده سباتك اللجين \* وراحته صفحات القمرين \*

ووجهه طوق الهلال \* وثغره منبع الزلال \* وعيونه كأنها الصبح بعد السحر \*  
 بياض حول سواد كالقمر \* وأنفه كأنه في اللطف ميزان النجوم \* وخده في  
 صفاء أسلحة الفرسان وقت الهجوم \* وجبينه النهار وقت الرواح \* وحواجه  
 قسي نبال الكفاح \* قام بإدرة الجميع عقل وافي \* يدبره فكر صافي \* عقل ما  
 الف الا دقيق المعاني \* ولا انف الا من كاذب الاماني \* ولا اثر الا فضلا \*  
 ولا جنى الا نبلا \* ولا اتى الا بطرف \* ولا اشتغل الا بتحف \* فكم له في  
 النظم انكار \* تتحلى بها الافكار \* وكم له في النثر قلاند \* تتزين بحسنها  
 الخرائد \* فمن كلامه الفائق \* ونثره الرائق \* ما اتحفني به في هذا الكتاب \*  
 وفتح برقته باب اللباب \* يتوجع فيه من تأخير مكاتبتني \* ويميل بحسن إلى  
 معاتبتني \* فما احلى كتابه \* وما الذ عتابه \* ان عتابا يسوقه الود لعين  
 الوصال \* وكتابا يحث على حفظ الصهد لنفس الكمال \* فوده وعتابي \* جدير  
 بقول العتابي

ولقد بلوت الناس في حالاتهم \* وعلمت ما وصلوا من الاسباب  
 فاذا القربة لا تقرب قاطعا \* واذا المودة أقرب الانساب

فلا غرو ان قلت أخ عاتب شقيقه \* ومحب كاتب صديقه \* وكيف وغرس  
 أصولنا واحد \* ومثبت شعر رؤوسنا ذاك الماجد \* سر الوجود \* ويدر السعود  
 \* باب الحق \* وأصل الخلق \* سيد العالمين \* وامام المرسلين \* الهادي الى  
 الجنة \* والاصل في كل منه \* منقذ الارواح من الشقاء \* ودال السعداء على  
 البقاء \* النور المكون منه كل موجود \* والذات المنتسب اليها كل محمود \*  
 العلم المرفوع فوق كل علم \* والمولى الناطق بصواب كل قلم \* الجواد الذي  
 من فيض جوده زهرة الدنيا \* ومن وطء نعال قدمه رفعة العليا \* المفرد الكامل

المكمل الممجد \* غياثي وملادي سيدنا ومولانا محمد \* عليه صلاة الله ما  
تحرك شبح مرّ عليه نسيم \* وسلام وتحيات ما تعلقت رحمة بارادة كريم \* ولو  
علم السيد ما انا فيه من معاناة الامور \* ومعاداة الدهور \* لالتمس عنراً  
لتأخيري \* وضرب صفحاً عن تقصيري \* ولكنه أصاب اذ متعني بنور خطه \*  
وان اغرقني بحر معانيه في ساحله وشطه \* فمن أين للنهر \* معارضة البحر \*  
ومن أين للراجل مجارة الفارس \* وكيف يقاس موري زنده بقباس \* ولكن كم  
سيد كاتب عبده \* وجعله كالرفيق عنده \* وكم عبد عرض لمولاه ما نعمه به  
واولاه \* وأنا أعرض على مسامح سيدي \* ومالكي ومؤيدي \* اني على ما  
رياني \* منعم بما أولاني \* حافظ لعهدك \* مغرم بوجه \* اتضلع حبه \* وأمل  
قربه \* هائم بذكره \* مشتغل بشكره \* وأرجوه العفو ولاصفح \* عما يوجد في  
هذا من القبح \* فقد حررتة ليلة نوبتي \* بعد عشائي وقبل نومتي \* مع صغير  
الوابورات \* وجعجة العريبات \* ونداء العده \* مدة بعد مدة \* وعندي من  
الايواش \* كل سكير حشاش \* حزب يلعب الدمه \* وفريق يقرأ كليله ودمه \*  
وقوم يلعبون النرد \* وشخص يقزح كالقرد \* وكنت في بلوى كبيره \* اذ صار  
المحل كبيره \* فظني اني أسامح على الغلط \* واعذر بكثرة اللغط \* وكل هذا  
اذا صحبت كتابي نسمة قبول \* ووقع عند سيدي موقع القبول \* وإلا فهو  
لا يصلح لمسامعه الكريمه \* ولا يليق بفكرته السليمه \* ومع ذلك فاني مهديه من  
السلام \* ما يتعطر به زهر الاكمام \* ومن التحية ما يرضاه \* ومن الاجلال ما  
يهواه \* فالشوق لا يعبر عن لسان \* والوجد لا يملكه الانسان \* ولا اقول شوقي  
اليك شوق المذنب للرحمه \* والمعدم للنعمه \* ووجدي بك وجد الشمس بالظهور  
\* وحببي لك حب الايام للدهور \* وشغفي بك شغف الطفل بالرضاع \* وولهي بك  
وله القوة بالسباع \* فانه تعبير تقريبي \* يفضبك ويذري بي \* لأن حبنا ليس

كحب الناس \* فانه لازمنا ملازمة الحياة للاحساس \* وان يسر الله الايام \*  
وصرف عني نواحي الذهاب \* ووصلت حضرتك السنيه \* ودخلت ساحتك البويه  
\* وحظيت من التحف بما لديك \* لثمت خدك وقبلت ما بين عينيك \* ان شاء  
مالك الملك \* ومجري الفلك \* جلت قدرته

ويلفه أن صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ فصل من تفتيش السكة  
الحديدية فكتب اليه من بنها يستفهم عن الحقيقة ويظهر الاسف فأجابه ذلك  
الصديق بان انفصاله من تلك الوظيفة هو عين مأموله ووصف له سرور أهله به  
في كل ليلة بعد أن كان مكابداً خطر الاستفار فرد عليه النديم بهذه الرسالة  
وسماها

### (تنبيه اللبيب \* وتسلية الحبيب)

الحمد لله ذي الجلال والاكرام \* وعلى نبيه الصلاة والسلام \* وبعد فاحسن  
حالات العشاق \* قبول العتب وبث الاشواق \* لاسيما اذا لهج محب بالأحبة  
وغرد \* ولزم خطابهم وأنشد

لست أملول مع التمدل والنوى \* ان لم يكن روعي على هجري نوى  
مادام يرضى منيتي فقد استوت \* عندي الإقامة في شيبين أو نوى  
أطعمته أثمار ودي كلها \* وغذيت من تمر المحبة بالنوى  
نية المرء غذاؤه وطبه \* ومن يتوكل على الله فهو حسبه \*

خلاصة الوجود \* ونتيجة السعود \* وغاية العليا \* وبهجة الدنيا \* ولطف  
اليها \* ونور النهى \* عزيز جدي \* وحافظ ودي \* رق لفظك وكلامك \* قطاب  
عتبك وملاكك \* الا اني وان ظننت السراب ماء \* وتخيلت السحاب سماء \*

واستنزلت البدر الى الارض \* واشتغلت بالنقل عن الفرض \* وتوهمت الدر من  
الخزف \* والسلامة في التلث \* وتصورت الضحة في الاسفار \* والبعد عن  
الامصار \* واقتصررت من النقد على النحاس \* وفضلت الدر على الالماس \*  
وقلت ان مصبوغ القماش هو الديقاج \* وكساد البضاعة عين الرواج \*  
واستبدلت البحر بالنهر \* والدهر بالشهر

وقضت النجوم على شمعوس \* أضاعت بالاشعة كل وادي

فلست محطناً في فهمي \* وان حسن خطابك \* ولا مشترجماً سهمي \* وان  
لذ عتابك \* فما رأينا كبيراً الا عن صغر \* ولاحسن أخلاق الا من سفر \* لا  
بدر تم الا بعد هلال \* ولاتمكن حب الا من دلال \* وما سمعنا أن بيتنا \* بني  
بلا اساس \* ولا جيشاً هزم من غير حماس \* وان كرهت التفتيش  
وبفضته \* واييت المرور ورفضته \* وسمعت من اخوانك ما نترك \* وعلمت ان  
القدر قدم غيرك واخرك \* فلا تنكر مقدمات الامور \* وامتحانات الديرور \*  
وركوب المشاق لبلوغ الارب \* واستعذاب الصبر لتفريج الكرب \* قعاقبة  
المتاعب \* علو المراتب \* جهل اخوانك هذا فكبروك \* واو علموه لاستلطفوك  
واكبروك \* الم يستعمل الله نبيه في التجارة \* اكان ذا تمام اللذة ام نقصا في  
الاماره \* كلا فان اللبيب من دار \* لا من لزم السرير والدار \* ومن لم يظهر  
بحذقه \* لم يظفر برزقه \* فانه وان كان مضمونا \* ومن الفوائل مأمونا \* الا  
ان البركه \* في السعي والحركه \* فالبطاله عيب الانسان \* والكسل بئس  
العنوان \* وان كان ليسا مقصودين لجناك \* ولا يتمثلان ان شاء الله ببابك \*  
فان المعالي حومة وأنت فارسها \* والمفاخر روضة وأنت غارسها \* والحسن  
ذات وأنت دلالة \* والمجد عذب وأنت زلاله \* والادب جيش وأنت أميره \*

والبيان فك وأنت منيره \* والفصاحة باب وأنت مفتاحه \* والمعارف بيت وأنت  
 مصباحه \* ظهرت فبهرت العقول بلفظك \* ونظرت فأسرت القلوب بلحظك \*  
 فالمعارف والناس بين عاشق ومعشوق \* والنديم وغزيرة بين راشق ومرشوق \*  
 ان حضرت عندي فذاتك شمس السعود \* وان غبت عني فنكرك عين الوجود \*  
 واسفي على لؤم الدهر \* لا على حساب اليوم والشهر \* فانت لله الحمد في  
 غاية الرواج \* لافقر أعاذك الله ولاحتياج \* ولقد راقني وصفك الامل \*  
 وورودهم المورد النهل \* وركوبهم سرير النعم \* وطربهم منها باصفي النغم \*  
 لا زالت الافراح تخدم موائدهم \* وأيام السرور تحمد عوائدهم \* وصعاب  
 الامور إليهم مدله \* وتيجانهم بدراري سعودهم مكالمه \* وجيد أيامهم مطوقا  
 بصافي أبريزهم \* وسماء وجودهم منيرة بشمس عزيزهم \* القوة الفعالة في  
 النفوس \* والمغناطيس الجاذب نور الشمسوس \* ونسيم اللطف الذي منه  
 اوكسيجين الحياه \* وزلال اللطف الذي فيه اندوجين المياه \* والواسطة بين  
 الذات والفتوغراف \* والقوة الموصلة سلوك التلفزيون \* وميكروسكوب النظر  
 القوي والضعيف \* وبارومتر النسيم اللطيف \* عجب عجيب \* وسر غريب \*  
 اتحدنا في الفكر والعقل \* واتفقتنا حتى في النقل \* فإني لما خرجت من مصر  
 وانفصلت عنها \* وحضرت من المحروسة إلى بنها \* رأيت بركاب العاده \*  
 سليمان افندي واولاده \* فقال أريد أن تعنون بعنوان الوكيل \* فقلت حسبي الله  
 ونعم الوكيل \* فانتني أنسي \* وحياة نفسي \* ان عينت بجهة ليس بها عزيز \*  
 وفانتني من آدابه الحرز الحرير \* وما ثمرة الحياه اذا تجردت عن اللذه \* ما  
 مزية النفوس اذا لم تكن أعزه \* ولم أدر أن القصد اتحاد انتقالنا في وقت \*  
 وان صحبتك المعالي وصحبتي المقت \* ولو يدري الانسان عواقبه \* لأمن  
 عواطبه \* ولكنها أقدار تجري وفق مجريها \* واغراض أجسام نصبت لقضاء

باريها \* ومن جعل الفرقة سيفاً لجيد القرب \* ولذذ النوح للمحبين واثم التوب  
\* قادر على جمع الشتات \* وعتم افتراقنا حتى الممات \* فإني من بعد أيام  
قلائل \* ظهرت علي من السقام دلائل \* وتحيرت حيرة المديون \* ولزمت قول  
ابن زيدون

ينتم وينا فما ابتلت جوانحنا \* شوقا اليكم ولا جفت أمأقينا

شغلت بما لو شغلت به الكواكب لو قفت \* أو حل بعضه بشوامخ الجبال  
لنسفت \* أحشاء ملتبهه \* وأعضاء مضطربه \* وقلب مجروح \* ودمع مسفوح  
\* وفكر في وهم \* وعقل بلا فهم \* وجسم نحيل \* من خطب جليل \* أثارته  
داهية \* ليست بوافيه \* وما أدراك ماهيه \* نار حاميه \* لا يخمدها إلا الحنو \*  
ولا يطفئها إلا الدنو \* متعن بالله بنور ذاتك \* وأبهجني بحسن صفاتك \*  
خرجنا من هذا الباب \* الي ما هو الصواب \* ورفع الأكف الى الله \* في طلب  
ما نتمناه \* حتى ينتهي الأمل \* وينقضي الأجل \* ونحن على ما نصب \* من  
النعمة والقرب..

وكتب على لسان المرحوم السيد عبد الواحد الحريري شيخ الطريقة العنانية  
كان إلى بدوي بك شعير لما بلغه أنه فصل من وظيفته ماصورته .

نور سماء الآمال \* وبهجة رياض الصحب والآل \* ليست التهنئة على قنوم  
كل مولود \* ولا وجود مفقود \* فالمولود مجهول الغايه \* والمفقود عوده آيه \*  
بل ليست التهنئة على حصول مرتبه \* أو زيادة منقبه \* فالمرتبه يشترك فيها  
الشريف والوضيع \* والمنقبه سجية لكل ذي قدر رفيع \* وإنما التهنئة على قرب  
حبيب \* أو عودة غريب \* فبعد الحبيب يوجب الهيام \* وغيبه الغريب تشغل  
الأوهام \* وإذا واصل الحبيب احيا محبه \* وإذا عاد الغريب أزال كل كربه \*

وأنت الحبيب إلا أنك في نفار \* والغريب مع قرب الدار \* وطالما تشوقت اليك  
ادارتك \* كادت تطير اليك امارتك \* والقدر يشغلك بالوظائف \* ويحرمها تلك  
اللطائف \* فضجت إلى الله بالدعوات \* في الظهور الخلوات \* حتى تقبل الله  
منها \* وازال الاكدار عنها \* فاعادك بديراً في أفق تلك السماء \* وجعلك بركة  
في ذاك النماء \* فغنت لقدمك الاطيار \* ورقصت من الطرب الاشجار \* كيف  
وأنت بحر ضاق عنه مجراه \* ويدر لم يجد قضاءً لمسراه \* اللهم إلا أن تكون  
رتبة على قدر همتك \* وإدارة تسع عظيم سطوتك \* اذ ذاك نود من الله بوامها  
\* ونرجو زيادة الحالة وانتظامها \* وأماما تركتها فقد كانت صغيره \* والاسف  
على قوتها كبيره \* فحركة ادراكك منها أسنى \* والانس بالاهل أشهى وأهنا \*  
ولذلك بادرت بالتهنئة على فات \* راجيا من الله علو الدرجات \* فالمحب يحب  
رفعة الحبيب \* وكل أت قريب \* ان شاء الله .

وكان قد بلغه عن صاحبه عبد العزيز بك وكان قد هجرا بعضهما فكتب اليه  
هذه الرسالة وسمها

### (دفع العرام<sup>(١)</sup> بذل الغرام)

بينما أنا راكب لجة بحرالفكر \* نجد في طلب فريدة بكر \* تارة أغوص  
ومرة أسبح \* وأونة اقف وطوراً أصفح \* لايقر لي قرار \* ولايمكنني الفرار \*  
ولايقصر عن طرح شباكي ذراع \* ولايطوى لسفينتي شراع \* كلما أدركني  
العلل \* هاجت علي رياح الامل \* حتى نخلت في بحر عجاج \* متلاطم الامواج

(١) العرام : العده

\* فاقتمت هذا القاموس الصعب \* وتهت بين الجزائر والشعب \* فتعلقت  
 أفكارى بالسواري والحيبال \* ويت بليلة نجومها كواحل \* لا يرى فيها بر ولا  
 سواحل \* وقلت اشتداد الامر يستدعي ضده \* ولا يأتي الفرج إلا بعد الشده \*  
 وعينيك ما سل سيف فجرها على مفرق مساهها \* حتى سمعت بسم الله  
 مجراها ومرسهاها \* فكان من تمام حظي وسعودي \* ان تركت لجة اليم  
 واستوت على الجودي \* وانصرف خوفاً وارتباكى \* وبادرت بطرح شباكى \*  
 فإذا هي قد ملئت بأصداف الجواهر \* وعلقت بها شجرة العنبر \* فتفتح  
 الصدف عن در يستخدم الاقمار \* وفاح العنبر بما أذهب شذى الازهار  
 وصرت ما بينها كسرى الزمان له \* شمس تنادمه في مجلس عطر  
 ونلت أقصى أمان كنت أملها \* الانس في خلدي والنور في نظري  
 ولما جلوت الطرف \* بما فيها من الظرف \* ووقعت عندي الموقع الحسن \*  
 أردت أن أسومها بثمن \* فإذا هي درة يتيمه \* لا يقدر لها أحد على قيمة \*  
 فاستهديتها من ربها \* لشغفي بحبها \* وجعلت القلب لها كنزا \* والفؤاد لها  
 حرزا \* ألا وهي محبة العزيز الحافظ \* أبداع مرثى وأبلغ لافظ \* فلا تعتب أيها  
 العاذل \* فليست بالمحب الهازل \* واترك النقول \* واسمع ما أقول \* غلب  
 الوجد فلا عتب ولا ملام \* ونأي الحب فلا وصل ولا منام \* وما شكوت من سهد  
 ولا سقام \* ولا رغبت في كسب ولا مقام \* واكلتها الايام \* \* رأيت منيتي بالمقام  
 الاسني \* وقد ملك قوادى بسرته الحسنى \* فلما رأى أغصان محبتي مالت  
 اليه لتجنى \* دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى \* ثم انصرف بسلام \* \*  
 فذبلت لبعده أغصاني \* ووقفت لصدده أجفاني \* وجزت بعتبه أعياني \* وحسن  
 كلامه أعياني \* وهذه عادة المدام \* \* كلما هبت الارواح المصريه \* وخلقتنا

النسمات العطرية \* وجاءت البواخر البريه \* تحمل خلقاً من البريه \* يراني  
 الغرام \*\* فأهيم \* في الليل البهيم \* حيث لانديم \* ولا كليم \* ولا همام \*\*  
 فجسمي للهموم هدف \* والحظ قالوا صدف \* بدر في صلف \* وصب في تلف \*  
 أين النظام \*\* بعدت الشقه \* وزادت المشقه \* فأخذني الوجد رقه \* واستوفى  
 مني حقه \* بنبل وحسام \*\* دعوه دعوه \* لقوم ودعوه \* بحفظ المقام \*\*  
 وزدني ياهوى \* سقاماً وجوى \* قلبي في هيام \*\* ما شاء الله كان \* قد صار  
 في الامكان \* ان أنشىء الكلام \* قيا لفظي الوجيز \* اذا جئت العزيز \* قبل  
 الاقدام \*\* وتلطف في الخطاب \* اذا دعيت للجواب \* واحذر الاوهام \*\*  
 فمطر الاحسان \* عذب أسيره \* وانه غضبان \* وحجتي قصيره \* تاهت بها  
 الافهام \*\* وحائر التزييف \* وألفاظ النفاق \* واستعمل التلطيف \* وترج التلاق  
 \* تبرأ من الآلام \*\* واستشهد بالاشجان \* وطول الارق \* وزكها بالاحزان \*  
 ونيران الحرق \* في مجلس الاحكام \*\* واذا قدمتم اليه \* فاستسعدوا الاوقات \*  
 ولاتهجموا عليه \* في مجلس الدعوات \* خشية الزحام \* بل قفوا بالباب \*  
 واسألوا بالوزن \* فان دخل البواب \* وأتى بالاذن \* فادخلوا بسلام..

وكتب إلى محمد افندي فتح الباب على لسان الاديب البارح الشيخ احمد  
 ابراهيم الاسكندري شاكرأ له ما صنعه مع والده (ناظر الدخيلة كان ) من  
 الجميل ما صورته الكرم بالهمم فوق الكرم بالمال \* والتعاقد بالانفع لا بالال  
 فكم أخ لم تلده الام \* ودعوة سمعتها الصم \* والمصاهرة بالافكار \* خير من  
 المصاهرة بالابكار \* فالمرء بهمه يعرف نسبه \* ويحسن مساعيه يقدر حسبه  
 \* ولا يعلم السعي الجميل \* إلا في الخطب الجليل \* ولذلك سنت المدائح \*  
 للمتفضل المائح \* لاسيما اذا كان السعي للاحباب \* وظهر الخير في فتح

الباب \* فان الشكر يكون أوجب \* ويوم العودة أصوب \* ولا يشكر على الهمة  
\* إلا من عرف قدر النعمة \* وأنا ذلك العارف بقدرك \* المستضيء ببدرك \*  
العاجز عن القيام بالشكر \* المتمايل براح همتك من السكر \* وإذا لم تقم  
الافكار بامتداح الامين \* فلا أقل من الاعتراف بالتقصير \* وهذا كف المغترف  
\* به وقيم المعترف \* فإذا كان له حظ \* ولمحه منك لحظ \* ترجم عن فؤادي \*  
شكر تلك الايادي \* وحمدك أيها الماجد \* على ما فعلته مع الوالد \* وهكذا  
تكون الرجال \* اذا ضاق المحال ..

فالناس بالناس والدنيا مكافأة \* والشكر للحر نون الناس ميدان

وإذا تقول الفكر \* في بحر كله درر \* ومعنى سره سمر \* وروض حليه ثمر  
\* سماء ما غاب لها قمر \* فانك كوكب افق الاناره \* ورب سرير الاماره \* فقد  
طالعت من كتاب والدي ما أثار انساني \* وأعجز لساني \* فحررت هذه  
السطور \* شاكرًا سعيك المبرور \* إلا أنها بلسان الامكان \* لا بقلم التبيان \*  
وفي طيها الود والوفا \* وسلام على عباده الذين اصطفى \* وإلا قلو ألزمت  
فكرتي مدحك بالحثم \* لاستحالة عليه الانتهاء والختم .

وزار يوماً منزل المرحوم محمد باشا سيد احمد بشبري مع المرحومين  
السيد عبد الواحد الحريري والسيد محمود العكام فلم يجده ولكن وجد هناك  
ولده حسين بك حسني ومعه الشيخ سليم عمر إمام مسجد القلعة فيبعد  
المسامرة ساعة عرجوا جميعاً على المدرسة والبستان ورأوا ما فيه من  
اللطائف والقصور المزخرفة بجميل الظرائف ثم خرجوا بعد القروب فكتب له  
رسالة ومنها قصيدة دالية ابتدأها بمدح السيف ومطلعها

سبق الجياد إعانة المستجد \* وجلا السيوف اغانة المستجد

أما الرسالة فهي ( نجوم الليالي \* في عقود اللالي )

ما شاء الله كان \* وصار في الامكان \* فترقت له الهنم العاليه \* لرشف  
كنوسه الخاليه \* بعقها الوافي \* وفكرها لصابي \* فالعقل لايتصور إلا ما يراه  
\* من صنع براه \* وإذا وصل الغاية وقف \* وسكت عن السير وكف \* وقال  
ليس في الامكان \* ابداع مما كان \* ويحمد الله على ما أوصله إليه \* وما  
تفضل به من الاحسان عليه \* ويصلي على ضمير غيبه الظاهر \* ونور سره  
الباهر \* سيدنا محمد بن عبد الله \* وآله وصحبه ومن وآلاه \* حتى اذا خرقت  
الأقدار العادات \* وبرزت شمس السعادات \* تحلى الوجود بآياته فوق تلك  
الغاية فيرمقها العقل بعين التدبير \* ويعرضها على فكر التعبير \* فيراها  
شمساً لايجبها سحب \* ولا يعترها اياب \* فيستظل بظلها الوارق \* وينظم  
في سلك المعارف \* وهكذا في كل آن \* يمتد ساعد الامكان \* فيعد وينجز \*  
لايفتر ولايعجز \* بدليل نص الكتاب المعجز الوجيز \* ان يشأ يذهبكم ويأت  
بخلق جديد وما ذلك على بعزيز \* فقد فتح كنوز سره لقوم يعقلون \* بارشاد  
قوله ويخلق ما لا تعلمون \* فكلما تعلقت به الارادة التي لايعترها سكنون \*  
طلعت عليه شمس كلمة كن فيكون \* وهذه كلمة واحدة كان بها الوجود أسقله  
وأعلاه \* ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمد من سعده سبعة  
أبجر ما نغدت كلمات الله \* وحجة العقل المستكمل الادوات \* يوم تبدل الارض  
غير الارض والسموات \* وهذه نعمة من نعم العزيز الغفار \* وان تعدوا نعمة  
الله لاتحصوها ان الانسان لظلم كفار \* وخالق الارض والسماء \* يزيد في  
الخلق ما يشاء \* لايعجزه شي \* ولايلحقه طي \* ولايعتره حصر ولا عي \*  
ولايطلق عليه ظمأ ولا ري \* ولايخفى عليه ميت ولا حي \* ولا تنفعه طاعة

ولا يضره غي \* فعبارة ليس في الامكان \* أبداع مما كان \* بالنسبة لحد  
 الافهام \* وقصور الاوهام \* لا بالنسبة لتعلقات الاراده \* ورفع القدرة نقاب  
 العاده \* الا ترى انا قطعنا بالياس \* من عود فطنة اياس \* ولوينا اعنة الجياد  
 \* عن حومة نكاه زياد \* وقطع علينا ثعبان \* طريق خطب سحبان \* وحرمنا  
 كل قائده \* من بلاغة ابن زائده \* وتكرر كل حي \* بموت حاتم طي \* ومات منا  
 مدنف \* بطلب حلم أحنف \* وعدمنا الحظ ونقله \* بذهاب ابن مقله \* وفاتنا  
 الانشاء البليغ المفيد \* بموت ابن العميد وعبد الحميد \* وتفتتت في طلب الأدب  
 الاكباد \* فلم تترك الفتح ولا الصاحب ابن عباد \* وقد حرنا حيرة المديون \* في  
 معارضة رسالة ابن زينون \* وأسف كل الملا \* على حفظ ابي العلا \* وقبضنا  
 في شرف الانفس الجمر \* طمعاً في هيبة ابي عمرو \* وكم اصبحت الفرسان  
 بعقل خرب \* من الفكر في شجاعة ابن معدي كرب \* وعجزنا عن القول المنبي  
 \* من حكم وأمثال المتنبى \* فرفعت القدرة حجاب الاوهام \* وفتحت للفكر باب  
 الافهام وأطلقت العقل من عقل العجز \* وفكت عن مقدماته عقود الحجز \*  
 وأطالت همته القصيره \* وايدته بنور البصيره \* ثم أتمت له اللذات \* وجمعت  
 له هؤلاء في ذات

وليس له بمستكر \* ان يجمع العالم في واحد

روض الأدب المثمر \* وفك البيان المقمر \* وبحر البديع الوافي \* وجو  
 النوق الصافي \* ونور شمس الصفاحه \* وحسن بنور السماحه \* مستأسر  
 الدنيا بوجوده \* وممتطي العليا بوجوده \* ومستخدم النفوس بحسن اخلاقه \*  
 وفتح باب الانشاء بعد اغلاقه \* المفرد العلم \* رب السيف والقلم \* الذي  
 تضاعفت به المحامد فعرف بمحمد \* در كنز الفضل سيدي أحمد \* بليغ ان

تتاول قلمه تسابقت اليه البدائع \* فاستخرج من اصداف لائنها الودائع \* همام  
لو توجه للسماك بهمه \* لبسطه المعالي تحت اقدام وطائه \* بحر اذا ورده  
العالم حالة الجذب \* صدر وهو عاجز عن القيام باعباء الخصب \* بدر تهتدي  
به العقول \* في ظلمات المعقول والمنقول \* سيف لا يثلم حده \* ولا يعالج حده (١)  
\* غيث أنتبت أغصان السعاده \* واثمر أفنان السيادة \* أمير تتحلى به المعالي  
\* تحلي العقود باللكي \* مجيد تميل له المعاني \* ميل النفوس للأماني \* عذب  
اخضر به روض الجود \* واثمر برية غصن السعود..

من يدعي موت الألى سبقوا وهم \* أحياء جميعاً في صفات محمد

راجت به بضاعة الألب \* قوفد عليه الناس من كل حذب \* وتشرفوا بمقامه  
العزيز \* وهو يجيز كلا ويجيز \* فكم أعطى سائلا \* واقتي سائلا \* وأظل قائلا  
\* وأجاز قائلا \* وسوى عائلا \* وأغنى عائلا \* وسقى ماحلا \* فاحيا ما حلا \*  
وأجاد كلاما \* وأبرأ كلاما \* ومنح قريبا \* ووصل قريبا \* وحسن أسفارا \*  
وأحسن أسفارا \* ورفع أعلاما \* ونفع أعلاما \* وأعظم برأ \* وعظم برأ \*  
ونظر حبرا \* ونضر حبرا \* واغاث مستجدا \* ورود مستجدا \* .

وكم له من أياد ليس يخلقها \* مر الدهور ولاتنسى مدى الزمن

وطالما تعلقت مني الآمال \* بمقابلة بدر الكمال \* والدمر يبعثني \* والحال  
يقعدني \* والحياء يمنعي \* والهيبة تدفعني \* وأدبه يناديني \* وحظي يعاديني \*  
\* وبلاغته تجذبني \* وعيي يكذبني \* وقصوره ترمقني \* وقصوري يسبقني \*  
\* وحسن خلقه يقربني \* ويؤس زمني يغربني \* وأنا أشرب الأمور غصة فغصه \*

(١) لحد القطع

حتى اغتتمت من الزمان فرصه \* وسرت لمقامه الشريف \* ومقامه المنيف \*  
 مع افاضل امجاد \* وكواكب اسعاد \* فسبقني حظي بفرسانه \* ولم أجده  
 ببستانه \* إلا اني وان حرمت بره \* فقد صادفت سره \* كوكب صبح البيان \*  
 وشمس سماء الاحسان \* مجري جياذ فكره في ميدان الآداب \* ورامي سهم  
 نباهته في محور الالباب \* أسر المعارف بفكره \* ومطلق الاسن بشكره \* من  
 عاذه به الادب من الاغبياء وقال اغثنى \* نجل الجضرة المكرمة حسين بك  
 حسني \* فسامرنا برفائقه \* ونادمنا بدقائقه \* واسعدنا بجوده \* ومتعنا  
 بوجوده \* وتلا علينا من الآداب آيات \* فكانت الدعوى للمتتبي واحسين  
 المعجزات \* فعلمنا ان الولد سر ابيه \* وغير غريب نجيب من نبيه \* وفي اثناء  
 اقتطاف ذاك الثمر \* واقتباس نور هذا القمر \* وتفضل علينا المولى العليم \*  
 حضرة الاستاذ الشيخ سليم \* ومتنعا بمشاهدة بعض الآثار \* ما تلالا فيها  
 من الانوار \* قرأيت ما لوراه العاشق لسلا \* او الصبر لعلاب \* او المحزون  
 لسر وفرح \* او السائح لوقف وما برح \* بل لو علمها من قبل قوم عاد \* تركوا  
 عمل التي لم يخلق مثلها في البلاد \* من روضة هي الجنة \* حيث لاكفة ولا منه  
 \* تحلت بازهار ابهى من الاقمار \* واقمار تنهيد الاعمار \* وغصون يلاعبها  
 النسيم \* فتقبله بثغر بسيم \* ان غضب مالت تقبل قدمه \* وان سكن قامت  
 تشابه خدمه \* تارة يغني فتميل طريا \* وساعة يهيج فتود هريا \* رأتها  
 البلابل مأمنا \* فاتخذتها مسكنا \* وغنت تعارض النسيم في نغماته \* وصاحت  
 طريا من رقة حركاته \* والازهار تطيب ثغورا \* وتضحك سرورا \* والاوراق  
 حازت الشرف الأكبر \* فليست من رقيق الديقاج الاخضر \* وكلما سكرت  
 الاغصان من شراب الانهار \* تنقلت بالثمر وقيلت الازهار \* وقد كشفت عن  
 حسنها نقابا \* وكتبت مع النسيم كتابا \* انه متى صح وطاب \* وبريء من

الاوصاف \* قابلته بالملابس الرسميه \* وسكرا من الخمور الوسميه \* وأباحث  
 حسنها لكل واصف \* وعذب نهرها لكل راشف \* وزهرها لكل خاطف \* وثمرها  
 لكل قاطف \* فان اعتل مزاجه \* وطال علاجه \* تجردت من حليها ولأليها \*  
 وتغيرت على أهلها ومواليها \* أسفا \* عليه \* وشوقا اليه \* ومتى أحسن الحكيم  
 حاله \* قابلته بتلك الحاله \* فهي وهى بجزوع \* وهو بجزوع \* ومدرسة بكل  
 بديع حسن موصوفه \* فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعه ونمارق مصقوفه \*  
 سقفها أدب \* لآخشب \* وأرضها انبساط \* لا بساط \* وفرشها احسان \* لا  
 أقطان \* ونقشها علوم \* لارسوم \* أساسها بيان \* لا بنيان \* تحلت يولدان \*  
 لا غزلان \* صبغار كبار \* عندهم الكبار صبغار \* من زيادة الاداب \* لا من  
 نقص الالباب \* قد جرد كل سيف ذهنه وقام به يسطو \* وأباد مادونه اقليدس  
 وارسطو \* حيث لم يجدوا فيه حلوا يجني \* ولا لطيف معنى \* وتلاعبوا  
 بمخترع المعاني \* وحلوا بها المباني \* وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين \*  
 من طعام وشراب ولباس وأسن \* ومعلموها الاعلام \* قد نكت منهم الافهام \*  
 وسهلت أنواعهم \* وعظمت أخلاقهم \* وحسنت سيرتهم \* وطابت سريرتهم \*  
 فهم أدرى بكل منقبه \* وأجرى بتلك المرتبه \* وقصور \* عاقنى عن وصفها  
 القصور \* قصور عدم الاطلاع \* لا قصور الباع \* وهبني اطلعت على باطنها  
 \* ودخلت كل مساكنها \* هل يمكن لسانی \* أن يترجم عن انسانی \* فان  
 الانسان بسيط الطبع \* واللسان مركب الوضع \* والبسيط لين المريكه \*  
 والمركب عبارته ركيكه \* وهيه مد للإنسان أشراكه \* وتخلص من تلك الركاكه  
 \* فما عساه أن يقول \* اذا لم يستصحب معه النقول \* غاية ما يقوله من  
 الابتداع \* وسلامة الاختراع \* قضر بنته المعالي \* بحر اللآلي \* على هندسة  
 السمعد \* ورسم المجد \* وشيده الانس \* بسرور النفس \* ونقشه البدر \* بنور

ليلة القدر \* وقرشته الاماره \* ببسط الاناره \* وملاه الحبور \* بكراسي  
السرود \* وزينه الانشراح \* بسرر الافراح \* وهياه الصقاء \* بأواني الشفاء \*  
وفيه بدور مدى الدهر لا ياقلون \* وحوور عين كامثال اللؤلؤ المكنون \* وتتوره  
نوات الوقار \* لاشمس النهار \* وأمير الشجعان وقت الهجوم \* لا بدر السماء  
والنجوم \* خادم اهله عفه \* ومنادمهم الفه \* وحاجبهم عصمه \* وما بهم  
وصمه \* لباسهم ثياب الجلال \* وجليهم عقود الاقبال \* وشرابهم سلاف  
التهاني \* ونقلهم مصداق الاماني \* وطربهم رنات اللاكي \* على غصون  
المعالي \* وتفكههم بظهور ليلة القدر \* من بين الجيد والصدر \* يتمتع بها بدر  
سما سعودهم \* ونور شمس وجودهم \* فهل هذا يقوم بوصف ذك الايوان \*  
كلا فقد أدرك الحصر اللسان \* وعاقه عن الحقيقة الاعجاز \* فالتزم المجاز  
والايجاز \* ولما انتقض عقاب من العي على فكري ونسر \* وعجز اللسان عن  
وصف ما رآه بالنتثر \* عدلت عن الوصف إلى المدح بالنظم المقفى \* لعل  
أسامح على التصيير ومن جرأتي أعفى \* وعسى أن تهب نسمة قبول \* فيقعا  
موقع الاستحسان والقبول \* فقد ابتدأت نثري بمشيئة القدره \* وحشوته بما  
يعرف قدره قدره \* فناداني لسان المتأدبين في الختام \* تحيتهم يوم يلقونه  
سلام \* فأنهم ما وصلوا مقامه إلا خرجوا شاكرين داعين \* وآخر دعواهم ان  
الحمد لله رب العالمين \*

وكتب إلي صديقيه الفاضلين محمد افندي كمال واحمد افندي علي رئيس  
 قلم المبيعات بالدائرة السنية حالاً وهما اذ ذاك بالمنصورة وهو ببلدة اسمها  
 بنواي من اعمال الدقهلية وقد أكثر عليه اللوم في عدم التحرير اليهما ما صورته  
 روى الواله بن الولوع \* عن الساكن بين الضلوع \* انه استخدم الناظر  
 والانسان \* في نقد كل إنسان \* واستعمل رجليه في جوب الاويه \* وبنيه في  
 نقل احاديث الانديه \* فالعقل لاه عن نعت الاكياس \* والفكر مشغول بنقد  
 الاكياس \* والجسم دخول ووج \* لم يترك نادياً بلا ووج \* وكلما نفقت عير \*  
 نبا على عير \* فهو جواب سائح \* قناص لكل سائح \* زاده من مزوده \* وحدته  
 من مروده \* وريه من سقاه \* لا من دلاء السقاه \* وصرفه من كيسه \* نون  
 كيسه \* ومأواه حجرات الأجر \* لابيوت عجر ويجر \* ان دخل مجلساً فبنزاهة  
 \* وأن ابدى بدائع فعن بداهه \* وان نقل فعن صحيح \* وان اسند فالى صريح  
 \* وان سأل أوجز \* فان سئل أعجز \* وأن انشد اطرب \* وان مدح اطنب \*  
 وان وعظ سحر \* وزال الوحر \* وان تفرزل خلب القلوب \* وان الف اظهر  
 الغيوب \* يقطف زهر كل فن \* ويقتمح لجة كل فن \* ويردف المسائل \* بانشاء  
 الرسائل \* بذهب سائل \* لكل سائل \* ويستكثر الاخوان \* بدراري وخوان \*  
 حتى كثرت في الناص أخلاه \* ولم يكن عن أخ لاه \* ثم مال بزورق السباحه \*  
 ومطية السياحه \* الى بندر المصنوره \* دعته إلى تلك الدمن صوره \* وجال  
 فيها جوله \* ورأى البندر وما حوله \* ثم سأل عن أنديه الآداب \* ليتعرف بنوي  
 الألباب \* فدل على شرنمة قليله \* سليله جليله \* فهول اليها هرولة طامع \*  
 وجرى اليها جرى خامع \* فالفاها سماء مكارم \* وينور أكارم \* وشموس  
 ابتكار \* وخذور أبكار \* ونجوم ليالي \* وعشود لآلي \* لايفارقهم منادم \* الأ  
 وهو على النأي نادم \* لما لهم من حسن الطويه \* وغرابة الرويه \* قطرب طرب

حَاطِب لَيْل طَائِر لَا يَسْكُن اللَّيْل كُلَّهُ

المتلثم \* وايدى سن المتبسم \* وقال حسبي هؤلاء من المدن والقرى \* فكل  
 الصيد فى جوف الفرا \* فعاهدهم عهده \* واخلصهم وده \* وانتدب منهم اثنين  
 لأنسه \* وسرور نفسه \* وتصادق معهما صدق القطا \* وتلاصقا مودة لصق  
 الغضا \* إلا إن الدهر القدار \* لم يرض له قرب الدار \* بل سلك به الطريق  
 الغريب \* ومنعه من يجب وقربه \* فهما فى واد وهو فى واد \* وهو منفرد وهما  
 بناد \* يتسلى بالبكاء \* وصوت المكاء \* ويترنم بالنوح \* لفقده الروح لا الروح  
 \* ويتشاغل عن اللذة \* وسوء البرزخ \* بذكر من يهوى \* وحسن ما يروى \* لا  
 يرى إلا بعران اليعملات \* ولا يسمع الاسفاسف الخزعبلات \* من قوم  
 يحتاجون لترجمة السلام \* فضلاً عن الكلام \* قلوبهم غلف \* والبستهم قلف \*  
 وصورهم أفضع من صورة نعش \* وطباعهم أغلظ من طباع وحش \* مشائين  
 همازين \* غمازين لمازين \* أشد نقاقاً من ناققاء اليربوع \* واشأم من أربعاء  
 الاسبوع \* وأبكى من عيون ينبوع \* وانكى من وقوع متبوع \* واغدر من أم  
 عمرو \* واحرق من لهب جمر \* واجشع من تميمى رأى مأذبه \* والام من نوبى  
 بلغ مأربه \* وأشح من مغربى جاع غلامه \* وأظلم من ليل حملك ظلامه \* أطمع  
 من طالب النحل مع المحل \* وأحمق من سائق الرحل إلى الوحل \* واتعب من  
 حبلى حملت صخرها \* وأرذل من خنزير طلب قخرها \* أهر من كلب ضرب \*  
 وأفرغ من كاس شرب \* وأجهل من ذباب رأى حلوى \* وأعوى من ذئب حلت به  
 بلوى \* وأحزن من يهودى وقعت دراهمه \* وأبلد من جمل نقت مناسمه \* وأذل  
 من قلب رشق بطرف كحيل \* وأبعد عن الحق من وقوع المستحيل \* عالمهم  
 أضل من إبليس \* وصالحهم بائى التدليس \* ولولا بدر أميرهم ويدرهم \*  
 وحاجته إليهم وعزده \* لسود وجه النهار بهجاهم \* وأنترع ببئيل القول حجاهم  
 \* فإنهم عن الضلال لاينفكون \* قاتلهم الله أنى يؤفكون \* إلا أنه متى استعاذ  
 من تلك الحمير \* برقة هذا الأمير \* وتروح بمسامرة أنجاله \* نقه من سقمه  
 وأوجاله \* وعاد له ما فقد \* وإن لم يكن فقد فقد \* وإن اغتتم فرصه \* لمداواة

الفصه \* ترك القرية المحصورة \* وتوجه الى المنصوره \* ثم اهتدى بالقلب  
والعقل دليليه \* الى حسن مسامرة خليله \* ثم يعود والفكر زمامه \* والههم  
امامه \* وطالما تعلقت آماله بالمخاطبة الخطيه \* والدهر ينوده بالرماح الخطيه  
\* حتى قال خليلاه \* انه خلى لاه \* فلما طال عليه الامد \* وتمطى من فتور  
الكمد \* قام يجر رجله \* قاصداً خيل البديع ورجله \* فلم تطاوعه لخير لزمها \*  
من طول ماضمها \* فجلس جلسة مقعد \* على سطح مقعد \* وكتب ينثر عذر  
الاباء \* وان كان المنتور من الهباء \* ريشما أخذته رعدته واهتز \* وابتدأ كلامه  
بقول ابن المعتز \*

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا \* إن برّ فيما أتى في القول أو فجرا  
فقد أهلك مكن يرضيك ظاهره \* وقد أطاعك من يعصيك مستترا  
استغفر الله من العصيان لا بل تصوره \* وأعوذ به من تهول الدهر وتهوره  
\* فإنه ما فوق سهم الاغتراب \* حتى أمرضني ضني بسهم الحراب \* ولا  
منعني سيف غدره \* حتى ضمعتي الهم لصدره \* وشغل الفكر عن أغراضه \*  
واستعمل الجسم في أمراضه \* حتى غفلت عن الاخوان \* وتغافلت عن الخلان  
\* ونام الفكر نومة عتود \* ومال الذهن ميلا رقاد \* وضل العقل طرق الغرائب  
\* حتى صار إحدى العجائب \* وما زالت الغفلة تزداد \* والكسل في ترداد \*  
حتى توجه إلى اللوم \* على الإفراط في النوم \* من سيد ماجد \* ومفرد واحد  
\* غصن ثمر الآداب \* وثمر روض الألباب \* حليف الصفاء \* وخذن الوفاء \*  
سر الفضائل ومعناها \* ويحرر المكام ومعناها \* سليل الجود \* ظلليل السعود  
\* الطالع في سماء المروعة بدرا \* والمرتفع على صدر المعالي قدرا \* الزامى  
إلى المحاسن بسهم أغراضه \* المسبل على العورات ثوب أغراضه \* من الفته  
البلاغه \* فاحسن حديثه ويلاغه \* وغازل الأدب والفصاحه \* حتى عرف  
بالفضل والسماحه \*

من كمل العليا بحسن صفاته \* حتى تجلت في صفات كمال

نجل الأمير محمد بنر الوفا \* نور العيون وحسن كل جمال  
 ومن يبيع الزمان \* وبلغ الأوان \* روح نوح النباه \* وراح راح الوجاهه \*  
 طراز حلية البداهه \* وجليه طراز النزاهه \* باسط بساط الأدب \* لمن ذأب \*  
 ويأذل رضاب القلم \* لمن ألم \* ومظهر نتائج الحكم \* لمن حكم \* صائد  
 القريض \* بالباع العريض \* وجامع الأجناس \* فى أنواع الجناس \* دافع  
 النكايه \* بالكنايه \* وقاتح مجاز \* كل مجاز \* وجاعل اللفظ حديقه \* لاغصان  
 الحقيقه \* وكاشف طلاء التمويه \* عن وجه التشبيه \* ومنور وجه الفسق \*  
 بحسن النسق \* وكم أبداع والف \* فى النشر واللف \* فحسن الانسجام \*  
 للانس جام \* الشاب الذى طلع فى سماء الآداب بدرا \* وجلس فى نادى البيع  
 صدرا \* أحمد الناس حقا \* وعلى القدر صدقا \* فهل للنهر مجارة بحرين \*  
 أو للنجم معارضة بدرين \* فاقول ما لا يبتدع \* والحق أحق أن يتبع \* أنى  
 مقصر فى الجدمه \* واست ناقضا للذمة \* مغترف من الإهمال بذنوبى \* مقر  
 لخليلى بذنوبى \* ملتمس من كل عفوه \* وغفران هذه الهفوه \* قسهام لوهم  
 للنديم مسمومه \* وسيوف عتبهم فى الصميم مشمومه \* على أن التقصير ليس  
 من شيمى \* ولاصيب الإهمال من ديمى \* فإن عذرى أظهر من النهار \*  
 وأشهر من النهار \* خالفت وقد نهيت \* قلبيت ودهيت \* بحرب الدهر \* وجلاء  
 الظهر \* فأتا راجل وهو فارس \* وأنا مجديب وهو غارس \* ولو ساعدتني  
 الأقدار لهزمته \* وعلوته وهدمته \* ولكنه شب عن الطوق \* وتجرد الريف من  
 النوق \* واحتوشنتي الأحزان \* واسكنتني الاجران \* وأعادنى الدهر البطين \*  
 إلى الماء والطين \* اصطبغ بهائم \* يسوق البهائم \* يستطلع بدور الأتوار \*  
 من خلال مياعر الأتوار \* ويروى أعراب القاموس \* عن عراب الجاموس \*  
 يسبح الله بالرخو \* ويقول دين الله رخو \* وينكر الثور نهاره \* ويصلى بلا  
 طهاره \* ويعبد المحراث حق العباده \* ويجعل الناس ملجأه وعفاده \* ويقول  
 حسن نافي \* لنوى نافي \* إن كسرت لمحراثه ريشه \* تنفصت عليه العيشه

\* فإن عدم لثوره نواسه \* قال ضاع زمام الرأسه \* الشريف فيهم اللواط \*  
وتسبه ينتهى إلى سخام ابن حواط \* لهم وقائع فى الدين \* كوقوعهم فى الطين  
\* وان اختصموا فى فحول \* يرجعون إلى جهول \* ما سمع آية من قرآن \* ولا  
علم حقيقة الأديان \* نبذ كتاب الله وراء ظهره \* واشتغل بالضلال فى سره  
وجهره \* جعله القاضى نائبه \* وسلطه على البلد نائبه \* اجتمعت عليه مره \*  
فوجدته فى عيشه مره \* ينهاه الكحل من الأجفان \* ويخطف الثريد من الجفان  
\* إن جاءت طالق بالثلاث \* خلط فى الألفاظ وعاث \* ونص فتواه \* الشبيهة  
بنجواه \* فى مذهب القمام \* البراقة كالحرام \* والزوج قد قذنب \* وصار عليه  
قرن \* وعشرة قشلاق من الديس \* وعقدتين دريس \* وقفتين تين \* وقرصين  
جبن \* والمرقة بعد الحيض \* عليها مرجونة بيض \* وقالب زبده \* وطاقيه  
ولبده \* وصارت رادون \* بعد ما كانت طالقون \* والله قعلم .

أما يوم السوق \* فإنه يلبس ثياب الفسوق \* شال مسخمت \* وزعبوط  
مشرط \* وسرمة مقطعه \* وقطعة طريوش مرقعه \* إن سمع رجلا يحلف وهو  
مظلوم \* يقول ثبت عليك المعلوم \* وقرقوريتين بطيخ \* وحتوتين فسيخ \* قدبا لك  
وعبره \* كما قفتى به الشيخ عبره \* .

### (الساق على الساق \* فى مكابدة المشاق)

وهى حكاية حال فى شكل مراسلة بعث بها إلى بعض أصدقائه يذم إليه  
الدهر ويشكو من ضياع الأدب بين أهليه .

متى أدرك الحظوظ وهى سابقة \* وكيف أجارى الخطوب وهى لاحقه \* وأين  
السرور فقد أعيانى الطلب \* ومن لى بالنصر على الهم وقد فاز بالقلب \* تالله  
أن الشجاع فى هذا المضممار جبان \* وقل أن يفوز مقتحمه بأمان \* هذا أن  
صحب من مضارعيه قوما \* وجال فيه ساعة أو يوما \* فكيف بمن فرته حوافر  
الجياد \* فرى المعاول للجمامد \* وطارت به أسنة الرماح \* طير الغبار فى  
الرياح \* وسكرت الهموم بدمه وتنقلت بأضراسه \* بعد أن افترشت جلده

وتروحت بأنفاسه \* وحقك أن هذا لهو الميت \* لا من انتقل للقبور بعد البيت \*  
فظلما القبر أبهى من شمس الأحران \* ووحشة وحدته أهون من بعد الإخوان  
\* كيف وهناك العمل نعم الجليس \* وهنا الأمل بنس الأئيس \* كم غر عاقلا بما  
صور \* وارتقى حصون الفكر وتسور \* وعاث في رجال الرأس بسطوته \*  
وهجم على حفظة القلب بقوته \* واستصرخ كل أمير لسماح خطبته \* بعد نزوله  
عن عظيم رتبته \* فأنجابه الامراء والبايع \* بلزوم السمع والطاعة \* ثم ارتقى  
منبر التخييل \* وعدل عن أوامر التنزيل \* وصور لهم أن الحق ما يقول \* وأن  
الشرع ما تركته النقول \* وأن الهوى سبيل الرشاد \* وهدى الهدى أمام  
الفساد \* ومن تقيد بالشرع زلت أقدامه \* ومن تبع الآمال رفعت أعلامه \* ومن  
سارع إلى الخيرات هلك \* ومن تدرع بالمضرات ملك \* ومن اشتغل بالعرف  
باد \* ومن استعمل العنف ساد \* ومن ركب المعاصي تمت لذاته \* ومن سعى  
إلى الطاعات تشوهت ذاته \* ومن لزم الأدب حقر \* ومن عرف بالوقاحة وقر \*  
ومن أم المحامد سات أحواله \* ومن تكلم بالقبيح سمعت أقواله \* ومن أصلح  
بين اثنين حان حينه \* ومن أفسد متحايين قرت عينه \* ومن اعتزل الناس لزمته  
الندامة \* ومن حاصن معهم صحبته السلامه \* ومن اتصف بالبشر قرت الناس  
منه \* ومن عرف بالعبوس رويت المحاسن عنه \* ومن جالس العلماء بارت  
تجارته \* ومن سامر الجهال ظهرت إمارته \* ومن عاشر الأشراف سات به  
الظنون \* ومن خدم الأوباش رمقته العيون \* إلى آخر ما افتراه واخترعه \*  
وغاص بحر الخداع وابتدعه \* حتى اختطف نور العقل اللامع \* وشوش فكر  
كل سامع \* ثم نزل وقد حفت به الرجال \* حتى ضاق عليه المجال \* وهو يقول  
ثرة العلم العمل \* \* فلا ترعوا مع الهمل \* ثم أظهر لهم الوقار \* وودعهم  
وسار \* فاشتغل القوم بلغظه \* وإطنابه ووعظه \* حتى سرى في الدم والعروق  
\* وأخذت شمس الضلال في الشروق \* فجدوا في السير خلفه \* ولم يجدوا في  
السعي كلفه \* حتى أدركوه بمدينة الشهوات \* وهو يخذع من فيها بتلك

الدعوات \* فحياهم بأحسن تحية \* وزادهم مقالة وعائليه \* ثم اجلس عن يمينه  
 الفكر واللب \* وعن يساره الصدر والقلب \* وقال لهم أنتم أمناء سرى \* ولكم  
 خالص برى \* فهلما إلى ما به أمرتم \* وأن تتجحوا أجرتم \* فقاموا فرحين  
 بالوظائف \* مسرورين بهاتيك اللطائف \* وسلخوا طرق الضلال المخيف \*  
 وتركوا سبل الرشاد المنيفة \* فخاب السعى \* واستحقوا النعى \* حيث تاهت  
 الأفكار \* واشتد عليها الانكار \* وضلت العقول \* فنسيت النقول \* وضاق  
 الصدر \* بظلمة الغدر \* وركب على هام القلب طائر \* فهو كالمجرم ولهان  
 حائر \* والعين تعتذر إلى الأذان \* والاعضاء تقول أينا المدان \* فبينما هم فى  
 جدال ونزاع \* وقد فشا الخذلان بينهم وذاع \* وإذا بالأمل يناديهم وسط ناديهم

أى فضل لصرفة الآداب \* بعد سلبى لحكمة الألباب  
 قمت فيكم بكل زور خطيبا \* مصلت السيف كاشر الأنياب  
 فاتبعتم وقادكم من بدعى \* حسن قول يزف بالإرهاب  
 ليت شعرى إذا ضللتكم بقولى \* كيف تلتهم مفاتيح الأبواب  
 كل أمر يراد نون سبيل \* لارتقاه فذاك عين تباب  
 أى خمر ينال عرش عقول \* أن رمته معارج الأكواب  
 لو وعيتم أوامر الحق عفتهم \* حسن قولى وندقة الأعراب  
 لكن الليل أن أتى بدجاءه \* سيود الكون كفه بخضاب  
 والقضا الحتم أن يحل بقوم \* حول العقل عن سبيل الصواب  
 فعرفه القوم \* وابتدروه باللوم \* فاطرق اطراق مدير \* ثم قال بلسان معبر  
 \* كفوا اللوم \* أيها القوم \* فإنى منكم واحد \* وعليكم واجد \* وقصدى  
 بوغضى النفع \* لا ما يوجب الصنع \* وحيث كانت أقوالى مذمومة \* ونبال  
 وعظى مسمومة \* فاعرفوا قدركم \* وخذوا حذرکم \* وعودوا لما كنتم عليه \*  
 وما تتسبون الخير إليه \* ودعوا أقوالى عنكم \* فسأنتظر ما يكرن منكم \* وهذه

حالة الأمل فى كل وقت \* ولا ينشأ عنه إلا المقت \* أنعم به إذا كان فى الله \*  
 وجرى فى الخير وما والاه \* فإنه يكون محمود العواقب \* مأمون العواطب \*  
 ولكنه عشق النفس فأسر \* وسمع أمرها فخرس \* وقد كنت فى صغرى أذم  
 هذه الأحوال \* وأقول كيف تقع الناس فى هاته الأحوال \* وأنا إذ ذاك عاشق  
 معان لا مغانى \* وشارب عذب أوان لا أوانى \* أتغذى بنكته \* وأتروح بسكته \*  
 وامشى خطبة خريده \* فأحظى بوصل فريده \* وأمسى تحت ظهر فكر \*  
 فأصبح على صدر بكر \* حيث لا حجاب لهذا الحرم \* ولا مانع لذاك الكرم \*  
 فن مللت وصال الحصان \* وسئمت من خمر الدنان \* ملت إلى البساتين  
 والأنهار \* وتمتعت بقطف الأزهار \* مع رفقة هم النجوم بل البذور \* عليهم  
 راحت الأنس تنور \* وطارحنا النسيم بالرقائق \* وقابلنا الجنار بالشقائق \*  
 وحرصنا الورد فقام بشوكته \* وقابله الياسمين فمال لرقته \* وإن مد لنا  
 المنثور كفه \* قطعنا أذنه وأنفه \* والنرجس خفير علينا \* ناظر بعينه إلينا \*  
 والأشجار تمطر الأثمار \* والأقمار تنهب الأعمار \* فنحن فى تيه الحلو بالحلوى  
 \* لا تيه المن والسلوى \* نتناشد المعانى \* بجميل الأغانى \* ومنتظم الجواهر  
 فى فرائد البحور \* على قلائد النحور \* وننثر الدر على بساط الزهور \* فى  
 صفاء الدهور \* خمرنا السرور \* وكاسنا الأجور \* وتقلنا الصفاء \* وحاننا  
 الوفاء \* وبشادينا الطرب \* ونديمنا الأدب \* نعريد من أبتكار الأفكار \* بلا انكار  
 \* ونقطف ورد الخدود \* بلا حدود \* حتى إذا ملت النفس من الراحة \* وحسن  
 لها الأمل السياحه \* جبت القرى والمدن \* طورا بالوابور وطورا بالبدن \*  
 وانتظمت فى سلك التلفراف \* وامتزجت بالأوياش بعد الأشراف \* فضعف  
 يقينى \* ولم أجد من يقينى \* فإن أغلبهم سكارى \* وكلهم حيارى \* لا يعرفون  
 الهدى \* ولا يتركون الردى \* أعبدهم من إذا رأى الخمر هام \* فلا يرد إلا  
 بالجام \* وأصلحهم نواسى العمل \* وأقنعهم أشعبي الأمل \* لا يركعون ولا  
 يتصدقون \* ويحلفون ولا يصدقون \* ولا يرون عيبا فى فحش \* فهم أغلظ طبعا

من وحش \* أن خدثوك كذبوا \* وأن وعدوك هربوا \* وأن أنتمنتهم خانوا  
وسرقوا \* وإن هديتهم ضلوا ومرقوا \* كم قمت فيهم خطيبا \* وأسمنتهم وعظا  
رطيبا \* وتلوت عليهم أحاديث وآيات \* ومواعظ وحكايات \* فلم يزدانوا إلا  
تفورا \* ولم يحفظوا إلا كفورا \* وقد أعيانى رد هذا الخطب \* حتى ذبل غصن  
يقينى الرطب \* فكاد طبعى تسرقه تلك الطباع \* وتجزى به فى كهوف الضياع  
\* فقد خضت معهم فى حديثهم اللغو \* وأبست ثياب اللعب واللهو \* فما طلبت  
واعظا إلا لقيت شبه شيطان \* ولا قصدت صالحا إلا رأيت سكران \* ولا أردت  
مؤدبا إلا وحدت فظا \* ولا رمت نكتة إلا عدمت حظا \* وفى خلال هاتيك  
الأحوال \* وتعصب الأهوال \* أدركت برهة من الزمن \* لم أنق فيها سم الأحن  
\* وقتما كنت بالقصر العالى \* بحر الجواهر واللآلى \* فقد استرحت هناك من  
الشياطين \* وانتظمت فى خدمة السلاطين \* وعكفت على كتب الآداب \* رجاء  
تطهير الألباب \* حتى خدمتني الدنيا \* وصحبتني العليا \* وفانقلب الدهر  
الغشوم \* النحس المشوم \* ورمقتني بعين الانتقام \* وحسدني على هذا  
الانتظام \* وأخرجني منه قهرا \* فلم أر أقيح منه دهرا \* ضدمني صدمة معذب  
\* لا لطفة مهذب \* فلتجلدى لحربه \* مع ضعفى عن ضربه \* قلت أعزى النفس  
وأسليها \* وأعرضها على القتال وأغريها .

شلت يمين الدهر أدمت منحصرى \* فرمت بكف الذئب فك القصور  
صالت وقد أرخى الدجاثوب الأما \* ن على النديم فعزقته بخنجر  
لم يحفظ العهد الذى عاهدته \* إنى إذا نام الردى لم أسهر  
جهل اللثيم مكان قدرى فاعدتى \* ولو أنه يدرى به لم يفسد  
كنت البيلىخ أبا الهدى غيث الندى \* مجلى الصدى سيف العدا المولى السرى  
إياك نفسى والفرار فإنما \* ييسفى الفتى للحين إن لم ينصر  
ما الدهر إلا آلة كنفوسنا \* يأتى بكل محتم ومقدر  
من يدعى قدم الدهور فقوله \* رد بتقسيم الزمان بأشهر

وتداول الأيام ينبيء أنه \* فى ضمن كمن قد كان قبل تصور  
هل ثم شيء غير ربي ثابت \* حق تراه ليس بالمتغير  
أن تغلبى نفسى فإن مزية الـ \* تديبر تهزم جيش ملك الأدهر  
فالصبر سيف لا يثلم حده \* والحزم حصن للفتى المتكبر  
فسمعت منى القول \* وتبرأت من قوتها ولا حول \* والتجأت إلى الجانب الذى  
لا تهدم دعائمه \* ولا تسقط قوائمه \* ولا يدرك واصله \* ولا يفتال داخله \* وكيف  
لا وهو جانب رب الأرباب \* خالق الأجسام والألباب \* فما هو إلا عهد قريب \*  
حتى سهل المجيب \* وأزال عنها الأتراح \* وعوضها منها الانشراح \* بالعود  
إلى الثغر المحروس \* ثغر الاسكندرية المائوس \* فطمعت بعد الياس \*  
واستبدلت الوحشة بالناس \* إلا أنها كانت كطبعى الغيور \* شديدة النفور \*  
حيث لم تجد لأدائها سوقا تنفقها فيه \* ولا محبا يتبعه ويقتفيه \* فكادت ترجع  
لضلالها القديم \* وإيذاء خادمها النديم \* لولا أن الله تفضل عليها \* بحضور  
بحر الآداب إليها \* مخرس البلقاء بلفظه الوجيزه \* سلالة الأدب والتميز \*  
فلان \* فإنه بحر قرضل تلاطمت أمواجه \* وساحل نوق تحصنت أبراجه \*  
وسفين فهم لاتفرقه الأهواء \* ويدر مجد لا تزاحه الانواء \* فسكنت وحتت \*  
ولولا ذلك لجت \* وهزمت جيش الهموم بنصره \* ونسيت بؤس العصور بعصره  
\* ودام هذا الحال عامين \* كائهما طرفة عين \* ثم صال الدهر صوله ثائر \*  
وانقض علينا كطائر \* فمنا صاح حتى تفرقنا \* وغرينا وشرقنا \* وعاد البشر  
عبوسا \* والنعمة بوسا \*

سار السرور وأهله بسلام \* وحلت لى مرارة الأسقام

واستنزل البدر المنير من العلا \* حقد الزمان وغيره الأيام

وما اعتدل الدهر ولا استقام \* بعد هذا الانتقام \* بل معنى الصديق وقربه

\* وسلك بي طريق الغربة \* وأنا فى كل وقت وحين \* أطرب بذلك اللين \* وأحن

إليه \* وأسلم عليه \*

وكتب من القاهرة إلى صديقه الأديب أحمد أفندي على السابق الذكر  
 بالمنصورة جل ربي خالق الأكوان \* بلا شريك ولا أعوان \* خص من شاء بما  
 شاء بفضل \* وقسم الأخلاق على عبيده بعدله \* وياعد بين الصفات والأعراض  
 \* ويأين بين المراد والأغراض \* فانتظم الكون وفق الإرادة \* ولم يقع فيه إلا  
 ما أراد \* فلو جلت بفكرك في الوجود \* وحققت النظر في كل موجود \*  
 لمزجت السرور \* بكبر الشرور \* ورأيت القرع \* جليس الترح \* ويدور  
 الصلاح \* في سماء الطلاح \* وشموس الجمال \* في وجوه الجبال \* وتاج  
 الحظ \* على رأس كل فظ \* فإن أردت الحقيقة \* والوقوف على الدقيقة \*  
 أضناك الحال \* واضمك الحال \* فلا ترى خلا تصدده \* ولا صديقا ترصده \*  
 لا تغيرت المحبة عداوة \* والصدقة غباوه \* والخلة نبحا \* والحسن قبحا \*  
 والكرم ضنا \* والصحة شنا \* وهذا بحر شربته الناس وتناولته بالجفان لا  
 الكاس \* ومن فاته البحر أدرك الترع \* وارتشف منها رشفة أو جرعه \* فلم  
 يفق من هذا السكر إلا من عافه \* وطلب من الله الكريم إسعافه \* حتى تجرد  
 من الأخلاق الذميمة \* وبعد عن الموارد الذميمة \* ورقى من الشهامة أعلاها \*  
 وسامر من نجوم المعارف أعلاها \* كالبدر المهتدي إليه في دجنة الأوهام \*  
 والشهم المرتقى إليه بمعارج الافهام \* بيت المجد المرتضى \* وسيف الفضل  
 المبتضى \* قوام اللطف الذي طابت عناصره \* وعقدت عليه من الكمال  
 خصائصه \* لا بل غزال المسك الذي طاب شذاه \* ومعدن الألب الذي استعمال  
 رضاه \* صاحب القدر الجلى \* أحمد الناس على \*

فإنه في هذا العصر آيه وإرمان الفضل غايه \* لاتمل مجانسته \* ولا تسأم  
 مؤانسته \* إن زرت زرت البدر \* أو ليلة القدر \* بل السحاب الماطر \* والروض  
 العاطر \* فسلاّم عليه ما رفعت له اعلام جود \* وأشرقت به شمس سعود \*  
 سلام يحاكي لطفه رقه \* وفهمه دقه \* وصفاء باطنه ودا \* وصدق حديثه جدا \*  
 هذا وما الزمنى التقصير \* وعاقنى عن التحرير \* الأمراض قاسى \* لزمنى في

راسى \* منذ أياي من مدينتكم المائوسه \* إلى القاهرة المحروسة \* فاحكم  
سكرى \* وشوش فكرى \* وإن شاء الله لو بقيت إلى أجل \* وسهل الله عز وجل  
\* عدت لانتشاق عطرك الندى \* فقد اخلصتك ودى \* فإنك لم تزل أوحى بالعود  
أحمد \* إن شاء مالك الملك \* ومجرى القلك

وكتب إليه من بداوى وكان مارا ببعض أطرافها فرأى راكبا ممن يعرفهم  
قاصدا المنصورة بعد العنوان ما صورته

لولا عيان حروفك لقلت أنها أرواح \* ولولا سواد السطور لقلت كوكب  
الاصباح \* ولست أخشى أن قلت معنك جرم \* والسكر منها لا من الثمار  
والكرم \* وهكذا تكون رسائل المنشئين \* فتبارك الله أحسن الخالقين \* كم  
بليغ شهر بمعنى أو معنيين \* حتى ضرب صيته صفحة المشرقين \* وكلامك  
كله معان تؤثر \* ولكنك كسر لم يشهر \* أو كنز لم يفتح بابه \* أو طلسم ماتت  
أربابه \* وإلا فلو أنصفت لأخذ المتنبى بركابك \* واندرج ابن عباد فى خدمة  
بايك \* فحسبك من الحظ ما قام به لسانك \* وابتهج برؤية لآلئه إنسانك \* أقول  
ذلك تسلية قدرك وجلاء لصدرك \* وإن جل القدر عن الأنظار \* وتطهر الصدر  
من الأغيار \* ولو اتسع الوقت لأطلت الرسالة \* فلا تؤاخذ على هذه العجالة \*  
فإنها سطرت من قيام \* عند وجود من يوصل السلام \* سلامى على مقامك  
البديع \* ومقامك المنيع \* المائوس بك وبروض الجمال \* بدر الفضائل سيدى  
كعال \* والسيد العظيم الجليل \* شهم المحامد سيدى خليل \* لاز الت  
المنصورة دار السلام \* وأنت فى سماء لطفها بدر التمام .

### رياض الرسائل \* وحياض الوسائل

وهى رسائل أدبية فريدة فى بابها يدل عنوان كل واحدة منها على مضمونها  
فمنها الستر المسدول فى دلالة الانجيل على الرسول \* والحصون المنيعه \*  
فى الرد على أهل الطبيعه \* والفكرة المطيعه \* فى تطبيق الطبيعه على  
الشريعة \* وتطهير الأنواق \* فى حميد الصفات والأخلاق \* والأبكار البديعه \*



حفظ \* ما لفظ \* ما بقى \* شر ما يكرر مزاجه \* أو يوجب علاجه \*  
 فعشقته وكان ما كان \* وقتت ليس فى الإمكان أبدع مما كان \* وملت إليه ميل  
 الحديد للمغناطيس \* وتروحت به تروحي بالظل وقت الوطيس \* ولزمنى حفظه  
 الله لزوم النشوة للخمر \* والتوقد للجمر \* وتصادقنا تصادق القطا \* وتلاصقنا  
 مودة لصق القطا \* لا يأقل لنا قمر \* ولانحزم جنى ثمر \* وكان ذا بروضة  
 بذرى \* ومحل وفاء نذرى \* فكاهة النفوس الزكية \* زينة القطر وحليته  
 الاسكندرية \* فلما تحوات النطه \* وتهيات الرحله \* فى مبدا عام «عج ضرره»  
 = سنة ١٢٧٨ \* بل بقبس توهج شرره \* سافرت مع جنابه السعيد \* إلا أنه  
 حل بمصر وحلت بالصعيد \* فلم يكن إلا نصف عام \* حتى حضرت لمولى  
 الانعام \* ودار علينا صدق الوفاء براحات الألفه \* وحملت جيوش المحبة على  
 الطبيعة \* فأهلك الكفه \* واختلسنا النوم من جفون الزهر \* وكحلنا به عيون  
 الدهر \* فذاك فتح وتنبه \* وإذا بالأموات تشبه \* ونام ولا نومة عتود \* وتحلى  
 الوقت تحلى النصور بالعقود \* وامتزجنا بالسرور امتزاج النور بالأحداق \*  
 وصاحبنا الصفاء مصاحبة الاجال للأرزاق \* فصار مجلسنا الطف من جو مر  
 به نسيم \* وأظرف من ثغر بسيم \* وأرق ما خفر فى بكر \* وأدق من معنى فى  
 فكر \* تترامى علينا الأقراح ترامى الفراش على النور \* ويلازمنا الأنس  
 ملازمة السير للبور \* وبينما نحن فى تيه خريده \* وثمل جريده \* وإذا بالدهر  
 انتبه من نومته \* ونظر \* فى حومته \* فوجدنا فى قصر أنس حاجبه زهر \*  
 وخادمه نهر \* وسقفه نشاط \* ويساطه انبساط \* وأرضه صفاء \* وحوضه  
 وفاء \* وشموعه تجوم راح \* وفراشه نسج أفراح \* وطلاقه مرمر البدر \*  
 معجون بليلة القدر \* لانميل لسكته \* ولانسكت عن نكته \* خادمناخفه \*  
 ومناذمنا عفه \* وحرفتنا الود \* وكسبنا الجد \* فدخل من غير أنن \* وسقط  
 سقوط المزن \* ونظرنا نظرة حاسد \* وتنهد تنهد حاقد \* وقال عفا الله عما  
 سلف \* فدعا التيه والصلف \* فقد بلغتما الغايه \* وصرتما فى آيه \* قد

سرقتما ورد السرور من الخد \* سرقة يلزمكبا عليها الحد \* وحيث إن غذاكما  
النحافه \* ولباسكما النظافه \* فجزاؤكما التغريب \* وعدم التقريب \* وعينيك ما  
هى إلا ضرية تلغراف \* أو حكة انحراف \* حتى ارتد الحال وكفر \* واستعد  
عين حياتى للسفر \* وكانت إقامتى فى القصر \* فاستوبعنى فى مصر \* فلا  
تسل عما صار \* وقتما سار \* فسل العزن عن دموى \* والنار عن ضلوى \*  
والطير عن قلبى \* وأمس عن لبى \* والقوس عن ظهرى \* والأنج عن جهرى \*  
والقاتل عن جلدى \* والمسلى عن جسدى \* ربما تعلم بعض ما نابنى \* أو  
تتصور معنى مما رابنى \* إلا أنه عند توجهه مصحوبا بالسلامة \* دعا  
المسكين غلامه \* وخاطبه بما سكن وجده \* أعز الله مجده \* وقال أحب أن  
تتواصل إلى رسائلك \* وتسامرنى وسائلك \* بشرط أن تكون أسطرها عشرين  
فما فوق \* وأن يكون بعضها فى غزل وشوق \* وبعضها نكتا أدبية \* وبعضها  
فوائد عربية \* هذه محاوره \* والأخرى مسايير \* تارة ظرائف خمريه \* ومرة  
لطائف عمرية \* وهكذا ترشف من كل دن \* وتشطح فى كل فن \* على أن تكون  
بحكايات ما طرأت الأفكار \* ولا خرجت من الأوكار \* وتلتزم الجناس فى الفقر  
\* ليكون واقع فى الفكر \* وأن لا تأخذ من شعر غيرك إلا بيتا أو بيتين \* وأن  
تأتينى رسالة يوم الخميس ورسالة يوم الاثنين \* وأن يكون آخر كل رسالة  
دخولا على أول ما بعدها \* وهذه عروة نكرى لك فلا تنتقض عقدها \* ثم توجه  
وأصبعى تحت نابى \* والله يعلم ما بى \* وكان معنا بعض أصحابنا \* وجملة  
من أحببنا \* فالزمونى أن أكتب من كل رسالة ثلاث نسخ أو أربع \* وهم  
ينظرونها بالاشتراك حيث لم تطيع \* فصعبوا على الأمر \* وأحرقونى بالجمهر \*  
ملاحظة عملى وبيتى وصحتى ونسخ وتاليف \* إن ذا لاكبر عمل وأشق تكليف \*  
ولكنى امتننت \* وما افتعلت \* وأخذت عليهم العهود \* إذا رأوا غير المعهود \*  
أو عثروا على تحريف \* أو قلب أو تصحيف \* أن سلكوا صراط النصيحة \*  
ويغيروه بعبارة فصيحة \* أو يتركوا الانتقاد وكشف الغطا \* وينبهوا محررها

على الخطأ \* فنسأل الله تعالى أن يثيب لها نسمة قبول \* حتى تقع موقع  
الاستحسان والقبول \* فإني لست من ركباني هذه الأقراس \* ولا من أغضاني تلك  
الأغراس \* والصفح خير ما تدرع به عاقل \* والعذر أحسن ما تردى به ناقل \*  
وكل متكلم له غلط \* وكم من إنسان خلط \* فإن الناظر يقدره زند الافهام  
\* والمؤلف يصيد شوارد الأوهام \* وبالجمله فالمرء من ماء وطين \* وله عقل  
ودين \* فهو بالخيار بين الميل للطبيعة \* أو الوقوف عند حد الشريعة \* على أنى  
سامحت المتكلم قبل الوقوع \* رجاء أن يكون للحق قريب الرجوع \* هذا وقد  
سميت المجموع رياض الرسائل \* وحياض الوسائل \* ولكل رسالة اسم \*  
ليكون لها كالوسم \* فأول ما يهدى اليك \* ويفد عليك \*

(١) زند الأزهان \* وزيد الأدهان

روى مديم الغرام \* عن نديم الكرام \* أنه قال \* وقال في يوم \* ثرت من  
النوم \* في خجل \* ووجل \* من رؤيا منام \* في بعض الأنام \* ما رويته \* بل  
رأيت \* كأنه قيل \* على قيل \* سما \* حتى السما \* وثار \* إذ سار \* كالورق  
\* بل البرق \* يشق ثوب الدجا \* لبلوغ الرجا \* المزن تظله \* والرواح<sup>(١)</sup> نقله  
\* وقد أهلتة حدة الفيظ \* عن شدة القيظ \* قوته ذكر الطبا \* وريه سيل  
الطبا<sup>(٢)</sup> \* لا يرده بعد الشقه \* ولا ارتكاب المشقه \* فلما رأيتة اقشعر جلدى  
\* واكفهر جلدى ودار الإنسان بالحدق \* ووقع القلب في الحرق \* وعدمت  
الإحساس \* ونسيت قصة ذى يزن وجساس \* وكنت أقول في ابان سعدي \*  
أنا صاحب عمرو بن معدى \* ورأى نبل عنتره \* وحامل لواء القنطره \* أنا  
ساقى بزر جمهر السم \* وقاطع خوذة رستم \* وعينيك ما رأيتة حتى حرت \*  
كانى سحرت \* وتلفت تلفت السارق \* ويئست ياس المارق (ومنها)

(١) الأرواح جمع ربح

(٢) الطبا السيوف

فقدت عليه \* وتملتق اليه \* بعد أن بدأت بالسلام \* على عادة الكرام \*  
فدل وتاه \* وما نطق ولا فاه \* ودام على كبره \* والضن بخبره \* فأدركنى  
ما هو نا فع \* بيت قلته \* وأنا يافع \*

إن المدامة لو صبت على جبل \* خرت معاطفه تجرى بها الريح  
وقلت فطنة اياس \* ما بها ياس \*

وثررت كالليث قد لاحت فريسته \* ناديت بدرا له الارواح فى أسر  
وقلت هات لنا بكرا تفان لنا \* مشعولة بوشاح عاطر النشر  
وعاطفها ضيفنا واجلس بحضرته \* وامنحه منك لذيذ الشهد بالثغر  
حتى إذا لعبت بالعقل وانتعشت \* منه الجوارح كن كالليل إذ يسرى  
فطاف بالشمس يجلوها على يدها \* بصورة طبعت فى صفحة البدر  
لاحت أشعتها بالكاس فانقادت \* فالكاس فى خمرة والخمر فى جمر  
والبدر فى صلف والشمس فى شرف \* والضيف قد ألف الامرين كالفجر  
وحقك ماهى إلا لحظة \* حتى دار لحظة \* واخذت الكاس \* حواس الراس  
\* ولعبت الراح \* بالأرواح

وبعد نثر وأبيان اسأله فيها عن اسمه آخرها  
يا غافلا ان الذى \* فى حيكم داعى الغرام  
فقلت قد أبنت الاسم \* وحقيقة الوسم \* فأين الوطن \* يا فطن \* فأنشد  
وغردُ وغنى ورد

قلب الكمى وصدرة \* هو مسكنى وبه المقام  
حتى اذا ما شمته \* حل به قوم كرام  
فقلت وأين \* قومك \* حمد يومك \* وهل هم على خلقك \* وفى خلقك \* أم  
أصناف \* أين بإنصاف \* فقد خلبت الالباب \* إذ أتيت باللباب \* فقال قد دخل  
وقت الأصيل \* وحننت ناقتى للفصيل \* ولئن بقيت إلى يوم الاثنين \* أخبرتك  
عن قومي وفاندين \* وبمشيئة من ذل الوجود لقهره \* .

## (٢) حوض الخمر \* وحوض الجمر

فلما سمع مديم الغرام \* قصة نديم الكرام \* قال ما أحلى رؤيتك \* وأعلى  
رؤيتك \* إنها لمن أعذب القصص \* وأصعب الفصص \* تاهت لديها العقول \*  
ولم تر قبل في منقول \* سياقتها بديع \* ومساقها مريع \* ولكن عهدى انك جبان  
\* ضعيف الجنان \* يدهشك طنين الذباب \* ويميتك عواء الذئاب \* ان أبصرت  
غير جنسك \* لم تدر يومك من أمسك \* أو سلم عليك انسان \* غاب منك  
الانسان \* فكيف قوى فؤادك \* وطاب لك زقادك \* وصفا عيشك \* وسارت  
عيسك \* مع هذه الرؤيا الهائلة \* وقت القاتله \* ولو رأها انوشروان \* ما رقى  
الايوان \* أو علمها عبد المسيح \* قضى قبل سطوح \* أو قصت على ابن  
سيرين \* ما كان في المفسرين \* فقال نديم \* يا مديم \* إن لله نعمًا لاتحصى  
\* والطاقا لاتستقصى \* يلهم الصبر عن الملمات \* ويمهل القلب عند المهمات  
\* وانظر إلى النخلة \* ذات النحلة \* تميل مع النسيم \* بوجه بسيم \* وثبت  
عند القواصف \* والرياح العواصف \* وهى كالأم الواجده \* على حالة واحده \*  
إن هذه الأوصاف \* إلا أَلطاف \* وما تعهده فى طبيعتى من الجبن \* وكلاهى  
من الخبن \* كان فى الصغر \* قبل ركوب السفر \* ومعاناة الأمور \* ومعاداة  
الدهور \* فإن من أَلف الراحة \* وأنف السياحه \* واقتصر على مصره \*  
ورجال عصره \* كان كطير القنص \* اذا وضع فى القفص \* يفرح بمطعم  
جنسه ومائه \* ويمرح بين أرض حبسه وسمانه \* فإن غابت عنه الميره \*  
ادركته الدهشة والحيره \* يستغيث فلا يفاث \* حتى يصير كالبيفاث<sup>(١)</sup> \* وان  
فتح له الباب \* غاب عنه اللباب \* وعدم فكره وضل وكره \* وضل وكره \* فربما

(١) البيفاث ضعاف الطير وعليه المثل حتى البيفاث بأرضنا تستمر

فر من شبكه \* ووقع فى هلكه \* ولا يزال على هذه الحال \* فى الحط والترحال  
 \* حتى تفيض أمنيته \* وتفيض منيته \* أما من زاد التقل \* وأراد التقل \*  
 واختار التغرب \* على التقرب \* وقال قولا ما به جدل \* فاعترب تلق عن الأهل  
 بدل \* فهو كالكركى \* تارة شامى ومرة تركى \* وأونة مصرى \* وأخرى  
 بصرى \* لا يحرم من القفار نيلها \* ولا من الأنهار نيلها \* ولا يفوته خير  
 سيحون \* وفضل قوله تعالى السائحون \* وعلم ما فى البرى \* من صفات  
 العرب العريا \* ورأى الطائف وكرومه \* وغرابة كنيسة رومه \* وتمتع بالأنيسة  
 والأنيس \* من طباء وغوانى باريس \* ونظر قرى كل اقليم ويندره \* وتحقق  
 حسن صنائع لئدره \* وسمع الصبا والعراق \* من أغانى العراق \* وعلم أن  
 أحسن ما يكون الفرند \* من صنعة حذاق الهند \* فان شام \* بر الشام \* ورام  
 رياضه \* ودخل عياضه \* وتتره فى بوره \* وتمتع ببوره \* اتخذه جنه \* وقال  
 هو الجنه \* وتارة يطلب النجاز بارض الحجاز \* وفارسا لفارس \* مع  
 صنايد فارس \* ويعضد ايمانته ودينه \* بزيارة ساكن المدينة \* صلى عليه الله  
 \* وما هو أهله أولاه \* ويسأل الفرقات \* فى جبل عرقات \* ويرى ما بأرض  
 الحبش \* من أفعى وحنش \* وتازى ومحريب \* وتيزى وعرديب<sup>(١)</sup> \* قوارس  
 صنيد \* وجبار عنيد \* فإن نظر من الجوب بريقا \* وتوجه إلى أمريقا \*  
 وتفرج على صنائعها \* وما يظهر من نوائعها \* علم انها الدنيا \* وسلم العليا  
 \* فإن ارتحل إلى الصين \* وانتقل بعده إلى الشين \* ورأى الصنعة التى  
 تدهش العقول \* ولم تر قبل فى منقول \* هناك يقوى قلبه \* وإن كثر بالأسفار

(١) النازى نبات يقتل بورد البطن والمحريب نبت يمنعالمفس والتيزى الفول السودانى  
 والعرديب التمر هندى

غلبه \* ولئن أطلت \* قلت مطلت \* أو دالت \* ملكت \* وفي قصة ذات النقب  
والحجاب \* أطلعك على العجب العجاب \* وأراك استعظمت ما سمعت \* وفي  
خبر الأقيوم طمعت \* فقال مديم \* يانديم \* فاخذ نديم في البراعه \* وقال  
سمعا وطاقه \* لما جاء يوم الاثنين \* وتكررت القوم والفائدين \* نمت \* كائى  
مت \* رغبة فى الفائده \* ورهبة من المائده \* فكانى انظر إلى رحله \* وقد  
دهمنى بخيله ورجله \* بجيش كالليل \* مدلج كالسيل \* فقلت أهذا صاحبنى \*  
وذا به صاح بى \* وقال منى عليك السلام \* يانديم الكرام \* صبرت علينا  
محسوبا \* وألينا منسوبا \* وجدناك لطيف العباره \* فمنحناك الزياره \* ولكن  
إن كنت لخبر الاقيوم مشتاقا \* أخذنا عليك ميثاقا \* لئن خالفت سنة العشاق \*  
وحالفت سنة الفساق \* ليطافن بك فى الاسواق \* نكالا لا دعائك الأشواق \* فإن  
كنت بهذا راضيا \* وعلى نفسك قاضيا \* أخبرناك الخبر \* والبسناك الخبر \*  
والافعش والها بالشعير والبقله \* مولعا بالحمار والبغله \* كأحد العيرين \*  
وثالث البعيرين \* فقلت ماهذا الكلام \* الموجب الكلام \* وكيف أكون والها  
بالقبلة والشعير \* وقلبى مذ فارقت فى الشعير \* أم كيف أكون مولعا بالبقلة  
والحمار \* ومنادمك اكسبت عقلى الخمار \* فقال على بالمدام \* وزده وصفاً  
مع الفلام \* فقلت حبا وكرامه \* اصفها وقوامه \* أصخ لى سمعك \* وكف  
دمعك \* فالأوقات الصافيه \* فى شرب الصافيه \* حيث الراحة تدور \* على  
راحة الببور \* وليس السرور سبيل سوى السلسبيل \* ومتعاطى الحميا \* يطأ  
بأقدامه الثريا \* بل لا يصفى الفكر \* إلا الكميث البكر \* ولا يقيم الفقار \* غير  
العقار \* تشيم المسك الفتيق \* من السلاف العتيق \* وإذا أردت اللحظ \* فى  
مجلس اللحظ \* خرقت الحجب \* ورأيت العجب \*

كسرى وقيصر والساقى اخلاء \* إن رتبت لقوام الروح أنداء  
والأنجم الزهر فى الكاسات طالعة \* والبدر ساق وشمس الأنس غراء  
فللسرور سحاب ثم ممطره \* والصفاء فى سماء الروح اسراء  
قل للطبيب اسقنى بkra تغازلى \* وداونى بالتي كانت هى الباء  
فقال يانديم الكرام \* إذا أتيت بالمدام \* وقصرت الملام \* أخبرتك خبر  
الاقوام \* بما هو جدير بالتسطير والتحبير \* ولا ينبئك مثل خبير \* قائيته  
بالسلاف \* كعادة الأسلاف \* فزاد فى الشراب \* عن الشرب \* واضطجع  
وتوسد \* وانطلق وانشد \*

قوى لاخل الهوى عز ومسكنة \* ذل ومكرمة انس واحزان  
لو لو تروا وترا فى قوس حاجبهم \* صاد الورى بهلال النيل انسان  
فالوجد قائدهم والسقم عاندهم \* والشوق رائدهم والحسن سلطان  
لو مر قائدهم بالنار لانحدرت \* والماء منه اشتكى الاجراق ظمان  
أوحل عاندهم بالهر أو تظنر الـ \* بدرين لاندرست للكل أعيان  
أورام رائدهم شم الجبال غدا \* للكل فى سائر الأحوال أشجان  
سلطاننا لورنا للكون قاطبة \* فالكل فى أسره قيل وأعوان  
والجسم فى عرفهم كالعود قد سكنا \* ضدان فى قلبه ماء ونيران  
ماء الحياة سرى بالروح أن وصلوا \* فإن هم هجروا تفقده أغصان  
فقلت أعوذ بالله من سوء قومك \* وشؤم يومك \* أيرضى عاقل بهذا \*  
ويتخذهم ملاذا \* أم يدخل معهم حقيقه \* بعد أن علم الحقيقة \* لك الحمد ربى

على الجهل \* والاقتصار على الأمل \* فإن من كلف العزل هوى \* ومن تكلف  
الفرزل زعم أنه نو هوى \* وكنت منحتك من المحبه \* قيراطا وحبه \* والآن  
تخلصت من القياد \* وحصلت على الفؤاد \* فقد صدق القائل \* ومنع السائل \*  
فلم ترني الأيام خلا تسرنى \* مباديه إلا ساخي في العواقب

أتريد أن أتحمل الأثم وما حواه \* وأدخل في قوله تعالى ولكنه أخذ إلى  
الأرض واتبع هواه \* تأمل قوله جل شأنه واتبع هواه فتبردى \* واسمع أفمن  
يمشى مكبا على وجهه أهدي \* فقال يا جاهل \* عدمت الكاهل \* لو تأملت  
القرآن وما فيه \* وعلمت قوله تعالى فذلكن الذي لمتننى فيه \* أو لم تكن ممن  
أتبع هواه \* وسمعت قوله يحبونهم كحب الله \* تحققت ولكن الله ألف بينهم \*  
وحملت قومي ويومهم \* ثم مد يده لصدري \* فأضاع نور بدرى \* وقال ترى  
هذا فارغ أم ملآن \* من زمن أم الآن \* فقلت دعنى \* أى شىء تعنى \* فقال  
أراه فى الهوى \* قد غوى \* فقلت الهوى خبل \* ونحن فى جبل \* وما أسباب  
الهوى \* أقرب أم نوى \* فقال قد اعترفت \* ومن بحره اغترفت \* أليس اسمك  
نديم الكرام \* يا أسير الغرام \* فقلت اسم وضعه غير أبى \* وهو أبى \* فقال  
نظر لك بالفراسة \* فاركبك افراسه \* واعلم أن من بصرك \* فقد نصرك \* ومن  
وعظك \* فقد أيقظك \* فقلت اذا فقد العقل حجابه \* ساء سمعا فاساء أجا به \*  
ما عقلت \* وما نقلت \* فقال يا أحيى من ثعلب \* وأمكر من ثعلب \* ظهرت فيك  
العلامات \* وحظك فى العلامات \* وما أنا تاركك كاليحمور \* إذا دار  
كالمخمور \* ولئن بقيت إلى يوم الجمعة \* لأمتعن نظرك بما يجرى دمه \*  
وأرى قلبك الشوق ومأواه \* بعزة الله \*

\*\*\*

## (القسم الثانى)

### منتخبات التنكيت والتبكييت

منتخبات من العدد الاول الصادر بتاريخ ٨ رجب سنة ١٢٩٨هـ (٦ يونيو  
سنة ١٨٨١)

(إعلان إلى النبهاء والأذكىاء من أبناء بجدة اللغة العربية)

اليكم يراعى فاستخدموه فى مقترحات أفكاركم العالية وصحيفتى فاملوها  
بأدابكم المألوفة وبدائعكم الرائقة فاليراع وطنى يخاطب القوم بلغتهم ويطيعهم  
فيما يأمرون به والصحيفة عربية لاتبخل بالعطاء ولا ترد الهدية وأنتم كرام اللغة  
وإخوان الوطنية فشدوا عضد أحيكم بالقبول والاغضاء عن العيوب وساعده  
بأفكار توسع دائرة التهذيب وتفتح \* أبواب الكمال وكونوا معى فى المشرب  
الذى التزمته والمذهب الذى انتحلته أفكار تخيلية وفوائد تاريخية وأمثال أدبية  
وتبكييت ينادى بقبح الجهالة وذم الخرافات لتتعاون بهذه الخدمة على محوما  
صرنا به مثله فى الوجود من ركوب متن الغواية واتباع الهوى اللذين أضلانا  
سواء السبيل .

\*\*\*

### المقدمة

حمدا لله تعالى فاتحة كل كتاب \* والصلاة على انبياءه منهج نوى الالباب

(أيها الناطق بالضاد)

أتقدم بين يديك بخدمة وطنية دهانى إليها حبي فيك وخوفى عليك وماهى  
بالعظيمة فتشكر ولا بالبليغة فتمدح وإنما هى صحيفة أدبية تهذيبية نثو حكما

وأدبا ومواعظ وقوائد ومضحكات بعبارة سهلة لا يحتقرها العالم ولا يحتاج معها الجاهل إلى تفسير تصور لك الوقائع والحوادث في صور ترتاح إليها النفوس وتميل. ويخبرك ظاهرها المستهجن بأن باطنها له معان مألوفة وينبهك نقابها الخلق بأن تحته جمالا يعشق وحسنا تذهب الأرواح في طلبه .. هجوها تنكيت ومدحها تبيكيت ليست منمقة بمجاز واستعارات ولا مزخرفة بتورية واستخدام ولا مفتخرة بركة قلم محررها وفخامة لفظه وبلاغة عبارته ولا معربة عن غزارة علمه وتوقد ذكائه ولكنها أحاديث تعودنا عليها ولغة الفنا المسامرة بها لا تلجك إلى قاموس الفيروزآبادي ولا تلتزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا ولا تضطرك لترجمان يعبر لك عن موضوعها ولا شيخ يفسر لك معانيها فهي في مجلسك كصاحب يكلمك بما تعلم وفي بيتك كخادم يطلب منك ما تقدر عليه ونديم يسامرك بما تحب وتهوى فاجعل لها نصيبا من عمرك الجليل ومتعها بنظرة تجلو مرآتها وتبصر خباياها ولا تفوق سهام الرد قبل أن تدخل معها المضمار ولا تتكر عليها ما تحدثك به قبل أن تطبقه على أحوالنا ولا تظن مضحكاتها هزوا بنا ولا سخرية بأعمالنا فما هي إلا نقثات صدوز وزفرات يصعدها مقابلة حاضرننا بـماضيـنا فإن صدقت في الخدمة فاجرى منك المساعدة وأن قصرت فقد بلغت جهدي وصرفت ما في إمكاني فإن شئت عذرت وإن شئت أطلقت عنان أفكارك في ميدان يكبو فيه جوادى

ولسنا بدار الحرب أو أرض قتنة \* ولكن لنا في العالمين نظير

سهروا الليالى فاستراحوا دهورا وما بلغوا مقام العزة بلهوا ولا لعب ولا إفساد ولا خروج عن حدود الإنسانية وإنما نظروا إلى الإنسان قرأوه فعلا ما اضطر أو اضطر وقد اضطرهم تقدم الأمم إلى النظر فيما يعظم ثروتهم ويؤيد

حكومتهم ويعلى كلمتهم ويظهر وطنيتهم فماتركوا خفيا إلا أظهوره ولا مجهولا  
إلا علموه ولا مشكلا إلا حلوه ولا معمى إلا فسروه فباتوا غرقى فى بحار  
الخشونة والخرافات وأصبحوا فى سفن السياحة يعبرون بها بحار الوجود  
لمباح يملكونه ومهدر يختلسونه وتجارة يوسعونها وأمة يسوسونها وأنت أنت  
تفخر بعزة الآباء وتمرح فى أرض اتسع غامرها وقل عامرها وضعفت حجابها  
وفتحت أبوابها فهى كدار الضيافة يقابل فيها القادم بالسلام والترحاب ويتمتع  
فيها الضيف بكرم لايدخل تحت حساب مع تعظيم يجل عن مقامه واحترام  
برقيق الكلام وإن انتهب حقا سامحناه وإن اغتصب لايلغه فى إشراف قومه إن  
غضب ترضيناه بتقبيل الأيدي والأقدام وإن فحش قابلناه برقيق الكلام وإن  
انتهب حقا سامحناه وإن اغتصب مالا زدناه فإنه عزيز فى الوجود رفعه العلم  
إلى درجة يعدنا فيها من البهائم وأوصلته محبة الجنسية إلى مقام يصعب علينا  
الوصول إليه فهو فى عالم ونحن فيه عالم وإن جمعنا فى مكان .

ويا أيها المصرى ألا تذكر ما كتبت فيه من حضيض الخسف وحفرة النذل  
وتراجع ما كنت تقاسيه من دفع المفارم وتحمل المظالم وتقابل ماضيك  
بماضرك لتعرف فضل النعمة وقد الإحسان . الا ترقب حكومتك فى أعمالها  
لتتهدى إلى سبيل التقدم وطريق العرفان ألا تقرأ ما ينشر عليك من الأوامر  
الداعية إلى الائتلاف المحذرة من الاختلاف الداخضة حجج أهل البغى  
والفساد. ألا تنتظر ما تعقده من المجالس لتخلصك به من مخالب المصائب التى  
أوقعك فيها جهلك ويعدك عن التبصر فى العواقب وإهمالك فى حقوق الوطنية  
وواجبات الإنسانية . أظنك لو تدبرت أمرك لاستحييت من مقابلة من لم يولد فى  
أرضك وعلمت أنك فى احتياج إلى مهذب يرشدك ومؤدب يوقفك عند حدودك

ومنبه يوقظك من غفلة الكسل ونومة الإهمال. على أنك أهل الذكاء ورب البلاغة  
ومنبع المعارف ومبتدع الصنائع ولكنك جهلت تاريخك. وسأتحفك بغرائب قومك  
ومناقب أصلك أقدمها إليك شنورا مردفة بما نحن فيه من التكبيت لتعذر  
المتنهد وترحم المسكين وتكون من الذين أعانوا مجدهم وأحيوا أوطانهم  
فأصبحوا ببقاء ذكركم في الوجود من الخالدين .

(مجلس طبي)

(على مصاب بالافرنجى)

كل هذا المصاب صحيح البنية قوى الأعصاب جميل الصورة لطيف الشكل  
ما رآه فارغ القلب إلا صبا ولا سمع بذكره بعيد إلا طار إليه شوقا نشأ فى  
العالم روضة ودار به أهل يحفظونه من الأعداء ويدفعون عنه الوحشة والرقباء  
وقد مات فى حبه جملة من العشاق الذين خاطروا فى وصاله بالأرواح والأموال  
وكلما وصل إليه واحد سحره برقة ألفاظه وعذوبة كلامه وسلب عقله ببهجة يحار  
الطرف فيها وعزة لا يشاركه فيها مشارك وهو هو غزال فى الخفة غصن فى  
اللين بدر فى البهجة جنة فى المنظر تمر عليه الدهور فتزيده حسنا وتتوالى  
عليه العشاق فتزداد خياما وأهله فرحون بهذا البديع الفريد والطلال السعيد  
يعشقون الموت فى حياته وقد اتفقوا على توحيد كلمتهم فى حفظه وجمع  
شتاتهم فى رحابه وصرف حياتهم الطيبة فى بقائه فى الوجود معززا بأهله  
مؤيدا بعشائره حتى لا تمد إليه يد عدو ولا يوجه إليه فكر محتال ولا يقرب منه  
مفتال.

وبينما هو يتيه بحسنه ويدل بجماله صحبه أحد المضلين واستماله بنفاق  
تميل إليه النفوس وتملق يخجل فظن أهله أن هذا المضل من الاتقياء الذين

لا يعرفون الله ولا يميلون إلى المفاسد وسلموه جنة حياتهم وروضة ثروتهم  
فدار به في الأسواق والطرقات وعرضه للعشاق تقبله جهارا وتسلبه حلى  
أصابه وزينة صدره وقد علموا أن الجمال يأسر الجميل فأحضروا من الغواني  
من تعارض الشمس بحسنتها وتكسف البدر بنورها فدرن في سبيل بيته يغازلن  
أهله بنغمات تحرك الجبان وموانسة تستميل الشجاعان حتى سلبن العقول  
وحولن الطباع ويفضن المحبوب إليهم واليهن كل ذي لب عن أفكاره وانسين كل  
مدبر ما كان يتصوره من نوايغ الحكم وغريب الأمثال وجعلن الجمال مبنولا بلا  
قيمة والوصول ممنوحا بلا مقدمات وذاك الصاحب مكب على هواه مغرم بجمع  
الغرياء واستدعاء الأعداء ومصاحبة الأشقياء ومسامرة الأغبياء ينام ومحبوبه  
قلق ويضحك ومعشوقه كئيب إلا أن هذا الغزال الطاهر العرض لما رأى أهله  
أهدروه وأهملوه واشتغلوا بالغواني وولعوا بخدمة الأجانب وانكبوا على الملاهي  
يتتبعون آثارها استسلم للقضاء وترك النغار والتحمس ومال مع أعراض هذا  
الصاحب وسار معه في طريق لا يرى فيه أحدا من أهله فما هي إلا رشقة كاس  
حتى اصفر وجهه وارتخت أعضاؤه وذهبت بهجته فسلم جسمه الشريف إلى  
الفرش يتململ عليه قفطن له واحد من أهله وزاره في خربة لم يجد فيها غير  
شبح يعلل نفسه بالأمانى ويصعد الزفرات وقد برزت عظام وجهه وغارت عيناه  
وتشوه وجهه وتبدلت محاسنه بقبايح تنفر منها الطباع فبكى وانتحب وقال

أي حياتي أي جنتي أي نزهتي أي مطلع عزى ما الذي أصابك أين جمالك  
البيدع أين محياك الزاهي أين حسنتك الذي أفنى الكثير من العشاق أين صحتك  
التي أشابت الدهور وهي في عنقوان الشباب أين قوتك التي أسرت بها الأشباح  
أين رقتك التي جذبت بها الأرواح أين ما كان عليك من الحلى والزينة أين تاجك

الذى ما لبسه إنسان إلا افتخر على الوجود، أية نفس تراك فى هذه الخربة  
ولاتفيز حزنا أى قلب يرى وهناك ولايتفطر كمدا أية عين ترى تشويه ذاتك  
ولاتطمس أسفا زحزح الهم عنى بجواب يبين الحقيقة لعلى أتدارك من أمرك ما  
بقى واحفظ من صحتك ما عساک أن تتشوق به نسيم الحياة فتنفس المصاب  
تنفس الضعيف ورمقه بعين لا يكاد يتحرك جفنها وقال بصوت خفى (لا يعز  
عليك جسم أمرضه أهله) فإنكم تركتمونى لصاحبى يدور بى أينما دار فعرضنى  
لمن لم أعرف طبعه ولا عاداته ولا لغته ووكل بى من يغرنى ويسلك بى سبيل  
الغواية فلم أجد بدا من الموافقة ودرت معهم فى أماكن اللهو حتى أصبت بالداء  
الإفرنجى فلم أعبأ به فى أول الأمر وتركت نفسى وكتمت خبرى فإنى لم أجد  
أحدا من أهلى حولى ولم أعلم أن الداء سرى فى دمى وعروقى وتمكن من  
عظامى وأعصابى حتى لم يترك عضوا من أعضائى إلا نشب فيه فلما ضعفت  
قواى وتعطلت حواسى سقطت فى هذه الخربة أقلب جسمى على الأحجار  
وأرملق بعينى آثار أهلى وقصورهم المتهدمة ولكن لا أستطيع حراكا حتى كنت  
أغالب هذا الإفرنجى وأصل إلى قمرى ومنشا عزى فأعالج نفسى بحشائش  
تربتى وعقاقير أرضى من يد أطباء بلادى وصيادلة ديارى فإن قويت على  
قاحلنى وأن تأتيت من صديدي فأجمع إلى قومي لعلى أجد فيهم من يقبل على  
جيفتى ويسعى فى نجاتى فقام هذا الزائر يضرب الكف بالكف أسفا ويعض  
أنامله غيظا وأسرع إلى الحى ونادى أيتها القبور الصامتة انشقى وانفرجى  
وابعشى من فيك من الأموات فقد أنت الطامة الكبرى وانكدرت نجوم النشور. ويا  
أيتها الأرواح الخادمة هلمى إلى أجسامك البالية فأقيمها من موتها وابعثها  
فى الوجود لتتنظر هذا الذى تشقى بعدمه وتحاسب عليه فلم يكن إلا كلمح  
البصر حتى ملئ القضاة بإناس لا عداد لهم يقدمهم طبيب بارع قد استصحب

معه جملة من الأطباء وساروا إلى تلك الجيفة واحتاطوا بها يقبلونها عن اليمين  
 وعن الشمال ويقرعون صدرها ويجسسون نبضها حتى وقفوا على دائها وعلموها  
 أصل مصابها فحكوا على صاحبها بانتزاعه عنها وعدم قربه منها وقوضوا  
 أمر هذا المصاب إلى الطبيب البارح يتولى علاجه ويداوى جراحه فطلب من  
 بقية الأطباء أن يرافقه في هذه المعالجة ليتقوى بأفكارهم على ما يصلح به  
 هذا الجسد الشريف وبعد تبادل الأفكار بينهم قرر الرأى على أنهم يركبون له  
 نواء يوقف سريان الداء الآن حيث تحكم وتمكن وبعد ذلك يتداولون فيما يزيل  
 المرض ويعيد الصحة فتعلق بهم أهله يسألونهم الإسراع في معالجاته  
 والاجتهاد في دفع مصابه فترضتهم الأطباء وسألتهم الهدو والسكون  
 ومساعدتهم في خدمته وتخليف محله وتطهير أعضائه وحفظه بحيث لا يتركون  
 الغريباء يتولون خدمته ولايمكنون الأجانب من الوصول إليه خوفا من إفسادهم  
 العلاج وسعيهم في إتلافه أكثر مما صنعوه به فكثرت صياح أهله وعلت أصواتهم  
 بالعويل ووضعوا أيديهم على أكبادهم وتصبروا وابتدوا يعملون بمشورة الأطباء  
 ويبدلون الجهد في وقايته وصيانتته من كل من كان من جنس مصيبيه . قال  
 الراوى وبينما أنا أبكى وأنوح مع هؤلاء المساكين وإذا بالمؤذن ينادى حى على  
 الفلاح فقامت لأقصى الفرض وأعود لمباشرة الخدمة مع إخوانى إذ لم أر قبل  
 هذا اجتماع مجلس طبي على مصاب بالفرنجى..

(عربى تفرنج)

ولد لأحد الفلاحين ولد فسماه زعيط وتركه يلعب فى التراب ويتام فى الوحل  
 حتى صار يقدر على تسريح الجاموسه فسرحه مع البهائم إلى الغيط يسوق  
 الساقية ويحول الماء وكان يعطيه كل يوم أربع حنويولات وأربعة أمخاخ بصل

وفى العيد كان يقدم له اليخنى ليمتعه بأكل اللحم بالبصل وبينما هو يسوق الساقية وأبوه جالس عنده مر بهما أحد التجار فقال لأبيه لو أرسلت ابنك إلى المدرسة لتعلم وصار إنسانا فأخذه وسلمه إلى المدرسة فلما أتم العلوم الابتدائية أرسلته الحكومة إلى أوروبا لتعلم فن عينته له فبعد أربع سنين ركب الوابور وجاء عائداً إلى بلاده فممن فرح أبوه حضر إلى الاسكندرية ووقف برصيف الجمرک ينتظره فلما خرج من الفلوكة قرب أبوه ليحتضنه ويقبله شأن الوالد المحب لولده فدفعه فى صدره وجرت بينهما هذه العبارة

زعيط.. سبحان الله عندكم يامسلمين مسألة الحزن دى قبيحه جدا

محيط.. أمال يا ابنى نسلم على بعض ازای

زعيط .. قول بون اريفى وخط ايدك فى ايدى مره واحده وخلص

معيط. لهو يا بنى انا بقول منيش ريفى

زعيط. موش ريفى يا شيخ انتم يا ابناء العرب زى البهايم

معيط. الله يسترك يا زعيط والله جا خيرك يا ابنى فوت روح فوت فلما وصل

به الكفر قامت أمه وعملت له طاجنا فى القرن مملوء لحم ببيصل فلما رآه قال

لها ، ليه كترتى من الـ معيكة من الـ ايه يا زعيط. زعيط من البتاع اللى اسمه

ايه. معيكة.. اسمه ايه يا ابنى الفلفل.. زعيط نو نو الـ دى البتاع اللى ينزوع .

معيكة . الغله يا ابنى. زعيط. نو نو دى اللى بيبقى له راس فى الأرض. معيكة .

والله يا ابنى ما فيه ريحة التوم. زعيط البتاع اللى يدمع العينين اسمو أونيون .

معيكة . والله يا ابنى ما فيه أونيون ولا . دا لحم ببيصل زعيط سى سا بصل

بصل.

معيك.. ويازعيط يا ابني نسيت البصل وانت كان أكلك كله منه

معيط. شكاه لأحد النبهاء وقال ولدى توجه إلى أوروبا وحضر يذم بلاده وأهله ونسى لفته فقال له النبيه ولدك لم يتهدب صغيرا ولا تعلم حقوق وطنه ولا عرق حق لفته ولا قدر شرف الأمة ولا ثمرة الحرص على عوائد الأهل ولا مزية الوطنية فهو وإن كان تعلم علوما إلا أنها لاتفيد وطنه شيئا فإنه لايعمل إلى إخوانه ولايستحسن إلا من يعرف لغتهم على أنه أصبح كالغراب لما أراد أن يقلد الحجل في مشيته وعجز عن التقليد واستحال عليه عوده لطبيعته الأولى فأصبح يقفز قفزا وقد خرج عن حد الجنسية وطباع النوعية ولايفعل فعل ولدك إلا ثم جاهل بوطنه فكم من شبان تعلمت في أوروبا وعادت محافظة على مذهبها وعوائدها ولغتها وصرفت علومها في تقدم بلادها وأبنائها ولم ينطبق عليهم عنوان عربى تفرنج .

### (سهرة الانطاع)

دخل أحد المهذبين بيتا من بيوت رجال الملاهى فوجد عشرة من الرجال جالسين على الأسرة مبهوتين ساكتين لايتكلمون ولا يتحركون ولا يرفعون أبصارهم هذا واضع عنقه على كتفه وذا مكفى على المخدة وذاك يتمايل كالنائم وآخر واضع يده على خديه فظن المهذب أن رب الدار أصيب بمصيبة وهؤلاء متكرون مما أصابه مشفقون عليه فجلس في ناحية من المجلس وسأل رب الدار قائلا لعلكم بخير هل من أمر نزل بالسيد حفظه الله قال لا ولكن عادتنا أن نجتمع كل ليلة للأنس والمفاكة.

المهذب . أظنكم تتذكرون في تقدم صنائع أوروبا وانتشار تجارتها في سائر الأقطار حتى عظمت ثروتها وتقوت شوكتها .

رب الدار. ما لنا علم بأوروبا ولا أهلها فإتنا ما خرجنا من مصر مدة حياتنا  
المهذب. عدم الخروج من البلاد ليس شرطا في وقوف الإنسان على حقائق  
الأشياء وعلمه بأخبار من بعد عنه فإن التواريخ وصحف الأخبار تقص علينا  
أحاديث الأمم ونحن جلوس في بيوتنا.

رب الدار. التواريخ لا يقرأها إلا العلماء والصحف لا يسأل عنها إلا الخواجات  
فإنها عبارة عن حكاية يتسلى بها الشبان.

المهذب. الصحف يا سيدي السنة الأمم وترجمان الملوك تتقل لك ماقاله هذا  
الرئيس وهو بأقصى الغرب وما أجاب هذا الأمير وهو في أطراف الشرق  
وتخبرك بالمحاورات السياسية وأغراض الملوك وأحوال الأمم وسير التجارة  
وأعمال العقلاء وصنائع العلماء وخطب النباه وتاريخ الأنكباء وما قامت به هذه  
الامة من عمار وطنها وحمائيتها له وحفظه من امتداد أيدي الغير إليه وما أمملت  
فيه تلك الامة حتى خاتلها الغريب وتداخل في شأنها وحجر على أهلها عواندهم  
ومذاهبهم .

رب الدار . هذا شيء يوجب وجع الدماغ ويشتت الفكر ولا يشتغل به إلا من ليس  
له شغل.

المهذب . أظنكم تتحدثون في شؤونكم وتتذاكرون في أشغالكم الخاصة بكم  
لعلكم تهتدون لأمر يزيد في الثروة أكثر مما أنتم عليه لتفاخر بكم حكومتكم  
وتكافنكم على أتعابكم واجتهادكم بالرتب العالية والعلامات الشريفة .

رب الدار . هذا أمر لا يهمننا فإن البلاد إذا تقدمت أو تأخرت لاتفيدنا شيئا  
أحسن مما نحن فيه .

المهذب. ما هو الذى وصلتكم إليه يا سيدي من التقدم.

رب الدار. لله الحمد كل منا له بيت عظيم بحوش واسع ومضيفه لطيفه وعنده من الخدم ما يقوم بإدارة أشغاله وقد تركت لنا أباؤنا أموالا لا تقنيها الايام فنحن فى نعمة عظيمة ترى المسكين من الناس يقوم فى الفجر لأشغاله وبيوت يكتب ويحسب ونحن لانخرج من البيوت إلا قبل الظهر بقليل ونعود إليها وقت العصر للمسامرة بالمضحكات والنكات اللطيفة .

المهذب. إذا كانت هذه عادتكم فلم تجتمعون فى هذه السهرة

رب الدار. عادة الكيف أنه لايفرح إلا إذا تعاطاه الإنسان فى مجلس أنس بضحك ولعب فنحن نجتمع ليتعاطى كل منا منزوله ثم تدور النكته بيننا فإذا وثّن الإنسان وخدر قام ودخل محل النوم حسب العادة فيبيت مبسوطا لا يسأل عن الدنيا ولا من فيها ثم التفت إلى أقرانه وقال رأيكم ايه يا أسيادنا فى هذه العبارة فأجابه الجميع بصوت واحد «مغيش غير كده إحنا مالنا ومال الدنيا والتجارة والتواريخ إحنا رايعين نبقى زى الافرنج اللى كل ساعه يقولوا الدنيا جرى فيها ايه والجرائيل قالت ايه والتفرقات عادت ايه زى اللى الدنيا ملكهم ها ها هع».

المهذب. هكذا تكون حال من لم يتهدب صغيرا فإنه يخرج أسير شهواته بعيدا عن إدراك المعاني جبانا بليدا غيبيا ولكن قد كسفت شمسكم وظهرت أنوار المعارف والآداب وأصبحت الحكومة فى جد واجتهاد تقدم بهما رجالهما وتبعنكم من قبور الغفلة إلى جنات المعارف والأمة تبنت تبحت عن أسباب تأخرها وما يوجب تقدمها فهى الحكومة يد واحدة فى إحياء الوطن وتوسيع تجارته وتأييد كلمته ولا نلت أن نرى البيوت والمجامع كلها محافل آداب

ومجالس مباحثات وتصحيح الأطفال تبحث في حال من تقدمها وتعجب من جبن  
آبائها وسعيهم في إعدام المعارف بما ألقوه من اللهو والبطالة وفساد الأخلاق  
وما كانوا يفعلونه من القبائح والرذائل في سهرة الانطاع .

(تخريفه)

(الجنون فنون)

جلس أحد المحتالين على قهوة وأخذ يقرأ أكاذيب سماها قصة عنتره فاجتمع  
إليه عدد كثير من الرعاع والهمج الذين أولعوا بسماع الأكاذيب والخرافات فلما  
رأهم منصتين إليه أخذ يفترى عبارات ينسبها إلى عنتره وكلمات يعزوها إلى  
عمارة وقد افترق القوم فريقين وكل فريق يدفع لهذا المحتال نقوداً ليؤيد مشربه  
ويتمدح بمن يميل إليهم والمحتال مجد في التخريف متفنن في الكذب حتى  
قرب الفجر فقال وبينما هم في قتال ونزال وقد انكشف الغبار أن أسر عنتره  
وسنخلصه في الليلة القابلة. فقال له أحد المجانين لا بد أن تخلصه الان  
وخذ عشرة جنيهات فأبى المحتال وسكت عن الكلام فشتمه المجنون وعلت  
أصواتهما بالقبائح وآل الأمر إلى الضرب والإهانة ثم ذهب المجنون وقد تنكر  
أن عنده قصة عنتره ولكنه أمى لا يقرأ فقصد غرفة ولده وأيقظه من النوم وهو  
بيكى وقال له يا ولدى أبوك رزى بمصيبة عظيمة فقال له ولده هل مات أخى قال  
أهون - هل هدم البيت الجديد- كان أهون- هل ماتت أمى - كان أهون -  
أصدر عليك حكم بالليمان في قضيتك- كان أهون - سرقت نقودك - كان  
أهون- ما الذي أصابك يا والدى- يا ولدى فى هذه الليلة أخذوا عنتره أسيراً  
فهاهنا الكتاب وخلصه وإلا قتلت نفسى- الولد من عنتره يا والدى أتتكبر على  
حكاية مكنوية وقصة كلها تخريف ومالنا وعنتره إن هو إلا عبد أسود أخذ

شهرة بما صنعه من الشعر وقتل بعض الناس بلا حق لولوعه بالنهب وسعيه  
خلف مقاصده- الوالد أنت تشتم عنترة يا ابن الر... ونزل عليه بعصاه حتى أسال  
دمه وحلف عليه بالطلاق لا يبيت عنده ولا يعاشره فخرج الولد المسكين وهو  
يسب الأجهل وأهله ويعجب من فساد أخلاق والده الذي أحدثه عدم التهذيب حتى  
ألحقه بالبهائم وسلخ عنه جلد الإنسانية فعارضه أحد جيرانه وسأله عن حاله  
فقص عليه قصته مع والده - فقال طالما قلت لأبيك فضك من عنترة وتعالى  
أعمل زغبى فما سمع كلامى- فضحك الولد من خسافة عقل الاثنين وقال لا  
شك أن الجنون فنون .

### (محتاج جاهل فى يد محتال طامع)

احتاج أحد الزراع لاستدانة مائة جنيه فقصده بعض التجار وطلب منه المبلغ  
فجرت بينهما هذه الحكاية بحضور أحد النبهاء.

الزارع . عاوز ميت جنيه بالفرط ياسيدى

التاجر: فرط المائة عشرين كل سنة

الزارع : اعمل اللى تعمله

التاجر : شيل عشرين من المائة يبقى كام

الزارع : لهو أنا كاتب شوف يفضل كام.

التاجر : يبقى سبعين

الزارع : يدوب كده

الاجر : دلوقت صار لى مائة جنيه ضم عليهم عشرين واكتب الكمبياله

الزارع : اكتب وخذ الختم اهو

وفى وسط السنة قدم له الزارع عشرة قناطير قطن وعشرة أراب من  
السمسم وعشرين من القمح وثلاثين من الفول وأربعين من الشعير وجاء  
بحسابه فكانت الحكاية هكذا.

الزارع : طلع لى ورقه بالحساب ياسيدى

التاجر : انت جبت قطن بعشرين جنيه وقمح بعشرة جنيه وسمسم بثمانيه  
جنيه وفول بعشرين جنيه وشعير بعشرة جنيه يبقى الجميع كام

الزارع : ما قلت لك من ديك المره معرفشى الحساب

التاجر : يبقى أربعين جنيه شيلهم من مائه وعشرين يكون الباقى كام

الزارع مين يعرف شيء لبده

التاجر : الباقى تسعين جنيه وفرطهم عليهم عشرين يبقى مائة وخمسة عشر  
طالب أنت كمان ثلاثين يبقى مائة وستين ضم عليهم أربعين فرط يبقى الكمبيالة  
تتكتب بمائتين وعشرة ونصف.

الزارع : هو ايه موش الأمل سبع عشرات وعشرونين وجمالهم ثلاثين  
وثلاثين شلت منهم تمن البتوعات اللى جبتهم يبقى لك دلوقت ميتين وعشرة بس.  
والنص ده جبتو منين،

التاجر : النص أجرة كتابتى ليس من الأرباح

الزارع : آي دلوقت صحت الحسبه والسنه دى أبيع لك خمسين فدان فى  
عشرة جنيه يبقى لك ايه بعد كده يا جنهين يا تلاته خذلك بهم جاموسه ويبقى  
على رأى المثل شيل ده عن ده يستريح ده من ده .

فقال النبي للتاجر : أما تتقى الله في هذا المسكين أخذت محصوله وصار  
دائنا لك فلقت له حسيبة لا أصل لها وجعلته مديونا فإن حسبتك معه هكذا.

عدد

٧٠ بفائدة عشرين في المائة فالمطلوب عدد ٨٤

وهو أورد لك هذا القدر

قنطار	سعر	جنيه
١٥	٢	٣٠ طن
أردب		
١٠	٢.٥	٢٥ سمسم
٢٠	١	٢٠ قمح
٣٠	١	٢٠ قمح
٣٠	١	٢٠ فول
٤٠	٠.٥	٢٠ شعير

١٢٥

يكون له عندك واحد وأربعون جنيها فكيف جعلته مدينا بمائتين وعشرة  
ونصف بعد ذلك أن هذا لهو السلب بلا خوف .

التاجر : ياخيبي الزرايء خمار وأنا إذا كان موش يعمل كده موش لازم

ييجى تاجر بنكير بعد خمس سنه . فقال النبيه قد تغيرت هيئتنا وتبتهت الحكومه لرجالها فهي تسعى فى عمل نظام يحفظ الحقوق ويمنع تعدى مثلك على هذا المسكين حتى لا يقع بعد ذلك جاهل محتاج فى يد محتال طامع .

### (غفلة التقليد)

بنى أحد حمير الأموال بيتا وزخرفه وملاه بالفرش والكراسى والمنصات الثمينه ثم صنع وليمة عظيمة لبعض أحبابه عند انتقاله اليه وكان فى جملة المدعويين رجل من النبهاء فلما انتهى بهم المجلس أخذ يقص عليهم سبب بناء هذا البيت ومقدار ما صرفه فيه وما قاساه من ماطلة العمال ومعاكسة الزمان وشرح لهم بيان ما فيه من الأثاث والمتاع حتى انتهى إلى خزانة كتب فقال واشتريت هذه الخزانة بألف قرش وأخذت هذه الكتب بمائة جنيه بواسطة أحد العلماء الأفاضل .

فقال له النبيه : أظنك مغرما باشعار العرب لتقف على أحوالهم ووقائعهم الشهيرة وحماستهم التى كانوا عليها والغيرة التى خصوا بها والحمية التى نشأوا فيها والأمانة التى امتازوا بها والعزة التى بها يعرفون والكرم الذى به يمدحون والوفاء الذى به يمتازون والشجاعة التى عليها يتدربون والحكمة التى بها يولدون والبلاغة المقصورة عليهم والفصاحة المنسوبة اليهم والسياسة التى امتازوا بها والرحلة التى ألقوها وتعلم ما فى منشأتهم من التشبيهات الغريبة والمعانى البديعة والتصوير العجيب والاقتدار المقدم والسلاسة اللفظية والرقعة المعنوية والتراكيب الأخذة بالمقول والتفنن الدال على قوة ذكائهم وجزارة مادتهم وصفاء عقولهم فإن ذلك كله فى إشعارهم يشهد به الشرقى ويعترف به الغربى ولا ينكره إلا من انتزعت منه الإنسانية وجذبتة الجنسية فالقته فى مهواة

الحقد والكبرياء فاصبح لايعرف إلا السفه ولايميل إلى القبائح ولا يمتدح إلا  
بجنسه وإن كان مذموما صفة المائل بطبعه إلى الشبهوات البهيمية البعيد بذاته  
عن مظاهر الإنسانية .

فقال رب الدار . ليس فيها من أشعار العرب ولا نثرهم شيء

قال النبيه . أظنك مشتغلا بمطالعة التاريخ لتعلم كيف كان بدء الوجود  
وانتشار الإنسان وكيف تعلم الإنسان الصنائع وأدرك المعارف وتقف على  
مخترعى الصنائع وما لاقوه فى ابتداعها ومؤسسى الممالك وما عانوه فيها من  
الحرب والغربة والأسفار الشاقة وما نابههم من فقد الكثير من الأرواح والألوف  
من الشجعان وما سهرروا فى حفظه من تربية أيتام أكلت الحرب أباهم وحفظ  
أرامل حال الموت بينهن وبين أغراضهن وما تعبوا فى جمعه من أموال  
يصرقونها فى صيانة الأمم وعمار الأوطان وشراء السلاح وآلات الدفاع وتهذيب  
الأطفال وتدريب الشبان وتحنيك الشيوخ وتبحث فى التواريخ على تاريخ قومك  
وأهل عشيرتك لترى نفسك فى أى جنس وجدت وفى أية أرض ولدت فإذا  
تحققت الجنسية وعلمت نشأة عصبيتك التى بها صح انتسابك وعرف عنوانك  
سرحت نظرك فى أخبارها وتتبع سيرها فى الوجود وبحثت فى مادة قوتها  
وعناصر تركيبها التى أقامتها جسدا صحيحا وأظهرتها إنسانا كاملا واشتغلت  
بمعرفة الوقائع وما جرى فيها من المداولات والسياسات الأبية والاحتياطات  
التي وقت تلك الأمة من العوارض وقوت أمرها ورفعت شأنها وشغلت الأفكار  
بها وأرجفت القلوب وحيرت الأبواب وألزمت نفسك معرفة الرابطة التى تأسست  
عليها والوحدة التى نشأت منها والقطب الذى دارت عليه والغاية التى وصلت  
إليها لتعلم أنت أنت كما كان أبائك أم غيرت وبدلت وتركت عاداتهم وتساهلت

فى معتقداتهم وأهملت سرهم الجامع ونظامهم البديع حتى رأيت التغير فى نفسك وقمك ويمدك عن الوصول إلى مدركاتهم ونفور الممالى منك وجهلها إياك فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

قال رب الدار . أنا لا أعرف التاريخ ولا البحث فيه لاشتغالى بأمر كثيرة

قال النبىه : أحسبك تشتغل بالعقليات لتعرف ما كان عليه قومك من السهر فى تدوين كتبها وحل مشاكلها وتعيب الأجسام فى تجربة المخترعات وسبر المبتدعات وما كانوا عليه من القوة فى هذه العلوم وماذا ينسب إليهم من الطب الذى هو أساس نظام الحياة ومظهر الصحة وما عرفوه من الهندسة التى هى قاعدة المدنية ودعامة الحصون والمعازل وما أدركوه من النجوم التى أوصلتهم إلى معرفة الحوادث الجوية والخوارق الكونية فاهتدوا بها لافتتاح ليج البحار واكتشاف المجهول من الأقطار والأمم وما وصلوا إليه بالرحلة من معرفة حدود البلاد وعوائد العباد والطرق الوعرة والسهلة ومقدار مساحة الوديان والغابات والمحالك وما تفتنوا فيه من الآلات الدفاعية والصناعية والزراعية وغيرها حتى عظمت ثروتهم واشتدت سطوتهم وتأيدت قوتهم وما الفوه من الحكم والآداب والعلوم الابتدائية التهذيبية والبدايع المروضة للنفوس.

قال رب الدار . ليس لى إمام بشىء مما ذكرت

قال النبىه . أتخيل أنها كتب دينية تشتغل بها لتكون على سنن أسلافك ودين أبائك لئلا تفقد حرارة الدم والغيرة التى يولدها الطعن فى المذهب وسعى الغير فى إعدامه خوفا منك على وحدة النظام وقاعدة الاجتماع ورهبة من تنبذك وميلك مع كل ربح فتصبح براء من مذهبك أجنبيا من غيره فلا تتمكن من الحماية بقومك ولا الالتجاء لغيرهم فلكل أمة مذهب يجمع شتاتهم ويوجد كلمتهم

ويبعث فيهم روحا يحيا به نكرهم ويوم مجدهم ويتأييد اتحادهم وتخشى من  
تغيير مذهبك الذى يذهب بك إلى النفرة وكراهة مواطنك وعداوة أبيك ويغض  
أخيك وحقد صاحبك وأنفة جارك منك ويميل بك إلى مهواة يعز عليك الخروج  
منها وترمي بك فى حضيض لا يرفعك منه إلا إعدام يواريك التراب فيذهب  
شخصك وينسى نذكرك وينكر أثرك.

قال رب الدار . أنا لا أعرف المذهب إلا سماعا من أبى وأمى ولا أفقه له  
معنى غير أنى مثل قومى .

قال النبيه . أظنها كتبيا بغير لغتك تجيل فيها فكرك لتعلم أخلاق الأمم  
وسيرتهما وما هم عليه من الآداب والمجاسن الإنسانية فتأخذ منها ما يكون  
صالحا أمرك نافعا لقومك مؤيدا لوطنك وتعرف ما لهم من طول الباع فى  
المخترعات واتقان الصناعة وإحسان أسباب الثروة وتترك بماذا تقدمت هذه  
الامة ومكنت المدنية فيها وبماذا غلبت تلك الامة وأضاعت أقطارها وخسرت  
رجالها وبماذا اتسعت تجارة هذه ودارت فى المسكونة مع الرغبة فيها والأمن  
عليها لعلك تهتدى لشيء مما تنفع عليه تنفع به بلادك وترشد إليه قومك .

قال رب الدار . أنا لا أعرف من اللغات غير ما كانت تكلمنى به أمى فى  
صغرى وتربيت عليه.

قال النبيه . ماهذه الكتب إذا وما داعية اقتنائها عندك

قال رب الدار . نخلت بيت الشيخ فلان والسيد فلان والحاج فلان والهمام  
فلان والأمير فلان قرأيت فى مضيعة كل منهم خزانة بها كتب وعليها ستارة  
خضراء وبجانبها منشة من الريش والخام كل يوم يفضها ويمسح الزجاج  
والخزانة فعلت أن هذا طرز جديد (موده) فى بناء البيوت فرقت مضيقتى

مثلهم لاكون في صف المتمدين. فلعن النبيه الجهل وسب التقليد وقال أن دام  
تقليد الناس لبعض الأفراد فيما يفعلونه من غيرنظر في المنفعة ولا تعقل لما  
يراد ضاعت العلوم وتحوات الطباع وانحلت عرى الوحدة وأصبح الكل نائما في  
غفلة التقليد ..

\*\*\*

## منتخبات العدد الثاني

### إضاعة اللغة تسليم للذات

#### أيها الناطق بالضاد

بم تستبدل لغتك وما لها من مثيل وإلى من تتركها وأنت لها كفيل وما الذي استحسنته في غيرها واستقبحت مقابلة فيها. وأي شيء طلبته فيها ولم تجد له اسما. ترى أنك في عصر تمدن يقضى عليك باستعمال أرق اللغات لسهولة التركيب وعنوية اللفظ ورقة المعنى. ناشدتك الله أوجدت في اللغات لسهولة التركيب وعنوية اللفظ ورقة المعنى. ناشدتك الله أوجدت في اللغات الحديثة العهد ما اشتملت عليه لغتك القديمة أم رأيت حسنا في اللغات التي تنفخ كل يوم بقلم المتمدنين لم تراه في لغتك الفطرية الخلق المجموعة في زمن الهمجية كما يزعم الجاهلون أتري إذا عبرت عن شيء بلفظ في غير لغتك وأردت أن تتصرف فيه بعبارة أخرى هل تجد له مرادفا واحدا كما تجد في لغتك للفظ جملة مترادفات. أم أنت الجاهل بقدر لغتك الغافل عن عظم قدرك في تاريخ العالم قديما وحديثا. أظنك في احتياج لفهم سر اللغة ومعرفة ما يترتب على ضياعها ولا تثريب عليك في أمر لم يبحث فيه إلا بعيد الغور في حساب العواقب شديد الحرص على بقاء وحدة الهيئة الاجتماعية .

ليبك أيها الأخ الشقيق وإن لم نحمل في بطن واحد. اللغة سر الحياة والحد الفارق بين الإنسان والبهيم. بها يترجم اللسان خواطر القلب ويجلو بنات

(١) البغات ضعاف الطير وعليه المثل حتى البغات بأرضنا تستسر

الأفكار وبها يعشق المرء وإن كان دميم المنظر. إن رقت استعطفت القلوب  
القاسية وأن غلظت أخضعت النفوس العاتية وإن فحشت حركت الطباع. وإن  
لطفت رفعت الأوضاع. وإن حسنت ألفت القلوب. وإن سهلت أظهرت الغيوب .  
وهي التي بها جذبت قلب أمك واستعطفت. جانب أبيك وتملكت فكر أخيك  
واستملت صاحبك والفت جارك وتعارفت مع مواطنك وتباينت بها نزيلك. فهي  
أنت إن كنت لا تدري من أنت. وهي وطنك إن لم تعرف ما الوطن. أما كونها  
أنت فقد قدمت لك من عرفتهم بها وأنت إذا فقدتهم صرت وحيدا غريبا في  
الوجود لا ترى من يقول لك من أنت . وأما كونها وطنك فإنه إنما يعمر ويسمى  
وطنا برجال يتعاونون على أحيائه وإظهاره في الوجود محلا للسكنى ودارا  
للإقامة وقد علمت أنك بمفردك لاتتهدى لشيء ولا تقوى على أي أمر كان ومن  
فقد المواطن فقد الوطن.

اسمعك تقول إذا فقدت لفتى اعتضت عنها بأخرى. أجل أنك اعتضت عنها  
ولكن بما أضاع منك الوطنية والمعتقدات الدينية فإنك لا تخاطب بها إلا أجنبيا  
من البلاد مغائرا في الجنسية وأنت تعلم أن لمعاني الألفاظ تصورا لا يقوم به  
مقابلها في غيرها فإنك لو سمعت قولى

ومن غرد الأخلاق تهدر الدما \* لتحفظ أعراض تكفلها المجد

وأردت أن تلقيه بلغة أخرى لفقد قوة الحماسة ووقع الألفاظ وربما عبرت عنه  
بما لا يؤدي معنى ولو سمعت قولى .

---

(١) النازي نبات يقتل نود البطن والمحريب نبت يمنع المفس والتيزي القول السوداني  
والعريب التمر هندي

### أجل صفات المرء فضل ومنطق \* ويعدهما كل الصفات غرور

لسردت عبارة يضيق صدر السامع بها وما يصل لقمه المقصود وهبك  
توسعت في غير لغتك وتفننت فيها أنتاجي ريك في أوقات عبادتك بها أم تقرأ  
بها كتابك المعجز بحسن نسقه ام تخاطب بها باعة الفجل عند ما تشتريه أم  
تستعطف بها قلب أمك وقت ما تغضب عليك أم تعاشر بها عامة قومك وهم أهل  
البلاد. أراك استجهلنتي وقلت إن الرجل لعدم علمه بغير لغته ينكر بلاغة غيرها.  
مهلا أيها المدل بنفسه فإن في قولي (لمعاني الألفاظ تصور لايقوم به مقابلها  
في غيرها) حكما يقضى به كل ذى لفة على عدم قيام غيرها بما تقوم به فربما  
كانت حماسة هذا اللفظ في لغتك تخنثا في غيرها وبالعكس وهذا مما يأخذه  
النوق من غير بحث في اللغات. وأراك تعدنى من الجاهلين بضروريات الاختلاط  
من معرفة لغة النازلين بوطنك. رويدا فقد قدتك إلى الحق ورميتنى بالإضلال.  
فأتى لم أحرم عليك غير لغتك لضرورة تقضيها ونازلة تدفعها ومشكل. تحله.  
وإنما أردت تنذكرك بأن لغتك كان منطوقا بها من غير تعلم محفوظة في غير  
كتاب بمخالطة الدخيل فسد بعضها وخيف عليها الضياع نؤنت في بطون  
الأوراق ويقتت قوتها في اللفظ والكتابة ثم كثر فيها الدخيل حتى انتخب لها  
كتاب ومنشئون ثم تعدد فيها الدخيل فاستبدلت بلغة اصطلاحية لاقاعدة تمشى  
عليها ولا كتاب يحفظها ولاضابط يجمعها ولاحروف تؤلف منها وإذا أردت  
معرفة لغة أبائك أفنيت الكثير من السنين في طلبها وهيئات إن أدركتها وقد  
عظمت العصيبة بفقد الكتاب والمنشئين ثم تم التغيير بتكلم العامى بعبارة  
طويلة ثلثاها أجنبي عن لغتيه الأصلية والاصطلاحية. ألا تعلم أن اللغة تقضى  
على المتكلم باتباع ما تقتضيه عبارتها فتراك تهتز في عبارة أجنبية يلزمك

الثبات بها في لغتك وتستحسن أمرا عنون بغير لغتك وهو مستقيم في عادة بلادك ومعتقد أهلك. ولا شك أن هذا يسير بك في طريق الاستحسان حتى تستقيم لغتك وعادة بلادك فتبيت وأنت وطني حر وتصيح وأنت في يد أجنبي يصرفك كيف يشاء. وناهيك بالأندلس الذي كان روضة الآداب وستان المعارف العربية وبترك لغته واستعمال الدخيل فقد محو وجعل المعتقد جهل طفولية فمن يجتمع معك في جدك السابع أو الثامن من أهله أصبح يعبر عنك الآن بلفظ (أرابو) أي عربي وساعت تلك المبادئ وينس هذا المنقلب. هون عليك فالأمر سهل فإننا لانحتاج لمفظ لغتنا أكثر من إحداث درس في جميع المدارس يلقن فيه الطفل لغته العربية الشريفة بطريقة تهذيبية لا يصعب الأخذ بها ولا تمل النفس من ملازمتها مع اجتماع الأمة على تكثير المدارس بالجمعيات وصرف ثلث وقت الطفل في تعلم اللغة والوطنية وتهذيب الأخلاق وحفظه من معلم أجنبي يفرس في طبيعته السانجة حب بلاده ويحسن لأفكاره الخالية طباع أهل جلده وإذا تمت هذه المبادئ رأيت لبلادك نشأة جديدة وخلقاً بديعاً وعلمت بما تراه من جمع الكلمة وسر وحدة التعليم وانتظام الهيئة الاجتماعية إن إضاعة اللغة تسليم للذات .

\*\*\*

(كانت المقالة السابقة سبباً لمناظرة طويلة بين جماعة من كتاب مصر انتهت بإقامة النديم نفسه مقام حكم موفق بين أفكار الكل كما يراه القارئ في المقالة الآتية وقد قدمناها على غيرها لأنها هي وسابقتها متلازمتان ونصها)

(كلمة زهير بنى أبي سلمى العري)

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده \* فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

(كلمة إمام المحققين عبد الرحمن بن خلدون المغربي)

(اللغة ملكة صناعية متقررة في العضو الفاعل لها)

(كلمة لامرك الفرنساوى المؤرخ الطبيعى)

(الوظيفة تكون العضو)

(كلمة شافى الفرنساوى المحقق الفيلسفى)

(اللغة ليست بارادة الإنسان)

(كلمة عبد الله نديم الاسكندرى)

(إضاعة اللغة تسليم للذات)

(كلمة الفاضل أمين شميل الشامى)

(اللغة آلة مادية تقوم بها مبادلة الأفكار بالمعاني بين أفراد الإنسان عموما

وخصوصا)

(كلمة الفاضل المصرى - هو إبراهيم بك الهلباوى)

(استقلال الأمة موقوف على حفظ لغتها)

(كلمة الأديب الاسكندرى - هو احمد افندى سمير)

(اللغة هى عنوان الأمة)

### (سانتى الأدياء)

أعيرونى من أيام أنسكم وقتا أدخل فيه أنديتكم الأدبية لأتلو عليكم بحث اللغة وأنا كامن فى أسطر صحيفتى وهى لسانى فما المرء إلا اصغراه قلبه ولسانه فقد طالت المناقشة والبحث باق على حاله وإن استفدنا منه حكمتين ولست ممن يدخل فى البحث ليخس الناس أشياهم وإنما أتكم بعبارة أحقق فيها كلمات الحكماء بقدر ما يصل إليه إدراكى من التصورات التى بنيت عليها حكمتى أخذًا على القلم عهدًا أن لا يخرج بما يلفظه عن حد الأدب ولا يتشيع للغة ولا للجنسية فإن قواعد البحث مختلفة المصادر ولكل أمة باعتبار لفتها فيها نصيب على أنى لست من السائرين خلف الأغراض وإنما أنظر للإنسان من حيث النوعية فى الاختلاط المعاشى ومن حيث الوطنية فى الاجتماع العصبى وقد قامت ثمانى كلمات من الحكم وهى إما مختلفة بالوضع والاعتبار أو متفقة بالوضع أو بالمآل فنتكلم عليها بطريق المزج محققين معنى كل كلمة وما قامت به وما دلت عليه وهذا يقضى على بتقسيم البحث إلى فصول. الأول فى تحصيل ملكة اللغة وقيامها بالعضو أو قيام العضو بها وانفعال الأجسام بمدارك اللغة. الثانى فى إظهار سقطات المناقشة وما خرج عن الموضوع. الثالث فى تسوية المسألة بين المتناقشين وحفظ النفوس من عوارض النفور وهذا يلزمنا بطول الشرح ولكن صدر الجريدة لايسعه فنحن نجتهد فى الإيجاز ونقدمه فصلًا بعد فصل حتى نأتى على آخر الفصول إن شاء الله غير أنى أتمس الصفح من القراء والمتناقشين عما يرونه من القصور أو الركاكة فإنى فى تيار الرحلة أكتب ما أقدر عليه من التصور بلا مراجعة ولماذكرة مع حكماء واختلاف الأماكن وكثرة التقلع مع الاشتغال بالإخوان على اختلاف عباراتهم

وتحرير غير البحث من أوراق الصحيفة كل ذلك يسهل العقو ويحقق لى الرجاء  
فتشتيت الفكر فى هذه الحالة لا يخفى على من تعود على الخروج للنزمة لا  
لمعانة الأسفار .

### (الفصل الأول فى تحصيل ملكة اللغة وقيامها بالعضو أو قيام العضو بها الخ)

قرر العلماء والفلاسفة والطبيعيون أن للإنسان مدارك جسمانية ومدارك  
روحانية فإنه مركب من جزء جسمانى وجزء روحانى ومداركه بحسب مركباته  
غير أن المدرك لحوادث الجزئين هو الروحانى وإنما يختلف باختلاف الوسائل  
فإن كان المدرك جسمانيا أدركه بواسطة القوى الدماغية والحواس الجسمانية  
وإن كان روحانيا أدركه بنفسه من غير واسطة وهذه المدركات عند حصولها  
تدفع قواها المعنوية إلى اللسان فيترجم عنها بما يقتضيه مقام الشعور من  
ألفاظ فرح أو حزن أو إرهاب أو استعطاف أو غير ذلك ولهذا المعنى الدقيق  
أشار زهير العربى بقوله «لسان الفتى نصف ونصف فؤاده» ولايقوم اللسان  
بخدمة الجزء الروحانى وترجمة مدركاته إلا بتمرينه على الكلام وتكرار  
المسموعات وتعوده على النطق بالألفاظ الدالة على المعانى واشتغاله بها حتى  
تصير اللغة ملكة فى هذا المصو المعبر عن الإنسان ما هو ولهذا المعنى أشار  
ابن خلدون المغربى بقوله «اللغة ملكة صناعية متقررة فى العضو الفاعل لها»  
ولايمكن الطفل من هذه الملكة إلا إذا قررت إليه أصول اللغة ومشتقاتها ومنع  
من تناول لغة أخرى حتى تصير الأولى ملكة سليمة من العوارض كما كانت  
عليه العرب الأولى فإن استعمالهم اللغة على أصولها وتداولها بينهم غير ممتزجة  
بأخرى صيرها لهم ملكة صناعية يأخذها الولد عن والديه فينطق بها كما ينطق

البليغ من قومه وقد وهم بعض الملقين فقال إن اللغة كانت للغرب فطرية غريزية وقد علمت بطلان هذا بما تقرر من أن أحكام الصناعة في التلقى والتلقين هو الذي صيرها ملكة اللسان ولهذا أشار الفاضل أمين شميل الشامي بقوله «اللغة عبارة عن آلة مادية تقوم بها مبادلة الأفكار بالمعاني بين أفراد الإنسان عموما وخصوصا».

وبما تقرر تعلم أن اللغة ليست فطرية وإنما هي مظهر الانفعال الجسماني أو الروحاني فإن المواد إذا خرج من بطن أمه ورأى النور اهتز واضطرب لانسه الجسماني بهذه المدركات الجديدة وإذا رأى الظلمة انتحب وبكى لتألمه من هذا الانتقاض الجسماني وإذا سمع صوتا مال إليه بالقوى الدماغية الجسمانية وهو في جميع الأحوال يشير ويعالج النطق بفطرته فلا يتمكن منه حتى تكرر عليه الألفاظ وترسخ في ذهنه فينطق بها ويكررها إلى أن تصير ملكة في لسانه ولهذا المعنى أشار المحقق شافى الفرنساوى بقوله «اللغة ليست بإرادة الإنسان» غير أنه يحكم على الانفعالات الجسمانية باتباع المادة المتكونة منها ويقول لو جننا بطغليين عريى وأوروباوى وسلمناهما لعرب أصم أبكم أعمى وتركتاهما معه عاما أو عامين ثم دخلنا عليهما لوجدنا العربى ينقل انفعالات عربية تبعا لمادة تكوينه والأوروباوى ينقل انفعالا غريبا تبعا لمادة تكوينه كذلك بمعنى أن كلا يصيح بأصوات تماثل أصوات المشتقات وقد انفرد بهذا الرأي وتبعه قوم من بعده ويمذهبه يقرر أن تغيير اللغة في الأبناء يغير فطرة الانفعال في الأبناء فإذا تعلم الأعجمى العربية وعلما ولده تجنس بالعربية وانسلخ من جنسية الأعاجم كما وقع لكثير من الأعاجم الذين تركوا لغتهم بالعربية والعرب التي تنصرت بالروم فإن الأولين انسلخ اسم العجمة عن أبنائهم والآخرين وانسلخ اسم

العروبة عن أبنائهم كذلك وما نقلهم من الجنسية إلا ترك اللغة واستعمال غيرها حتى غلبت عليهم ولم يكن تسليم الذات مخرجا لها عن الجنسية في العرب التي تبعت الفرس والروم والترك لتمسكها بفلتها وعدم التهاون فيها باستعمال غيرها فبقيت عصبيتها قوية ودمها الجنسى ساريا في عروقها تظهره القوة ويخفيه الضعف ولو تركت لغتها واستعملت غيرها لفقدت الجنسية الأصلية وعنونت بجنسية اللغة التي صارت ملكة في لسانها وهدمت الانفعالات العربية وكذلك الألبانيون والرومانيون واليونان وغيرهم لما ثبتت لغتهم في ألسنتهم ولم تتمكن منهم لغة أخرى بقيت العصبية محفوظة مع ضعف القوى حتى إذا قويت الانفعالات وتجمعت حواس العصبية غلبت على أمرها وتخلصت من اللغة المستلمة ذاتها ولم يضع تسليم الذات اللغة ولو أضاعت اللغة ما نظرت إلى الذات فقد تقرر أن المدركات الجسمانية تترجمها اللغة وهي تستعمل الذات فيما تقوم به من المعانى ولهذا أشرت بقولى «إضاعة اللغة تسليم للذات» .

وقد قرر المؤرخ الطبيعى لامرك الفرنساوى أن الوظيفة تكون العضو الطبيعى من قبله يقولون إن العضو يكون الوظيفة فيحكمون على أن اليد هي التي تكون الحركة واللسان هو الذى يكون الكلام والعين هي التي تكون الابصار وهكذا . ولكن تحقيقات لامرك ومجرباته عكست هذا القول وأثبتت أن الوظيفة . واللسان إذا ترك بلا تكلم مع صاحبه ولاتعليم للغة كان عضواً معطلا فإذا استعمل في وظيفته ظهر وعلم وعرفت ثمرة فالوظيفة هي التي كوئته وأظهرت المعانى القائمة بالألفاظ المنبئة من الانفعال الجسمانى ولهذا أشرت بقولى في خصائص اللغة «إنها سر الحياة والحد الفارق بين الإنسان والبهيم بها يترجم اللسان خواطر القلب إلى آخره» ومما ذكرته تعلم أن اللغة تصير

بالصناعة ملكة للإنسان باعتبار المدارك الجسمانية وإنسانا باعتبار قيامها بالانفعالات الجسمانية والروحانية وترجمتها المدركات الحاصلة من الحواس والقوى الدماغية والتصورات العالية المجردة من الانفعال الجسماني. ويلمع أن صناعة الكلام غير اللغة فإن الرفع والنصب مثلا تقوم بهما الألفاظ وتحفظها من الخطأ ولكن لاتساعدك هذه الوسائل الصناعية على اتقان اللغة والمخاطبة إذا كانت مجردة عن بدائع اللغة فكم من نحوى لا تغيب عنه قاعدة من قواعد النحو لو كلف كتابة جواب أو عبارة صحيحة لا خطأ في الرسم وخرج عن حد الانشاء كما أن اللغة وإن صارت ملكة لاتؤدى معانى صناعة الكلام إلا إذا أخذها الطفل عن والديه على أصولها فيوافق ينطقه صاحب صناعة الكلام وإن كان لا يدرك القواعد الصناعية. فالصناعة إذا ملة فى اللسان غير ملكة اللغة وهى بمقام لغة أخرى فى اللسان ومن هذا تعلم أن النصب والرفع وضرب زيد ومات عمرو ليس من اللغة فى شيء لاستقلاله بنفسه فإنك ترى الأعجمى إذا لزم فن النحو أتقنه وهو لا يعرف العربية أو لغة غير لغته وترى ساكن نجد ينطق بالعربية الصحيحة واللغة الحقّة وهو لا يعرف من النحو زيدا ولا عمرا وما صير أهل الأمصار محتاجين إلى صناعة الكلام لتقويم الألفاظ بها إلا لاختلاطهم ومزج لغتهم فلفقوها وصيروها لغة اصطلاحية لا يستدل على أصلها إلا بالمحفوظ فى الكتب ولايقومونها إلا بعلم الصناعة وقد أضاعوا ذاتهم الملكية وسلموها للغة اصطلاحية فإذا تركوا الاصطلاح الموصول للبحث فى أصل اللغة واستعملوا غيره من اللغات فقدوا الجنسية رأسا وتجنسوا باللغة التى يستعملونها وسلموا ذاتهم لانفعالاتهم الجسمانية والروحانية والانفعالات تصير الجسم آلة لمظاهر الألفاظ وغرضا لمواقع المعانى وهذا بعينه هو التسليم وإن كان الوازع من التحولين إذ لا ينفعهم بقاء الوازع مع جهل تاريخ مبداهم وسيرة شعوبهم فإن

اللغة الطارئة بعد أن تصير ملكة للسان تستخدم الفكر في تاريخ أهلها ووقائعهم وسيرتهم وهذا الاستخدام يهين الذات لانفعالاته وتتبع المدركات الحديثة وليستحيل على الذات الرجوع لحركات جنسها الأول بعد فقد الملكة المترجمة عن المدركات وتحويل المدركات لما تقوم به هذه الملكة الطارئة. فإذا كانت أمة مستقلة وغيرت لغتها بغيرها ضعف فيها الاستقلال بقدر ما يضعف من لغتها فإذا تم التغيير فقدت الاستقلال ووقع فيها الخذلان بتباين الطباع وانعكاس الانفعالات وعدم اتفاق المدركات فإنه يستحيل توافق التغيير في جميع الأفراد وإن تم اختلفت المدارك اختلافاً يبعد الذات عن روابط الاستقلال وهذا الذي أشار إليه الفاضل المصري بقوله «استقلال الأمة موقوف على حفظ ذاتها» والأديب الاسكندري بقوله «اللغة هي عنوان الأمة» .

سيأتي مزيد من بيان مهم لهذا المبحث في منتخبات الاستاذ فإنه لم يكتب في التنكيث والتبكيث بعد ذلك من هذا الموضوع شيئاً.

### (جرائد الأخبار مدارس الأفكار)

والعهد وذمته والشرف وجرمته أن قلمي في خدمته لمن الصادقين ولساني في أخباره لمن الناصحين . ناشدتك الحق يا شقيق الإنسانية إذا ما تأتيت على خادم أفكارك حتى يفرغ من حديثه وإن شئت أنبت أو أحببت فإنك في الأولى تحمد العاقبة فتندم على إهمال المبادئ وفي الثانية تمدحك المبادئ وتعشقك النهايات فإن اكتفيت بالإشارة تركتني أعانى غير هذا الموضوع وإن أبيت إلا الشرح تكفها لا جهلاً فما دعوت إلا سميعاً ولا أمرت إلا مطيعاً كانت نشأة الجرائد في أوروبا كنشأة زراعة القطن عندنا ووجه الشبه إن القطن عندما أمرنا بزراعته كنا نزرعه ورجال الحكومة خلفنا بالكرياج ثم كنا نقلعه بعد

ذهابهم ونحرث الأرض لغيره فما زالت الحكومة تعالج رجالنا معالجة المريض حتى أرتنا الثمرة فألقناه وعشقناه واجتهدنا في خدمته حتى صار معدن ثروتنا . كذلك الجرائد التي كانت توزعها كتابها بلا مقابل فنلقى في الطرقات والمحافل ولا نقرأ فلما عجز أرباب الأقلام في تفهيم فنون السياسة أخذت تدم الأخلاق الفاسدة وتعدح أخلاق المهذبين فتورط المهذب وصار يطالع الجرائد وتحرك الغبي فصار يتصفحها لينظر ما يقال في أمثاله فصارت قراعتها من الفروض العينية بل من معدات الحياة. فلما رأيت الكتاب أن جرائدها نفذت في الأمم وتعلقت بها الأفكار انقسمت قسمين قسم يهذب بضرب الأمثال وسبك الوقائع في قوالب مألوفة وقسم يؤذب بنقل الأخبار وتفسير الأفكار فارتفع شأنها وعظم قدرها واشتهرت سطوتها حتى صارت لسان الأمم ثم ترقت إلى درجة كانت فيها الأمرة بالصلح المثيرة للحرب القاضية بالحكم فما نسمع إلا قولهم من رأى جرائد ايطاليا في مسألة كذا كذا. ومن رأى جرائد فرنسا كذا. وهذا حد لم تبلغه الجرائد بنفسها بل بقرائنها الباحثين في فصولها فإنها إنما تتكلم بلسان أمة أو طائفة من أمة. أراك تعترض وتقول إن جرائدنا ليست في قوة التكلم. رويدا فإننا الذين حجرنا عليها أفكارها بما ابتلينا به من التهور وعدم التبصر في العواقب فإننا لو علمنا أننا في مهد التهذيب وحضارة الآداب لوقفنا عند حدودنا وحصرنا أفكارنا في ما يزيد ثروتنا ويقوى سطوتنا وتركتنا تشويش الأذهان وتكبير الخواطر خلف ظهورنا واشتغلنا بما يضمن صلاح مستقبلنا واجتهدنا في توسيع دائرة المعارف وأحياء ميت الصناعة حتى تخلص النفوس الطيبة من الجهالة وتفتح البيوت التي أقفلها الإعمال والإعجاب بمصنوع الغير وإن كان مغشوشا. وإذا انتهينا إلى السعى في منفعة الوطن وتركتنا رجال هيئتنا تشتغل بتصالحنا وتنتج من هذا الاجتهاد تعميم العلوم ونجاة الأبناء

ظهرت الجرائد فينا ظهور الشمس في كبد السماء، وأطلقت لها الهيئة حرية  
لا تصل بفكرنا الآن إلى حدها فإنها تكون أمنة إذ ذاك مطمئة لما تراه من  
سلامة باطن أهلها وحرصهم على بقاء عمود الوطنية تدور عليه الأيام وهو في  
قوة وصلابة. اسمعك تقول إذا لا لزوم للجرائد الآن لا تعجل أيها الأخ فنحن في  
عصر لم تبق فيه قرية فضلا عن مدينة إلا وفيها قارئ، فحق على كل من خط  
بيده وقرأ بلسانه أن يكون بيده جريدة يشاهد فيها العالم بأسره وهو على  
كرسيه أو في سرير نومه ولا يفعل فعل بعض الناس من اجتماعهم حلقة على  
جريدة يقرؤونها . نعم انها وان كانت مبادئ حسنة إلا اني لو كتبت في تلك  
الحلقة وأردت أن أراجع أمرا مضى وأنا في بيتي هل أسأل عن عنده الجريدة  
واذهب اليه أو أبقى في حيرة لا اهتدى إلى مقصدي، فمن هذا القبيل أقول حق  
على كل قارئ أن تكون له جريدة باسمه ليحفظها ويراجع فيها ما يشاء في  
أي وقت شاء. لا تبدأ بالطبع في قبل أن تعرف قصدي أتقول أني أريد رواج  
المحررين لاكون في جملتهم. لم أيها الأخ وأنت تعلم أن المحررين يخدمون  
الأفكار ابتغاء الإنسانية ولقد صبروا على جفائك وتباعذك عنهم حتى نضبت  
ثروتهم فهم يسترون منك ما أنفقوه عليك. وهذا العاجز يخدم الوطن خدمة  
زائدة على اشغاله المستفرقة أوقاته حبا فيه وطمعا في تقدم اخوانه ولو وجد  
من ينفق على صحيفته ويستخدمه بأجر الانتساب إلى الوطن لأرسلها إليك تقبل  
بيدك شاكرة تفضلك عليها بقبولك الحميد غير سائلة منك ولا أجرة البريد. ولكن  
عدم رضا الوراق بالعفو أبي عليه إلا تقدير قيمة الورق على أنك لو نظرت لقيم  
بقية الجرائد لو جدتها لا تذكر في جانب بعض مهامك التي لا تعبأ بها وما  
يقصد المحرر إلا خدمة الأفكار بقلمه لما يعلمه من أن جرائد الأخبار مدارس  
الأفكار..

## (هف طلع النهار)

لِئِمُّ أَحَدِ الْمَهْذِبِينَ عَلَى مَشِيهِ مَعَ وَادٍ أَحَدِ الْأَغْنِيَاءِ حَتَّى أُتْلِفَهُ فَقَالَ مَا كُنْتُ  
مَعَهُ فَإِنِّي أَعْلَمُ قَدْرَ نَفْسِي وَحَقِيقَةَ أَمْرِي فَلَا أَسْعَى فِيمَا يَضُرُّ بِي أَوْ يَنْزِلُ بِي  
إِلَى دَرَجَةِ الْأَوْغَادِ وَإِنَّمَا هُوَ الَّذِي عَمِدَ إِلَيَّ مَا تَرَكَهُ أَبُوهُ مِنَ الْمِيرَاثِ وَأَخَذَ  
يُصْرَفُ مِنْهُ فِي الْمَلَاهِي وَأَمَاكِنِ الْفَسَادِ فَقَدْ ابْتَدَأَ بِشِرَاءِ عَرَبِيَّةٍ تَمَاتِلُ عَرَبِيَّاتِ  
الْأَمْرَاءِ الْكِبَارِ وَيُنِي قَصْرًا بَدِيعًا صَرَفَ فِيهِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ جَنِيهِ وَاشْتَرَى  
جَوَارِي وَمَمَالِكَ يَعْجِزُ أَحَدُ الْأَمْرَاءِ عَنِ الصَّرْفِ عَلَيْهِمْ وَاتَّخَذَ لَهُ إِخْلَاءَ يَحْسَبُونَ  
لَهُ لَعِبَ الْقَمَارِ وَالْحَمَامِ وَأَعْدَادَ مَجَالِسِ السَّمَاعِ وَالطَّرْبِ وَالسَّهْرِ فِي الْحَانَاتِ  
وَبُيُوتِ الْفَاجِرَاتِ وَالتَّقَنُّنِ فِيمَا يَذْهَبُ الْعَقْلُ مِنَ الْحَشِيشِ وَالْمَعْجُونِ وَالْمَرْبِيَّاتِ  
وَالْمَشْرُوبَاتِ الرُّوحِيَّةِ فَأَعَدَّ قَاعَةً بِهَا خَزَانَتَانِ فِي الْأُولَى عَرَقِي الزَّيْبِ وَالْمَسْتَكِي  
وَالْبُرْمُودِ وَالْكُنْيَاكِ وَالرُّومِ وَالْعَنْبَرِيَّ وَالْبِتْرِ وَالشِّبَانِيَّةِ وَالْبُونَشِ وَالْبِيرَةَ وَالنَّبِيذَ  
وغيرها مِنَ الْأَشْرَبِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ وَفِي الثَّانِيَةِ الْحَشِيشِ الْبِلْدِيَّ صَنْعَ اللَّيْلَانِيَّ  
وَالْحَوَامِدِيَّ وَالْكَافُورِ التُّرْكِيَّ وَارْدِ الْأَزْمِيرِ وَسَلَاتِيكِ وَمَعْجُونِ الْهِنْدِيِّ وَالتَّرِيَاقِ  
وَمَرْبِيِّ الْجُوزِ الْهِنْدِيِّ وَجُوزَةِ الطَّيْبِ وَالزَّنْجَبِيلِ وَالتِّينِ وَأَقْرَاصِ الْعَنْبَرِ وَالزَّعْفَرَانِ  
وَخَبُوبِ الْمَفْرَحَاتِ وَالْمَهْيِئَاتِ يَصْحَبُ هَذَا عِدَّةَ جُوزَاتٍ مِنْهَا الْمَدْنَدِشَةُ  
وَالْمَشْخَلَةُ وَالْحَدِيقَةُ وَالنَّكْتَةُ وَالْحَاجَةُ الصَّنْعَةُ وَمَجْمَعَةُ الْأَحْيَابِ وَقَدْ حَلَى الْجَمِيعَ  
بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ وَلَا يَقُومُ بِإِدَارَةِ عَمَلِ الْكَيْفِ إِلَّا الْحَلِيوَةُ  
الْمَدْلَعُ وَالْوَادُ الْمَجْدَعُ فَإِذَا أَخَذَ الشَّرَابَ وَالْكَيفَ مِنْهُمْ جَوْهَرَةَ الْعَقْلِ كَانَ يَقُومُ  
وَيَقْلَعُ ثِيَابَهُ وَيَتْرَامِي عَلَى حَجَرٍ خُلَاتِهِ وَهُمْ يَتَنَاوَلُونَهُ بِالْأَيْدِي وَيَرْفَعُونَهُ عَلَى  
الرُّؤُوسِ وَهُوَ مَمْتَلِئٌ مَسْرُورٌ فَإِذَا انْتَهَى بِهِمُ الْمَجْلِسُ إِلَى الْمَوْتَةِ الْأُولَى نَامَ هَذَا  
عَلَى الْأَرْضِ وَذَلِكَ عِنْدَ الزَّيْرِ وَأُخْرَ فِي الْفَسْحَةِ بِلا غَطَاءٍ وَلَا وَطَاءٍ وَلَا يَزَالُونَ فِي

سكرة تزيدنا سلطة إلى الزوال فيقومون كالقردة عند ما تخرج من غاباتها  
وجوه مقلوبة ونفوس مقبوضة وعيون عمى وعقول غائبة وأفكار ضائعة وأعضاء  
منحلة وقلوب خائفة ومعد جانعة وأكباد مصابة وجيوب فارغة وقد تعطل الصانع  
عن عمله والتاجر عن محله والمستخدم عن ديوانه فيظهرون إليه الأسف والخوف  
والتضرر مما أصابهم من سهرته فيلاطفهم ويترضاهم هذا بألف قرش وذا  
بألفين وآخر بريال وغيره بجنيه ثم يطلب الأكل فتدور حركة البيت، خادم يجرى  
وطباخ يشتغل وعريجي يمسح الخيل وقمشجي يغسل العربية وسفرجي يحضر  
الأواني وقهوجي يولع النار وطبلجي يمسح الطبلية وجارية تشوى اللحم  
الخصوصى وسرية تكوى المحارم ومملوك يملأ الكؤوس وخادم يكسر الحشيش  
وتابع يهيه المربيات وعواد يصلح العود وكمنجاتي يشد الأوتار وراقص يصلح  
الصاجات ومغنية تتحنن وماجن يرتب القوافى ووكيل يصرف بلا حساب فإن  
تأخر أحد فى عمله قام فكسر الصحون وكب الطبخ ومزق الفرش وكسر النجف  
وأحرق الكيلار وهدم المطبخ وأراق القناني وقطع عدد العربية وضرب الجارية  
بالخشبة والمملوك بالشيش والخدام بالجزمه والطباخ بالسكين وطلق الست  
وقلع عين الدادة وكسر رجل اللالة ومزق ثياب المرضعة وابكى اخته واحزن أمه  
وطرد أخاه وشتم صهره وشخر ونخر وزمجر وكفر ولعن الدنيا وسب الدهر  
الذى يعانده فى سيره ولا يمكنه من أغراضه والإخلاء تقبل قدمه وتبوس يديه  
وتلثم خنوده وتترضاه بالفاظ يميل إليها وعبارات شب عليها كقولهم شوف كيفك  
أنت لسه شباب ايش من ألف صحن مذهب بمائة جنيه وعشرين نجفة بأربعمائة  
وجنيه وعرييه بمائتين وجارية بخمسين ومملوك بسبعين وفرش بخمسمائة  
وابسطة بثلاثمائة وكاسات بخمسين ومشروبات بثلاثين وحب حبشتان وشوية  
جرواش ودمعة دهنه تعيش راسك انبسط ياشيخ وروق شويه كده، ثم يلتفتون

لى التوابع ويقولون بس يا واد سيدك وضريك يعنى ايه معلهشى ياست صفار  
 واسه بيدلج. قومى يابنت بلا تباتيك. قضها يا اوسطى ماتبقاش مجنون. سد  
 ياخورشد بلاش عياط بقى . اقعديامقدم بلا قلة عقل. تفضل ياسيدنا ماتزعلش  
 نفسك ينعل أبو الدنيا وأبو اللى يبكى عليها. فيجلس وقد فارقه الغضب وعادت  
 إليه شهوة الطعام والشراب ويقول العبارة إيه احنا مالنا ومال الخدامين والزعل  
 والأمور والهذيان احنا فى نكتتنا والا فى ضرب وشنق خشوا بنا آفيه خشوا ها  
 ها هاي. «وقد زاد على ذلك أن أعد لآخوانه فى بيته ملعبا للقمار غربيا حيث  
 يأتون إليه كل ليلة بجيوب أفرغ من فؤاد أم موسى فيقرضهم من المال ما  
 يقدرون به على اللعب معه فإن خسروا فقد ردت إليه بضاعته وإن كسبوا فازوا  
 بما كسبوه وخرجوا إلى حيث ألفت رحلها أم تشعم كما يزعم» ثم ما زال على  
 هذه الحال عامين حتى فرغت النقود فأخذ يبيع الأطيان ويرهن البيوت  
 والجواهر حتى لم يبق عنده شيء ففارقه الخلان وتركه الخدم وطرده الحرم  
 وأصبح يبور يسأل الناس لقمة أو سجارة وما ذاك إلا من عدم تهذيبه وتأديبه  
 فإن أباه تركه للمعلم (الخوجه) يعلمه الخط فى السلامق داخل الخزانة تحت  
 الستائر وهو يقبل يده لثقل التعلم عنده ويجيب دعوته خوفا من شكواه لأبيه ولم  
 يجد غير خادم يحمله ومملوك يوافقه على أغراضه حتى خرج كالبهيم لاعقل  
 يردده ولا علم ينفعه ولاصنعة يتكسب بها ولا أدب يعيش به قال أمره إلى ما  
 رأيت يصرف بالآلف وأصبح ولسان الفقر يناديه هف طلع النهار .

### (كم فى الزوايا خبايا)

حكى أن أحد المأمورين فعل خطأ فى عمله فأرسل له رئيسه الأكبر كتابا  
 يويخه فيه ويسأله الإجابة فطلب أحد رؤساء الكتاب وأعطاه الكتاب ووقف يفهمه

المقصود نحو نصف ساعة فأخذ الكتاب واجتمع بجملة من أمثاله وبعد اللتيا  
والتي كتبوا هذه العبارة «معروض قوللر يدركه»

ورد لنا الأمر الكريم وما صار معلوم وكان الواجب علينا خلاف ذلك ولكن  
الخطأ من رأى الصواب وقلو أن عبدكم لم كان يقصد الخطأ ولكن من حيث أن  
المقدر كابين والعفو من شيم الكرام وكان الواجب علينا عرض القضية فى  
بدارى الوقت ولكن رأى لمن له الأمر افندم .

فلما سمع المأمور هذه العبارة قال كيف أخطب أميرى بهذه الألفاظ  
السخيفة ألم يكن فى الديوان من يعرف الكتابة الصحيحة فنهبه وكيه على أن  
بالديوان شابا لاتزيد ماهيته عن ثثمانة قرش لو طلبه المأمور وأمره بكتابة  
الجواب لكتب المقصود فاستحضره وقال له خذ هذا الأمر واكتب رده  
استعطافا واعتذارا فتناول القلم وكتب وهو واقف بين يديه سيدى ومولوى .

«إنى وإن جنيت على نفسى وخرجت عن حد الأدب فيما يجب على العبد  
لسيده فإنى عبد نعمتك وصنيع إحسانك وذنبى وإن عظم وضاق باب التوبة عن  
قبول المعذرة فالعفو عنه بعض حسناتك التى فطرت عليها والاغضاء عنى سر  
من أسرارك التى تميل إليها فاجعل العفو عنى قربة إلى مولى الموالى وأترك  
العبد عتيق مكارم الأخلاق وإلا فضع سيف نعمتك فى نحر عبد نعمتك وأنت حل  
من دم أراقه أهله وآلا أمره إلى وارث لايسعه إلا النزول عن المطالبة به ألا وهو  
مقام جلالتك السامى وحاشاك أن تعدم الصادق فى الخدمة بهفوة لم يقصدها  
وذنب أقلع عنه وعلى كل فالعبد بين يديك وأمره منك واليك وقد ألقى إليك مقاليد  
الأجل فافعل ما تشاء واتق الله عز وجل».

فلما قرأه على المأمور كاد يطير فرحا بنجابة هذا الشاب واقتداره على

الإنشاء البديع وقال كيف يكون هذا بثلاثمائة ورئيسه بألف قرش فقال له الوكيل هذا من أولاد الفقراء وليس له محسوبية على أحد الأمراء ولا يعرف النفاق ولا يفعل أفعال المحتالين التي تقدمه عند نوى الغايات ولئن تأخر مثله في زمن ترقى فيه الجهلة بالمجسوبة والمجون والتوسط في القبائح فسوف يتقدم في هيتتنا الحاضرة فإنها لا تبالى بالمسحوبية ولا تريد أهل الخيانة ولا ترقى إلا أهل المعارف والآداب حتى لا يبقى في الزوايا خبايا .

(التبكيك ) أعظم مصيبة من رئيس كتاب لا يعرف الإنشاء وجود مأمور لا يحسن كتابة جواب من شأنه أن يكون من أسراره الخفية.

(جواب عن سؤال ورد إلى التنكيك)

السؤال. بأى سبب ماتت صنائع الشرق وافتقر أهلها وبأية وسيلة تحيا وتعود ثروة أهلها؟

الجواب . ماتت الصنائع بتحاسد أهلها وتباغضهم اللذين أورثاهم الفقر وفقد الأمن والثقة بهم. وذلك أن أصحاب الأعمال إذا أرادوا فتح عمل كالبناء مثلا أحضروا طائفة المعمار ووضعوا لهم ورقة يسمونها قائمة المزداد وأمروهم بالتناقص في المقدار المعين لذاك العمل فإذا كان العمل يساوى ألف جنيه قال واحد على سبعمائة فيتحرك بغيضه ويقول على خمسمائة ثم يتحرك بغيض الثاني ويقول على بثلاثمائة وهكذا حتى ينتهي المزداد إلى مائتين فيرى صاحب العمل أن الألف لا يقوم بعمله فضلا عن المائتين ولكنه يفرح بهذا التناقص فيطلب من العامل تأميناً وضامناً غارماً ثم يتركه لا يصرف له شيئاً مقدماً فيبتدىء المسكين ببيع مصوغات زوجته وحليها وأمتعة بيته وإذا انتهى العمل وجه إليه صاحبه واحداً من المعلمين فيبتدىء بسب أخيه ولعنه ويقول له هذا

العمل مغاير لما فى الشروط فإن الحجر أحرش والبلاط معصرانى والقصر مل  
كله تراب والهيصم مرمل والجير قليل وقلب البنيان فارغ والبياض قشرة واحدة  
والجبس يارد والسلم قائم والسقف واطى والجدار ناقص وسمك الحائط ناقص  
عشرة سبنتى متر وهذا كله يفنعنى من التصديق على نظافة عملك فإذا صافحه  
برابط المحبة (الجنيه) قال له لا بأس من تنازلك عن عشرة فى المائة من أصل  
المطلوب لك فيضطر المسكين لختم الكشف والتصديق على ما يقوله معلمه  
الأكبر وقد خرج من العمل بخراب بيته وكثرة ديونه وأوقعه التباغض والتحاسد  
فى الفقر وفقد الأمن والثقة. فإن قلت لم لم تفتقر الأجانب وهى تأخذ الأشغال  
العظيمة والأعمال الجسيمة. قلت نحن مفرمون بحب الأجنبى والإعجاب بكل ما  
جاء به من الأعمال حسنت أو قبحت وإذا أراد أحد مقاوله أجنبى وساومه على  
عمل قيمته مائة جنيه قال له «دى عملتلوا احنا ميتين كمسين جنيه» وإذا قدم  
لاخر من جنسه قال « ياخبيبى دى راجل مجنون دى اسوى تلاته ميه كمسين  
جنيه» وقصده بذلك أن يأخذه أخوه وهو يشتغل معه من باطنه ليربحا معا وهذه  
فضيلة جميلة ووسيلة لزيادة ثروتهم وأراك تسأل عن الطريقة التى بها يتوصل  
أهل الصناعة لإعادة ثروتهم وتقدم صناعتهم فخذ الجواب من مشفق عليك  
طامع فى إنقاذك من مخالب الفاقة وناب الذلة .

يعلم كل وطنى أن هيئة حكومتنا الآن غير ما كانت عليه قبل وغاية أمالها  
تقدم أبناء الوطن وتهذيبهم ونمو ثروتهم تشهد بذلك أعمالها الجليلة ومساعدتها  
الخيرية فإنها وكلت إلى أمراء يرون أن لادولة إلا بالرجال ولا رجال إلا بالمال  
ولا مال إلا بتقدم الصناعة والفلاحة. فإذا اجتهدنا فى مساعدتهم على أفكارهم  
الحسنة لزمنا أن نسعى فى عقد جمعية لكل طائفة تحت رآسة عقلانها فإذا طرأ

عليهم عمل من الأعمال كان أمره مفوضاً لمجلس الرؤساء من الطائفة يساوم من يشاء ويأخذ ما يشاء ثم يوزع فيه من العمال بقدر ما يحتمل وعندما يطرأ غيره يوزع فيه من لم يكن في الأول وهكذا. وهذا العمل يلزمه رأس مال يديره به فعلى رؤساء الطائفة أن يفرضوا فريضة على كل صانع بصفة سهام على قدر قوته واقتداره والمجموع يكون في صندوق تنور به الأعمال وعندما توزع الأرباح يمجز المجلس من كل صانع جزءاً يضيفه لسهامه حتى يصبح ذا ثروة من حيث لا يشعر. وحيث أن الغالب من أهل الصناعة لا يقرأون ولا يهتدون لأسرار الجمعيات فعلى النبهاء من إخواننا أن يتنازلوا لهؤلاء الضعفاء بحثهم على عمل صناديق الاقتصاد وإدارة الأعمال بالاتخاذ والوفاق ولا بأس من تفهيمهم بعض ما يقرأونه في الجرائد من تقدم صناع أوروبا واجتهادهم في زيادة الثروة ومقدار ما وصلوا إليه بحسن التدبير والاتفاق لتتبعث فيهم الغيرة والحمية ويحرصوا على تقدم صناعتهم فإن الإنسان مقلداً طبعاً لا تطبعاً وإذا تمت هذه المبادئ وعقدت جمعيات الطوائف وفتحت صناديق الاقتصاد اختصتهم الحكومة بأشغالها وأعمالها لما تراه فيهم من الثقة والنشاط وظهرت الصنائع في عالم الوجود بحالة لا يتصورها العقل الآن فإن الفكر الشرقي والعقل العربي والذهن المصري لا ينبه بالكثير من الإشارة. وإلا فإذا لم تعقد هذه الجمعيات وفتحت تلك الصناديق وتلم الحكومة شعبتهم وتعيد ثروتها بمساعدتها لهم فلا تلبث أن ترى أهل الصناعة (وهم السواد الأعظم) خدماً للمتمولين (وليتهم منا) يصرفونهم كيف شاؤوا ويستعملونهم فيما يريدون وتفقد رجالنا بلا حرب ولا وباء وتعدم الهيئة الاجتماعية قوتها بتعذر التحصيل من فقير لا يأخذ من سيده إلا القوت أو غنى إذا طولب لجأ إلى الغير. ولا يظن عاقل أن ضياع أهل الصناعة لا يضر بهيئتنا وماليتها فإنهم قسم وأهل الزراعة قسم فمن هذا

القبيل نفقد الثروة ومن القبيل الثاني يختل نظام الهيئة الاجتماعية بكثرة لاسيما  
وأنتا مغرمون بحب الغريب والميل إليه فترى الرجل اذا خدم غريبا سمي  
باسمه ومدح فعاله وذم أهل بلاده وعاداتهم كما نرى ذلك في كثير ممن يخدمون  
الغريباء. واذا استمر حال الصناعة على ما نراه من التأخير في جانب الوطنيين  
خسرنا رجالنا وفقدنا قوتنا بإعدام الثروة وأصبحنا أسرى معاشنا ارقاء  
صناعتنا وتحولت طباع الأمة وفقدت اللغة وضاع المذهب بالإهمال والتقليد  
ونحن في بحار الغفلة غارقون .

(تخريفة)

(خذ من عبد الله واتكل على الله)

سافر لأحد الأغبياء ولد فلما طالت مدة غيبته توجه إلى بعض الرمالين وقال  
له «خط لي الرمل وشوف نجمى ازيه» فخط في الرمل وقال له ما شاء الله أنت  
طالعك سعود وأيامك سعود شوف النجم بيخبر أنك بتاكل وتشرب وتقوم وتقع  
وتفرح وتزعل وتركب وتمشى وتنام وتيقظ وتكسب وتخسر وفوقك سما وتحك  
أرض وفي فكرك كلام وطالب حاجة ويدك تبقى غنى. فغمز الغبي رفيقه وقال له  
شفت أنا ما قلتلكش يعرف كل شيء مين قال له على اللى بعمله دا كله النجم  
يبين كل حاجة ثم التفت إلى الرمال وقال له شوف أبو الزلفى ابنى ماله غاب  
كده. فقال الرمال دلوقت حصل سحب كثير والنجم ميصحش فى السحاب  
فقال الغبي أظن نجم الواد ساقط. فقال الرمال الظاهر كده فشتق الغبي نفسه  
فى عمته ونادى أه يابنى أه ياعز الرجال يا أبو الزلفى فسمعتة أمه فخرجت  
صارخة. مولولة قائلة أيه اللى جرى لابنى فقال لها أبوه النجم خبر عنه أنو مات  
فصاحت وصوتت واجتمع إليها النساء من كل فج وأحضرن الدف وابتدأن

بالنذب والعرويل حتى قامت الناس على ساق وجلس أبوه يقبل العزاء ودموعه  
 تسبل على خنوده وبينما هم فى شياط وغياط وإذا بالولد دخل عليهم حاملا  
 زكبية الزواده فابتدره والداه واحتضناه وقالت أمه لأبيه (شفت الرمال بتاعك  
 الكداب ده) فقال لها والله يا وليه الراجل مالو دعوه الراجل قال لى السحاب  
 كتير مسمعتش منه وإلا برده كلامه حق وبعد أن جلس مع ابنه برهة شكأ إليه  
 ولده إطلاق بطنه فأخذه وتوجه به إلى الرمال وقال له شوف لنا حاجة تحوش  
 بطن الولد أحسن جه بالسلامه ويطنو ماشيه عليه فقال له الرمال الولد ده  
 كنىشى يعجب بنفسه فى البلد. فقال له الغبى ايه عوار يتلف عينك لهو فى البلد  
 كام أبو الزلفى. فقال الرمال أيوا قولى لى كذه أجزن أخته مسكته. فقال الغبى  
 وإيه اللى يخلصه. قال ما فيش حاجه تبخروه بجلدة فسيخه وهو يروح صح  
 سلامه ولم يشعر الغبى وهو جالس إلا وقد حضر إليه بعض الأطباء وقال له  
 أخوك أرسلنى إلى الولد فرأيت عنده إسهالا خفيفا وحيث أنكم لا يمكنكم حفظه  
 فأتا أخذه إلى الاستبالية وأعالجه هناك. فقال الغبى استباليه؟ دا الداخلى فيها  
 مفقود والطالع منها مولود. قال الطبيب الاستبالية معدة لأولاد الأمراء  
 والمعتبرين وفيها أطباء مهرة وأنوية لطيفة وإذا دخلها إنسان اعتنى به عدة من  
 الأطباء وإذا دخلها ولدك لم يقم فيها أكثر من ثلاثة أيام. فقال أنا رايح أشوف  
 النجم يقول إيه واعلموا له والسلام. فقال الطبيب ما للنجوم وهذه الأمراض  
 النجوم لا يؤخذ منها شيء يدل على الدواء فإن هذا أمر موقوف على رؤية  
 المريض ومشاهدة حركاته وتشخيص دائه ومعرفة الأسباب والدواعى وهذا  
 لا يقوم به إلا الأطباء فقال الغبى والله ياسيدى أنا لا أعرف الأطباء ولا غيرهم أنا  
 رايح أبخره بجلد الفسيخه وربنا يشفيه. فقال الطبيب الروائح الكرية مضره به  
 وربما أحدثت عنده مرضا آخر فإياك أن تبخره بالفسيخ. فقال الغبى والله يا

سیدی انا اتوكلت على الله ورائح أبخره ياطاب ياراح فى داهية ولايقولوش أبو  
رنطوط داخل الحكيم داره وأهو زى ماق قاله فقى البلد خد من عبد الله واتكل  
على الله .

(التبكيث). انظر إلى الغفلة واستحكامها فى العقول السخيفة وكيف رأى هذا  
الغيبى أن الرمال كذب فيما يفتريه وحضر واده من سفره ولم يرض أن يكذبه  
وحمل عدم صدقه على وجود السحاب وتأمل قوله أنه يعرف كل شيء بعد كونه  
يخبره عن أشياء من ضروريات البهيم فضلا عن الإنسان وأعجب من هذا عدم  
قبوله نصح الطبيب ورضاه بالتخريف فلو كان هذا مهذبا وتأدب فى صغره وعلم  
فساد هذه الخرافات التى أفسدت عقول رجالنا حتى صيرتهم لعبة فى أيدي  
المحتالين ما ترك البوستة والتلغراف وقصد هذا المحتال ولا رد نصيحة  
الطبيب وعمل بقول الدجال ولكنه لم يتعلم أمور دينه ولا دنياه وركن إلى كلمات  
تقولها جهلة الأرياف مثل قولهم خد من عبد الله واتكل على الله.

(منتخبات من أعداد متفرقة )

(إنذار صادر عن لسان الإنسانية)

رفعت إلينا شكوى من بعض النبلاء يتوجعون بها من انقلاب حال كثير من تبعتنا المنتسبين إلينا واستعمالهم قبائح ورتائل ليست من مشربنا وقد أساخنا ذلك و عجبنا من هذا الخروج الغريب ولكون هذا مما يلزم الاحتياط فيه وقطع عروقه قبل سريانه فى بقية إدارتنا قدمنا تلك الشكوى لرجالنا أعضاء الدائرة العلية فقر الرأى العام على أن من يترك حلية الأدب ويتخلق بأخلاق البهائم فيفعل ما يشاء من فسوق ولعب قمار وإسراف فى مشروب وترفه لايليق به وانتهاج حق وعريضة فى مجلس وضرب ضعيف واحتقار فقير وخذلان مظلوم ينفى من أقطار دائرتنا السنية وينسلخ عنه عنواننا الشريف ويكون ملحقا بأمة البهائم وقد أصدرنا هذا إعلانا لمن يخشى سلب شرفه وتجريده من وسامنا السامى وكل من عثرت عليه دائرتنا بعد ذلك فإننا نصفه وصفا يكاد يكون أعرف به من اسمه إهانة له وعبرة لغيره وصدر هذا بالمحفل الأدبى بتاريخ اليوم من ملاحظة الإنسانية .

(ملك الدائرة) الامضاء (رئيس التحفظ) الامضاء (كاتب السر) الامضاء.

الانسانية الشرف التاريخ

\*\*\*

(تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الإنسان)

(أبها الكامن فى جلد الإنسانية)

طالما قرأنا وسمعنا عبارات ملئت بها الكتب وضاعت بها أعمدة الجرائد تدم التوحش وترمى مرتكبه بفساد الأخلاق وفقد الإدراك غير أننا لم نقف على هذا

التوحش ما هو ولا على الفرق بين التوحش الإنساني والبهيمي ولا على من ارتكب التوحش أولا من القسمين . فقد جرت جياذ البلاغة في ذمه وتقبيحه وانطلقت الألسن تتبعتها في ذم هذا المظلوم غير ناظرة إلى حامل فكيتها ولامعترضة على ما يجنبه ريبها من ثمار أغراضه ولا بد للغافل من منبه والضال من مرشد فالأذان مفتحة ولكن من ينطق والأعين ناظرة ولكن ما ترى والأفكار مهياة ولكن إلام. والألسن ناطقة ولكن بماذا. وهذا مما يطلب من اليراع شرح الحال ومن الأساتذة تلقين الإنسان فقد شكوا القلم شدة الظلماء وتآلمت الدواة من طول مدة الحمل وكاد المداد يصبح ماء أسنا وأمست الأوراق حشايا ومكآت. فرحمة هؤلاء الضعفاء من محاسن الأخلاق. وإن ضقتنا صدرا بما يسطره القلم وخشينا طول لسانه سمعنا منه مقالاته الأولى وتاملناها فإن أبلغ في الحجة رفعاؤه إلى منبر الأنامل ليخطب السطور بما تتشرف به صدور الطروس وأن هذر أو خلط سلطنا عليه سكين الفيظ تغريه وتجعله شظايا ويقرنا بطن الدواة في حجر الأوراق ليكون المداد ثوب حداد على ضياع الآداب وققد الألباب فإنه يقول :

كثبت فيما مضى أن الحيوان إذا نفر من الحضر وتبدى جهل الإنس ومال إلى الغلظة والقسوة وصار وخشيا مفترسا يخاطر بنفسه في القفار والكهوف والمغارات ويحملها على تحمل مشاق الجوع والظماء والحر والبرد والوحدة والوحشة لايبالي في ذلك مات في حينه أو غده وهذا الحد الذي وصله يحرمه من وصف التمدن ويطلق عليه اسم التوحش فإنه أنف من الإقامة في المدن ورضى بشوامخ الجبال بدل القصور العالية ويمسارب الشعوب بدل الشوارع المنظمة وبالفياض الشاسعة بدل الرياض الزاهرة وبالكهوف الفائرة بدل

الحصون المشيدة وبالوحدة الموحشة بدل الاجتماع الأدبي وبالكساء الطبيعي  
بدل الثياب المصنوعة والإدراك الفطري بدل المعارف المؤلفة وبالغذاء المباح  
بدل الأطعمة المحجور عليها .

إلا أن هذا المسكين لم يجن نوبا يعاقب عليه ولم يقترف سيئة تقضى  
بالانتقام منه ولا فعل مع الإنسان ما يبيح سجنه أو تعذيبه ومع ذلك فإنه محل  
الذم مع براعته منه ومرجع الهجوم مع طهارة عرضه يقتل في أى مكان وجد وإن  
لم يكن مجرما ويؤسر عند التمكن منه وإن لم يحارب ويذبح لا جناية ولا حكم  
ويطرد من أوطانه ظلما وهو المختط لها التعب في بنائها يظنه الإنسان قويا  
وهو يطرد بعضا الأغنام ويراه شديدا وهو أضعف من الأوهام ولست أدرى  
بماذا حكم على هذا الضعيف بالتوحش بعد تسلط الإنسان عليه ومن اسمه  
بالقوة بعد صيده بتفويق السهام إليه ومن عرفه بالمقتال بعد بعده عن العمران.

لو أنصفته الحال وساعدته الأيام لسمى زاهدا في الوجود أو خائفا من الذل  
والعبودية أو كارها للتعصب أو راضيا بالكفاف أو محبا لراحة الفكر أو مؤتسا  
بنفسه أو قانعا بنصيبه أو حذرا من شر الاجتماع وسطوة عظام العصبية أو  
ما شاكل ذلك مما تقتضيه العزلة والبعد عن المنغصات. ولكنه تعصب عليه  
الإنسان فرماه بكل ما قدر عليه من القبائح على أنه ما شن غارة على مدينة  
ولانازع ملكا في ملكه ولا عارض أميرا في حكمه ولا أحدث ثورة في أمة بل هو  
النائم في كته السارح في ساحته الراضى بمطعم أرضه ونور سمائه وما تعلم  
الاغتيال والهجوم إلا من الإنسان فإنه يدخل عليه في أرضه بغير إذنه ويناوشه  
في جحره بلا حق ويخرجه من دياره من غير بيع ولا استئجار وأن رآه ماشيا  
في سبيله غير متعرض لاسامة أحد أبى أن يتركه ممتعا بحياته الطيبة وقتله

غيلة أو أسره بغيته فمن هذا التعدى تعلم المدافعة. ويطمع الإنسان عرف الافتراس. ومن حقه عليه أخذ حنره فأصبح ذا أخلاق حرة وخليقة طبيعية لا يطلب الأذى مادام أمنا في جحره ولا يجبن في القتال متى غوب عليه ..

ومن ألجأ الإنسان إلى ذلك لا يعد متوحشا بمعنى متعدد ولا بمعنى غير مؤتس فكم معه من نفوس يميل إليها ويعطف عليها وكم حوله من عائلات يراها وتراه وجنود يحمل بها ويدافع فإن جنى على إنسان فعنه عرف الجناية وإن خان أحدا فعنه أخذ الخيانة وأن رأينا مولوده يخرج على فطرة أبويه قبل أن يتعلم علمنا أن أفعال الإنسان من عهد وجوده أثرت في أبويه وجرى هذا في ذماتهما وما ولدهما إلا خلاصة هذه الدماء الممتزجة بأفعال الإنسان. فما يفعله الحيوان من الاغتيال بمجرد وقوع نظره على الإنسان فهو عاقبة تعدى الإنسان الأول على من عاصره وأساعته التي توارثها هذا المسكين توارث بعض الأمراض حتى صارت من سجاياه .

على أنه صاحب الأرض وواضع اليد ومخطط الديار قبل أن يوجد الإنسان وقد تطفل عليه الإنسان وتعلق إليه حتى سكن دياره وزاحمه فيها وبعد ذلك كافاه بالتضييق عليه وإبعاده من المعمور ولو تمكن من فياقيه لاغتصبها وأعدم هذا النوع الشريف وانظر إلى بعض الحيوان الذى احتال على الإنسان وخضع إليه حتى شاركه فى المسكن والمطعم والمشرب وعند أمن الإنسان منه أخذ يعلمه العداوة ويفريه على أبناء جنسه حتى أخرجه من طوره وصيره مع أمثاله فى تضاد وتغابن وكان لايعرف عداوة الجنسية قبل اختلاطه بالإنسان المتمدن «هذا معنى يذاق بالمعارف لا بالمفارغ» فهذا المسكين فى شقاء وإن سكن البيوت وسجن وإن نام على فرش لينة وعذاب وإن جرى خلف الإنسان بلا قيد

ولا رباط إلا أن هذا الذي فسدت أخلاقه بمعاشرة الإنسان وتغيرت طباعه بالمدينة صار منحوس الطالع لا يمكنه العود إلى وطنه للوحشة التي اعترته في الأمصار ويستحيل عليه أن يلتحق بالإنسان وإن تكلم بلسانه وعمل أعماله لمخالفة الخلق وتباين الطبع فكأنه صار في الوجود قسما ثالثا بين الإنسان والبهيم وما صيره كذلك وألجأه إلى النفور من جنسه وألزم القسم الثاني سكنى الوديان والكهوف إلا الإنسان .

فهل المتوحش منهما من خاف على نفسه من رفيقه فسكن البرارى وحصن غابه وبات حذرا من عدوه أم من دار في الوجود لاتسعه أرض ولا يعجبه خلق ولا يريح جنسا ولا يقنع بملك ولو كانت الكرة في قبضته . الحكم في هذا لنوى العقول السليمة ولعلم لا يتعصبون إلى الجنسية فيحكموا بالمسمى (بالعدل) وأن لم يترتب على الحكم أثرا الآن فإن الإنسان لا يرجع عن البهيم بعد أن تمكن منه والبهيم إلا أننا نذكر نبذة مما اختص به لنعرف أهو خالص الانسانية أو مركب منها ومن البهيمة فيكون الوجود مسكونا بحيوان واحد : الانسان رب المعارف وأهل التكريم وجد على أحسن صورة وخلق في أحسن تقويم . له الإدراك والتمييز والتخيل والنطق والأعمال البديعة والأفعال العجيبة اجتهد حتى استخدم الوجود السفلى في مهامه وقد وقف في الوجود لا يرى له مناظرا غير أنه وقف عن أفكاره وجعل نفسه حكما بلا محكم فهو يقضى على هذا الحيوان بالتوحش وذا بالخيانة وذاك بالجبن وغيره بالتقص .

وكان عينيه ما نظرنا إلا ما باين مقرهما وعميتا عن هيولاه وما يصدر عنه . وأذنيه ما سمعتا من لفظه قبيحا ولا من غيره إلا مدحه وإن كان مذموما وشكره وأن كان مسيئا فقد نظرنا في سيرته مع البهيم فوجدناها ظالما وتعديا ونحن ننظر لسيرته مع أبناء جنسه لتقف على نتائج أفكاره وغايات أعماله بحيث

لانخص بالنظر بعضا من النوع وإنما نجعل الشرح مطلقا لينظر إليه مهذب الأخلاق فإنه المقدم إليه هذه الأفكار ، ليبثها في أبناء جنسه ويكون عوناً للمهذبين في أتعابهم التي يتحملونها ليصلحوا من أخلاق النوع ما أفسدته الجهالة وحيوا من غيرتهم الأدبية ما أمانته الأغراض والأهواء .

ولا يجعل نو غرض بالتهور والجدال فإن هذا من التوحش الذي نحن بصدده فإن أبى إلا مصادرة القلم كان الداء عضالا والمبتلى به على شفا جرف العدم . وفي اليقين أن شيوخ العصر استمالتهم المعارف بعد النفرة وشبانه رضعوا لبانها أطفالا ولبسوا ثياب الكمالات فتيانا . فلم يبق إلا غبى يرى السهام موجهة إليه فيغضب أو عتل ينظر ما لا يناسب أخلاقه الفاسدة فيفحش أو جبار يعلم أن أرض جبروته خسفت فيزجر . وهؤلاء لا يدعوهم لذلك إلا عدم تهذيب أخلاقهم وجهلهم بالحقوق الإنسانية والواجبات المدنية . وهم على علاقتهم موضع الكلام ومحل التحكيم . على أن القلم سيقصر على مشاهد أو مقروء أو محفوظ ومن كانت حجته العيان الجم معارضة .

أى إنسان . ما أحسن أصلك وأجمل شكلك وأعز نفسك وأعز علمك وأوفر عقلك فيا أيها الحسن الأصل ما أقبحك عند الفخر الخارج عن حدك والمباهاة بما لاتحسن نظمه أو عمله والكبر المبني على تخيلك الفاسد أنك الفريد في الوجود . ويا أيها الجميل الشكل ما أفضلك عند المقاتلة وأصعبك عند التهور وأشدك قسوة عند ما تحمل على أخيك وتسلبه حقوقه أو تقتله لغرض من أغراضك . ويا أيها العزيز النفس ما أبعدك عن الحق عندما ترفع نفسك على أخيك وتتنظر إليه نظر المحققر وتضع من قدره ما عرفه له تساويه معك وأوجبه اتفاقكما الخلقى . ويا أيها العزيز العلم ما أجهلك عندما ترى غيرك دونك في

القدر وتغضب إذا أخل بتعظيمك وتسبه عندما يترك تقبيل يدك أو لثم أطراف  
ثوبك وما أصغر قدرك عندما تنظر الغير بعين الجهالة وأنت قادر على تعليمه  
وترميه بفساد الأخلاق وأنت متمكن من تهذيبه. وما مقامك في الوجود إلا  
لإصلاح ما فسد من الجاهل الذي كنت مثله قبل علمك بل الذي عرفت به. فما  
أبغضك عند ما تحجر علمك على النقلة وتمنعه من المستحق استبدادا منك على  
أخيك ألا ترى أنك بهذه الطباع فاسد الأخلاق تحتاج ما يحتاجه الجاهل من  
التهذيب بل أنت عين الجاهل بل الفارغ من روح المدنية. ويا أيها الوافر العقل  
ما أجنتك عند ما تقابل المسيء بإساعته وتخاطب ضعيف العقل بما لا يتحمله  
فكره ظنا منك أنه في قوتك وتمكنك مدرك لما تقول قوى على الخصام والجدال  
بعد علمه بنزوله عنك وانحطاطه عن درجتك . هلا عاملته بما يناسب فكرك  
وتحتمله قواه فغتمت إفادته واكسبت راحتك، ويا أيها الموصوف بالكمال ما  
انقصك عندما تمشى في الأسواق مختالا متكبرا كأنك مار بين البهائم  
والمشرات ولو نظرت عن اليمين وعن الشمال لرأيت ما يخجلك من أمثالك  
المحتلين بطية الكمال السارين في سكينه ووقار وخشوع. ويا أيها الفرح بما  
ملكك يداه ما أحزنتك لو تأملت المضطر يتضور جوعا والبائس ينتفض بردا  
والغريب لا ملوى له يستكن فيه واليتيم لاقيم له يرشده ويعلمه والمريض للمعدم  
لا مال يطيب به نفسه ولا متاع يبيعه لينفقه في حفظ حياته أف لك ولما لك قل  
أو أكثر فإنك تحجر على الإنسان قوته ومسكنه وملبسه بما تصنعه من اكتتاز  
المال وما ظهرت إلا لتخريب البلاد من حصر النقد عندك وعدم تمكن الأفراد  
مما يبتاعون به ما يلزم لعمار الديار فتعسا لك ما حييت وسحقا لك بعد موتك  
ولا مرحبا بك إذا قدمت ولا سلامة تصحبك إذا ذهبت . ويا أيها المتصف بهذه  
الصفات الذميمة ألا يدلك البرهان على فساد أخلاقك واحتياجك إلى مؤب يقف

بك عند حدودك ويعلمك ما تطهر به دنس الطباع وتنظف به قانورات الجهالة  
ويعرفك قدر إخوانك أبناء جنسك ألسنت ترى نفسك من المتوحشين المغتالين  
قطاع طريق التقدم معدى الحياة الأدبية الساعين فى خراب الأكوان . ويا أيها  
المدعى الوطنية وهو يسعى فى اضمحلال بلاده ويميل بجانبه إلى كل بعيد عنها  
ما أضرك على بلدك وأشدك على جيرانك وإخوانك وما أغفك عن حقوق مظهر  
وجودك وسماء سعودك ومسرح روحك ومقر شبحك لو علمت الوطنية ودرستها  
على خبير بها لعلمت أن البلاد محتاجة إلى فكر وقوتك والأهل مفتقرون إلى  
مالك والأرض مضطرة إلى خدمتك والعمار موقوف على اتحادك ويعدك عن  
التقائص وما يكرر صفو الراحة العامة أو يجلب شرا على الأمة بتهورك وعدم  
تبصرك فى العواقب. تموت فى غرضك وأنت تحصى الكثير من غير أهلك وتلتذ  
بشهواتك وأنت تنفخ حياة الألوفا ذهبت بأميالك فى طريق أمالك فبئس  
بغضب الأمة وسخط البلاد. ويا أيها المنتقم من مثيله كفرت نعمة النوعية  
وجحدت فضل الجنسية فأصبحت وحشا طبيعيا لا متوحشا طبيعا. ويا أيها  
المدعى حرارة الدم هلا صرفقتها فى استخلاص نوعك من الخضونة وبذلتها فى  
تهذيبه وتأديبه ليكون عونك إذا عرف قدر نفسه ولكنك من النوع الذى وجد من  
مادة أمشاج فقضت عليه الأخلاط بالحيرة والانفعال التجاذبى بتضارب  
الاضداد فوقف يفعل الاساءة وهو مرتاح إليها ثم يندم فى الحال ويقدم على  
الأمر لا يرده راد ثم يرجع بأدنى إشارة ولو ثبت على قدم واحدة لملا الوجود  
عجائب ولم يترك من الكرة مقدار نراع إلا عمره ولكنه سلم نفسه الشريفة إلى  
اغراضه فانزلت نرجته من معالى الانسانية إلى حضيض البهيمية .  
فمن تنطبق عليه هذه الصفات ويحكم بعدها يتوحش البهيم وتمدنه هو بعد  
أن أضله وظلمه وأضاع حقوق نفسه وتوسط فى ضياع ثمرة حياته ألا يعلم كل  
ذى لب بعد ذلك أن تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الإنسان .

### (حوادث خارجية)

أهم ما في جرايد البهدلة (١) ان حزب الضلال تقوى على حزب الكمال فأخذ يبعث بعوث البراميل إلي طنطا (٢) ويوجه طلائع الغانيات إلى درب القمر وجيش الحشاشين إلى تل الحدادين وفرقة اللصوص إلى الشوارع المزدحمة والسوامر وقد عينت الفصيحة الأولى من المغنيين إلى الخيام والثانية ذات الآلات الغربية إلى البيوت إلى المحاشش والرابعة إلى السوامر والأكياب وحصنت قهوة الصباغ بالأدبية وقهوة اسبيرو بالحرامية وقنطرة المحطة بالشرطية وسوق البهائم بالنصابين والحشابة بالنشالين وأرسلت العيون والأرصاد من المخرفين في سائر أنحاء البلد حتى صار محاطا باستحكامات القبائح فلا يتصور وصول العقل إليه وقد سلمت قيادة هذه الحرب الهائلة إلى الشيطان الرجيم ومن مقدمات الاخبار يعلم أنهم سينتصرون على التقوى ويهزمون الكمال شر هزيمة وبمخابرة الانسانية مع الدين في شأن حمايته أهلها أجابها بقوله هذه دماء طهر الله منها سيوفنا .

(١) البهدلة اسم مملكة الجنون وهي على شاطئ بحر الجنيهات تجرد بالخمور من جهة الغرب وبالعاشرات من جهة الشرق وبالمضلين من جهة الجنوب وبالمخرفين من جهة الشمال وأول من اختطها ملك الضلالة الجهل وبها بمقدار سبعة وتسعين من مائة من العالم ومواسم البهتان فيها دائمة الرواج وحظ السجون فيها لانظير له في الوجود وصناعة أهلها أفساد ما أحكم العقل وتحسين ما قبحه الأدب ولهم في هذه الصناعة تفنن عظيم واقتدار على المخترعات. وحزب الضلال فيها أهل الفسوق الغلاة في الحرية البهيمية وحزب الكمال رجال الصلاح والآداب وكان هذا الحزب صاحب الشوكة والصولة في

عهد المغفور له العلم الشريف مؤسس هذا الحزب وبعد وفاته ضعفت قوته وقل  
 عديده فأصبح حزب الضلال صاحب الأمر والنهي (٢) طنطا اسم بلد من أعمال  
 الغربية بها مقام الحسيب النسيب سيدي ومولاي السيد أحمد الببوي وهو مزار  
 جليل يتبرك به غير ان حزب الضلال قلب موضوع الزيارة وهتك حرمة الأولياء  
 واتخذ البقعة الشريفة ساحة بهتان وميدان ضلال حتى صار التقى المخلص  
 يقرأ الفواتح من بعد خشية رؤية المنكرات ويزور المقام ليلا عندما يكون خاليا  
 من المخرفين ولاشيء يؤثر في النفوس الطيبة أعظم من جعل بقاع التقوى  
 والتبرك ملعبا للجهلاء ومسرحة للفجار فلو قدرنا صاحب المقام حق قدره  
 لدخلنا البلد خاشعين غاضين الطرف تأذبا في هذه الحضرة الجليلة وعسى أن  
 نرذق بنوى غيرة على السادات يطهرون الأشراف من القبائح والفجور وينزلون  
 الأولياء منازلهم من حيث الكمالات والاعتبار .

### (أخبار آخر ساعة)

أخذ الناس في تأمل ما جاء به التنكيت والتبكيك والعمل بارشاده والأخذ في  
 أسباب الحزم وترك الملامى وتجديد الصناعة فرارا من العيوب ورهبة من  
 الوقوع في الشبهات وابتدا النبهاء في نقد مقدماته والمحاورة في عباراته .

### (اعتراض على التنكيت)

ضرب الأمثال بنا ونشر عيوبنا لايليق لئلا تقف الافرنج على أحوالنا

### (الجواب)

الافرنج تعرف من أمرك ما لم تهتد أنت إليه ولها مؤلفات في سيرنا اشتملت  
 على مخبآت يظن صاحبها أنه لايعلمها إلا هو والقصد تقبيح حال الجهلة  
 وإبطال دعاوى المخرفين وتحريك طباع الكسالى لتطهر العقول من دنس

الجهالة حتى لانرى أحد من المغفلين ولا المضلين أو الضالين أمين.

### (حر الكلام كلام الحر)

الكلام الحر ما كان غير مقيد بمشرب أو عادة مقتصر على شرح الحقيقة بلا حشو ولا تنميق.

هذا التعريف الجامع المانع يلزمنا البحث فيما أطلقت فيه أئنة الأعلام وهو لا يخلو إما أن يكون مؤلفاً علمياً أو محرراً سياسياً. فالأول توجد الحرية فيما كان مختصاً به ببعض العقليات والفنون التذهيبية فإنه عبارة عن تعريف مركب تقتضيه صناعة الطب أو أخبار بتجربة تقدم الفلاحة أو إرشاد يقتضيه مقام التهذيب أو غير ذلك مما تدعو إليه حاجة الإنسان وهذا لا يدخل فيه يخرج عن أصله ولا يقصد به إلا حياة الإنسان ووقايتة من العوارض السماوية أو الأرضية أو الحيوانية. وما عدا هذا من المؤلفات التي يقصد بها تأييد مشرب حاكم أو ماكوف أمة أو عادة قبيلة فإنه لا يشم رائحة الحرية إذ القصد من التزلف والتعلق وجذب قلوب الأمم بالفاظ منمقة منسجمة يميل إليها نوق الإنسان وتحن إليه طبيعته .

والثاني يوجد فيه لفظ الحرية مجرداً عن المعنى كيفما كانت الحرية مطلقة لكتبه فإنه يؤيد عمل أمير أو يحسن فعل أمة أو يمدح فئة بحسب ما تصل إليه أفكاره من استحسان ما يراه في بلاده من أفعال رجالها. ومعلوم أن ما يحبه هذا يكرهه ذاك وإن أصاب هذا من جهة أخطاء من جهات وأن أرضى فئة أغضب أئمة كما نرى ذلك في جرائد السياسة على اختلاف مظاهرها وتباين أغراض محرريها وكلها ترجع لاستحسان عمل أهلاً أو تقييح ما لا يناسب المحرر لا الأمة أو ما يفضب أهل مذهبه أو ما يخالف غرض جنسه وبهذا تعلم

أن المحررات السياسية أجنبية من الحرية ولا وصلة بينهما إلا في الألفاظ  
وتتحقق أن الكلام الحر يوجد في بعض كتب العقليات المقتصرة على تعريف  
جسم أو استخراج مجهول أو تركيب دواء أو تشكيل آلة أو نشر مواظب أو ردع  
عن قبيح أو حث على جميل فما وجدناه من هذا القبيل عنوانه بحر الكلام وتركتنا  
ما عداه في رق كاتبه وأسر أمره وبهذا نأسف على ضياع نصف الحكمة ونفرض  
بوجود معناها في بعض أجزائها وبقي علينا البحث في الحر من حيث هو  
بالنسبة للمتكلم.

الحر من ملك أمره ولم تنقيد أفكاره بفرض ما. هذا أخص التغاريف به  
عندي وأن تضاربت فيه الأقوال ولو نظرنا إلى إنسان الوجود الحالي في سائر  
بقاع المسكونة لرأيناه بعيدا عن الحرية لا يهتدى إليها ولا يتمكن منها أن وجدها  
سواء في هذا تابع الحكومة الجمهورية أو الشورية أو الاستبدادية فإن الوجود  
مضبوط بممالك مقيدة بقوانين وضعت بأغراض ذاتية وأفكار مقصورة على فرد  
أو بعض أفراد ولا يفقه تلك القوانين إلا واضعها أو من درسها على أهلها ولها  
عندهم منطوق ومفهوم وباطن وظاهر ولا يعمل فيها بقول العاقل من غير أهلها  
وإن أصاب واخطأ. وإن قيل أن الممالك تعرض القانون على مجالسها قبل  
تقريره قلنا أن المجالس مقصورة على أرباب الثروة أو أهل الكلام وليس كل  
الامة كذلك فهذا داخل تحت قولنا أو بعض أفراد وهذا يثبت أن الإنسان في  
أسر القوانين وتحت تصرفها ومن وقف في هذا المقام كان أجنبيا من الحرية  
وليس المقيد بالقوانين من لم يضعها بل واضعها أيضا في أسر ما دونه وحبس  
ما قيده فتراه عند ما تلم لملة لم يكتب لها باب يسهر الليل مع أمثاله في الأفكار  
ويبيتون على حذر من نفور النفوس وثورة الأمم فهم أسرى مظاهرهم ارقاء  
أفكارهم لحرية أدركوا ولا من العناء اشتراحوا، وهذه القضية تنتج إثبات

الحرية لدفاتر القوانين لا للإنسان .

والدفاتر لا تتمكن من الحرية إلا إذا كان ما فيها قطعياً ينفذ بجوهره بلا تأويل ولا تفسير ولا معارضة بما حواه غيرها ولكن تداول الأيام يخبرنا على ألسنة التواريخ بما لا يدخل تحت حصر من قوانين وضعت ونسخت ثم نسيت كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً وما نسخها إلا مثلها أقوال وأفكار تجوهرت في صفحات الأوراق ثم استحالت وتطايرت في الوجود تطاير أبخرة الإنسان والحيوان وبهذا تبطل النتيجة الأولى وتنسلخ الحرية عن الدفاتر وثبت للفظها المجرّد عن المدلول .

على أن النتيجة الثانية باطلة أيضاً فإن لفظ الحرية وإن كان لامدلول له فإنه محجور عليه لا يتلفظ به إلا في سرداب ولا يكتب إلا في أوراق لا يعلم ظاهر الوجود صورتها ولا يكون اللفظ حراً إلا إذا جاز تناوله في كل مكان وتلى على أعواد المنابر والسنن المحابر وهذا مما لا يسلم به قانون فإنه وإن ذكر في بعض الممالك لأبد وأن يشق بغرض ينجو به مجرّده كما في الجرائد المسماة بالحرية فصارت الحرية الحقيقية عبارة عن سر من أسرار الوجود يلقن في لحظة على بعد من الناس آخر الليل بصوت الهمس بعد إيمان الشرف وحلف القسمات وهذا هو العدم بعينه فما نسمعه من الناس على اختلاف ممالكهم من السغي خلف الحرية الحقّة أو دعوى التحلى بها عبث وهوس فقد علمنا أنها موقوفة على إياحة نكرها في المحافل والمجامع والطرقات ثم تنفيذ قانون عادل يشترك فيه سكان المعمورة من غير نقض ولا تأويل ثم تخويل الإنسان حركة لا يعارض فيها إلا إذا صادر غيره وهذه عقوبات ليس للمستحيل وجودها إلا في قطعها فإنه لا ينتظم اجتماع بلا قانون ولا تجتمع حرية مع محكوم عليه ..

على أننا نرى مدعى الحرية إذا اختلف بنفسه ونظر في كتب المعتقدات مال مع محسنات أفكاره حيث مالت وربما ذهبت به لاستتباع معتقده واستحسان غيره وعند ما يخرج للناس تأبى عليه صورة الاجتماع إلا الاعتراف بمذهب عامة طائفته. وإذا نظر في منشور سياسى وهو فى بيته قام وعقد وصوب وخطاً وأظهر مقاومة يكاد يحو بها ذاك المنشور ومتى خرج ونودى للتصديق أجاب بالسمع والطاعة والانقياد ومدح وأظهر الاستحسان. فهذا المدعى لا يرى حرية إلا فى خلوته ويطون صحفه وذاعين ما استتجناه. أولاً وحكنا به على استحالة تجرد الإنسان من صاحب الغرض الذاتى فإنه من نوعه والنوع قاض بحبوته كلما تجدد النسل فى الوجود ويميز اللذة.

فلم يبق إلا البحث فى الحرية المجازية وهى وقوف الإنسان عند حده ومعرفة حقاً لنفسه يطالب به وواجباً لغيره يؤديه .

وهذه الحرية لاينالها إلا أمة تهذبت وترتبت على محاسن الأخلاق وعرفت معنى الإنسانية وحق المدنية وقدر الوطنية وواجب الانتظام فإن الانسان اذا جهل الحقوق تهود وخرج عن الحد وكدر الراحة واذل جنسه وخرب وطنه وعرض نفسه للتهلكة من حيث يرى أنه يسعى خلف الوطنية والعمار بأوامره الفاسدة والامم على اختلافها وكثرة تعدادها لم يتم لواحدة منها الفراغ من تهذيب كل الافراد فهى تسعى فى طريق التقدم بتعميم التعليم وتنوير الأفكار لتحظى بالتساوى المطلق الذى لايتيسر وجوده إلا بعد علم كل فرد بالقانون وترافعه بنفسه بحيث يكون حكم القاضى تنفيذا لما ينطق به المترافع من أحكام القانون وهذا لا يضمنه إلا القرن الخمسون إن سلمت الأفكار وعمت المعارف ويطلت الحروب..

ونظام الأمم وحفظ وحدة الوجود يقضى ببقاء الحال على ما هي عليه حتى يتم تهذيب الخلق ووقوف كل عند حدوده إذ ذاك يجوز إطلاق الحرية المجازية على الإنسان وتصديق الخلق ووقوف كل عند حدوده إذ ذاك يجوز إطلاق الحرية المجازية على الإنسان وتصديق عليه حكمة (حر الكلام كلام الحر).

\*\*\*

(اتبع الحق وإن عز عليك ظهوره)  
(أى زمان)

حدثني عن الأرواح التي زارتك وكيف كانت نشأتها فقد رجعنا في تصفح تاريخك إلى حد وقفت فيه العقول فأخذت بالقياس والتخمين ولم نر غير إنسان يقطع عمره بفتاء أجزائه فهو يختط البلاد ويبني البنين ويفرس الوديان ويركب البحار ويسعى في غنيمة يكسبها ولذة يحصلها وغرض يقضيه وكلها ترجع لمثله فتراه يريد الغنيمة ولا يجد لها غير قتل أخيه سبيلا ويميل للذة ولا يحصلها إلا يجعل عرض أخيه طريقا يشتم ولكن مثله ويضرب ولكن جنسه ويقتل ولكن قرينه فهو القاتل والمقتول. والناهب والمنهوب والسالب والمسلوب والعائب والمعيب يرى اللقمة في يده غذاء لجوفه ولا يعلم أنه يجوع يوما ما فلا يجدها ويسعى في إهلاك أخيه ولا يدري أنه ربما نجا وأهلكه سعيه وقد اختلفت طباعه وتعددت مساكنه وكثرت لغاته وتباينت معتقداته فسمى المذهب واللغة والوطنية والجنسية وتمسب لكل منها بحسب ما تدعو إليه أغراضه فأتتج هذا التشيع وجود العداوة التي تحسن لضارب الرصاص إطلاقه من غير خوف ولا جزع ولا أسف فإنه يعد نفسه قسما غير من جعله عرضا لتاره وبهذه العداوة تسعت الممالك وخططت وحددت وحصنت وأصبح كل يدافع عن مملكته بروحه

وماله وما بالوجود غير إنسان واحد.

فيا زمان أكان انساك الأول عدو نفسه يطعمها حيناً ويجيعها زماناً.  
ويضربها وقتاً ويريحها أونة حتى ثبت بذرة بهذا الغرس الممتائل مع الاهواء أم  
كان محبا لذاته محافظا على حياته مجتهدا في نمو قوته وتأييد سطوته ونحن  
ننسب إليه بالصورة وتباينه بالطباع. كم قتل كتبتة في لغتر وجودك ممن ذاق  
المنون من المظلومين. كم مشرد قيدته عندك ممن أوغرت عليهم الصور ظلما  
وهم لايشعرون كم امناء اهيئوا بالأوهام وما هم من الخائنين. كم حكماء تسلط  
عليهم الاغبياء فحجرت عليهم أفكار تهدي العالمين. كم علماء هزأ بهم الجهال  
فماتوا وفي صدورهم هدى للمتقين. كم أمة كانت أمة مطمئة فأصبحت من  
الهالكين. كم فئة اتحدت قلوبا ففسدت بلسان غوى مبين. لانقل ادواري تقضى  
عليهم بهذا التفانى وانت تعلم أن الاجال مقدرة فلو صبر القاتل على المقتول  
لحظة لمات ولكنه ابى إلا ارتكاب الاثم واتباع الاغراض فسفك الدماء وهتك  
الاعراض وسلب الحقوق وغرس العدوان واوغر الصور وارجف القلوب وهو في  
سعيه من الفرحين. أهذا هو الانسان أم العين تبصر شكلا كشكله وهو غير  
مشاهد فإناجيل الطرف فلا نجد الا اكفاء وامثالا. ام الانسان اسم غصيناه  
وادعاء كثر في عوام عمودي والا بان كنا هو فما بالنا نسعى فيما يضر بهذه  
البنية الشريفة ونجتهد في اعدائها هل الارواح تفتتم فيأخذ الساعي روح اخيه  
لتكون مع روحه في جسمه أم الاعمار تورث ونكسر سراع في هلاك أخيه ما بقي  
من عمره. ولمن وجدت الشرائع اذا لم يتقيد بها الانسان اين الخوف من النار  
ونحن نتفكك ونتسلى بالمفتريات اين الرهبة من النعمة ونحن نهجم على  
المعاصي هجوم العاشق لها. اين السعى في الطاعات اذا كانت الاسامة منتهى  
الامال. اين الصدق اذا كذبنا لانقاذ غرضنا. اين الحق اذا ركبنا الباطل اجابة

للنفس فى طلبها. اين الاخاء اذا تسلطنا على بعضنا بالأسن والسعاية. اين  
الانسانية اذا اجتمع الاقوياء على ضعيف. اين الفضيلة اذا كان للنقيصة عندنا  
شأن عظيم. اين العقول اذا لعبت بها الاهواء .

ألا يحسن بهذا النوع الشريف أن يسلك طريق الحق ويدع هوى النفس  
أليق بى وأنا من الإنسان أن اصحب واحدا اتسلى بأفغاظه وأطرب بكلماته  
واسر بمفاكهته واقتبس منه ما اهتدى به فى ظلمات اغراضى وأروى عنه ما  
تتور به أفكارى وارى منه أشكالا وغرائب واتمدح به فى كل مكان وأفاخر به  
كل إنسان واتي به بوجوده فى أرضى وافضله على السابقين من أمثاله واسير  
معه فى كل طريق سار فيه واحسن كل عمل يأتيه واساعده على كل مهمة يطلبها  
ونازلة يدفعها وهو يذكر لى من المحاسن ما يسمو به قدرى ويعلو شأنى ويثنى  
على بما يخلد لى نكرا جميلا ثم بعد هذا الغرام والشغف والالتصاق والمضافة  
أقطع حبل وده بسعاية وابغضه بدسياسة محتال واهجوه اليوم بما كنت ابرئه  
منه أمس واذمه بما كنت أدفعه عنه وارميه بما لو اتصف به لدنس مجدى وقدر  
شرفى واسعى فى نفور القلوب منه بعد إن كنت اجمعها عليه.

ولو تأتيت فى الأمر واخذته بالحكمة لظهر المفسد من بيننا ظهور الشمس  
فصفعناه وأخذنا حذرنا من مثله والا فإن غضبى بالاوهام وتصديقى من عرفت  
كذبهم واختبرت مفترياتهم وكانت لهم عندى سابقة السوء ليس من الحكمة ولكن  
اذا ملئت الأذان بمفتريات كدرت النفوس وحولت القلوب وزحزحت العقول  
ولا ينزعها التتصل ولا يدفعها الاعتراف فالأولى لمن سلطت عليه السن ذى  
الغايات أن يستسلم للقضاء ويلزم الوحدة حتى يصل إلى إحدى الغايتين أما  
ظهور الحقيقة وتحقيق براءته والاعتذار إليه وإما تمكن السعاة من اساعته

وذهابه شهيد الغايات أو أسير المقتريات. وعار على شيوخ جريت الزمن ان  
تحل عروة الاتحاد بسعاية من تعددت مساعيه البشرية وبعده منها ايم الاصلاح  
وتملقه اليها زمن فنتنته. ولكن لكل باغ مصرع ولكل ساع مقصد . فيا ايها  
الانسان صور الحق بين عينيك وغالب نفسك فما الجهاد الا جهاد النفس  
والزامها طريقة الاعتدال وردها عما يحدثه الغضب من فرية نعام أو أكاذيب ذى  
غرض ولا تطلق لها العنان إلا فى الخير ولا تساعدها إلا على الإحسان ولا تأخذ  
الأمور بظواهرها وأتبع الحق وإن عز عليك ظهوره .

\*\*\*

### (ألسن الخطباء تحيى وتميت)

حكمة إذا عقلت معناها وقفت على سر الخطابة وحكمة حدوثها وعلمت أنها  
للعقول بمنزلة الغذاء للبدن وكانت الخطابة فى العصر الخالية غير معلومة إلا  
فى أمتى العرب واليونان فكانت ساحتها فى جزيرة العرب عكاظا ومنابرها  
ظهور الابل.. وهذه الساحة كانت معرضا للأفكار تجتمع فيه الخطباء والبلغاء  
والشعراء وأمم كثيرة من المجاورة للجزيرة فيرقى الخطيب ظهر ناقته ويشير  
بطرف رداثة وينثر على الأسماع دررا وبدائع ثم يباريه آخر ويعارضه غيره  
فتتضارب الأفكار وتتنبه الأذهان وتحيا الهمم وتتحرك الدماء ويرجع كبار  
القبائل وأمرائها لما يشير اليه الخطيب إن صلحا وإن حربا. ولم يقتصروا فى  
خطاباتهم على مسائل الحرب والصلح بل كانوا يخوضون بحار الأفكار فلا  
يتركون ملمة إلا شرحوها ولا يذرون فضيلة إلا حثوا عليها حتى أنهم كانوا  
يحفظون أسماء الحكماء منهم وأهل المآثر فيذكرونهم فى كل علم فى هذا  
المعرض إحياء لتذكراهم وتخليدا لاسمائهم لئلا يجهل الآتى سيرة الماضى

فتفر الهمم وتخدم الدماء وتتغير الطباع،، وفي غير المعرض كان كل متكلم خليباً في نادية يحض ويحذر ويحرض ويحمس ويأمر وينهى وإذا نابهم أمر رجعوا إلى كبار القبائل ومشايخها وتذكروا فيه مذاكرة النبهاء وسلموا أفكارهم لحكم الشورى ليظهر من سر الاجتماع وهيئة الاتحاد رأى يحكم للجميع سطوتهم ويقوى استقلالهم ويزيد في نفوذهم فإذا نشر على عامة القوم رأيتهم سراعاً لسماع الحكم طانعين لما أبدته حكمة الاجتماع لا طاعنين ولا مقترحين أمراً فإن كان الاجتماع لرد باغ رأيتهم أطوعاً للأمة من القلم للكاتب وإن كان الحكم بإعدامه وإخماد أنفاسه، وإن كان لجمع سلاح وكراع واعداد أفراس ورماح رأيت الغني المتبرع بنصف ماله والكريم المتفضل بحلقة فراسه والمثري المهدي ما يمتلكه والشجاع المبيع لدمه والفارس البائع لحياته والقرى الواهب نفسه للخدمة ولاشباب المعرض نفسه للهلكات والشيخ الناصح والكهل الواعظ والطفل الفرح والشابة المغنية بحماية الحي وحفظه والعجوز المنادية بذكر الأجداد وبثأر الآباء والإماء القائمة بإعداد العقاقير ورفائد الجراح والعبيد المجدة في طلب الإبل وجمعها في مرابدها والشيخو القائلين بتدبير الأحياء وترتيب القرسان والخطباء المنبئين في البيوت والصحارى والفيافي يخطبون الشارد ويربون الصائر بكلمات تكاد تزهق بها روح الجبان وتطير بسرهما روح الشجاع طرباً باللفظ وحباً للكر والفر والدفاع .

وبهذا كانت العرب منيعة المقام كالعنقاء التي تكبر أن تصاد حتى هابتها الأم واتخذتها الملوك وقاية في مقدمة جيوشها تنقى بها الأعداء وتلقى عليها النصال وتقصف في أقدامها السهام وتعلم في دروعها السيوف لما علموه من صفاء دمها الذي إذا تحرك انتفخت به العروق وتورمت منه الأوداج فلا يسكن إلا بعزة لا يعقبها ذلة ومنعة لا يلحقها خضوع وشرف لا تنسه وضاعة. ولو

تركبتهم الخطباء للتخاذل والتحاسد لماتت معهم وخمدت حميتهم ولعبت بهم  
الاهواء وتمكن منهم الضعفاء وأصبحوا اذلاء فى الأمم لا يدركون المجد  
ولا يعرفون لشرف النفوس سبيلا .

وقد استمرت الخطابة فى العرب دهورا لا يجتمعون إلا عليها ولا يجلون إلا  
أهلها ولا يعظمون إلا العاملين بها ولا يخضعون إلا لمتبعها القائم بحفظ الأمة  
وصيانة أعراضها وأراضيها حتى جاء الاسلام وفرض الخطبة للجمعة لامر  
تغيب عن كثير من الناس حكمته وسره البديع ونحن نذكره قيايا بحق خدمة  
الامة والوطن والدين وتبنيها لأفكار السامعين وتحريضها للخطباء على سلوك  
طريق النصح وسبيل الخلفاء والعمال الذين ملأوا الوجود بأذابهم ومبتكرات  
معانيهم وحسن نصائحهم ومواعظهم .

لما كان نظام الاجتماع موقوفا على وحدة الائتلاف ووقوف الأمة على  
حقوقها وحدودها ولا يتمكن الفرد بنفسه من فهم البعيد عنه أو الخفى عليه إلا  
بمرشد متضلع عالم متقلب فى حوادث الزمان ووقائع الرجال والأمة ليست  
جميعها من صنف العلماء ولا كلها من رجال الكلام ولا أغلبها من أهل السياسة  
ولا جلها من أرباب الأقلام لتشكيلها من عالم مختلف الأغراض متباين الطباع  
فرضت الخطبة ليقف الخطيب بين قومه وقفة الخليفة الأمر الناهى فيقص على  
الرعية ما فعله من الجميل وما قام به من الأعمال وما ورد عليه من الاخبار وما  
يحذره من الطوارق وما يرجوه من الإصلاح ويشرح لهم حال من بعد عنهم من  
اخوانهم المؤمنين وما نزل بهم من النوازل الجوية والحوادث الأرضية وما  
غنموه من أنفال الفتح وغنائم الانتصار لتكون الأمة على علم بأحوالها فى سائر  
بلادها وفى هذا من النصح والوعظ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما لا

ينكره إلا مقيد بديوان أو مربوط في بعض وريقات صنفها غيره .

ومن طالع خطب الخلفاء والعمال وعلم ما كان يحدث في الأمة من الغيرة والحمية عند دعوة الحرب أو زيادة الجند أو رقد الحكومة بمال وقف على سر الخطابة وحكمة فرضيتها فإن المتقدمين ما نزل بهم أمر إلا خطبوا به حتى أنهم كانوا يرتبون شهداء الحرب على المنابر وبهذا كانت الأمة في نمو وزيادة فتوح وقوة بأس وناهيك بأمة تجتمع كل أسبوع في ساعة واحدة في سائر أنحاء بلادها وتسمع من حوادثها وغوامض سياسة خلفائها ما يقف به كل فرد على احوال الأمة وسيرها وتقدمها ونجاحها حتى إذا كان الجيش مقيما في بلاد الروم ويخطب بحوادثه في جزيرة العرب تتوالى عليه الامداد وتتلاحق له الفرسان وبينه وبينهم براري وفدافد لاتقطع إلا بأيام أو أشهر ولقد انكروا على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله ياسارية الجبل وهو على المنبر في خطبة الجمعة ولم يعلموا سرها إلا بعد أن حضر سارية من غزوته وقص عليهم خبره فعلموا أن الخليفة كان يخطب وهو ناظر للحاضرين بعين بصره وللفائنين بعين بصريته فهو يأمر السامعين بالاخلاص والاتحاد ويشير للفائنين بالالتجاء إلى الجبل وإسناد ظهرهم إليه ليقاتلهم العدو من جهة واحدة .

ولا يغيب عن قراء التاريخ خطبته السياسية التي قال في آخرها من رأى منكم اعوجاجا فيلقومه فقام له أحد رعاء الشاة وقال له لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا . وهذه حالة تدل المطالع على حرية أمير المؤمنين وسيره في طريق العدل الذي حفظ له قلوب الأمة وظهر بواطنهم من الحقد عليه أو الطعن فيه . وقيام هذا الراعي للرد على أمير المؤمنين دليل على تمكن الاستقامة من الرعية ويعددهم عن الذل والخوف والرعب وميلهم لقول الحق في مجلس الأمير

والحقير وشاهد على وقوف الأمة عند حدودها وحقوقها وحفظها للنظام العام  
بعدم الخروج عن الحد أو ارتكاب ما يخدش الدين أو يضعف عصبية الاجتماع  
الملى .

وكان من عادة الخلفاء إذا وفد عليهم خطيب من بلاد بعيدة عقدوا له محفل  
ودعوا الأمة لشهوهه فيرقى الخطيب العنبر ويقص على الأمة مآلاته فى رحلته  
وما علمه من أخلاق الأمم وما فيهم من الصفات وماهم عليه من أحوال الملك  
وما لهم من الأعمال ومن فيهم من الرجال وطباع الشعوب وكيفية الأحكام وحالة  
الاجتماع وهيئة الفرسان ووظائف العمال وسعى الأفراد لتقف الأمة على أحوال  
العالم وما هو عليه فيغتم الحاكم الأعلى من هذه الخطبة ظهور رجال يضارعون  
من سمعوا سيرتهم وعلماء يباهون من وقفوا على أعمالهم وحكماء يبارون من  
علموا أخبارهم وأشغالهم فتزداد بذلك ثروته المالية وتحيا كلمته الوطنية وتقوى  
سلطته الملكية ويتسع نطاق العلم فى بلاده واقطاره وهذا الذى أوصل الوجود  
إلى العمران والتقدم فى الصناعة والعلوم ..

ولم تكن الخطابة قاصرة على ذكر الموت والزهد والتحذير من الدنيا  
وزخرفها بل كانت الخطابة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء  
تتضمن الحوادث وأخبار الأمة ولا يقتصر فيها على الوعد والوعيد إلا إذا كان  
الاسبوع خاليا من الحوادث الجديدة والامور المهمة . وما نقل الخطابة من  
موقسوعها إلا الملوك المستبليون من بنى امية وغيرهم فإنهم لما علموا أن  
الناس تزدهم يوم الجمعة أداء الفريضة وسماع الحوادث فى الخطابة تواطوا  
مع بعض الخطباء على ذكر الموت والزمام الأمة بالطاعة والخضوع والتحذير من  
الخروج على الحاكم أو مخالفته ليميتوا بذلك ثورة النفوس التى تحدثها المظالم

ويحركها البغي وتوات من بعدهم اعصار وكلما ظهر ملك شديد الاستبداد زاد الخطباء في التخويف والارهاب فإن الخطابة كانت في الامة بمنزلة جرائد الاخبار فترى المملكة العادلة تبيع حرية المطبوعات لتطلق عنان الأفكار ومن خرج عن حده أو رمى الحكومة بما ليس فيها حاكمته وعاقبته . والحكومة المستبدة تحجر على الجرائد حجر المتقدمين على الخطباء فلا ينشر فيها إلا ما ترضاه من المدائح وتحسين أعمالها من غير نظر لمصلحة الامة ولا للمنفعة العامة لتكون أمتها تائهة في ظلمات الجهالة لتهدى لصالحها ولاتعلم من أمرها إلا ما يضر بها .

وكان الخطباء في صدر الإسلام يخطبون ارتجالا لتمكنهم من اللغة وعدم فساد ملكتهم العربية بدخيل أجنبي فيها إذ كانت اللغة محفوظة لاحتياج الطفل إلى تمرينه عليها إلا لبعض المحفوظ من كلام العرب يقيم به لسانه فلما كثرت الاختلاط وامتزجت لغة القوم بكثير من اللغات وبعض المصطلحات عز على الناس ان يأتوا بالخطابة ارتجالا واحتاجوا لاعداد بعض الخطب ليكون الخطيب مقيدا يلقيها على القوم كما يلقي الطفل درسه على معلمه بحيث لو وقف في كلمة ضاع منه ما بعدها لكونها ليست من ملكته ولا انشائه ثم زاد الأمر بتولى بعض القراء أمر الخطابة فتراه يصحح الخطبة على نحو ليتلوها معربة على الناس من باب جكاية الأصوات. وبعض خطباء الأرياف يحفظ الخطبة في الديوان بحسب ما يتصور فلاتفقه لخطبته معنى لما تراه من خطبه في الألفاظ وهنره بما يظنه صحيحا ولقد سمعت الكثير من هذا القبيل وعجبت من الجهالة العمياء..

وحن نظر لهذا الموضوع الجليل بعين الاعتبار علم أن هيئتنا الحديثة وسير

ملكنا التقى القائم بأمر الدين المحافظ على راحة الأمة يقضيان علينا بتغيير كثير من الأمور المهمة العامة في الأمة ومن أهمها الآن الخطابة فإن الأمة كثيرة في بلادنا متغلبة على السواد الأعظم منا ولو كانت الأمة قارئة كلها لاستغنت عن تغيير هيئة الخطابة بالجراند ولكن مطالعو الجرائد عدد قليل محصور في دفاتر المحررين والأمينون في ظلمات الجهالة قد ضرب بينهم وبين ما يقدمهم بسور لآباب له فترى الرجل يجهل حالة المديرية المجاورة لبلاده ولا يعرف بعض بلاد قطره إلا سماعا من الناس وهذا لا يناسب أخلاق أمة انتشرت فيها العلوم وتعددت فيها المدارس فإن فساد أخلاق الآباء يضر بالأبناء وربما غلبت أخلاق أبويه على معارفه وأدابه فلو كان الوالد في المدرسة وأبوه متنورا بالخطابة سارت الأمة إلى التقدم على جناح السرعة وتأيدت سطوة الحاكم تأييدا عظيما على أننا نرى الكثير من الناس ترك الصلاة أو تكاسل عنها وكثير من الحوادث والأخبار قاده حب تطلع الأخبار للنوم الجماعة وحب المساجد والطاعة وامتلات المساجد بالمصلين.

وأود وجود نفر من أعيان بلادنا يتبرعون بمبلغ يقوم بنشر خطب أدبية سياسية وأنا أقوم بإنشاء خطبة في كل اسبوع تناسب أحوال الزمان ثم تطبع هذه الخطبة وتنتشر في سائر أنحاء القطر لتتب الأفكار وتعرف الأمة قدرها وما تحفظ به نظامها بين الأمم ولا يتم هذا الأمر إلا إذا اجتمع هؤلاء الأعيان وعرضوا ذلك لديوان الأوقاف ليتمكنوا من العمل بالخطبة وما أظن أن أحدا يأبى هذا السعى الجليل مع تمتعنا برعاية ملك تقى يسره وقاية الدين من سقطات الجهلاء وحفظ المملكة بأفكار رجاله وأفراد رعيته .

وأرى أن بعض الخطباء إذا سمع ذلك قال خطأ مشهور خير من صواب

مهجور أو القديم على قدمه أو لانغير أمرا جرى عليه أسلافنا أو غير ذلك من كلمات العجز وألفاظ التمحل ، ولكنى لا اتركه يبيت الليل يسود ويبيض في اعتراض على أو في رد ينمقه ويزينه بأقفاظ مجموعة من اوراق وانما اقول له طالع كتب الفقه واعرف منها شروط الخطبة وقابلها بما أنشره فإن رأيتها منطبقة عليها فقد كفيتك التعب والسهر في كتابة الاعتراض وإن وجبتها خارجة عن حدود الخطبة وشروطها ففصل أوراق خطبى ثوبا والبسنى إياه ودر بى فى الأسواق مشنعا على بما تراه على أنى لا اتركه يتململ حتى يرى تلك الخطب فيطول عليه الزمن ويؤلمه الانتظار وإنما أقرب له الأمر انشاء خطبة فى هذا العدد تكون نموذجا لما ساعده من الخطب وإن كانت محررة بلسان الجريدة وقلم السرعة لا منمقة ولا محلاة بشيء من البديع وانى أعرضها على سادتى العلماء واخوانى النبهاء لأقف على أفكارهم فى هذا المشرب الذى لاتقريب عنهم ثمرته ولعلى أكون رأيت الصواب وسميت فى الواجب فاعد من خدمة الدين والدنيا وقادة الأمة لليعا فاني حليف لغتهم وابن بلادهم واخوهم فى الدين الحنيفي والملة السمحاء خلد الله دعوتها .

### (الخطبة)

رب البيت. العظيم له الحمد على نعمه. وميسر الخلق لما شاء له الشكر على كرمه، تحفده، حمد من تلى عليه الموحى به فسمعته، ورأى نور الهداية ساطعا فتبعه، ونصلى ونسلم على غارس شجر الاتحاد فى قلوب المؤمنين. سيدنا محمد الذى أرسله رحمة للعالمين. وعلى آله وأصحابه الذين جمع الله بهم الشتات. وأنزل فى صفاتهم الحميدة آيات. عباد الله. إن لكل أمة كلمة تجمعها وسيرة تسمها. وكلمتنا الوحيدة حسن الاعتقاد. وسيرتنا حفظ الملة والبلاد

وقد تأسست كلمتنا بالاتحاد واللين، والقيام بما جاء به هذا الدين. من ترك  
العقوق: وحفظ الحقوق. والبعد عن الظلم والبغى. والتطهر من الرجس والفسق .  
والحث على الائتلاف. والتحذير من الاختلاف. وقد دخل معنا من أهل الذمة من  
تعلمون وصاروا إخواننا في الوطنية وهم مسالمون وأنتم تعلمون ما نزل به  
إلوحى من السماء وما أهرىق في نشره من الدماء. حتى بلغنا السعود. وهرنا  
أمة عظيمة في الوجود ولولا تفرق الكلمة ما انحل عقد اجتماعنا. ولا خرج علينا  
أعداء من اتباعنا. ولا ضعفنا منا الهمم. حتى تلاعبت بنا الأمم. وأصبحتنا ميدانا  
تجول فيه الأفكار. وناطقا اشتد عليه الإنكار. كأننا لسنا أسود الشرق الضارية.  
ولا نجوم الهدى السارية.. صدق المرجفون فقد طال الزمن. وتغيرت الدمن.  
وأصبح العدو يطالبنا بئثار أجداده. ويوغر علينا صدور أجداده. ويتحدث بنا في  
كل ناد وينشر عيوبنا في البلاد. ونحن لا نتأثر من التنديد . ولا نتحرك من  
التهديد . ولا نأخذ حذرنا من الأعداء. ولا نتأمل في خطوب الاعتداء. تأتينا  
أخبار البرق باغتيال إخواننا ونحن عن أنفسنا لاهون ونقص علينا الجرائد  
أخبار مجاورينا ونحن عن العاقبة غافلون. ما لنا لانكون عضدا لمليكتنا الأعظم  
وحرصنا يحفظه اذا ليل الخطوب أظلم. أترون الدول ترحمكم اذا ملكتكم. أو  
تبكي عليكم اذا أهلكتكم. أو تعاملكم بالرفق واللين. أو تحفظ لكم نظام الدين.  
كلا والله ما هي إلا أسود إن دهمت احترست. وإن تمكنت اقتدرت. وإن ملكت  
أسات السيرة وإن جاورت لم تحفظ الجيرة. وإن تداخلت احتالت. وإن رأيت غرة  
اغتالت . لا ترانا إلا بعين العدوان و لا تعدنا معها من الإنسان. يدلنا على هذا  
من فتح لهم من إخوانكم غار. فسقطوا فيه على أمة البلغار. فهي تكرههم على  
ترك الدين. وتقتل المؤذنين أمام المصلين. ولقد أقاموا قرونا في ذمتنا.  
وعصروا وهم تحت سطوتنا، ولم يروا منا إلا الاحسان، وعدم التعرض للأديان،

وهؤلاء اخوانكم فى القرب. يصطلون بنيران الحرب. على غير ذنب ولاجنافية.  
وانما هى النهاية ترد إلى البداية. فمن يرى هذا التعصب فى مدته، ويرضى  
بالخروج عن أهل ملته أو يميل بجانبه للحماية، ويتخذ مليكا غير مليك وقايه.  
فاستमितوا رحمكم الله فى حفظ البلاد ودعوا التنافر والزموا الاتحاد واجعلوا  
خديو يكم علما يهتدى بنوره. وقطركم حصنا يحتمى بسوره، ولا تغمضوا عن  
كيد الأعداء عينا. ولا تهابوا فى حفظ الأوطان حيناً، وألزموا السكينة فى  
حركاتكم ولا تسعوا فى تنغيص حياتكم، ولا تجلبوا على الأمة بالتهور شراً.  
ولا تحدثوا فى البلاد كرا ولا فرا. واحفظوا للنزلاء حقوق تجارتهم. واسمعوا فى  
المجالس حسن عبارتهم. ولا تاكلوا لتاجر مالا. ولا تسيئوا لاجنبى حالا، وعاملوا  
جميع السكان بالاحسان والرفق والحلم. ، ولا تسبوا الذين يدعون من نون الله  
فيسبوا الله عدوا بغير علم قال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان  
يشد بعضه بعضاً كما قال (منثورات من شعره)

فنقل النفس من معنى لمعنى \* كنقل الورد من غصن لجانى

نثبت هنا ما بقى فى الذاكرة من قوله فى تخميس قصيدة للعلامة المرحوم  
الشيخ الشبراوى شقوتى فى الحب عنوان الرشاد \* والجوى حظى لذاتى  
السهاد \* لاتلم صبا يغالى الدمع جاد

إن وجدى كل يوم فى ازدياد \* والهوى يأتى على غير المراد.

نزمة الولهان فى حال النوى \* سقمه والنوح مادام الجوى \* قد سباني تيهه

ظبي اللوى .

يا عذولي لا تلني في الهوى • ليس لي مما قضاه الله راد  
 ليس لي في الحب يوماً منصف • أعينني كاسي ودمعي قرقف • مغرم بالفيد قلبي مدنف  
 متمى الآمال عندي أهيف • وجفون زانها ذاك السواد  
 وقدود قاتلات جهرة • وجين قد ارانا طارة • وشفاه قد سقتنا خمرة  
 وخدود تظلي حمرة • ودلال قد نقي عنى الرقاد  
 اتى المضى فن يعدلني • والهوى في فن يفضلي • لم أجي فيه بما ينجاني  
 ان ذنبي عند من يعدلني • ان قلبي في الهوى لورد عاد  
 ضاع قلبي هل له من منشد • نال عقلي هل له من مرشد • كم انادي في صباحي وغد  
 يا أهيل الود هل من منجد • هل سلا الاحباب ذو وجد وساد  
 سادتي ان لم يمنوا باللقا • مت وجداً ولحم طول البقا • لا تقولوا وجده عين الشقا  
 انا ان لم أهو غزلان النقا • أي فرق بين قلبي والجماد  
 قصيدة من رواية الوطن التي مثلها بحضور المغفور له افندينا توفيق باشا بالاسكندرية  
 أنوار عدلك تهدي حي نادينا      وحسن سيرك للما نادينا  
 لكننا في طريق ضل سالكم      فن يدل الى الحسى ويهدينا  
 افتية ساهم انصاف سيدنا      فاستجبوا العدل والاحسان والدينا  
 كنا تناجى بالقاظ تقربنا      صرنا تنادى بدينار يفادينا

وكان يمشي على الدباج سافلنا  
 هل في القصور رجال غير من عظموا  
 او في الديار اناس غير من وفدوا  
 هدي معاملنا تبكي وتاشدنا  
 بنم وينا فما ابنت جوانحنا  
 لو اننا مثل اهل الارض في هم  
 قل للنفوس التي ماتت بلا اجل  
 أين الشيوخ الألى ساروا و-يرهم  
 أين العلوم التي كانت توصلنا  
 أين الصنائع أين العارفون بها  
 كانت وكانوا وصار الكل في عدم  
 نمشي حفاة على شوك القتاد فلا  
 استودع الله قوماً كان طبعهم  
 شدوا الجياد وجابوا كل بادية  
 وسيروا الحق في الآفاق اجمعها  
 واستخلفونا فكنا شر من ورثوا  
 اذا سمعنا خطيباً ذا كراً حكماً  
 لا نشترى المدح لو جاءت به فئة  
 ولتنا اذ رضينا هجو أنفسنا  
 ماذا ترى في اناس لو تهر بهم  
 ما خالفوك ولكن خالفوا شرفاً  
 فاجمع من القوم من رضي خلائقه  
 وشدد الامر حتى لا يضيع سدى  
 وطهر القطر ممن طبعه شره

فصار يمشي على النيران عالياً  
 بما لدينا وكانوا من موالينا  
 من القفار فصاروا في مبانينا  
 قول ابن زيدون اذ قامت تعزينا  
 شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا  
 ما قام يندنا أحيا مغنينا  
 أين القلوب التي كانت تجارينا  
 مسك ذكي ياهي مسك دارينا  
 باب السعود فصارت من أعادينا  
 أين الديار التي كانت لاهلينا  
 واستعبدتنا بما نهوي أمانينا  
 يؤذي النفوس وكان الحز يؤذينا  
 ييدي لك الخاليتين البأس واللينا  
 كي يعروها فعموا الارض تمدينا  
 فاستحسنه ونادتهم سلاطينا  
 اذ لم نحافظ على ملك بأيدينا  
 قلنا له عزة الآباء تكفينا  
 من السماء فان الدم يرضينا  
 نستحسن البعد عما يوهن الدينا  
 الى الملا بعدوا مما يرقينا  
 لم يعرفوا قدره ممن يولينا  
 واجعل لكل من الاعضا قوائنا  
 واجعل زمامك فيه المعدل واللينا  
 وخان يحرق المأوى ويشوينا

وكن لاهل الوفا حصنا ومثمنا      وكن لاهل الهوى ستمنا وسكتنا  
 واحصل ربناضك الافكار عندها      وسن مرمك قاصبتنا واوليتنا  
 طاهر بحسن من سامي المقام ادي      مارك فمه سنده ستمنا  
 ولا تبار ارباب الفنون سوى      على قدر حال العلم يدويتنا  
 سواقه يحفظ ماله وفق دولتنا      ورحم الله علينا حال امتنا

(١) في هذه الايات اشارة الى انتقال الوزارة في اذالك المدة من دولة ناصر باشا و ابحار الشاذه  
 خري باشا و محمود باشا باشا و الرستم باشا و اشارك باشا و قديري باشا و كاشا باشا و قديري

خ المرحوم الاول



الجزء الثاني

# فَيْبُ الدِّعِ

في مختبات

المرحوم عبد الله أفندي التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن ابتداء البديع \* حمداً لله البديع \* فإنه مطلع الجلال \* وبراءة  
الاستهلال \* فله الحمد على نعمة الابداع \* وتجنيس الانواع \* اخترع الكون  
بلا توليد \* ونسقه بلا مراجعة ولا ترديد \* ووزعه بالاحتياك والترتيب \* ورشحه  
للتهذيب والتأنيب \* ووشحه بالتفصيل ليندفع عنه الابهام \* ورصعه بالتناسب  
للمشاكله والاستخدام \* وجزاه بالازنواج فلا توهم \* ووازن بين افراده في  
الرفق والتسهيم \* وطرزه بالمماثلة في الجمع والتفريق \* وشمله باتساع رحمته  
فلا حصر ولا تضيق \* استطرده الانشاء عن حكمة لا بالاتفاق \* ودلى الأرض  
ورقى السبع الطباق \* تنزهه عن الاعتراض والتعليل وتقده عن التشبيه والتمثيل

\* اذ لا نظير يراعى استتباعه \* ولا مقابل له تتفاير اوضاعه ولا سابق يستعان  
 على الابداع \* ولا لاحق يستعير حسن الاتباع \* ولا شئ يعاكسه فى جمعه \*  
 ويتوارد معه فى مثيل صنعه \* خلق كل شئ زوجين \* واشتق فرائده من  
 أصلين \* وانفرد بالجمع والتقسيم بلا معارضة \* وأسبغ نعمه اقتداراً بلا  
 استثناء ولا مناقضه \* واستلفت الخلق الى نعيمه الجزيل \* وحذرهم من عذابه  
 بالانذار والتهويل \* وأكد الامر بالتوبيخ والتقريع بلا اضمّار \* وخصص دار  
 كرامته لاهل الاعتراف واضرب عن اهل الانكار \* فضله علينا مطلق تام \*  
 مركب من احسان وانعام \* علمنا اختصار الكلام بمحكم كتابه المنزه عن  
 الاشباه \* فاقتبسنا من فاتحته البسمة والحمد لله \* وعطفنا على من فرق بين  
 الطاعة والعصيان \* وحسن فى مدحه الاطناب والافتتان \* وحصر فى جزئى  
 نوره كلى الوجود \* واطرد ببيضاح تصدير السعود \* سيدنا ومولانا محمد  
 من حسن به التخلق من ذاك المجاز \* المنزهة بعثته عن الارداق وشريعته عن  
 التعمية والالغاز \* فالتزمنا الصلاة عليه والتسليم \* وكررناهما بالكلام الجامع  
 مع التعظيم \* ساجعين بجمع المؤنثف من الال والاصحاب \* ناشرين ما  
 انطوى فى بديع هذا الرحاب \* فانه عنوان التتميم والتكميل \* ونادرة الكون بلا  
 تدويل \* لا يتجاهل عارف بتشريعه \* ولا يساوى باب مجده شئ فى تصريعه \*  
 سلب بدينه الحق ما اوجبه السابقون \* فلم يواريه معاصر ولا استدرك عليه  
 اللاحقون \* اثلتف فى كلامه المعانى والالفاظ \* فاوغلت فى جمع ما تفرق منه  
 الحفاظ \* بتمكين هداة فينا تشابهت الاطراف \* فتجرد الشطر المقابل من  
 التفويف والتنويف وتنسيق الاوصاف \* لا يمدحنا فى معرض الذم متهم \* ولا  
 يفرع على تسميطننا متحكم \* ولا يفوتنا فى التعريض والتلميح الاحتراس \* ولا  
 يستحيل توسيع مجدنا بالانعكاس \* فسر لنا ما اندمج من كل حد \* فانتلفنا

وتركنا الهزل بالجد \* وعقدنا على سنته الخناصر في كل حال \* وتوجهنا اليها  
 بلا انتحال \* واخذنا بقوله وموجبه \* وتتورنا بكلامه ومذهبه \* فمقطوعنا به  
 موصول \* ومهملنا على كرمه محمول \* وبراعة مطلبنا منه مأمولة \* وإشارتنا  
 اليه كناية عن السهولة \* تخيرنا دينه بنكتة التعطف بلا تورية \* ولا نشبه شيئين  
 بل ولا شيئاً بسنته الزاهية \* فلم يبق لزوم لما يلزم \* ولا لتأكيد المدح بما  
 يشبه الذم \* ولسنا ممن يهجون في معرض المدح \* ولا ممن يرجعون بعد  
 الاختصاص والمنح \* مبالغتنا في مدحه إيناس \* وغلونا فيه لدفع الالتباس \*  
 والتفاتنا الى غيره اغراق \* وحكمنا بالتمنن والمت اشفاق \* وتلفطنا في حذف  
 الغير ونفيه بايجابه \* اكتفاء بالاقتصاص عن عتابه \* تعديد محاسنه اعجز  
 القوافي بل اللغات \* وكيف لا وهو الممدوح بمحكم الايات \* المنزل عليه القرآن  
 \* بالايجاز وحسن البيان \* اقسم الله تعالى به في لعمرك انهم لفي سكرتهم  
 يعمهون \* فانتقطع عن المحجة المشبهون \* واعترف الكل بنزولهم عن نتبته \*  
 واقتخروا بنسبة من يؤرخون بهجرته \* فانتظموا في اتباعه بعد الطرد والعكس  
 \* وأمنا انقلاب الحال قطابت النفس وصلّى عليه الانام بالانسجام \* فتمحض  
 لنا ولهم الخير في حسن الختام \* فعليه الصلاة والسلام \* وعلى آله وأصحابه  
 الاعلام \* ما دام في نكون نسيم \* وأنشد الناس قول النديم :

محمد سيد الدنيا وضرتها \* به يفاخر من يعزى له ملاه (قومه)  
 نور ترفع في الاكوان مرتقيا \* فجاوز العرش لما بالصفا ملاه  
 لا باب يدخل منه للحبيب سرى \* أهل الصفا الال فاخصص بالولا ملاه (اشرافه)  
 واطمع به في رضا الرحمن متبعاً \* آثار من يعظم اللاجى به ملاه (طمعه)  
 وظن بالله خيراً كله ثقة \* قاله للمرء يوماً عند ما ملاه (ظنه).

## (وهي بديهيته)

في حسن الابتداء

هذه تسمية واضع الفن ابو العباس عبد الله بن المعتز والمخاضون قالوا ان كان البيت او السجع سهل المأخذ مركباً من كلمات مألوفة مؤلفة غير متافرة بلا حشو مجعولة قوالب لمعنى دقيق مقبول في الانواق السليمة فهو براعة المطل [وإن دخل فيه ما يدل على قصد الشاعر او انثار الذي لا يعلم الا بالتخلص فهو براعة الاستهلال وقد اخترت تسمية الواضع فعنونها النوع بها وجمعت بينها وبين تسمية المتأخرين في مطلع بديعيتي.

وقد مرت العصور على البديعيين والشرح \* وهم يشطحون في الكلام على براعة الافتتاح \* ولم يتكلم واحد منهم على فاتحة الكلام القديم \* ولا استشهد بها على حسن الابتداء العظيم \* مع انها فاتحة العلوم \* والرسوم \* وبراعة الفنون \* والشئون \* ومبدا ما حوته النقول \* ومطلع بدور العقول \* جمعت ما تفرق في القرآن \* بالتفصيل وحسن البيان \* واشتملت على معظم الانواع البديعية \* والاجناس الكونية \* فهي أحسن ما جاء في حسن الابتداء \* واولى ما يستشهد به للاقتداء \* وسأقدم الكلام عليها على كلام اهل البديعيات \* والتزم ذلك في كل نوع له شاهد من الآيات \* فاقول ابتداء الله تعالى كلامه بقوله بسم الله فقدم الاسم العلم غير المشتق مع ان له اسما كثيرة غيره تناسب الابتداء كاسمه المبدى والاول والفتاح والبديع ليكون ادل في البراعة على أنه تعالى مغاير لخلقه كما انه اسمه مغاير لاسمائهم ووصف نفسه بوصفى الرحمة ليدل السامع بادئ بدء على لطفه وكرمه وعفوه وغفرانه وحصر جميع الكائنات في الصفتين فان الرحمن المنعم بعظيم النعم بالإيمان والهداية

والتبصر في التوحيد والتوفيق للطاعة ومكارم الاخلاق والاكل والشرب والحركة  
 والسكون والنوم واليقظة والصحة والمرض وغيرها مما هو من لوازم الاشباح  
 والارواح والرحيم المنعم بدقيق النعم كالنجاة والمغفرة والرضوان وغيرها مما  
 هو من لوازم الارواح ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة فانطوى فيهما كل  
 موجود ملكا وفلكا وكوكبا وانسا وجنا ونورا ونارا وروحا وجسما مجردا كان او  
 بسيطا او مركبا او حيوانا او نباتا او معدنا عرضا كان او جوهرأ فكلها مجللة  
 بنعمة اليجاد وتقدير الكم والكيف وتمييز الصورة فاذا انتهى السامع من  
 البسمة وتمعن فيما اشتملت عليه علم أنه تعالى يستحق الحمد لذاته فلذا قال  
 بعدها الحمد لله واختار الحمد على المدح لأن المدح لا يكون غالبا الا قبل  
 الانتعام والحمد لا يكون الا بعده فاشعر بذلك انه قضا وقدر وانشاء واحكم  
 وفطر وابدع وحفظ وتكفل وتفضل وتكرم وشمل كل موجود بنعمه الظاهرة  
 والباطنة وقدر امره في النشئتين وفرغ من ذلك قبل خلق الخلق فلم يبق الا ان  
 يحمد على تفضله واحسانه واعاد اسم الذات ظاهراً بعد ذكره في البسمة  
 اشارة إلى انه تعالى ظاهر لا يخفى على مخلوق وانما يحجب من اضله واراده  
 وابعده عن ابواب رحمته فاعمى بصيرته ورتق فهمه وختم على قلبه وليكون  
 الاسم مبنوا به عند من يرى ان البسمة ليست آية من الفاتحة وحجتنا معاشر  
 الشافعية على انها آية من كل سورة بعد الاحاديث الواردة في الفاتحة ثبوتها  
 في المصاحف العثمانية في اول كل سورة غير براءة ولم ينكر احد من  
 الصحابة على كتاب المصاحف فلو كانت ليست آية من كذا صدق على  
 كتبه المصاحف انهم زانوا في القرآن مائة وثلاثون مرة فقل  
 بهذا وقد انقضى عهد حابه وجاء التابعون على اثرهم ولم يغير احد منهم  
 في المصاحف شيئا ولا أنكر على كتيبها اثبات البسمة في أوائل السور ولما

خصص ذاته العلية بالحمد اشتاقت النفس لمعرفته بصفاته وأثاره أو أراد أن يظهر عظمته وجلاله ومجده وانفراده بتربية العوالم وخلقتها فقال رب أى مالك ومربى العالمين أى كل من سواه من الثقلين وما فى الكونين والنشئتين فانطوى فى هذه الفاصلة خبر كل موجود وقصته وتاريخ حياته ووجوده بمقتضياته وما ينتابه ويطرء عليه من وجود وعدم وجوع وشبع وظماء ورى ومرضى وصحة ونوم ويقظة وحركة وسكون وجهل وعلم وكفر وإيمان وفقر وغنى وعز وذل ونصر وخذلان وسير وحط وريح وخسارة ورقعة وضعة وضيق وسعة وذكاء وغباوة وفصاحة وعى وجمال وقبح وظهور وخفاء وضعف وقوة وخوف وثبات ونور وظلمة واستقامة واعوجاج وجريان ووقوف وتقابل وتنافر وتناسب وتضاد وتوسط وانحراف وغير ذلك مما هو من شئون الحوادث فانطوى فى لفظ العالمين ما لا تسعه كتب ولا تحصيه كتاب ولا يقدره فكر ولا تحيط به العقول ثم اعاد الوصفين الجليلين الرحمن الرحيم اشارة لاتساع رحمته وعظمتها الى حد ان يحو كافر الكافر وذنب المجرم وان حارباه بالكفر والمعاصى دهوراً واستدل القائلون بان البسملة ليست من الفاتحة بهذين الاسمين وقالوا لو كانت من الفاتحة لكان إعادتها بعد ذكرها فى البسملة تكراراً وليس كذلك فإنه لما ذكر ان البدء لا يكون الا باسم الله تعالى ذكرهما هناك دليلاً على وجوب الابتداء باسمه لكونه المنعم بالنعمة ولما ذكر الحمد وخصصه بذاته تعالى ذكرهما دليلاً على تفضله لكونه مربى العالمين فجئيهما فى الفاتحة لغير ما جاء آله فى البسملة فهما من نوع الترديد لا من نوع التكرار الخالى عن المعنى . وإلى هنا يقف العقل ولا يرى من العوالم غير ما اخبر الله تعالى عنه من العالمين العلوى والسفلى فنبهنا على أن هناك نشأة أخرى هى نشأة الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر وأنه هو الذى يملك هذا اليوم بما فيه ملك انشاء وتصرف كمال ملك

العالمين ورباهم في دار العمل فقال مالك يوم الدين فانطوى فيه كل ما كان متعلقا بالأخرة من حساب وخطاب ونعيم وعذاب ورضى وغضب ووزن وعرض وشفاعة فيعلم كل فرد من افراد العوالم وما عمله وما قاله وما ينتهي اليه امره من الكليات والجزئيات والى هنا انتهى الله تعالى من الإخبار عن الكائنات وطوارئها وما قدره في العالمين والنشأتين مما لو كان البحر مدادا لحصر كلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وكل ذلك تم في ثلاث فواصل تشتمل على ثمان كلمات كل القرآن الكريم تفسير لها وتفصيل وتتميم وتكميل وايضاح ويسط وتذليل ولما كان المقام مقام مدح التزم فيه الاخبار بالجملة الخبرية لأن المدح في الغيبة احدى واكمل واوقع في النفس واقترب للقبول ولما انتقل الى مقام الدعاء وتعليمه التفت من الغيبة الى الخطاب لانه مقام رجاء والتماس فقال اياك نعبد أى نخصك بالعبادة دون غيرك والعبادة تستدعى بيان اجناسها وانواعها واصولها وفروعها والصحيح منها والفاقد والحق والباطل والمقبول والمربود وما كان من شئون الانسان وما كان من شئون الحيوان وما كان من شئون الملك وما كان من شئون الجن وما كان من شئون الجماد والنبات فانطوى تحت هذه الجملة جميع علوم الاصول والفقه والتفسير والحديث والتصوف والالامات الموصلة اليها كما انطوى فيها بيان الاديان وتمييز الحق من الباطل منها وتعريف فرق العالم ومذاهبهم والى هنا يظن العبد ان الذى يلزمه معرفته والايمان به هو ما اخبر الله تعالى عنه من اول الفاتحة الى هنا وأن ما عدا ذلك من الاقوال والافعال يأتى بها العبد من نفسه فلدفع هذا الظن الفاسد قال واياك نستعين أى نخصك بطلب المعونة على كل شئ قوليا او فعليا فاننتقى عن ذهن العبد ظنه القدرة على خلق افعال نفسه وثبت لديه انها لا تحصل ولا يتمكن من الاتيان بها الا باستعانتة بخالقه ومربيه

المالك في الدنيا والآخرة المتفضل بالخلق والرزق والنطق والعقل قبل ان يكون  
 له اختيار يبعثه على الأقوال والأفعال فكما لا يعبد الا هو لا يستعان الا به ولما  
 كانت العبادة شاملة لكل ما يسميه الانسان عبادة حقا كان او باطلا كما قدمنا  
 وكانت العبادة لا يخص بها الا الله تعالى والاستعانة لا تطلب الا منه وجب على  
 الانسان ان يطلب الهداية الى الدين الحق منه كما استعان به في جميع شئونه  
 فعلمنا كيفية الدعاء وطلب الهداية بقوله تعالى اهدنا أى ارزقنا الدلالة الموصلة  
 للمعرفة حتى نسلك الصراط المستقيم المنهاج الواضح الذى لا اعوجاج فيه  
 وهذا يقضى ببيان جميع طرق الهداية لتسلك وطرق الغواية لتجتنب وتترك ولا  
 يكون ذلك الا ببيان الاوامر والنواهي والرغائب والزواجر ولما كان كل متمسك  
 بدين يدعى انه على الصراط المستقيم وكان لانا من معرفة الصراط  
 الموصل إلى الحق سبحانه وتعالى قال مبيناً له صراط الذين انعمت عليهم  
 وانواع الإنعام كثيرة فان منها نعمة الخلق ونعمة الرزق ونعمة فتح الحواس  
 ونعمة الحفظ من الطوارق ونعمة الحركة والسكون ونعمة الإدراك والتمييز وهذه  
 مشتركة بين المؤمن والكافر والصالح والطالح فبين لنا ان المراد بنعمة اهل  
 الصراط المستقيم نعمة الايمان والتوفيق للعمل الصالح وارشدنا الى ذلك  
 بالاستثناء حيث قال غير المفضوب عليهم بسبب معصية او كفر مع علمهم  
 بالكتب ومهابطها ويلوغمهم دعوتهم ثم زاد المستثنى ايضاحاً وبذله بقوله تعالى  
 ولا الضالين الذين فسقوا بعد علم او كفر بعد ايمان بشبهة عقلية او نزعة  
 شيطانية فما قدمته لك تعلم ان علوم القرآن كلها جمعت في الفاتحة بالبيان  
 والتفصيل فانك اذا قرأت سور القرآن سورة سورة وطالعت كتب التفسير  
 وطبقت ما فيها على ما قدمته من التفسير رأيت تلك العلوم في الفاتحة وليس  
 في طوق البشر ان يأتوا بفاتحة كلماتها خمس وعشرون كلمة يقصون فيها

اخبار السابقين واحوال اللاحقين وشنون العالمين واحوال النشأتين ويسرون  
 فيها جميع العلوم والمذاهب كهذه الفاتحة الشريفة فانها تنزّل من حكيم حميد  
 ولنأت على بعض ما فيها من الانواع البديعية فنقول: فيها حسن الابتداء وتقدم  
 بيانها ويذكر اسم الذات واتباعه بصفتي الرحمن الرحيم اشتعل على براعة  
 المطع فان هذه الاسماء سهلة متناسبة مؤتلفة واشتمل كذلك على براعة  
 الاستهلال فان ابتداءه باسم الذات يشير إلى أنه آله حق خارج عن سلسلة  
 الكائنات موجد لغيره متصف بصفة الوجود والقدم والبقاء إلى آخر صفاته  
 الجميلة واتباعه بالرحمن الرحيم إشارة إلى أنه قابل التوب كثير الاحسان واهب  
 للغفران متفضل بالرحمة كما انه متصف بصددهما وهو الغضب والقدرة على  
 التعذيب والبطش والانتقام فاشتملت البسملة أو الحمدلة على حسن الابتداء  
 بقسميه وتنسيق الصفات في رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين  
 والغرائد في رب العالمين فانه لا يقوم مقامها غيرها والنوادر في نعبد ونستعين  
 فإن العبادة والاستعانة مشتهرتان ولكن لما قرنتا بإياك التخصيصية انتقلنا من  
 الاطلاق إلى التقييد والإلتفات في الانتقال من الغيبة إلى الخطاب والاختصاص  
 في رب العالمين اذ لا يشاركه غيره في هذه الصفة والفخر في البدء وحمده  
 ويكونه رب العالمين ومالك يوم الدين والافتتان فانه امتن على العباد بانه الرحمن  
 الرحيم ثم حذرهم من غضبه وانتقامه بمالك يوم الدين والسجع في مالك يوم  
 الدين اياك نعبد واياك نستعين والايجاز في جميع فواصلها فان كل فاصلة  
 تحتها معان شتى كما قدمنا والسهولة فان كل الفاظها خالية من الحشو  
 والتعقيد والانسجام فان تركيبها يكاد يسيل رقة والتعريض في غير المغضوب  
 عليهم فانه تعريض بالمصرح بالفضب عليهم في قوله تعالى ومن يطل عليه  
 غضبي فقد هوى والكناية في ولا الضالين فإنه كناية عن فرق المغايرين للدين

والذين اشركوا والزائفين بالشبه العقلية والاشتقاق في الرحمن الرحيم فانهما مشتقان من الرحمة والاستثناء في غير المغضوب عليهم والجناس التام في عليهم وعليهم فان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية والبسط في اهدنا الصراط المستقيم فقد بسطه بقوله صراط الذين إلى آخرها والترتيب في أول السورة إلى الذين فإنه اخبر عن وجوده الذاتي أولاً وثنى بالعوالم وتريبته لها في النشئة الاولى وثلاث بانه منعم بالنعمة العظيمة والدقيقة وبالنشأة الآخرة وتولية أمر الجزاء كما تولى امر العمل في الدنيا وهو ترتيب بديع فقد اشتملت الفاتحة على خمسة وسبعين نوعاً من البديع والمناسبة في رب ومالك والطباق في الذين أنعمت عليهم وغير المغضوب عليهم والاشارة في رب العالمين ومالك يوم الدين فإنه عبر عن أمور كثيرة وشئون شتى والتمثيل في أنعمت عليهم وغير المغضوب عليهم والضالين فإنه عبر عن فريق المؤمنين بالنعم عليهم وعن فريق الكافرين والمنافقين بالمغضوب عليهم والضالين بغير الألفاظ الموضوعية لهذه المعاني والاراداف في واياك نستعين فإنه عبر عن نسبة خلق الافعال اليه بما يرادفه وهو الاستعانة به والمجاز في الصراط وصراط فإن المقصود بهما الدين الحق وعدل عنه إلى الطريق المستقيم والاحتراس في ولا الضالين بعد المغضوب عليهم وأنتلاف المعنى بالمعنى فان جميع معانيها متلاصقة ببعضها بلاتنافر بينها وانتلاف اللفظ والمعنى وهذا امر ظاهر لا يحتاج إلى بيان وانتلاف اللفظ واللفظ فان كل كلمة من كلماتها لا يقوم غيرها مقامها وحسن البيان فان السامع لا يتوقف في معرفة المعنى ولا يشكل عليه شيء وبراعة المطلب في اياك نعبد واياك نستعين فإنه بعد ان تعرف لخلق بصفاته طلب منهم ان يعبدوه ويستعينوا به ويطلبوا الهداية منه والترديد في اياك نعبد واياك نستعين والصراط وصراط والتفسير

فى صراط الذين الى آخرها فانه تفسير للصراف المستقيم والاطناب فى رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والتكيت فى المفضوب عليهم والضالين فان كثيرا من الالفاظ يقوم مقامها ولكن لا يؤدى المعنى المقصود منهما والاتساع فى المفضوب عليهم والضالين فان علماء التفسير توسعوا فى تفسيرهما على اقوال ومعان شتى والتهذيب والتأنيب فان جميع آيات السورة مهذبة منقحة خالية من الحشو والتقديم والتأخير والاستتباع فى الذين انعمت عليهم المستتبع بغير المفضوب عليهم ولا الضالين والمماثلة فى العالمين ونستعين والمستقيم ومراعاة النظير فى اهدنا الصراط المستقيم فان الصراط والاستقامة يناسبان الهداية والتدلى فى الرحمن الرحيم فان الرحمن المنعم بالنعمة العظيمة والرحيم المنعم بالنعمة الصغيرة فتدلى من الاكبر الى الاصغر والترقى فى غير المفضوب عليهم والضالين فانه ترقى من الشديد فى الغواية الى الاشد وحصر الجزئى والحاقه بالكلى فى رب العالمين ومالك يوم الدين فانه حصر الانواع والاجناس فى كل منهما وجعله جنسا عالياً تحته انواع واصناف فان السامع اذا سمع رب العالمين ومالك يوم الدين ظن انه ربما عبد غيره او استعين به او طلبت منه الهداية فقال اياك تعبد الى آخرها فانحصرت الجزئيات والتحقت بالكليات والعنوان فى الذين انعمت عليهم فانه يشير الى الانبياء واتباعهم من بين الخلق والايضاح فى بقية السورة بعد رب العالمين والحذف فانه اثبت فى السورة حروف المعجم وحذف منها ف ج ش ث ظ خ ز من بين الحروف والتوليد فان الذين انعمت عليهم كالمولد من قوله تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا انما قلنا كالتوليد لأن حقيقة التوليد ان يولد الانسان معنى من كلام الغير وليس قبل القديم شئ ولا هناك من يماثله حتى يولد من كلامه فكلامه

تعالى يتولد بعضه من بعض والمساواة فان كل الفاظها مساوية لمعانيها لا تزيد  
ولا تنقص والتسهييم في ولا الضالين بعد المغضوب عليهم فان من قراء غير  
المغضوب عليهم واراد عطف غيرهم عليهم لا يجد غير الضالين وحسن  
التخلص في اياك نعبد واياك نستعين فانه بعد ما نكر اختصاصه بالحمد  
ووصف نفسه بانه رب العالمين وانه الرحمن الرحيم وانه مالك يوم الدين صار  
في هذا الكلام دخولا على المقصود من خلق العوالم التي تعرف اليها وهو  
عبادتهم له واستعانتهم به والتعديد في رب و الرحمن والرحيم ومالك والتعرف  
فانه تعرف لخلقه بانه الاله رب العالمين الى الدين والادماج فانه في اياك نعبد  
واياك نستعين ادمج طلبهم الثبات على العقائد وقوتهم على الطاعة وحفظهم من  
نزعات الشياطين وفي اهدنا الصراط ادمج طلبه النجاة من عذاب الآخرة  
وشمولهم بالرحمة والرضوان والاستعارة في الصراط فانه حقيقة في الطريق  
الموصل إلى المقصود وعلاقته هنا المشابهة فان الصراط كما يوصل إلى  
المكان المقصود كذلك الدين يوصل إلى النجاة ورضا الرحمن والنزاهة فان  
غير المغضوب عليهم ولا الضالين هجو عظيم خال من الفاظ الفجس والوقاحة  
والاستطرد في واياك نستعين واهدنا الصراط فانه انتقل من طلب الاستعانة به  
إلى ما يشاكله وهو طلب الهداية ثم رجع إلى الأول بقوله أنعمت عليهم فان  
المنعم عليهم هم الذين استعانوا به والاحتباك في أنعمت عليهم والمغضوب  
عليهم فانه لما أثبت الانعام في جانب الاتقياء حذف الرضوان لدلالة الإنعام  
عليه ولما أثبت الغضب في جانب الفساق والكفار حذف الضرمان لدلالة  
الغضب عليه فكان النظم هكذا انعمت عليهم فرضيت عنهم غير من غضبت  
عليهم فحرمتم فحذف من كل ما أثبت في الآخر وحسن النسق في اياك نعبد  
واياك نستعين فإن الجمليتين معطوفتان عطفاً متلاحماً مستحسنأً والتمكين في

التسجيع بتستعين فى مقابلة الدين فان قوله اياك نعبد تمهيد لتستعين فجات  
 بعده فاصلة مستقرة فى محلها غير نافية ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له  
 تعلق بالسجعة قبلها والايغال فى الضالين فانه لو ختم السورة بقوله غير  
 المغضوب عليهم لكان كلاماً تاماً فأتى بالضالين ليعمم الاستثناء فى الكافر  
 والفاسق والتقسيم فى صراط الذين أنعمت عليهم إلى آخرها فإن الانسان اما  
 مؤمن أو مؤمن عاص أو كافر وقد استوفت الآية الاقسام الثلاثة فالطائع فى  
 أنعمت عليهم والعاصى فى الضالين والكافر فى المغضوب عليهم والتكميل فى  
 صراط الذين بعد الصراط المستقيم فانه لم يتميز من طريق المغضوب عليهم  
 والضالين الا بهذه الزيادة والتعميم فى الرحمن الرحيم بعد رب العالمين فإن  
 جملة رب العالمين لا توهم غير المراد فجئ بالرحمن الرحيم لنكتة المبالغة فى  
 رحمته من عصاه إذا تاب بالمفكرة ورحمته من كفر به برزقه واحيائه وحفظه  
 إلى أجله المعلوم والتغليب فى الذين أنعمت عليهم فإنه تلميح لفريق الانبياء  
 وغلب على كل مؤمن تشريعاً له بمن تبعه والتاكيد فى واياك بعد اياك الاولى  
 ولزوم ما لا يلزم فى الدين ونستعين فانه بنى الفاصلة الثانية على الياء والنون  
 كالأولى ولم بينها على الواو والنون او الالف والنون وتاكيد الذم بالذم فى ولا  
 الضالين بعد المغضوب عليهم والاستخدام فى الدين فان لفظ الدين يطلق على  
 القضاء والحساب والحكم والقهر والعبادة والتوحيد والاسلام والاستعلاء والذل  
 والمعصية فقال مالك يوم الدين أى القضاء والحكم والحساب ثم استخدمه فى  
 التوحيد فى قوله اياك نعبد وفى العبادة فى قوله واياك نستعين وفى الاسلام فى  
 قوله اهدنا الصراط المستقيم وفى الاستعلاء فى قوله اياك نعبد وفى الذل  
 فى قوله المغضوب عليهم وفى المعصية فى قوله الضالين وفى كل  
 جملة ضمير يرجع إلى الدين حتى لو كان له معنى غير الآخر فاستخدم اللفظ

الواحد فى صبغة معان وليس ذلك فى طوق البشر (واللف والنشر المرتب) فان  
 اياك نعبد راجع لرب العالمين اذ لا يعبد الا الرب واياك نستعين راجع للرحمن  
 الرحيم اذ لا يستعان الا بمن اتصف بالرحمة والاحسان واهدنا الصراط الى  
 آخرها راجع لمالك يوم الدين اذ لا تطلب الهداية الا ممن ملك أمر المنعم  
 والمعذب . ( وسلامة الاختراع ) فان معانى السورة وكلماتها قديمة لم يسبق  
 الله تعالى سابق بمعناها اذ ليس قبله شئ وليس كمنه شئ (والابهام) فى الدين  
 فانه يطلق على الطاعة والمعصية وهو اشارة إلى أنه تعالى خالق للخير والشر  
 (والاشترار) فى الدين أيضا فانه مشترك فى المعانى المتقدمة وقد ميز كل  
 معنى بفاصلة كما قدمنا فى الاستخدام والاضطراد فى لله رب العالمين إلى  
 الدين فإنه ذكر الاسم الخاص به والصفات المميزة له وليس لله تعالى والد  
 فيذكر بجانب اسمه تزمت ذاته الطيبة عن ذلك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا  
 أحد (وتشابه الاطراف) فان افتتاح السورة بانه رب العالمين يناسبه أن يكون  
 آخرها تقسيم الخلق إلى طائع وعاص وكافر وان صح ان أمين من الفاتحة كانت  
 حسن ختام والصحيح انها ليست قرأنا فانها لم تثبت فى المصاحف العثمانية  
 فقد اشتملت هذه الفاتحة المباركة على خمسة وسبعين نوعاً من أعلى أنواع  
 البديع وأغلاها وهذا القدر استخرجته بفكرى القاصر وذهنى الفاتر وقت الكتابة  
 فلو تأملها خبير خال من الشواغل والمكدرات واعطاها فكره وعقله لرأى بقية  
 الأنواع فيها ما عدا التى من خصائص الشمر كالتصریح والتجزئة والتسميط  
 والترصيع والتشريع وغيرها ولم يسبقنى سابق من المفسرين ولا البديعيين  
 لاستخراج أنواع "فاتحة قانا بفضل الله تعالى اول داخل لهذا الميدان وفتح  
 لهذا الباب وليس فى وسع العوا" ان تدمج خمسة وسبعين نوعاً فى فاتحة  
 قصيرة كهذه فحق لله تعالى أن يقول لئن لم جمعنا الانس والجن على أن يأتوا

بمثل هذا القرآن لا يتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً فقد مضى ثمان عشرة وثلثمائة و الف سنة من البعثة المحمدية الشريفة إلى عامنا الذي هو عام ستة وثلثمائة و الف وهو منتصب للمعارضة وقد تقلبت بين يديه عصور البلغاء وقرون الفصحاء وأيام النبهاء وسنى الحكماء وهو هو حلوة وطلاوة وبهجة ونوراً ما نبيغ نابغ في معارضته ولا بلغ بليغ غوص معانيه ولا أفصح فصيح عن شئ يذكر في جانبه بعد المحادة وفرق الخلق وطوائفهم متهافتون عليه على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وكل يلتمس منه حجة أو يطلب منه دليلاً ويعارض الأخذ منه به ويرد المخالف له إليه وكل فصيح منه يستمد وكل بليغ عليه يعتمد فهو قاموس اللغة وكتاب الحكمة وخزانة العلوم وانموذج الفصاحة فسبحان القادر المبدع الحكيم الممتن على عباده بقوله ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم هو المعجزة الكبرى التي لا يخلقها مر الدهور ولا يبليها توالي العصور وحى حق وكلام صدق لا هو من الشعر ولا الشعر منه ان هو الا نكر وقرآن مبين.

## في معاملة الوالدين

اعلم أيها الانسان أن أباك من وضعك في رحم أمك وأمك من حملتك ومن أَرْضعتك معها ولوالديك حقوق واجبة عليك منها شرعية ومنها انسانية ومنها كمالية نمزجها إليك مرتبطة ونقدم لك عليها مثلاً تتدرج به إلى معرفة مقامهما ثم نردفه بما لا بد منه من واجباتهما اذ الاستقصاء يملك ويرجعك إلى مقام التقصير والترك بالكلية . تعلم أن مظهر حياتك يقضى عليك بركوب اصعب الطرق واسهلها في مقتضياته وضروراته ومن مقتضياته حوائجك عند الناس

فنفرض ان قد عنت لك حاجة عند أمير فاذا نظرنا في معاملتك له حتى تصل  
إليه وتحصلها رأينا أنك تبذل نقدك وسعيك في تعرف اتباعه والوصول اليهم  
وتستعمل جميع الوسائل التي تراها واجبة لهم من تقبيل اليد او ارجل او اعتاب  
او اطراف ثياب وتكلف الادب والخشوع والخضوع وتظهر أحسن الطاعة  
والانقياد وتتضرع بعبارات المسكنة والاحتياج والذلة وتلهج بكلمات الثناء  
والمدح والظفر في الاطراء ولا تزال بهم رجاء واستعطافا حتى تتمكن منهم  
وتطلب الوصول إلى الأمير فإذا أجبك لبست أحسن ثيابك وأصلحت شعك ذاتك  
وبخلت ساكتاً غاض الطرف مطرق الرأس ووقفت صاف القدمين ساكناً ثابتاً  
فإذا حييته بما يهوى واثنتك بالجلوس جلست على بعد منه على اطراف اليك ان  
كنت على كرسي او على ركبتك ان كنت على الارض مفروشة أو غير مفروشة  
ثم تجرد قلبك وفكرك من كل الشواغل وتحصر الوجود ومظاهره في ذاته وما  
يلقيه عليك فإذا سالك خفضت صوتك في الجواب وأوجزت لفظك وتحريت الفاظ  
التعظيم وعبارات الاحترام وتوقيت الكذب وسقط الكلام والاطناب في العبارة  
وعبرت في جانبك بالعبد الذليل وفي جانبه بالسيد الامير فان نسب اليك قولاً  
بديعاً او عملاً جميلاً اعدته وجعلته مصوره ومرجع فضله وان اعتذر اليك عن  
سقطه من سقطاته نسبته اليك وبرأته منها والتمست له مسوغات من كلام أهل  
البدع والضلالات فان تحرك وهو جالس اسرعت بالقيام فلا تجلس حتى يعاودك  
الاذن وان قام مشيت خلفه وجعلت قلبك وسمعك وبصرك وفقاً على حركاته  
وسكناته لا يصرفك عنه صارف فإن أعطاك ما طلبت وكان حقاً لك قبلت الارض  
والاقدام والاطراف وجعلته من فضله واحسانه مع عدم استحقاقك له الا بعنايته  
ورعايته وخرجت حامداً شاكراً مثنياً بعبارات تعليه بها إلى حيث ينتهي التعظيم  
وان منعك ما هو لك جعلت ذلك من عدله وقبلت الارض والاقدام وانت تطريه بأنه

من الخلفاء الراشدين والائمة المقسطين وخرجت متقهراً لا يفتر اسانك عن مدحه حتى تغيب عن نظره ويعود إليك حسك وادراكك بالكائنات غيره ثم لا تنطق بكلمة قدحاً فيه او فى عمله لو ساطك سائل على ملتقاك معه وتكل الامور إلى المقادير وتيسير الله تعالى بعد انقطاع وسايلك التى انصرفت بها عن جانب الحق سبحانه وتعالى فاذا كان هذا شأنك فى معاملة رجل لا يملك لك ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا فضل له عليك فى ايجاد او تربية او خدمة فما بالك بمن كانا واسطة فى انتقالك من العدم إلى الوجود بعد ان كتبت لاذاتاً ولا نكراً وسبباً فى تاهلك لمظاهر حياتك التى منها حاجة هذا الامير من لذائذ المتناولات والمدركات والمملوكات اظنك لو تفكرت فيهما اقل فكر لعلمت ان الله تعالى جعل فى مباحثتهما اسراراً لا يحتملها عقلك وانزلهما منزلة ليس فوقها منزلة من منازل الفضل اذ اودع فى ماء الاب سر التصوير والتخطيط والتشكيل وفى رحم الام سر التطوير والتكوين والتنمية وخالف بك فى مجيئك من ظهر أبيك وصدر أمك واسكانك فى رحمها ليجعل لك مدبرين أحدهما فى شدة تمنعك من البهيميات تناسب شدة الظهر وصلابته وثانيهما فى رحمة تمنع عنك ما تلقاه من شدة الآخر تناسب رقة البطن ولطف الترائب وتربيتك بين الاحشاء بخلاصة من خلاصات غذائها فاذا احللتها محلها علمت انك لو صرفت عمرك فى خدمتهما والانفاق عليهما وانصرفت عن لذائذك وما لوفك وانقطعت عن الخلق وتلهيت بهما عن مظاهر الدنيا وزينتها وحصرت رجاءك فى رضاهما واملك فى استعطافهما وعملك فى مرضاتهما وجعلتهما بين عينيك فى حركاتك وسكناتك ويقظتك ونومك وجعلت جفنيك وقاية لهما واسكنتهما فى محاجرِك بدل مقلتيك ما قمت بواجب من واجباتهما ولا قضيت فرضاً من فروضهما لوجود الفارق العظيم بين فعلك معهما وقعلهما معك فانهما كانا يسهران بسهرِك ويحزنان

لبكاك ويتنازلان اليك من مقام العظمة والاعتبار إلى مقام الطفولية ليوانسك بما تهوى ويسلياك بما تحب ويخاطبك بما تألف ويداعباك بما تريد ثم يميطان عنك الاذى بلا استكراه ولا أنفة بل يغنيانك بما يطربك ويسرك ويبهجك ويغسلان ادراكك وهما يلاطفانك بالمسليات والمضحكات فان غضبت ضحكا او تضاحكا ليصرفا عنك غضبك وقريبا اليك ماكولا او مشروبيا او العوبة فاذا مرضت قامت قيامتهما وكان ألمك بعض آلامهما بك وتاوهك سهاما نازلة في افئدتهم وانينك خناجر متسلطة على أحشائهما وتغيرك من حال إلى حال نيرانا مشتعلة في أعضائهما وتقلبك من جنب إلى جنب تقليباً لهما على جمر لا يطفئه الا شفاك ثم يصرقان النفس والتنقيس في خدمتك ومعالجتك وينقطعان عن الطعام والشراب الا ما يحفظ الحياة الضعيفة بضعفك ويتركان الزينة والذائد والمشتهيات وينسيان الضحك واللعب والانس والسرور ويلزمان البكاء والنوح والتضرع إلى الله تعالى فان سمعا شيئا مما كان يسرك من الات الفرح كزممار او طنبور او الات موسيقية حاجت اشجانهما والتهبت نيران احزانهما وتذكرا ما كنت تفعله عند سماعك لها ثم لا يزالان في غم دائم وهم متراكم حتى ترزق الشفاء وتعتدل صحتك هناك تصفر حياتهما وتنشط اعضاؤهما ويعود لهما الحس والادراك ويعملان ليالى الافراح والتهانى. فان اساءك احد اجتهد في القصاص منه يثشد مما فعله معك ولو كان في ذلك نفاق حياتهما وازهاق روحهما فاذا ترعرعت اخذا في نقلك من البهيمية إلى الانسانية بتعليمك اللغة وتعويدك على الحركة وارشادك إلى النافع وتحذيرك من الضار واخذاك معها في المجالس والمجامع ليدرباك على معاشرة الناس ويعوداك على الالفة والانتناس بهم ولا يزالان كذلك ينقلانك من حالة إلى أخرى مع فرط المحبة والاجتهاد في الخدمة والنظافة واستحضار ما يعجبك وتأنس به حتى تتم لك المبادئ الامية اذ ذاك تذهب إلى

المهذب الادبى والمعلم الصناعى ليكون ادبك وسيلة إلى الفضيلة وصنعتك سببا  
 فى حصول المسبب عليها من الارزاق المقسومة فاذا انتهيت تعليما ساعدك  
 على ما تتعاطاه من تجارة او زراعة او صناعة أو خدمة لا يقصران فى صرف  
 ما يحفظ مظهرك ويوصلك إلى غايتك ولا يملان من خدمتك كبيرا ولا يشكوان  
 من الصرف عليك فاذا قلت ثروتهما باعا حليهما واثاثهما فى تربيتك وتسهيل  
 طرق معاشك فاذا بلغت مبلغ الرجال عمدا إلى أحسن بيوت الشرف وبنات  
 الفضل المتماثلات معهما واختارا لك احبهن اليك واليقهن بك وصرفا نقدهما فى  
 افراحك وانتقلا من خدمتك فريدا إلى مواليتك مزودجا وكلما كبرت من سن إلى  
 آخر كبرت محبتك عندهما فتشيع وتهرم ومحبتك بين جوانحهما فتاة غضة  
 الشباب نضرة المحاسن لا يغيرها قحول جلدك ولا بياض شعرك ولا تغيير  
 محاسنك ولا يضعفها وهن جسمك ودقة عظامك وثنى جلدك وارتخاء اعصابك .  
 فاذا كنت من نوى اليسار والثروة ومنعتهما من الكسب والسعى معك تجدهما  
 يدخران لك بعض ما تعطيهما من نقد وحلى ويصرفانه عليك عند عوزك ومع  
 تقاعدهما عن الكسب فانهما ينتقيان بعضاً مما تستحضره لبيتك من فاكهة  
 ومطعم ومشرب لوقت يقدمانه لك فيه عند عدمه ويتعهدان بيتك وحرملك وخدمك  
 ويحرصان على ان لا تقع عينك على مستقذر ولا تسمع اذنك ما تكره ولا يشم  
 انفك ما يستقبح فاذا نكبت بنكبة عجزت الاقلام عن شرح ما يجل بهما وخارت  
 الافكار فى تصور كدرهما وكفاهما شرفا ومجدا وفارقا بينك وبينهما انهما كلما  
 كبرت تمنيا طول حياتك وانت كلما كبرا تمنيت قرب وفاتهما وشتا: سن المقامين  
 ولا جامعة بين الامنيتين فاذا عاب عبارتنا هذه وتحققت معانيها أدركت سر  
 قولنا لا تقوم بـ! من واجباتهما ولا فرض من فروضهما وحيث كان مقامها  
 فى السج لا ترتفع اليه خدمتك لهما بالغة ما بلغت وقد قرن الله طاعتها بطاعته

فى قوله عز من قائل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ودفع  
 عنا المشقة العظيمة فى عبادتنا له تعالى بقوله فاتقوا الله ما استطعتم كان علينا  
 ان نأتى فى جانب القسم الآخر بقدر الاستطاعة وحدها السعى فى مرضاتهما  
 والبعد عما يغضبهما وشرح هذا الحد موجزاً ان لا تعصى لهما أمراً الا فى  
 المحرمات الشرعية فاذا امراك بانتهاك حرمة فلا تطعهما اذ لا طاعة لمخلوق  
 فى معصية الخالق جل شأنه واذا امراك بأمر فيما يختص بدنياك ورأيت انه  
 سينى العاقبة تطف فى صرفهما عنه وفهمهما المانع والعائق والمترتب عليه  
 بلطف واذا هما بفعل أمر تراه ضاراً بهما او بك او بكم فاصرفهما عنه كذلك  
 باحسن عبارة خصوصاً اذا تقدماً فى السن فإنهما يصيران كالطفل يغضبان  
 ويرضيان بأقل موجب واذا كنت تنفق عليهما تعهد محل نومهما وماكلهما  
 ومشربهما وملبسهما قريباً كانا فى ضيق من أهل بيتك وفرط محبتكما لك  
 يمنعهما من تكدير افكارك بالاخبار عما يريانه من التقصير ولا تخرج من بيتك  
 حتى تستعطفهما وتطلب دعاهما لك ولا تبدأ أحداً من أهل بيتك وخدمك وولدك  
 عند دخولك قبلهما وخصهما بوقت بعد وقت تجالسهما فيه وتلاطفهما  
 وتستشيرهما فى مهام بيتك وتعرض عليهما نواذك ان كانا من نوى الافكار  
 واذا ادخرت شيئاً عند حرمك فأخبرهما به جنساً وقدرأ واحذر ان تطيل لسانك  
 عليهما بشتم او زجر او تقيح لعمل فان ذلك من أكبر الكبائر فى حقهما وتأمل  
 قول الله تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً تعلم ان الله  
 تعالى مرض علينا فى آدابهما اجل الفرائض وقضى لهما بأعظم الدرجات ثم  
 تأمل قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة تعلم ان ما ضربناه لك  
 من مثل الامير لا يذكر فى جانب هذا الامر الكريم اذ جعلنا ما فوق درجة  
 الملوك فضلاً عن الامراء ولم يقل فى جانب أولياء الامور جناح الذل كما قال

في جانبهما وما ذاك الا لكونتهما في مقام ليس فوقه ما يدانيه فضلا عما يماثه . فان كانا من نوى الكسب وكنت معهما في بيت واحد فاشركهما فيما تكسبه وما تاكله وما تشربه وما تلبسه وان كانا أسبق منك إلى هذا الفعل بفراط محبتهما ولا تخبأ عنهما شيئا من كسبك ولا ترد عليهما ما اختاراه لك من أمور المعاش ولا تكلفهما الانفاق معك على اخوانك وأحبابك ومجالس انسك ومجالب لذاتك وان كانا مستقلين في بيت آخر فاجعل مودتهما وزيارتهما في الصباح والمساء فرضاً تقوم به قبل كل فريضة ومدهما بما يزيد عن ضرورياتك ان كانا من نوى الكسب فان كانا معدمين وجب عليك أن تزيدهما اكراماً وانفاقاً وتعظيماً عما اذا كانا في بيتك لتأثرهما ببعذك فإذا مرض أحدهما فلا تؤخر مجهوداً في خدمته والانفاق عليه ومعالجته ومؤانسته وتسليته حتى ينقه وهو مسرور منك او يرتحل وهو راض عنك فان ارتحلت من بلدهما فلا تقطع مراسلاتك عنهما واتصال مبراتك والسؤال عنهما وعن شأتهما ومعاشهما وان سافرت بهما من مكان إلى آخر فلا تتركن على الخدم والاتباع وخصهما بالخدمة ومراقبة أحوالهما ومؤانستهما والقيام بضرورياتهما حطاً وترحالاً وإن وقعت أمك تحت غير أبيك أو اقترن أبوك بغير أمك فلا يمنعك عن القيام بما قدمته لك هذا العارض بل يجب عليك ان تزيد في اكرام من تراه منهما على هذه الحال أكثر مما كان عليه حال الاجتماع فإنه في مظنة نفورك منه وبعذك عنه فاذا ودته وبررته ببعض ما تقدر عليه زاد عطفه عليك واشتدت محبته لك وعظم رضاه عنك فان الام لا تقع تحت غير ابيك الا وهي تريد ان تعتصم به عما يشين مجدها ونجدك والاب لا يقع على غير أمك الا وهو يريد ان يعتصم بها عن وصمة الرجال ومؤاخذه الشرع ومسقطات الشرف وليس شيء من هذا ضاراً بك أو مسقطاً لقدرك أو مزرياً بشرفك ولا تقلد الجهلاء في عقوبتهم أحد أبويهم ان

خالف قرينه بقرين آخر بعد مفارقة الاول بموت أو حياء فان كنت من سلالة آل البيت النبوى الطاهر وجب عليك ان تزيد على ما قدمته لك ما كان عليه السبطان الشهيدان الاكرمان مع والديهما امام المؤمنين والزهراء البتول فقد كانا لا يجلسان بحضرتهما الا بإذنهما ولا يتكلمان الا اذا اذنا او سالهما أحدهما ولا يرفعان صوتهما الا بقدر ما يفهم الكلام وكان مولانا الحسن يتحاشى الأكل مع والدته الكريمة خشية أن يتناول لقمة وقع اختيارها عليها ومولانا الحسين يؤاكلها ليقدم لها الطعام ويهيئ لها اللحم بفصله من العظام وكانا لا يدخلان عليهما بغير إذن فان كانا فى مكان غلق بابة تحاشيا القرب منه حتى يخرجنا ويصبان عليهما ماء الوضوء مع وجود الخدم ولا ينامان الا اذا ناما ويستيقظان قبل ان يستيقظا فاذا مرضت الخادمة ساعدا أمهما فى الطحن والعجن والخبز وكس البيت وتنظيفه وحلب الشياه والاعنز وعلف الخيل والإبل وربما منعها العمل رأساً اذا كان فارغين من الاعمال الخارجية عن البيت وما رؤيا فى مجلس قط مساويين لاييهما فى الجلوس ولا ساريين بجانبه فى طريق ولا راكبين وهو راجل ولا متكلمين فى مجلس لم يأذن لهما بالكلام فيه وكانا يعتبران خدم والديهما كما يعتبرانهم فلم يشتما ولم يضربا خادما او خادمة لوالديهما بل كانا اذا مرض أحد الخدم قاما بخدمته وقضاء أوطاره وما دخل أحدهما على احدى نساء ابيه فى خلوة وان كانت ظاهرة لمن فى البيت ولا سرح طرفه فى وجهها ولا اتبعها نظره اذا مشت امامه ولا تتبع أفعالها فى بيتها الخاص بها ولا خاطبها الا بألفاظ الحشمة والاعتبار والتعظيم ولا نقل أحدهما كلاما عنهن إلى أبيه أو أمه فاذا غاب أبوهما الاكرم قاما بخدمة أهل بيته وصيانتهم وكفالتهم وحراستهم وصرفا عنايتهما فى مرضاته حتى يعوبوهما على أحسن حال من الخدمة ورعاية أهله وتعهد مملوكاته من خيل

وابل وغيرها ولقد ضحك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في مجلس أبيه وهو  
 رجل كبير فقال له مولانا الحسين ان فيك جاهلية من جاهلية العرب كانوا لا  
 يتحاشون الضحك في حضرات آبائهم فقال له سيدنا عمر من لم يتأدب بأدابكم  
 معاشر بيت النبوة فهو في جاهلية ولم ير عبد الله ضاحكا في مجلس أبيه بعد  
 ذلك اليوم مع كونه هو هو قدرا وعلما ومقاما في رجال الأمة اذ هو من الطراز  
 الأول رضي الله عنه وانظر الى أدب السيدة ام كلثوم بنت الامام عليهما  
 السلام والرضوان حيث دخل سيدنا عمر بيت الامام وهي صغيرة فاستدعاها  
 أبوها بحاجة ثم بحاجة أخرى فقالت لابيها ما لعمر يحملق في اذا اقبلت ويتبعني  
 نظره اذا ادبرت وانا صغيرة رُسل (أى لم تبلغ مبلغ الاختمار بالخمارة  
 كالنساء) فقال أبوها انها نظرة خطبة فآلوت بوجهها وقالت ما لكم ترون علينا  
 ما هو لكم ونحن لا نحسن القيام بأمرنا إن في عمر لعفة وديناً لولاهما لنقمتم  
 عليه ثم ولت ولم يرها حتى نخل بها بعد فتأمل حرصها على مجدها في  
 ملاحظة حال الضيف معها وانظر اعتذارها عن دخولها في مجلس الرجال بانها  
 طفلة لم تبلغ مبلغ تحريم الاختلاط وتدبر قولها لابيها ما لكم ترون علينا ما هو  
 لكم من ارجاع الامر لابيها في اجابة سيدنا عمر او منعه واشطح بفكره في  
 قولها ان في عمر لعفة وديناً تدرك معنى اعترافها بكفاحته لها ثم تأمل قولها  
 لولاهما لنقمتم عليه ولم تقل لردده تعرف قدر أدبها في حق أبيها وحق عمر ولا  
 غرو إن أخذنا الكمالات الانسانية عن أصول بيت النبوة وفروعهم فان كنت ايها  
 المرید شريفا ورأيت نفسك تأبى مجاراة آبائك في آدابهم فاعلم أنك دخيل في  
 النسب لا وصلة بينك وبين من انتسبت اليهم الا بالدعوى والشقشقة وان صحت  
 نسبك كنت عاقماً مفضباً لأبائك الاعليين فان أحق الناس بمتابعة الاباء ابناؤهم  
 وهناك آداب للسبطين واخوتهم سائتي وموالي محمد بن الحنفية ومحمد

الاصفر والعباس وجعفر وابى بكر وعبد الله عليهم السلام والرضوان تركناها  
 لعدم احتمال قواك لها وحسبك ما قدمته اتمونجا مختصرا لا يصعب عليك  
 القيام به . واعلم ان فطرة الله تعالى قضت على الام بکراهة زوجة الابن ومحبة  
 زوج البنت بحيث لا تملك الام شيئا من ذلك مهما كانت فاتتة مهذبة معتلثة حكماً  
 وأدباً الا ان المهذبة تصابير الكره وتصانع الايام ولهذين الامرين سر غامض  
 نشرحه لك لتعذرهما وتحذر مما يترتب على أمرها وهو أن الأم كما قدمنا شديدة  
 المحبة لولدها تحب له الراحة ودوام الصحة ويضاضة الجسم وزيادة القوى  
 وتكره من يؤذيه او يجلب عليه شراً أو يتسبب فى ضعفه ووهن جسمه أشد  
 الكراهة وهو اذا تزوج تحمل اتعاب العمل ومشاق الكسب سعياً على زوجته  
 وصرف ما يكتسبه عليها وفى مرضاتها ثم يضعف ضعفاً بيناً بالمباضعة  
 ويسقم ويمرض وكلما صرف حياته فى مرضاة زوجته أحبته بقدر كراهة الام  
 لها فاذا تأخر عنها قتلته ولجرته حتى يعود إليها فالأم تكرهها اشد الكراهة  
 فطرة وجبلة لكونها مضيعة لصحة ولدها مجلبة لمرضه مذهبة لماله متلفة  
 لحياته فلو عالجت نفسها بكل علم وأدب ما ملكت من امرها الا مظاهر العقل  
 من المصانعة وايداء الكلام فى معرض النصيحة مع التهاب احشائها بنيران  
 العداوة وهى مع زوج البنت على التضاد فان ما يفعله ولدها لزوجته يفعله  
 الزوج لبنتها فهى تحب من يرضى بنتها ويجرى ويكتسب لينفق عليها ويلطفها  
 ويؤانسها ويداعبها ويواصلها بما تنمو به أعضاؤها وتدوم صحتها فهى لا تملك  
 نفسها فى محبته تبعاً لمحبتها لبنتها . وزوجة الابن تكره الأم لكونها حجباً مانعاً  
 بينها وبين تصرفها فى ولدها وماله فهى ترى انها لا يتم لها التمتع والاستبداد  
 بأمر البيت والرجل الا اذا فارقت الأم بموت او حياة اذا علمت ذلك وتحققته  
 وجب عليك ان تكذب زوجتك فى كل ما تنقله عن أمك وان كانت صادقة فإنها

صدقت فى كلمة ضمنت اليها كلمات ولا تطعها فيما تأمرك به فى شأن أمك  
 فإنها لا تريد الا ان تمكرك ويأمرك حتى تمكن العداوة بينكما فتقلو امك او  
 تهجرها او تطردها كما يفعل الفساق وأهل البيهتان حتى يصفوا لها الوقت معك  
 ولا تجعل لزوجتك سلطة فى بيتك تمس حقوق أمك بل اجعل الامر والنهى والحل  
 والعقد والترتيب تحت امر الام وإنها فلا تكون الزوجة الا خادمة مطيعة فالهلاك  
 كل الهلاك فى بيع النعيم الابدى بلذة برهة يعقبها تعب وامراض وتأمل قول  
 صاحب الوجود صلى الله عليه وسلم جعلت الجنة تحت أقدام الامهات تعرف  
 مقدار ما اقدمه اليك وما اسرده عليك ولأن تفارق كل يوم زوجة فى مرضاة امك  
 خير لك من ان تغضب امك لحظة من عمرك مرضاة لزوجتك فإنك اذا فارقت  
 الزوجة وجدت بدلها زوجات ولكنك اذا فارقت امك لا تجد لك اما غيرها والعاقلة  
 يحرص كل الحرص على ما لا بدل له فاذا رأيت نفسك ايها الانسان متمكنة من  
 ضبط ظواهرها وبواطنها فى جانب والديك مستعدة للقيام بما قدمناه من  
 معاملتهما كان لك ان تتقدم بين يدي استاذ عارف وتأخذ عنه ولا فولنا ظهرك  
 فما انت إلا مغضوب عليه ومحال ان ينتفع مغضوب عليه باستاذ او طاعة  
 فليست رغبتك فى سلوك طريقنا اشد من رغبة غلام شاب فى الجهاد فى سبيل  
 الله تعالى لإعلاء كلمة دينه حيث جاء للنبي صلى الله عليه وسلم شاب  
 يستأذنه فى الخروج معه إلى الغزو فقال له استأذنت امك قال لا فقال له أذهب  
 اليها فان أذنتك والا ففر فى بيتك ولم نطل عليك الفصل بذكر الوعيد المترتب  
 على عقوبتهما والأحاديث والأقاويل الواردة فى ذلك اكتفاء بحكم واحد هو ان  
 الله تعالى يفضب لفضبهما ويرضى لرضاهما فاذا سعيت فى إغضاب الله  
 تعالى عليك فكيف تدعى انك تريد الوصول اليه وكيف يوصلك وهو غير راض  
 عنك وقد نصحتك وعرفتك طريق الهدى فخذ اودع كلامنا للموفق والله يحفظنى

واياك من خطرات القلوب وسلطنة الشهوات.

### « فى معاملة الاخوة والاخوات »

اعلم أيها الإنسان ان اخوتك واخواتك من جاءوا معك من والدك او من احدهما والسير معهم فى طريق المعاش وفتح البيت كالسير مع القانون العادل فكما ان المملكة تخرب بضياح القانون والامة تتفرق بترك احكامه كذلك البيت يخرب بترك الوصلة الاخوية والعائلة تتبدد بترك احكام الشريعة والانسانية وأنت محتاج إلى قانون تسير عليه فى حق اخواتك فتلخص لك انموذجاً تقيس عليه لا يخلو من ان تكون أكبر اخوتك أو أوسطهم أو أصغرهم فإن كنت الأكبر كنت فى مقام الاب فى تربية الاصغر وتهذيبه ومراقبة حركاته وردة عن المنكرات والردائل وهدية إلى المحاسن والكمالات ووجب عليك أن تخلع نفسك من دعوى المشاركة لهم فى النبوة ومقتضياتها فلا تغالب الصغير على امر بدعوى الاشتراك ولا تهمله فى التربية ارتكائاً على والدك فقد كانا يداً واحدة فى تربيته ووجودك صرت لهما يداً ثانية يستعينان بها على مظاهر حياتهما فيجب أن تصرف نقدك معهما فى تربية اخوتك وتنتقى لهم أحسن المؤدبين واكمل المؤدبات وتختار لهم احسن الصنائع والطف طرق الكسب وترعاهم صغاراً وكباراً حتى يبلغوا مبلغ الرجال والنساء وأنت بينهم كالولد الرحيم تصلح المتخاصمين وترضى الغضبان وتبر المحروم وتساعد المعدم وتعول الضعيف وتمون المريض فإذا صاروا نوى كسب كنت رقيباً عليهم حافظاً لنظامهم مؤدباً للشاذ منهم فإذا صاروا نوى زوجات كنت خفياً لهم على حرمهم معلماً لاهل بيتهم متعهداً حالة بيتهم ناظراً فى امر معاشهم قاضياً فى امر دعاويهم منقذاً فى تأنيبهم مرجعاً لشكاوهم ملجأً لعيادتهم ولا تصل لهذه المكارم الا بخلق

حسن وابن طبع وسلاسة عبارة وهوام تبسم وعظم رحمة وكبير محبة فإنك  
 صرت إماما مقتدى بأفعاله بين العائلة فإن أسأت أخا قلاك وابغضك وإن شتمته  
 سكت لك في الأولى واعادها عليك في الثانية وإن ضربته بغير ذنب أو فرطت في  
 ضربه جرأته عليك ومكنته من النفرة والعزلة وعقوقك وعقوق والديه وإن  
 اختصصت بأمر دونه غرست الحقد في باطنه وجعلته رقيبا عليك منتقدا لأفعالك  
 معترضاً على أعمالك وهذه أمور تبجر بكما إلى منافرة الوالدين وأغضابهما  
 فإنهما أميل للصغير وأحرص على مرضاته بفطرتها ويجب عليك أن تتبع  
 أحوال أخواتك وتتجسس على أفعالهن في خلواتهن وتتفقد النساء الداخلات  
 عليهن من الجارات أو باعة الحلى أو الطيب أو الملبس فكم من ذات شرف في  
 بيتها غرته نخيلة وأضاعت شرقها وكم من مخبأة مخدرة أخرجتها عجوز  
 مترددة عليها أو جارة توصل بها أحد القساق وكم من مؤدبة نقلتها الجارات  
 إلى طباعهن السوء بالتقليد والمجارة فلا تأذن لذات ربية بالدخول في بيتك ولا  
 لمستهتره هازلة فمن لا حياء فيها لا خير فيها بل الشركه في قريها  
 ومجالستها فإذا خطبت فلا تجب كل خاطب حتى تعلم أصله وكسبه وسيرته في  
 نفسه وأهله ولا تعتز بنوى الاموال والبيوت العائلية فكم من عظيم يترك بيته  
 ويدور في بيوت البغايا وكم من ذى شهرة في الظاهر لا يساوى زبالا في غيرته  
 ومعاشه وكم غنى يرضن على نفسه بالطعام فضلا عن غيره ونساؤنا معاشر  
 الشرقيين ممن ضرب عليهن الحجاب وفسدت تربيتهن كما ست . . .  
 الإبناء ان شاء الله تعالى فاذا لم يكن أزواج كفوا للقيام بها جلبت عليك العار  
 بفساد اخلاقها وشفقتا . . . بخره شكاويها وكدرتك بإحالتها وطول بكانها ثم ساعد  
 والديك . . . بهزها وجملها ومتعها بما تقدر عليه وأخلص لها النصيحة  
 ونموظة والوصية التامة وتردد عليها في بيت زوجها بالزيارة والمبرة لتعظمها

فى عينه وتخيفه من سوء معاملته لها وكن لها عضدا فى نوازلهأ فإنها ممنوعة  
 من مخالطة الرجال ومعرفة الحاكم فلا تنصر زوجها عليها فى غير حق له ولن  
 فى تهذيبها لين الافرعى حتى تتجزأ عليك وتنقل عنك فإن ساءت العشرة أو الادرأ  
 فانهسهانهمس الافرعى حتى لا تتماذى فى فعلها . وإن رأيت أحد اخوتك على امر  
 لا ترضاه فلا تشدد النكير عليه بل استحضره امامك فى خلوة وعظة واضرب  
 له الامثال بمن عمل عمله وخسر وعلمه الاحكام الشرعية فيما ياتيه منالاعمال  
 فان لم يرجع فاجعل كلامك له مع ابويكما وشدد عليه شدة لا تنفره واردها  
 بمدح ما كان عليه قبل والثناء عليه لو جاراك فى ادايك وصله بمبرة تخجله منك  
 وتنسيه صعوبتك عليه وسلط عليه امه تنهاه وتتبهه على مكارمك معه واوعز الى  
 ابيك ان يحضه على اطاعتك واتباع اوامرك فان لم يرجع فاجعل الكلام معه بين  
 اخوتك الصغار والكبار ومثل بأصغرهم فى اذبه وكماله واكثر من الثناء عليه  
 والاطناب فى مدحه وبر الاصغر مبرة تحول فكر الخارج إلى مثلها واهجره فى  
 الكلام وجانبه فى الجلوس حتى تتحرك فيه الحمية ويثور فيه دم الحياء والخجل  
 ويرجع إليك مستعظفا خاضعاً اذ ذاك قبله بين عينيه واذكر له ما خشيته عليه  
 من عمله وما كانت تؤول إليه عاقبته وبره برأ وأسعأ وعده بانك تزيد احسانا  
 كلما زادك متابعة لادابك وهكذا تسوس الاخوة والاخوات وإياك وإياك والضرب  
 المبرح فانه مفتاح الفرقة وذاعية العداوة وان وقع احد اخوتك فى شدة أو نكبة  
 فكن له عضداً ما مكنتك الفرصة واخلفه فى بيته ان كان أهلاً بالاتفاق والزيارة  
 والحياطة والرعاية وتفقد الاحوال وان كنت اوسط اخوتك فانظر لبر الاكبر  
 لوالديك وقلده فيه وانظر لمعاملته لك وقلده فيها فى - عاملة الاصغر ، ان كنت  
 الاصغر قلذ بالاكبر لياذك بابويك وقدم له كل ما تريده وما ينزل بك واحرص  
 على التأذب فى حضرته فلا تنتقض اخاك الذى نافرته ولا تنافر اخا امامه و:

تعصه اذا أمرك بأمر لا صلاح شأنك ولا تتجسس عليه في بيته ولا تتعرض  
لحرمة بإهانة أو تحقير أو تنغيص ولا تنقل إليه عن حرمة امرأ لا حقيقة له ولا  
تدخل عليه في خلواته ولا ترتفع عليه في المجلس ولا تساوه في مكان لم يأمرك  
بالجلوس فيه ولا ترفع صوتك بحضرتة رفعا فاحشا ولا تجلس بين يديه مادا  
رجليك ولا تضحك بغير سبب وليكن ضحكك تبسما فإن غلبك فليكن لطيفا بغير  
تقهقه وشخير وانظر معاملته لوالديك وقلده فيها في حقهما وحقه وان دخل  
عليكم اجتنبيا فكن أنت واطرف اخوتك خدما بين يدي الاكبر متمثلين باحسن  
الاداب وأكمل الصفات وأنظف الثياب وكونوا لأمره اطوع من نوعه وفي قضاء  
حوادثه اسرع من الخادم النشيط فان دخل بكم مجلسا فقفوا عندما يحدده  
لكم من الوقوف والجلوس والكلام والحركات ولا تحدثوا بين يديه ما ينغصه او  
يزدى بمقامه بين أمثاله.

## \* وظائف العلماء في العالم \*

من نظر العلماء ووظائفهم في العالم حكم بان الكون السفلى ما خلق الا لهم ولا عرف الا بهم ونريد بالعلماء كل ذى علم ينتفع به في شئ مخصوص لا خاصة المعلمين والمدرسين وأول العلماء قياما بوظائفهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم فتحة باب العلوم النافعة وعندما نيط بهم النظر في شئون العالم والقيام بدعوة الناس إلى الصراط المستقيم جدوا في طريق الافادة واجتهدوا في جذب النفوس اليهم بالرفق واللين وحسن الخلق وجميل المعاشرة فلاينوا الاغنياء ولاطفوا العظماء وجالسوا الضعفاء وماشوا الفقراء ونصحوا العبيد والاحرار ووعظوا العقلاء والاعرجاء وصبروا على مشاق المعارضة والمجادلة وتحملوا ألم التكذيب والتعذيب ولم تقعدهم رعود التهديد والتأنيب عن بث دعاويهم التي انتصبوا لنشرها في معاصريهم وقد تجافت جنوبيهم عن مضاجع الراحة فما اخلوا إلى الرفاهة ولا مالوا إلى اللذائذ البدنية ولا اشتغلوا بجمع الذهب والفضة ولا اعتنوا بكثرة الاثاث والاعوية بل وظهروا فقراء وغاشوا فقراء وماتوا فقراء عن زهد وورع لا عن قلة وضئك حال فان هداة العقول غنيمتهم جذب النفوس وحظوظهم اخذ السامعين بدعوتهم ولذا نذمهم في تكوين العصبيات وتوحيد الكلمة وتطهير عنصر الجامعة الدينية والملكية من خليط التفريق وامشاج الاهواء وقد قضوا انوارهم العظيمة في تعب وعناء وانتهى بهم الامر إلى ظهور الحكماء والعلماء بالأخذ عنهم مباشرة أو بالنظر في كتبهم وانقسم الناس بعدهم افرقاء لفريق جعل له وجهة علمية يقضى حياته في الوصول إليها فاختلفت مواضيع العلوم واحتكت الافكار بعضها ببعض وتبادل العلماء التلقى والتلقين والجدل والمناظرة حتى اتموا معدات الكمال العمراني بما وصلوا إليه

من المعارف الآتية اليهم باحتكاك أفكارهم في علوم الانبياء الذين قابوهم بمقود الدين والسياسة السماوية حتى أوصلوهم إلى النظر في السفليات والعلويات وغرائب المخلوقات وهدوهم إلى المبتكرات والمخترعات وعلومهم طرق السياسة السلمية والحربية وترتيب الادارات وتقسيم الولايات ووضع الضرائب وفصل القضايا وعقد المعاهدات وتوسيع التجارة وكل ما يلزم الملك وما فيه من العالم. وبإتقان الحكماء والعلماء هذا الطريق المستقيم اعتمد عليهم الملوك وجعلوهم شركاء في الرأي والتدبير والقضاء والتنفيذ وسلموهم الأمم يتصرفون فيهم بعلومهم التهذيبية كأنهم الملوك \* ولما رأوا أن العلم رفع وضيعهم إلى حيث اجلسه مع سلطانه وأركبه مع أمير بذلوا نفوسهم ونفيس أوقاتهم في تحصين المركز العلمي من السقوط والتلاشي فاكثروا من المدارس وانتقوا اليها الاذكياء النبهاء وخدموهم بأنفسهم خدمة الوالد الرحيم لطفه الصغير ثم نقلوا المتعلمين من ساحة العلماء إلى صحراء العمل تحت المراقبة والملاحظة وقد نظر كل متعلم لما عليه معلمه من الابهة والجلال ورفعة المقام ويعد الصيت فانبعثت فيهم ارواح الغيطة وحملتهم على اقتحام عقبات المتاعب اقتداء بأساتذتهم حتى أخذت أعمالهم بأيديهم ونادتهم مآثرهم إلى منصة الامارة فعلوها بحق واستحقاق وقد أخذ الشرق بوره في هذا المقام الجليل لاخذه عن الانبياء مباشرة واشتغال أهله بالمجادلة والمجادلة قروناً طويلة خصوصاً أيام الدور المحمدي الاسلامي فانه جاء بخيرى الدنيا والآخرة وملا الكون بالعلماء والامراء وفتح للتعليم أبواباً اهتدى اليها السابق ولازمها اللاحق حتى عرف المغايرين له كيفية الأخذ بدينهم بما رأوه في كتب علمائه من الابحاث الاصولية والقواعد التوحيدية والفروع عنها غافلين . وقد ملا علماءه كتيبات العالم أجمع بقوائدهم وفراندهم العلمية ونشروها بين أفراد الأمم

وعلموها كل طالب حتى قابوا الشرق والغرب بعلمهم فكل ما فى الكون الآن من العلماء بأى علم كان إنما هم تلامذة المسلمين وفى عنق كل منهم نعمة للدين الإسلامى وإن دان بغيره. وعندما تعددت وحدة الملك فى الشرق بظهور المتغلبين ضعفت قوته العظيمة بتجزئ ممالكه فسهل على الغرب شن الغارة عليهما لأن الأمة الكثيرة العدد والأقطار تصدم مثلها من الأمم دفاعا عن نفسها وتحفظ مركزها الجغرافى باجتماع كلمتها فإذا تجزأت وصارت قطعاً متقاطعة سهل على غيرها من الأمم أن يبتلعها لضعفها عن المقاومة وانقطاعها عن العضد والمعين. وهذا الذى فتح لأوروبا باب التغلب على الأمم الشرقية والتداخل فى أعمالهم وتمزيق أوصال مجتمعهم الشرقى بإيقاع العداوة بينهم وإيفار صدور ملوكه من بعضهم البعض حتى جدعوا أنوف مجدهم بأيدي عداوتهم ووقف اليتفرج على أهل بيت ينقضون جدران أوطانهم حجرا حجرا حتى اذا انحط الرفيع وضعف القوى وتوزعت الأهواء حول المطامع الاجنبية وقع الشرق فى شرك الجهالة وتحولت قوته العلمية إلى الغرب فتلقاها أهله بالترحيب والتكريم واشتغل كل فريق بعلمه حتى اذهلوا العقول وحيروا الأفكار وملكوا معظم الشرق بجدهم الغريب. وحيث أن الأنوار الشرقية طويت فى سجل كان والنور الغربى هو المعلوم الآن لزمنا أن نبين طبقات علمائه الغربيين والشرقيين تذكيرا لاتعلما عسى أن تحيا همم النهضة العلمية الشرقية فيؤدى كل عالم منا واجبات علمه اقتداء بمثله الاوروبى إذ عز علينا أن نقول اقتداء بجدده الشرقى لطول العهد بيننا وبين أجدادنا ونسياننا ما كانوا عليه. ولا عيب علينا إذا أخذنا عن أوروبا واقتدينا بها الآن فى إجراء وظائف العلماء كما هو حاصل فقد أخذت عن متقدمينا واقتدت بهم حتى أن لها الاستقلال بأفكارها والاشتغال على اسانذتها شأن الأنوار العمرانية فى الممالك شرقية وغربية .

## (طبقة الملوك والأمراء (البرنسات))

هذه الطبقة الجليلة القدر شأنها النظر في أمور الأمة المحكومة من حيث ترتيب المحاكم والإدارات وإعداد الآلات وتشديد الحصون وجمع الجنود وعمل السفن حربية ونقلية وحفظ الروابط الملكية بينها وبين متآخميها ومجاوريها ولا يصلون لذلك إلا بإتقان العلوم في الصغر ودراسة جغرافية العالم وأخلاق الأمم والشرائع والقوانين والنظامات والوقوف على مشارب الأحزاب ومساعى الملوك وبهذه العلوم سهل عليهم القيام بوظائف عملهم فشاركوا أصاغر الناس في تخصيص بعض أوقاتهم لآداء واجب الوظيفة بجد واجتهاد فالملك منهم دائم الفكر ناظر إلى أنممالك بإحدى مقلتيه وإلى مملكته بالأخرى مشارك لوزرائه في المشورة واستمداد الآراء مائل إلى الأمة ميل الأب إلى ولده خائف عليها خوف الراعى على غنمه في أرض مذآبة. والامراء من العائلات الملوكية قائمون بأعمالهم ناظرون نظر كبارهم يتوددون إلى الناس فيعوبون الاغنياء ويتألفون الفقراء ويزودون الجند ويترددون على أهل القرى تتشيطا لهمهمم وحثا على عملهم حتى اذا انتهى اليهم الدور جاؤا الملك وهم على أحسن ما يكون من الأهبة والاستعداد. وما رأوا فن الأمة أمرا محمود العاقبة إلا كانوا في مقدمة الأخذين بأيديهم وقد حفظوا كل ما يلزم إلى الأمة وعرفوا المحكومين وما هم عليه من العادات والأخلاق فلا يغيب عنهم وجبه ولا عظيم ولا فاضل ولا غنى ولا رئيس من رؤساء الجمعيات والأديان. ولهم رغبة كبرى في تأييد الجمعيات العلمية والدينية بالحضور في محافلها وحث أعضائها على المثابرة والاجتهاد ومساعدتهم بالمال والسلطة في أي أرض كانت الجمعيات وبهذه الخصال جذبوا القلوب اليهم وحولوا الافكار إلى وجهتهم فاختلف الناس في أعمالهم واتحدوا في الانقياد إلى ملوكهم والتعاقد على حفظ بيت الملك الذى هو بيت

مجدهم وحياء أوطانهم فى الحقيقة ومن حاد من الملوك عن هذا الطريق تداعت دعائم ملكه .

### (طبقة الوزراء)

رجال هذه الطبقة العظيمة أتعب الناس فكرا يقضون النهار ومعظم الليل فى أشغال فكرية وأعمال يديّة كتابية يتساطون فيما بينهم عن الممالك وأخبارها اليومية ويبعثون البعث إلى داخلية الغير اكتشافا للمواقع وتطلعا إلى الأخبار السرية واحصاء للاعداد العسكرية ومعرفة للوسائل المؤدية إلى مقاصدهم السياسية وربما غيروا صبغة بعض الأفراد الدينية وامروهم أن يتظاهروا بمذهب الغير أن مائلهم فى الدين أو بدينه ان غايرهم فى المعتقد ليسهل عليهم الاختلاط بالامة ويثقوا بهم فى أقوالهم وأفعالهم فإذا تم لهم المقصود جدوا ولفقوا اصول الدين وفروعه بما يؤلفونه من الكتب فى دين من يداخلونهم ليوقعوا بين الامة الاختلاف والهرج والمرج حتى تتعدد الوحدة ويتمزق الاجتماع والاجماع. وعلى هذه الطبقة أيضا السهر فيما يقدم البلاد ويحفظ الامن ويوسع نواثر التجارة والزراعة والملاحة والصناعة والمكاتب الدينية والعلمية فتراهم يتنازلون إلى عيادة المرضى وزيارة الوجهاء وإذا مزوا بأرض ريفية لاطفوا اهلها وسألوهم عن أحوالهم ووعدوهم بما فيه خيرهم. جذبا للنفوس وأداء للواجب. وإذا دخلوا مجلسا من مجلس الأعيان شاركوهم فى الحديث ويادلوهم الجدل فيما فيه نجاح الامة وعلو شأن المملكة فإذا اجتمعوا بأمثالهم اكتشفوا افكارهم وشاوروهم فى امورهم واستمدوا منهم وامدوهم فاذا عانوا الى الملوك اخبروهم بأحوال المملكة واخبار الممالك واطلعوهم على الوقائع اليومية والاحكام القضائية وراجعوهم فى مقترحاتهم بما يعود عليهم بحفظ

السلطة والسطوة وعلى الأهالي بالثروة وراحة البال وهذه دروس لا ينقطعون عنها ولا يملون من تدريسها في أى بقعة حلوا فيها فلا راحة لهم من الاتعاب ما دامت أعينهم ناظرة وأذنانهم صاغية فهم فى عمل دائم اليوم فى تنظيم جند وغدا فى بث نظام وبعد غد فى إجابة نداء من أرسلوهم فى ممالك الغير باحثين ومكتشفين لتوسيع دائرة السلطنة وتكثير موارد الثروة باستخدام الأمم المتغلبين عليهم فيما يعود على المملكة بالمنفعة المالية والدولية وقد احكموا التلقى لهذه العلوم حتى فاقوا اساتذتهم الأولين فهم الآن رجال الحل والعقد ينظرون إلى المغرب البعيد بمنظر المعدات والموصلات إلى الغايات لا ينظر التقاعد والكسل والاعتماد على أوامم الجفور وخرافات الرمل والزيارج .

### (طبقة التجار والأغنياء)

هذه طبقة العز والمجد فى أوروبا فقد اجتهد أهلها فى معرفة الحساب وطرق الأرباح من الاتجار بالاصناف الصناعية والزراعية والمعدنية والأوراق والبنوك واحتكروا كثيرا من الاصناف فى داخليتهم وفتحوا كثيرا من المحال فى جميع المدن المعمورة وبعثوا إليها تجارة بلادهم ليميتوا صناعة الغير ويحولوا ثروتهم اليهم بحصر التجارة فيهم والصناعة فى بلادهم وفتحوا المجامع الكثيرة المسماة بالبورص لاجتماع الشتيت منهم بعد الفراغ من العمل لمعرفة أحوال التجارة والوقوف على الأسعار وأخبار الممالك التجارية وبهذا توحدت كلمتهم وسيرهم فلا تستطيع حكومة ما أن تؤثر فى تجارتهم شيئا بل إنهم بما لهم من القدرة على احتكار النقود والأقوات اضطروا الممالك إلى إجابة طلبهم فيما يختص بتقدم تجارتهم . و - رت تجارتهم تنمو حتى اقترضت الدول منهم وصارت مدينة لهم فقبضوا بذلك على أطراف السياسة

فصاروا من رجال الخل والعقد في مجالس الحكومات بحسن تصرفهم تداخلوا مع فلاحى بلادهم أولا بالتجارة ثم بالقروض حتى قبضوا على الزراعة أيضاً من طريق آخر فالمعامل والتجارة والزراعة كلها تحت تصرف هذه الطبقة فلا غرو إن قيل إنها عنصر حياة الأمم في أوروبا. ومن لوازمهم أنهم ما قعد أحدهم في مجلس إلا أخذ يتكلم في التجارة وفوائدها وطريقها وكيفية النجاح فيها ليرغب السامعين في الاتجار معه لتعظم قوة المملكة بكثرة التجار ووفرة ثروتهم فهم أساتذة في فنهم منبثون للتعليم والإفادة ولم يجعلوا فوائدهم قاصرة على لذائذهم البنية بل مدوا أيديهم إلى الجمعيات النينية والعلمية ففتحوا ألوقا من المدارس وألوقا من الجمعيات وبثوا رجال الدين والعلم في العالم أجمع على نفقتهم يستميلون من غايرهم ديناً ويكتشفون ما غاب عنهم من الأمم والأراضى لا يمتنعون من ذلك كثرة المنصرف ولا توالى الأزمان كلما تقادم العهد زادت النفقات والجمعيات فهم تجار في الظاهر دعاء فتحة في الباطن فكانت لهم الملوك ورجال المملكة وعظماؤها عمال لهم .

### طبقة علماء الرياضة والطبيعة

هذه طبقة الفضل في العالم فإن رجالها أهل الابتداع والاختراع وتهذيب النفوس وتعليم الجهلة وصناعة الضروريات . منهم الطبيب والكيمائى والمهندس والفلكي والميخانيكى والنباتى والمعدنى والحيوانى والبحرى والبرى من رجال الحرب والجغرافى وغيره وكل واحد منهم منكب على عمله مجتهد في تقدم فنه بشرح غوامضه وتبيين فوائده ونشر فرائده فهم في سباق دائم ولا وجهة لهم إلا وقاية ممالكهم واعلاء شأنها وتقديم معارفها وصنائعها وتنظيم ثروتها وتعزير قوتها . يختلفون في المواضيع العلمية فيما بينهم ويتفقون في المجامع

السياسية وخدمة الأمة خدمة جد وإخلاص لاتقعد همهم عن جوب الأقطار  
 البعيدة ومفارقة الأمل والأوطان لفائدة يفيدونها ممالكهم وشاردة يضمونها  
 لعلومهم ومجد يكتسبونه بين أممهم ونكر خالد يحفظ لهم التاريخ فهم السلم  
 الذى ترقى عليه الأمم إلى درجات الكمال والمعراج الذى تصعد عليه الملوك إلى  
 سماء الأبهة والجلال والعضد الذى تقوى به الممالك على الدفاع والوقاية من  
 عوارض الضعف والتلاشى ولاحديث لهم إلا فى فنونهم كلما قعد أحدهم فى  
 مجلس نكر فضل علمه وفوائده وعدد الحوادث والوقائع والمشاهدات التى  
 نشأت به وطرات عليه وشوق السامعين إلى الاشتغال به والتمويل عليه ليثير هم  
 المتقاعدين عن المعارف وينبه الغافلين عن أسباب الفضائل ومظاهر المجد  
 وناهيك بطبقة بلغ عدد المعلمين منها فى أمريكا نحو ثلثمائة ألف معلم يتعلم  
 طبيباً ٢١٤ منهم نحو ٦٠٠٠٠٠٠ من التلامذة وقد نبغ على أيديهم نحو ١٣٠٠٠٠  
 و١٦٠٠٠ مؤلف و٥٠٠٠ محرر للجرائد ومن لانحصيهم من نوى الفضل فى  
 القنون الكثيرة المتداولة فيما بينهم .

\*\*\*

### (طبقة الكتاب والمنشئين)

هذه طبقة السلطة على العقول والسطوة على الأعمال منها رجال المحابر  
 وخطباء المنابر وحفاظ الأموال ومؤرخو الأحوال والقابضون على أزمة الأفكار  
 بيد الجرائد السياسية والعلمية والدينية يقضون أيامهم فى نشر فضيلة واعدام  
 رذيلة يغمدون السيوف المجردة بعبارات السُّمة ويجردون المعقدة بجلهم  
 الحماسية ويطفنون الفتن الثائرة بكلماتهم السحرية ويستميون الملوك إليهم أو  
 إلى الأمم بركاتهم المدحية والإصلاحية يجمعون الدنيا أمام القارىء فى

صحيفة يتناولها بإصبعين فهم أساتذة الخواص والعوام وأئمة الوزراء والعقلاء والرعية. والخلق أمانة عندهم يتصرفون في أفكارهم بإنشائهم البديع تصرف المعلم في فكر الطفل الفارغ من العلوم. وقد اجتهد كل فريق منهم في حفظ وحدة قومه والحث على رعاية ملكه ووقاية مملكته والإرشاد إلى طرق التقدم والتحذير من التقاعد والتهاون والتقهقر. وما زالت درجاتهم تعلو ومحبتهم في قلوب الأمم تنمو حتى شغلوا العالم برقم بنانهم ومبتكرات أفكارهم فلا يصيح الرجل إلا سائلا عن الجرائد وما فيها ولا يمسي إلا قارئا للأخبار السياسية والتجارية والفوائد العلمية حتى أن الرجل في أوروبا ليسوق العريية والجريدة بيده فتمتى وقف في نقطة فتحها وقرأ منها فصلا والصانع إذا اشترى الجريدة ترك ما بيده حتى يفرغ منها قراءة وزادت عنايتهم بالجرائد حتى وضعوا منها نسخا في المراحيض يقرؤها قاضى الحاجة فلا يضيع عليه وقت بل ترقوا إلى أن طبعوا الجرائد على قطع من القماش تصنع فرشاً وسترا فيجلس المرء على فرش كله حوادث تاريخية ووقائع سياسية وينظر في ستارة نقشها علوم لارسوم. وقد كثرت رغبتهم في الجرائد حتى بلغت عددا عظيما فيوجد في فرنسا وحدها ٢٧٢٠ جريدة ما بين سياسية وعلمية ودينية وتجارية منها في مدينة باريس ١٥٦٠ جريدة والباقي في ولايتها وإذا علم الشرقى أن جريدة النيويورك هراuld تبيع من أجرة الاعلانات كل يوم خمسة وثلاثين ألف فرنك علم قدر المحررين هناك وفضيلة القراء الذين عرفوا حقوق المنشئين فساعدهم واستقادوا وأفادوا ، وكذلك إذا علم الشرقى أن محررى الجرائد ترتفع بهم الدرجة هناك إلى انتظامهم في سلك الوزراء علم مقدار ما ينتج من العلم والإشتغال بالمنفعة. وهذه النتائج لم يحصلها المنشئون بالفش والخديعة والسير بالآمة في طريق توصلهم إلى الغير ولا بشقشة الألفاظ أنى تطاش تحتها ولا بتصويب عمل المخطئين وتخطيء المصيبين وتبحيح الحسن وتحسين

القبيح ولا يجعل الجرائد أسواطاً للغير يضرب بها أهل البلاد ليسوقهم في مرضاته بلسان من هو منهم صورة وإنما حصلوا هذه الرتبة الرفيعة بخدمة أوطانهم وممالكهم وتبيين طرق الإصلاح وحفظ مراكز الرجال الظاهرين من أمرائهم وأعيانهم بتعريف الأمة قدر أعمالهم وثمرة أتعابهم واشتغالهم بنصح الأمة وإرشادها إلى الصراط المستقيم وسهرهم الليالي في مطالعة جرائد الغير لنقل فائدة أو الوقوف على خديعة يحذر قومه منها ويبين طريق البعد عنها وإخلاصهم في هذه الخدمة حتى لو كانت جريدة لسان وزير أو حزب فإنها إنما تحسن مبادئه وأعماله ووجهتها هي وجهة غيرها من جهة خدمة الوطن وأهله فالوسائل مختلفة والمقصد واحد وهذا الذي أكد للأمة ثقتهم بالمحررين حتى أخذوا كل ما قدموه لهم بيد القبول وأحلوه محل الإخلاص فلا غرو إن قلنا أن الأمم الأورباوية أجسام والمنشئون أرواحها .

(شذرة من رواية الوطن وهى رواية تشخيصية الغرض منها  
الحث على التعاون) (لانشاء المدارس العلمية والصناعية)

ابو دعموم : ايه امال عوار يتلف عينك له امال احنا حميريم

ابو الزلقى : خابط يتول دماغك معبوط وا - مالك بكه من غير شر

ابو دعموم : دا مين ابو الزلقى سلما..

ابو الزلقى : طيب...

ابو دعموم : كانت فين دي الغيبة

ابو الزلقى : فى جهنم الحمره

ابو دعموم : ليه من غير شر ما انت بخير

ابو الزلقى : ما بار علينا ما بخير ولا

ابو دعموم : ايه بس ما تقلش نصيبتك ايه

ابو الزلقى : يبقى ما انت شايف الطوافه نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد

نازلين علينا بالصرم وحاكم الخط مشرطنا بالكرميش والمدير

مكسرتنا بالتباييت له الواحد بقا حديد ولا ايه

ابو دعموم : يادم يلهفك ياخى يبقى ماترميش للكلب منهم بريزيه وتخلص.

ابو الزلقى : عواز يحول عينك هى كام بريزيه داللى بيطلبوه الصبح

مايطلبهشى المغرب

الوطن : أين أهلى أين أولادى أين رجالى أصبحت حائراً فى أمرى لا أدرى

ما يفعل بى من يرانى هكذا ويقول هذه مصر المعشوقة لكل

انسان

أبو دعموم : أى غور ياخى يعشقوك على إيه

أبو الزلفى : حرام عليك ياشيخ ماتشتموش دا غلبه

أبو دعموم : بقى لما تبقى اهله دايره تقطع فى بعضها والكبير ينهب الصغير

والغنى يقتل الفقير اللى راح يعشقه مين كده

الوطن : اذا لم تصلحوا أنفسكم من يضلحكم واذا لم تحفظونى من

يحفظكم

أبو دعموم : بقى مقصودك يعنى اننا نجتمع ونبقى عصا واحده

الوطن : نعم فإنكم لا تتجحدون إلا بالاتحاد

أبو دعموم : طيب ادينى واحد من الناس هات لى واحد قلبه على قلبى لس

الوطن : عجيبه بقى كل اهلى مختلفين

أبو الزلفى : اهك ايه ياغاير له الولد بيحب ابوه

الوطن : كل هذا سببه الجهل

أبو دعموم : جينه للت والمعجن بقه مادي فقى البلد كل نهار جمعه يقول ياعباد

الله اتقوا الله ولا حد بيتقى ولا يبيزروط

أبو الزلفى : أى هو الفقى بيتقى يخطب وشيخ البلد مدور العده

أبو دعموم : دا نهار ما يقول الفقى بم لما يقطع قلبه

الوطن : بلغ من الجهالة أن تضرب العلماء فى بلادى

أبو دعموم : ايه له يعنى العالم لما زايد مش فلاح زينته وله طين ادنه

الوطن : اهانة العلماء أول دليل على خراب البلاد فوا أسفاه

أبو الزلفى : أه ما يسلط عليك واحد ناظر قسم ويبدلك قولة العلماء والجهال

الوطن : لهذه الدرجة صارت سطوة ناظر القسم

أبو دعموم : ناظر القسم ايه يا أهبل دا جرجريوس الصريف بيضرب ويشمخ  
اسكت اسكت

الوطن : ارجع لقولى واقول كل هذا سببه الجهل

أبو دعموم : ربنا يرزقنا بواحد قواس يرطن عليك بالتركى ويرفصك فى كرشك  
وهو يطلع العلم والجهل من عينيك الاتتين

أبو الزلفى : لا وان قال بم يخبطه بطبنجه يطلع روحه

الوطن : بقى يقدر يضرب بالنار

أبو دعموم : نار ايه يا هايف دا قتل الراجل عنده أهون من قتل الفرخه

الوطن : عار عليكم تتركوا أنفسكم حتى تصيروا لهذه الدرجة لم لم تشتكوا  
للحكومة

أبو دعموم : حكومة ايه ياوطا ودا اللى بتبعيتوا لنا من المخسيف المأمير  
بتبعته له بيعه جزارى

الوطن : اذا اتقتم على كلمة واحدة ورفعتم أمركم إلى الرئيس الأكبر  
فإنه لا شك يريحكم من هؤلاء الظلمة

أبو الزلفى : اللى أنا يوم يقولولى كلم شيخ البلد افوت عيالى وهج بيقى اللى  
راح يلقى له قلب يصف رجليه قدام الحاكم مين

الوطن : اياك يؤثر فيكم هذه الحالة وتعلموا أولادكم

أبو دعموم : تعلمهم فين ياخي

الوطن : تعلموهم في الكتابيب

أبو دعموم : لهم عمى يا أجور العين ان شا الله ما يروح الكتاب الا انت

الوطن : ما دمت تائفون من العلوم تعيشون اذلاء وتموتون اذلاء

أبو دعموم : قل لى قاعدين فى البنادر قبله اهم نول عندهم معلمين وكتياتيب  
يامه

الوطن : لايد أن تتفقوا جميعا على وحدة التعليم

أبو دعموم : ادى جماعه بندرويه جيين اهم اتكلم وياهم وشوف يقولوا لك ايه

واحنا لنا فوته عليك مرة ثانية ونشوف ايه اللي يجره

الحاج حسين : دا بقا حال ظفت احنا رايعين نلاها منين ولا منين

أبو دعموم : خبر ايه يا اخينه

أبو العلا : بأمنتش عارف خبر ايه دا بأ منطش فى الدنيا

أبو دعموم : ليه انا يعنى معاشركم فى بلادكم وأنا عارف عنكم ايه

أبو العلا : بأ مجاش عليكم حاجه من الفرده والا الشخصية والاحب الوطن

والا الطلنبه والا الغفر والا النضافة والا نزح الكتفان والا

النواهي الحاره اللي بنشوقه دى

أبو دعموم : الله يرحم أبوك له عنكم شى من اللي عندنا خد على صابعك خد

اد حنا متحرحرين ياخي فى المال والمقابله والسدس

ومصاريف الرى والسهم والمصلح والشخصية وعوايد البهايم

والوطنية والاغنام والنخيل والدخوليه.

أبو الزلفى : لا وفاتك يا اخى عادت الحكيم والمهندس والمزين والمشيدات  
والطوافه وقواسه المدير وخدمينه وسنوية ناظر القسم وخدمينه  
والعونة والصخرة وطلوع البهايم للشفك والبنات للقطن والولاد  
لتنقية الرز والبهايم للشيل والحطب للوابورات وعليقة خيل  
القواسة وتبئهم

أبو دعموم : لا ولا تنساش شيخ البلد واخذ البهايم فى غيطه والنسوان فى  
دواره والأولاد تجرى وراه ويروح يداين من الخواجات ويجى  
يقول هاتوا يافلاصين وأولاده دايره ترقع فى أصداننا  
وخدامينه بتلطف فينا ونسوانه بتسفنخ لنسواننا

أبو الزلفى : لا وخذ عندك نبقى الانسان طالع من المصله والمشد ينادى يوم  
يقول المدير عاوز ميت فرخه ويوم يقول غربلولة اردبين غله  
ويوم يقول عاوز بهيمه حلايه ويوم يقول عاوز بلاصين سمعن ودا  
كله يلعه شيخ البلد وشوف بقى يا يوديه بما يوديه

أبو دعموم : لا ونسيت يا خى نزلة المساحة علينا كل ساعه والثانى يقول انتم  
عندكم زياده والبحر خلف لكم جزيره ويمسك قصبته ويبور  
يتنطط فى الفيضان ولا ينكشخ عنا إلا لما ياخذ له سبعين  
ثمانين ريال

أبو الزلفى : لا وفتنا الداويه الثقيله اللى هو الصريف لما يفضل يديله الواحد  
يوم اثنين جنيه ويوم عشره ريال ويوم ثلاثين بريزه ويوم عشر  
خريات ويوم ميت قرش ويجى آخر السنة يقول له وصلنى منك  
سبعين قرش وفاصل عليك عشره جنيه وتكلم الواحد منا ما

شكمه شيخ البلد ويقول له بقى عقلك والا حساب القلم

أبو دعموم : لا وفات يا خى زى الكتاكيت على الدور وقلوس الصقصاص وليف

الوسيه ومقطيفه وحباله وخشبه وشى مفروط

أبو الزلفى : وفاتك ياخى ضرب الطوب للشفلك وتين الخلط وحطب الحريق

واجرة النفر السهران وعشا البيات واجرة الغفير واجرة الحمير

للشيل ونفر العملية واجرة البنا واجرة النجار وطلوع الحجر

من المراكب وبق الحمرة

أبو دعموم : وفاتك ياخى لما واحد يهيج ويرمى طينه على البلد والا واحد يخرب

ويوزع دينه على اليد والاعانة ونقر القسم وعشا الغفرا فى

البحر

أبو الزلفى : وفاتك ياخى الطين اللي ياكله البحر واللى تاخده السكة الحديد

واللى يروح فى الجسور

أبو العلا : هو ايه يا جضعان ولما الهم الثقيل ضا عليكم ما تؤاحنا عبيد

والسلام ضا شىء يقصف العمر

الوطن : اواه من هذه النيران كل هذا احدته الجهل حتى صيركم كالبهائم

تساقون بالعصا

الحاج حسين : السلام عليكم

أبو العلا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مرحب بالحاج حسين

الحاج حسين : يامرحب بالمعلم أبو العلا

أبو دعموم : فوت بنا احنا يا أبو الزلفى منهم لبعض يعرفو شغلهم

أبو العلاء : مرحب بالحاج حسين منين وعلى فين يا وليد

الحاج حسين : من ال... قل وياى يا معلم أبو العلاء اللهم صلى على سيدنا النبي  
من المحجر لعلى اللياتي يا وليد

أبو العلاء : حقه يا جدع جدت له دمة حشيش من الاصابة لكن صبوه يا وليد

الحاج حسين : وانا كمان شديد من عنده تعميره امبارح لكن كانت طوا

أبو العلاء : والكرسى عنده بكام يا مجدع برضه بالارش اياه

الحاج حسين : برضه بالارش انما حاجه صنعه ودا إيه راخر يا معلم ابو العلاء

أبو العلاء : بسم الله الرحمن الرحيم دا باين عليه عفريت يا جدع

الحاج حسين : لا يا جدع دا باين واحد مقطوع من بتوع التكية

أبو العلاء : ميل بنا والنبي نشوف الداھية دى ايه انت ياعم بدتسور اسم الكريم

ايه

الوطن : انا يا بنى محل تشاتك واسمى الوطن

أبو العلاء : ومالك كده ميهدل وحالتك عبره

الوطن : يهدلتنى اهلى يا ولىد

أبو العلاء : وفين اهلك دول اللى بتؤل عليهم

الوطن : ذهبت بهم الايام والليالى

أبو العلاء : طيب وقاعد بتعيط ليه بقى وتبكى على ايه

الوطن : أبكى وانواح على من ورثتى بعدهم فانهم اموات فى صورة أحياء

أبو العلاء : ومين دول اللى ورثوك يا خى

الوطن : أنت وامثالك

أبو العلا : يا حاج حسين

الحاج حسين : يا نعم

أبو العلا : ياخويه دا قال بيعيط علينا المشوم

الحاج حسين : يمكن ولى يامعلم أبو العلا ومكاشف على موتته

أبو العلا : يا خى لا لا دا قال احنا اهله وبيعيط علينا النطع

الحاج حسين : والله ياخويه بلا وطن بلا وحل احنا بتوع وطن ياعم

الحاج حسين : أقول لك اللى ماله الله له فوت بنا

أبو العلا : يا الله ياسيدنا قبل ما تخلص الصبيه

السيد على : غالبا ما ينجح ياسيد ابراهيم

السيد ابراهيم : ما اظن يا سيد

الحاج حسين : اقف بنا يا معلم ابو العلا لما اشوف الجماعه نول يعملوا ايه

أبو العلا : طيب ياخويه ادين وقفت

السيد على : تفضل بنا هنا يا سيد ابراهيم

السيد ابراهيم : ايو نقعد نقطع الوقت هنا شوويه

الحاج حسين : فوت بنا ياسيدنا نول جماعه آل رايحين يقطعوا الوقت ها ها

السيد على : اسعد الله ليالك يا سيد ابراهيم

السيد ابراهيم : اسعد الله ياسيد على

السيد على : حقا كانت العبارة أمس على رأي المثل ياسيد ابراهيم

السيد ابراهيم : ازای ياسيد دى كانت ليله

السيد على : الله يرحم والدك دا كان داهيه كبيره

السيد ابراهيم : تعيش ياسيد والله كان يحبك وشفتله كلام تغزل فيك

السيد على : معنور يا سيد فإنى كنت جميل قوى وكنت اعمل عليه حبتين دلال

وسبب هجزي فى الحريم ميله إلى

السيد ابراهيم : واقمت فى الحريم كثير يا سيد

السيد على : النهار لما بكر والجماعة بسلامته صالح

السيد ابراهيم : ما شاء الله يعنى وقايه كبيره ياسيد والله اهل زمان كانوا

ناس ياسيد على

السيد على : سيادتك مش معزوم فى فرح السيد سرور

السيد ابراهيم : يا خى دا صاحبي هوا ده يلزمنى منه عزومه انا اروح كده فانه

من اخوانا

السيد على : بفلتك ما جتشى نركب بقا

السيد ابراهيم : يخى على ايه نمشى نندنف كده لحد هناك دى مسافه قريبه

السيد على : قريبه ازای يا سيد بينا وبين الفرخ نحو حاره ومين فيه همه لحد

هناك ياسيد ابراهيم

السيد ابراهيم : انا والله يا سيد وحيات جدك قعدوا يكبسوئى أربع ساعات لما

درت وتحركت

السيد على : انا انا انا سهرت نحو الساعه ٢ صبح دماغى مقلوب عدوك

السيد ابراهيم: اثنين اثنين انا بقى لي اربعين سنة اصلى العشا وأنام ومع ذلك تعبان

السيد على: فيه حاجه قال اسمها الكبسون

السيد ابراهيم: يخى داي اسمها الكسون من بلادى النصرى

السيد على: ماتفرجتش عليها ياسيد ابراهيم

السيد ابراهيم: اهى فى الازيكية واهي لولب بتدور عليه

السيد على: نول بيقولوا انها بنى ادم ياسيد

السيد ابراهيم: اى لاه انت تصدق كلام زى ده

السيد على: طيب ويتحكم على الناس ازاي

السيد ابراهيم: ولا تبحكم ولا بتلكك بقى انت ياسيد نسيت العساكر اللى

طلعوا زمان اهو زى ما قالوا نول يتكلموا قالوا نول بيحكمو

السيد على: بقى ياسيد حضرتكم متعرفش حقيقة الكسون دا يطلع زى

مجلس يشوف الدعوى ويقطع فيها حكم بين الناس

السيد ابراهيم: لا وحياتك يا سيد دى عبارة ملفاً والسلام

السيد على: نقول لك احنا مالنا و مال الكلام ده احنا نشوف حالنا والسلام

السيد ابراهيم: ايوه كده احنا مالنا و مال خوة الدماغ احنا غلبنا النصره

اللى كان ساعه يقولوا الدنيا جرى فيها ايه والجرانيل قالت ايه

والتفرافات عادت ايه كإن الدنيا ملكهم

الوطن: اين رجال الفتوه اين رجال النجده

السيد ابراهيم : جاك داهيه فى لتك وعجنك

السيد على : ودى ايه كمان ياسيد ابراهيم

السيد ابراهيم : دا ياسيدى راجل كل ساعة يلت ويعجن فى الكلام الفارغ

السيد على : بقى حضرتك تعرفه من زمان

السيد ابراهيم : اعرفه جاته داهيه

السيد على : واسمه ايه ياسيد

السيد ابراهيم : بيحولوا عليه اسمه الوطا والا هو الوطن

السيد على : وايه قضيته ياسيد

السيد ابراهيم : قضيته انه تملى يقول اهلى اولادى على وينور الاقدمين

السيد على : واحنا مالنا ومال الاقدمين احنا فى ايه والا فى ايه

السيد ابراهيم : بالله متكدرش ذهنك فيه احسن كلامه زى الحبل الصوف كل

ماتشده يتمط

السيد على : لكن الذوق ياسيد إننا نساغه عن حاله

السيد ابراهيم : استحسنالك ياسيد على

السيد على : اسعدتم ياسيد

الوطن : اسعد الله ليايكم اين انتم ايها السادات

السيد على : نحن نتذاكر فى حالك كيف اصبحت

الوطن : اصبحت فى حالة بؤس وانتم مشتغلون عنى بالملامى ولا همة لكم

ابورجب : هو دا الوطن اللي بيحولوا عليه

الحاجة رزيجه : اهو هو المياس ده

أبورجب : انت هو ياخواجه

الوطن : نعم ياسيدي

أبورجب : مالك مجعيب كده

الوطن : انا المسكين الغلبان اللي تركوه أهله

أبورجب : اهلك نول مين وراحو فين

الوطن : أنتم أهلى وتركتمونى ذهبتم إلى الجهل واتباع الهوى

أبورجب : وعايذ ايه دى لوكت

الوطن : عاوز تتعلموا الإنسانية وتكيدوا اعاديكم

أبورجب : اعاديئا نول فين بس جول لى وانا نكطع زندي ان ما كنتش نطلع

عينهم

الوطن : لا ياوليد القوة والعفة مع الجهل لاتفيد شيء لابد من العلم

أبورجب : والعلم فين أنا نجيبوك حالا

الوطن : العلم فى صدور الرجال ويطون الكتب ويؤخذ بالتعلم فى المدارس

أبورجب : يا حاج رزيجه

الحاج رزيجه : مالك ياو لا

أبورجب : بيجول ماش عاوز حاجه غير العلوم

الحاج رزيجه : ايه دانا معالى علمين من واحد جبانى

أبورجب : لما نوربهم له

الحاج رزيجه : خد اهم

أبورجب : شوف العلوم اللي انت عاوزهم زى دول

الوطن : وابلوتاه واحسرتاه ضاعت الانسانية وصارت الناس بهائم العلم عبارة  
عن المعارف والصنایع لا ورق القباني

أبورجب : احنا ناس شغاله ياعم ونجيب المعارف متين ما تجول لى عندهم  
فلوس ويايتين يركوا عليهم زى الفراخ

الوطن : ياوادي المعارف فى المدارس والورش واذا كنتم تبتنؤوا يتبعوكم الاغنيا  
فإنهم عمى عن طريق التقدم إلا بمرشد والفقراء هم أصل كل  
شء

أبورجب : تعا يا حاج رزيجه نلم عشر قلبك نشاورهم

الحاج رزيجه : والفلايكيه حيلتهم ايه

أبورجب : اهو على جد زيتك خايل له ويمكن تكون احنا السيب

الحاج رزيجه : يوبونا فى داهيه ويجولوا عاملين عصبه

أبورجب : لا يا شيخ هو العلم حد يكرهه انت منتش شايف الحكومه بتكثر فى  
المدارس لاجل تعلم الناس ويعملوا زيها ويساعدوها

الحاج رزيجه : يا-بورجب دا شي عاوز فلوس واحنا مالنا وماله

أبورجب : بلاش شرب سخان ونحسى الراجل ده من العدم

الحاج رزيجه : ما يروح لغيرنا هو بس احنا اولاده

أبورجب : والله ياخويه انا توكلت على الله ورايح اطاعه والسلام

الحاج رزيجه : والله ياخويه القنجره فى الطنجره مش فى العلوم

أبورجب : انت يا جدد يا وطنى عاوز ايه أنا خدامك شوف هو ايه اللى يريحك

وانا اسعى فيه وربنا يعين

الوطن : لم لك جماعة واجمعوا من كل واحد كام قرش وافتحوا محل ربوا فيه

أولادكم لئلا يطلعوا بهائم مثلكم

أبورجب : تما يا حاج رزيجه هات قرنك

الزحاج رزيجه : هو أنا مجنون زيك القرنك اجيب به نص وجة لحمه

أبورجب : اولادنا يطلعوا بهائم

الحاج رزيجه : ليه هو الولد مش رايح ينفع فى صنعة أبوه

أبورجب : يمكن ما يفلحش

الحاج رزيجه : يبقى يروح يبيع على البحر ويطير له حاجة من الخواجات

أبورجب : وان مسكته الظبطيه يا ولید

الحاج رزيجه : ييجى يروح فى داهيه ويريحنا منه ومن أكله

أبورجب : ابنتك يا شيخ تدعى عليه

الحاج رزيجه : انا ابنى ياعم زندي والجرش

أبورجب : اجول لك عمر الحمار ما ينفع انا اشوف جماعة غيرك

الحاجة رزيجه : ان حد طاوعك ابع شخ على جبرى

أبورجب : بكره تشوف الرحاله : نيجى نتندم

الحاج رزيجه : زنى روح اهو بس مجنون اللى يطاوعك

أبورجب : انت يا جدد يا وطني ما تفكرش والله لخليك حظ

الوطن : الله يجمعك على أهل العروة والإحسان ويحفظك من الفجر الأندال

أبورجب : أنا رايح اجتهد واللى فى الغيب عجب

الوطن : الله يقويك بس ابعد عن أهل التعصب والأفساد فإنهم يقلبون الخير

شرا ويخلوا الناس يسؤو الظن باجتماعكم

أبورجب : أهل الفساد دول مين أنا ما اروح إلا للراجل اللي يحب يسعى فى

تربية الأيتام والأرامل لوجه الله

الوطن : ما دمت على هذا القصد فإن سعيك يكون محبوبا عند كل الناس أهم

جماعة افنديا جاينين لما نشوف أفكارهم فى ايه .

عزت افندى : نهارك سعيد يا جدد ياسكندرانى

أبورجب : نهارك سعيد يا بلدي جاي منين يا اخي

عزت : من الديوان ماشفتش مظهر افندى

أبورجب : اهو جاي من بعيد اهو

عزت : بنجور يامسيو مظهر

مظهر : بنجور عليك يامنشير عزت

عزت : دورت عليك فى بييرة فنك وتريسته وكل البير كنت فىين حضرة جنابك

مظهر : كنت فى الجنينه لكن كانت ليله حظ يامن امي

عزت : كنت انت ومين يا اخي

مظهر : وياغزت افندى وابراهيم بيه وحسن بيه والسيد مضطفى والحاج على

والمعلم موسى

أبورجب : والله ما دامت العصابة دى كلها سكره قليل ان لجيت واحد يسعى  
وياى فى طريق المعارف الله يعوضنا خير فى الناس

مظهر : دا بيقول ايه الراجل ده

عزت : سيبه ده مصطول وايه كانت نكتتكم فى التسالى

مظهر : كان الشرب مستكه خالص والسجاير حشيش صرف وهنك ورنك زى  
ما انت عارف لحد الشمس

عزت : والمصاريف كانت على مين يا من امى

مظهر : على اخوك ياوليد لوحده

عزت : وكثير ياسيدى

مظهر : خمس طاشر جتية ورهنت الساعه عند اسمها ايه على خمسه جتية  
واسه بقتالها

عزت : شكوزى ويولع السجاره

مظهر : برنون ياخويه

عزت : وانا كمان كنت فى دعك عظيمه فى البيره مع الجماعه اياهم

مظهر : الليله دى رايح اعمل حتة حظ وستين سنه الوجد يشوف له يومين  
والسلام

الوطن : ان تمادى الناس وخصوصا مثل هؤلاء على هذا الحال فقل على  
الوطنية والوطن يارحمن

أبو الزلفى : يه شوف الناس اللي كانت فانت بلادها رجعت

أبو دعموم : نول عرب ياخويه

أبو الزلفى : أيوه ما كانت الناس هجت عرب وفلاحين

أبو دعموم : اصبر لما نشوف جاينين منين

بدر : أيها الوطن العزيز

أبو الزلفى : سير بنا وحياتك الوطن ليعمر وييجى عجب

أبو دعموم : والله يعمره ويصلح حاله

أبو دعموم : الله يعمره ويصلح حاله

بدر : إنى أتيت إليك من صنعا بعد الشدة والبأسا قافلا اليك يا وطنى ومحل

سكنى وقد أخذتني هزة العرب وحركتني حمية الطرب فقلت أبياتا أنم بها ذاك

البلد وامتدح أهلى رجال القوة والجلد

الوطن : هات اسمع لايفضض الله فاك

بدر : لاحبذا انت صنعا من بلد \* ولا شعوب هوى منى ولا نغم

وان احب بلادا قد رأيت بها \* عنسا ولا بلدا حلت به قدم

اذا سقى الله أرضا صوب غادية \* فلا سقامن إلا النار تضطرم

وحبذا حين تمسى الريح باردة \* فى جو مصر وفتيان به هضم

هامر : عم صباحا يا بدر

بدر : أنعم الله عليك بجلال النعم

حامر : فيم وثوقك على الأطلال

بدر : إن هذا وطني لا أطلال

حامر : ما أرى إلا أثافي تنرد عليها الرياح

بدر : خانتك عيونك هذه بيوت وقصور

حامر : إن كانت هذه قصور فأين القبور

بدر : عهدي بها طويل وأست أدرى ما غيرها

حامر : وماذا كنت تتشد قبل وفودي عليك

بدر : كنت أذم صنعاء اليمن وامتدح هذه الآثار

حامر : هي حقيقة بالنذب والرثا لا المدح والثنا

بدر : يبكي إهيء إهيء إهيء ويقول

قد كنت اشعث في المقامة سادرا فنظرت قصدي واستقام الأخذ

وفقدت اخواني الذين بميشهم قد كنت اعطى ما اشاء وأمنع

فلمن أقول اذا تلم ملمة ارني برأيك أم إلى من أفزع

وايأتين عليك يوم مرة يبكي عليك مقنعا لاتسمع

أه

حامر : إهيء إهيء إهيء الحر يستبكي فيبكي نكرتني الظعن وكنت ناسيا

اني ارقت فلم اغمض حاري من سيء النبأ الجليل الساري

من مثله تمسى النساء خواسرا وتقوم معولة مع الأسفار

أفبعد مهلك فتية في مصرها ترجو النساء عواقب الاطهار

السلاسل ومع ذلك فإن الخطيب الشرقي غلب كلام والناس

جاعلين خطابته تسالي زى قصة عنتر وأبو زيد

الوطن : وانت تعرف مقام الخطابة فما الذى يمنعك عن سماعها

عزت : صحيح فى دى لك حق ولكن انشاء الله من الآن فصاعد احضر

الوطن : حفظك الله وثبت عزائمك يا انسان

عزت : بونسوار مسيو مظهر

مظهر : بونسوار مسيو عزت

عزت : اما اقولك على مسئله

مظهر : تفضل بامنشير

عزت : ما تجيش بنا نروح نسمع الخطابة وندخل الجمعيه

مظهر : لا لا يامسيو الخطيب كل ليلة يقول أمثال ونكت لعنه

عزت : ما هو معنور يا اخى الراجل رايح يموت نفسه عشان جهل أهل الوطن

وتوحش طباعهم

مظهر : واحنا رايحين نعمل ايه إن كان عاوز له كام نص نلهم له

عزت : انا اعرف حق المعرفة انه لايريد إلا تقدم المعارف

مظهر : وماذا تنفع المعارف اقله تحوشنا عن البيره وده شىء موت

عزت : يعنى ياسيدي اذا طاوعناه واجتهدنا فى إزالة الأوساخ عن الوطن يجرى

ايه

مظهر : يروح لأصحاب الفلوس ياسيدي

عزت : أصحاب الفلوس بخله واجهلهم لا يعرفوا قدر المعارف

مظهر : بالله تفضها وقوت بينا نشوف اخوانا اهم دى الوقت يكونوا زعلوا على  
تأخيرنا

عزت : يبقى بس رجالة حكومتنا اللي ربنا حطهم فى سهر وتعب ليل ونهار فى  
إصلاحنا واحنا دايرين زى البهايم لا احنا عارفين قدرهم ولا  
قدر أنفسنا

مظهر : نول تعبهم على شان وظايفهم يا مسيو

عزت : لو كان كذلك لكانوا يقتصرون على قعودهم فى الدواوين من غير شغل  
ولكن سهرهم فى أعمال القوانين وخلصنا من الورطات دليل  
على أنهم لا يريدون إلا الإصلاح والعمار

مظهر : اهم فى حالهم واحنا فى حالنا فوت بنا

عزت : اقول لك يا مسيو انا عزمت على خدمة وطنى بروحى

مظهر : بكرة نشوف لما ترجع نتندم على لياالى الحظ اللى تفوتك

عزت : لا والله ما انتدم على شىء بعد كونى رايع أخدم وطن يرق لحاله القلب  
القاسى

مظهر : بس منش شايف حد يساعدك على كده

عزت : متى أخذنا فى الأسباب تجتمع فيه أهله من كل فئح ونفتخر بهم على  
الزمان المتقدم الذى أعدمهم

مظهر : أنا يا مسيو على مذهب أهل بلادنا تبات نار : تسبح رماد لها رب يدبرها

عزت : والله ياخويه احنا مأمورين بنا سعي والاجتهاد فإن السماء لا تمطر ذهباً

ولا فضة ودى الوقت تشوف اخوانا لما يحضروا من سائر  
الجهات فقبل ما يسبقنى أحد لفعل الخير أنا خدامه اشهدوا يا  
اخوانا

عزت : رجعتنا نتندم ونقول ليتنى كنت معكم

مظهر : انا يا اخى ما كنت اظن أن اخوانى الوطنيين تتحرك فيهم غيره

عزت : يامسيو الناس على دين ملوكهم والحكومة فتحت نحو خمسين مدرسة  
فمتى شاركتها الجمعيات فى هذا السعى زادت قوتها واتسعت  
تجارتها وانتشرت المعارف .

مظهر : وانتم عملتم إيه لما فتحت المدرسة

عزت : ولا حاجه اجتمعنا كم نفس وكل واحد فرض على نفسه مبلغ جزئى  
وفتحنا مدرسة نربى فيها الأيتام ابتغاء مرضات الله

مظهر : والله انه عمل جميل لايد أن أكون معكم

عزت : واقول لك يامسيو اذا واقانا عصر التوفيق فلا نعود نتذكر الجهالة وما  
نحن عليه من الخشونة والهمجية

مظهر : يعنى الناس تعرف قيمة المعارف

عزت : ابشر يا أخى حتى العوام دى الوقت مالهم كلام إلا فى المعارف وما  
بقى نجار ولا حمار إلا وارسل ابنه المدارس

مظهر : دا تقدم كبير لأبد وأن يموت الجهل موتة لاينشر بعدها

عزت : انظر ادى اثنين حشاشيين جاينين شوف كلامهم فى ايه

الحاج حسين : أما والله عجيبه بس احنا انى باننا بياهم

أبو العلاء: خبر إيه يا حاج حسين ما أنت بخير

الحاج حسين: يا معلم أبو العله بشوف الطفل الصغير ماسك كتاب والكبير  
ماسك كتاب والبعض منا ماشى تايه محناش فى الدنيا والا ايه  
الناس كلها اتتبعت واحنا فى غفلة

أبو العلاء: بس كضه يبقى منتش عارف ان الدنيا اتأدمت إلا دى الوقت الزمان  
اتألب ويأت الناس بشأه

الحاج حسين: واحنا بآ ملناش إلا القابة والهم الكبير

أبو العلاء: الحأ على اهلنا اللى ربونا تربية ظفت

الحاج حسين: ودى الوقت ما بأش فينا رمأ

أبو العلاء: ما بأش إلا نربى أولادنه وإلا يطلعوا حمير زينه

الحاج حسين: نربيهم فين وكلنا أجهل من بعض

أبو العلاء: نربيهم فى المضارس لأن الحاجات الصنعه كلها فيها

الحاج حسين: المدارس عليها فلوس كبيره ياخويه واحنا ماحيين مامعناش ولا  
باره

أبو العلاء: ويعددين نعمل إيه فى الأولاد نسيبهم بجهلهم زينه

الحاج حسين: انا افكرت حاجه ياويلد وهى عين الصواب

أبو العلاء أول ياخويه لما شوف

الحاج حسين: من حيث إننا فى اسكندريه وفيها مضارس للجميعات فانا  
راجل بنه اشتغل فى الجمعية بتلتين اجره واحط ابنتى يتعلم

بالبائى ويعطوه الكتب إحصان

أبو العلاء : اذا كان كضه انا أخذ شغل البياضه واحط ابنتى ويا ابنتك

الحاج حسين : بمن الطريقه ايه فى دخولنا فى الجمعيه ياجضع

أبو العلاء : ولا طريقه ولا يحفظون احنا نروح لهم ونأول يا اخوانا احنا اولاد

وطنكم وأنتم بتأبلوا الغريب فربوا لنا اولادنا وهم أحب ما

عليهم .

الحاج حسين : لكن ياجضع دول بياخدوا قلوب على اللى يدخل جديد

أبو العلاء : الكلام ده ياخويه للوجوه المعتره والمعتدين أما الفلابه اللى زينه

يأبلوهم شادلى من غير أجره

عزت أفندى : شايف العقول تنورت ازاي

مظهر : على هذا المنوال لايمضى زمن وجيز إلا والوطن كله معارف

عزت : لا واسه ياماتشوف

مظهر : تعالى بنا فرجنى المدرسه

عزت : اصبر لما نشوف اللى جاى ده رايح يقول إيه

أبو الزلقى : على المدرسه متين ياجدعان

الحاج حسين : انهى مدرسه يا أخينا

عزت : برده بيسال على المدرسه تفضل بنا

أبو الزلقى : اللى فيها لمعلمين يم

الحاج حسين : انت تآرا فيها بعد ما شبت صدأ العصل بعد ما شاب وضوه

الكتاب

أبو الزلفى : داموش أنا يا أهبل انا انقطع النفع منى نول الاولاد الصغار

الحاج حسين : واللى ذلك على المدرسه مين

أبو الزلفى : شايف الصريف يتحكم فينه والكاتب بيتحكم فينه ودا كله بالجلا

وأنا مبيدش ابنى يتحكم فيه الصريف وياكل ماله

الحاج حسين : يامعلم أبو العله

أبو العلا : سامع يا حاج حسين

الحاج حسين : شايف الفلاح اللى عرف سر الأكم

أبو العلا : ما الت لك يا لله بينا بزياده اللى قات هو كاتب العماره موش مورينا

الضىء باغمه

الحاج حسين : بأ ما اخدمش أنا وربي ابنى يطلع يترحم على

أبو العلا : الحأ بيدك يا شيخ يالله بينا يا لله

أبو دعموم : الله يا بو الزلفى

أبو الزلفى : مالك ياسخام الطين

أبو دعموم : اشمعنا لما جرجس اللى جد العينه يعرف يجرا واللوح ابنى لحد

دى الوجت ما يعرف الألف لممادته

أبو الزلفى : من لمعلم لو كان زى الناس كان من أمته بجى جندى

أبو دعموم : لمعلم أجور صحيح لكن زى اللهلويه فى الجرايه

أبو الزلفى : الجرايه مالها هو مادام أجور يعرف يفك الخط ازاي

أبو دعموم : ها من جيبيل الخط ما يعرفشى يا شيخ

أبو الزلفى : وطيب بجا ايه اما المدارس يعلموا فيها المحووظ الخط واللكلاك

النحوى وحساب الجصبه وشى مظرووط

أبو دعموم : الله يا بو الزلفى اظن الباشا المدير يعرف دا كله

أبو الزلفى : جينا بجا لتت والعجن دا يعرف الكفت

أبو دعموم : ومين علمه يكتشي مخاوى بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الزلفى : مخاوى وله إلا علموه فى المدارس من صفرة

أبو دعموم : بجا امال ياخويه المدارس دى عليها رك

أبو الزلفى : الله يا دايم هو لولا المدارس كانت الدنيا عمرت

أبو دعموم : لله جل رحمة اللى راحم وجلجل الطويه اللى تحت راسهم

أبو الزلفى : ليه الله يجير

أبو دعموم : طلعوننا زى البهايم يعنى نقصناش إلا الرواسه

أبو الزلفى : يعنى كانشى مدارس فى مدنتهم ولا علموناش

أبو دعموم : وليه هم ما عملوش مدارس مادية ودى بالقلوس

أبو الزلفى : وكانوا يجيبو معلمين منين داهيه

أبو دعموم : من الداهيه اللى تخدنى أنا وياك بجا يا بو الزلفى رايع تفجر

مرارتى

أبو الزلفى : إيه عوار يتلف عينك ما جلنا اللى فات فات

أبو دعموم : طيب ادين خرصت ورايحين نعمل إيه دى الوجت

أبو الزلفى : نخدو الأولاد نوديهم المدرسة وتتكلم على الله

أبو دعموم : خير يا شب ايدى ويدك واللى فيه الخير يجدموا ربته

أبو الزلقى : انت منتش شايف اللى واخدين أولادهم ورايحين

أبو دعموم : على الله على الله جال ايش فى خاطر لعمه جال جفة عيون

أبو الزلقى : وادى النبوت يا الله يارجال السلسله

أبو دعموم : واللى يبجى يودى لهم الزواده مين

أبو الزلقى : زواده إيه دول رايحين مدرسة الميرى

أبو دعموم : وياكلوا منين

أبو الزلقى : من عند أفندينا ياراجل ربنا يطول عمره بيطلعهم ويكسيهم ويديهم

فلوس ويربيهم فى عزه هو زيه حد يم

أبو دعموم : والله طيب دا بجا ملك عادل ومحسن

أبو الزلقى : هو عادل ويس دا واحد ما جا حد زيه مطلج

أبو دعموم : يا شيخ رينه يطول عمره ويكمد عنوه

أبو الزلقى : امال له الحكومه لعبه دى مالها إلا كل بطل

أبو دعموم : اجرن الناس كلها بتدعى له وفرحائين به

أبو الزلقى كاهوان كان هو والالكبرات اللى وياه كلهم أهل خير وطيبين

ياشيخ

أبو دعموم : والكبرات الا وياه رخرين

أبو الزلقى : يبجى منتش شايف اللى كل يوم والثانى يبطلوا من علينا اجلام

أبو دعموم : أى من حج يا بو الزلقى والله أنت بتفضل حافض يا مشا الله

هزت : سكر دى كشيون ودهده ده

مظهر : دا يا سيدي اللي اسمه الوطن

هزت : وماله صبيح فى حالة زى الزفت

مظهر : واحنا مالنا دا شيه يكثر بالله ما تشغشش بالك به

هزت : اصبر لما نساله احسن له اصل

مظهر : طيب ياخويه دى الوقت ما تسمع منه الا التريزى والكلام الفارغ

هزت : بونوسوار يامسيو الوطن

الوطن : انا عريى محض واعرف اللغات على قواعدها وأراك تتكلم بالفرنساوى

على غير انتظام

هزت : كسك سكسياه على غير انتظام امواه متعلم فى اكس

الوطن : وماذا تعلمت هناك

هزت : تعلمت شيئا كثير ويمكن اقول لك كل الطوم

الوطن : وما الذى صنعت هناك بعلومك

هزت : انا رايس ترجمان فى القنصلية

الوطن : اواه على ضياع أهلى حتى الذى يعرف منهم كلمتين تفتنح به الأجانب

هزت : مسيو الوطن انت بدك اموت من الجوع وكم الف غيرى يعرفوا السن

ودايرين هايعين من الجوع

الوطن : كل هذا من جهلكم لو كختم تعرفوا المعارف والصنائع كانت الحكومة

فتحت لكم الورش والمعامل وغمرتمونى بثمرات اتعايبكم

عزت : احنا كلنا نكره بعضنا وان شفتنا واحد من أهل المعارف نضحك عليه  
المقصود من المعارف ايه مش الإنسان يتحصل على المعاش  
والاشياء اللازمة للنكته

الوطن : انا شايف أهل المعارف عندهم قليلون والبعض فى زوايا الاممال والله  
ما سبب نكبتى إلا أهل النكته

عزت : بقى اشكوزى انت بتخرف دى النكته هى المقصوده وهى ثمرة  
الإنسانية فى بلادنا .

الوطن : ولما كنت فى اكس كانت أهل النكته والأهالى كذلك

عزت : دول يا مسيو طول النهار يقرؤا فى الجرائيل ويسالون عن الأحوال وما  
فيه صالح بلادهم وزيادة سطوة حكومتهم وتعزيزها

الوطن : ولم لم تفعلوا فعلهم هنا وانتم إنسان منهم

عزت : هناك الاغنيا كلهم فى جمعيات اللى فى صنائع واللى فى معرف واللى  
فى تجاره فبالضرورة تزداد سطوتهم وسطوة ملوكهم .

الوطن : وما المانع من كون الجمعيات تكون هنا مثل هناك

عزت : هنا الاغنيا مقتصرين على استخدام الفقراء والهدوم النظيفة والماكل  
والمشارب واذا اجتمعوا يفتخروا بالطباخين والجوار  
والخدامين والبيوت وهلم جرا من الهذيانات الفارغة .

الوطن : وانت لما علمت أحوال أوروبا لم لم تخطب قومك بما يرشدهم للإصلاح

عزت : شوف انت الحكومة لها زمن تهذب فى اخلاقهم وتعلمهم العلوم بحيث  
تأخذهم من بلادهم فى الحديد فأى كلام يؤثر فيمن يتعلم فى

ما إن أرى في قتلهم لذوى النهى	إلا المطى تشد بالاكوار
ومجنبات ما يذقن عزوفا	يقذفن بالمهترات والامهار
ومساعرا صدىء الحديد عليهم	فأنكما طلى الوجوه بقار
من كان مسرورا بمهلك حيه	فليات نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبته	يلطمن أوجههن بالأسحار
قد كن يخبان الوجوه تستترا	فاليوم حين برزن للنظار
يضرين حر وجوههن على فتى	عف الشمائل طيب الأخبار

أه

بدر : وقاسمى دهرى بنى مشاطرا	فلما انقضى شطره عاد فى شطرى
ألا ليت أمى لم تكدنى وليتسى	سبقتك إذ كنا إلى غاية نجرى
وكننت به اكنسى فأصبحت كلما	كننت به فاضت دموعى على نحرى
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا	فأصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى

سلمى : أى عامر

عامر : لبيك ياسلمى

سلمى : أين ديارنا

عامر : ها هى التى أنت بها ياسلمى

سلمى : وأرجلاه

ما للديار ريوعها تهدم

أين المنازل والقصور وأهلها

والدهر يأتى بالدمار ويقدم

أين الجياد وقرنها والضيفم

أين الذين اذا تبسدى خصمهم      فى جيشه مستأسدا لم يهزموا  
 أين الدين غزوا بقوة جاشهم      فعلوا على كل الورى وتحكموا  
 أين الأولى طردوا الجياد إلى العلا      فندت إليهم من علاها الأنجم  
 يا دهر غيرت المعالم فانتد      وارحم فتاة بالها لا ينعم

دعد : اين الديار

عامر : ها هي التي أنت بها يادعد

بدر : ما الذى غير منك المعالم وهد الشوامخ ودرس العائر وصيرك مأوى  
 الوحوش ومسرحة للذئاب فلا أسمع فيك إلا غرابا ينقق وثلعبا يضح  
 وذئبا يعوى.

دعد : اواه مما تنقيه الاسهم      خطب به نار الحشاشة تضرم  
 ياربع انسى والوجود فداؤه      إنى أنادى هل تجيب وترحم  
 أين المرابد والمرابع والربى      أين الرجال ومن به استعصم  
 أين الذين إذا تأخر جارهم      عرفوا له حق الجوار وقدموا  
 أين الذين اذا تلم ملة      طاروا على رأس العدو وحوموا  
 شلت يمينك يا زمان فجعتنى      بذهاب من يقرى الضيوف ويكرم  
 يامى قومى ساعدنى فى البكا      ودعى اللثام فقد تولى المحرم  
 مى : يا دعد مزقت اللثام      وسلت من جفنى المنام  
 وضرب وجهى بالتى      كانت تقبلها الكرام  
 من أصبحت فى حالتى      لا تنقى عين الأنعام

يا طالما سلت سيو	ف اعزتى حول الخيام
يادعد من يحمى الحمأ	والقوم ما فيهم همام
يادعد من نشكويه	والجار قد خفر الزمام
يا عين جودي بالدمأ	واسقى الريى بدل الغمام
يانار حزنى حرقى	قلبى وزيدى فى الضرام
يا حسرتى يانكبتى	يا بلوتى ردىنا الهيام
مات الأولى عرفوا العلا	قلعى منازلنا السلام

عامر : يابدر

بدر : لبيك يا عامر

عامر : إنى وأنا مرتحل مررت على كرام وفى وسطهم فتى يتذكر فى إصلاح  
الشنون بهمة وحمية وإراهم بالغين فى بلادك كل مبلغ من العمران فإن الذى فى  
وسطهم

فتى عزلت عنه الفواحش كلها	قلم تختلط منه بلحم ولادم
كان زور القبطرية علقت	علائقها منه بجذع مقوم
عملس أسفار إذا استقبلت له	سموم كحر النار لم يتأسم
إذا ما رموا أصحابه بجبينه	ترى الليلة الظلما لم تتهم

فزحزح الهم ما استطعت ولا تبتئس على ما فات فاستفرح بما هوأت فقد  
سمع نذاك مجيب وكل أت قريب

بدر : اظنك يا عامر صادقاً فيما تقول فإنى أرى وأندا فى بزة الشعراء فلعله

من اتباع الأمير الذي أشرت إليه

عامر : أين هو

بدر ها هو مقبل يقصد حيناً

الخطيئة : يا بدر

بدر ليبيك يا واعظ العرب

الخطيئة : يا عماء العمران يحتاج إلى مكارم الأخلاق فخذ مني أبياتا فصيحة

واعمل بها فإنها نصيحة

بدر : هات لايفضض الله فاك

الخطيئة : يا بدر والأمثال يضربها لذي اللب الحكيم

دم للخليل بوده ما خير ود لاينوم

واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم

واعلم أن الضيف يوما سوف يحمد أو يلووم

والناس مبتتبان محمود البناية أو ذميم

واعلم بنى فإنك بالعلم ينتفع العليم

إن الأمور دقيقتها مما يهيج له العظيم

والتين مثل الدين تقضاه وقد يلوى القديم

والبغى يضرع أهله والظلم مرتعه وخيم

ولقد يكون لك البعيد أخوا ويقطعك الحميم

والمرء يكرم للفنا ويهان للعدم العديم

قد يقتر الحول التقى ويكثر الصمق الأثيم

يعلى لذاك ويبتلى هذا فأيهما المضميم

والمرء يبخل فى الحقوق والكلالة ما يسيم

ما بخل من هو للمنون وربيها غرض ولا نعيم

كل امرء ستنم منه العرس أو منها ينيم

ما علم ذى ولد ايتكله أم الولد اليتيم

والحرب صاحبها الصليب على ثلاثها الغروم

من لا يمل ضراسها ولدى الحقيقة لا يخيم

واعلم بأن الحرب لايسطيعها المرح السؤم

والخيل أجودها المناهب عند كبتها لزوم

فلئن وعيت نصيحتى وعلمتها أنت النديم

بدر : لايفضض الله فاك وحفظك ووثاك

التابفة : ها يعرب

العرب : لبيك يا تابفة

التابفة : مالى أراكم شعنا غربا مدرجين فى أطمار بالية أما سمعتم بشمس

البر والرفاهية التى أشرقت على أوطاننا ويدر السعود الذى طلع فى سماء

بلادنا

بدر : من تعنى وإلى من تشير بهذه العبارة ياتابفة

النايفة : أعنى منبت شعر العز في رؤسنا وياعث روح المعارف في أجسامنا  
 أميرنا الذي تحلى باسمه الوجود وعمنا بطالعه السعود ولقد سعدت بالوفود  
 عليه والمثول بين يديه فرأيت ما لم أره وسمعت ما لم أسمع فارتجلت قصيدة  
 انشدتها بمسمع من جلالته قانعم وتفضل واحسن وتكرم وانصرفت من ساحته  
 الفيحاء وقلبي معلق بحسن مقابله ونفسي أشوق للثم أطراف أردانه من  
 الظمان إلى الماء الزلال فأصبحوا الأذان واسمعوا ما أنشدته بالحضرة العلية  
 فبعده يحسن الإنشاد وباسمه يتحلى البديع

العرب : هات يانايفة الزمان وسباق حلبة الرهان فإنك شاعر العرب ومعدن  
 الفصاحة والأدب

النايفة : إلى من إذا عز النصير نصير	وأين إذا ضاق القضاء نسير
تصول ونجري والنفوس تقودنا	لامر به قلب البلاد كسير
إذا فترت في الجد همة طالب	فكل يسير يرتجيه عسير
اسير ولي في الحى مجد مؤثل	يزار وحظى في الخمول أسير
وياعى لئيل المجد عند علوه	طويل وفي نيل القبيح قصير
وإن ركضت خيل الرهان إلى المرا	فنهذ صفائي للوفاق يسير
اسامح عقوا لا التجاء لزالة	فأني لأرضاء الخصوم فقير
وما عن قلى انأى ولكن إذا اسأ	حبيب ادارى والمحب غير
وما بقليل نبوة في بلاغة	وذكر جميل إن ذا لكثير
إذا كان نور المجد في حسن هيئة	فسيان فيه أكمه وبصير
غرور مسير النفس في طلب العلا	وحاملها في السافلين أجير

سلونى عن الأمر الجليل فإننى  
 إذا أفلت شمس المجد بمغرب  
 وإن فقد الإنسان هيبه مراده  
 وإن رضيت غر الرجال على فتى  
 وإن بذلت فى الخير عسجدها الورى  
 وإنى كفىل أن يحسب مناقق  
 يعظم ميتا رب فضل وشاكر  
 فسى الفتى صندوق برزخ مجده  
 إذا ماجد دارت رحاه بعزة  
 أجل مزايا المرء فضل ومنطق  
 فحافظ على ما أدرك العزم شأوه  
 إذا المحل ساء المجرمين لحقدهم  
 على مهل يجرى الزمان وإنما  
 ركبنا الهوى حتى اسأنا بلادنا  
 تقلبنا الأخبار بين أكفها  
 ولكن يرى لى أن قومى تنبهوا  
 ينبههم للسفى فيما يعزنا  
 إذا استقبت أهل السياسة للعلا  
 بدر : هيا يا بنات غنو على ذكر الأمير  
 عليم بأخلاق الرجال خبير  
 ترات له بعد الغروب بنور  
 بفتح الأمانى فالمصيد صغير  
 فإن مرید الشر عنه نفور  
 يعز على الوغد الشيخ نكير  
 إذا سار عن ارض الحجاز ثير  
 ويقبر حيا مجرم وكفور  
 وكسب الثنا فى ذا المقام نثور  
 قهسته قلب عليه تلور  
 ويعدهما كل الصفات غرور  
 فكل صغير ضاع منك كبير  
 فروض سرور المحسنين نخير  
 يعاملنا بالطف فيه قدير  
 فدارت بنا الأيام وهى تمور  
 ولم ينهنا عما نود نذير  
 ففيهم رجال فى العلوم بحور  
 جواد لأفكار الصلاح سمير  
 فتوفيقنا فى ذا المقام أمير

البنات : يوم الخدوى سعيد. والقطر كله نظام. توفيق مصر عزيز بلغه رب  
المرام. يا مصر زیدی جمالا. فالعدل صار له حواس. رياض مجد المعالي.  
اضحى بديع الأساس . انظر لرفقى وفهمى . تلق المحاسن تمام.  
والقدر سامى على . والفخر باب السلام . لا بد تلقى صلاحا .  
من نيل خير الكرام . فالتاس أضحت تنادي . يارب حسن الختام .  
بدر : هيا بنا ياعرب ننظر إلى الأمير ونقدم عليه

### (فريق التمثيل العربي)

تمثيل الأحوال والوقائع بالتياترفن بديع يقوم فى التهذيب وتوسيع أفكار الأمم وأخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الأدبية مقام أستاذ وقف أمامه تلامذته يلقتهم العلم بما تكلفه نفوسهم وتميل إليه طباعهم وكان ذلك شائعا ذائعا بين العرب والمصريين من زمن بعيد فما كانت تحيا ليالى أفراحهم إلا بالممتمئين ولكن لتوالى دواعى الجهالة على الأمم الشرقية نظروا إلى أرباب هذا الفن بعين الازدراء واتخذوهم مضحكين فى أفراحهم وعدوا تشخيصهم الأحوال أمورا مضحكة وانصرفوا عن العظة بها والاعتبار بما فيها فكان ابن رابية فى مصر يمثل أحوال الحكام وأخذهم الناس للسخرة فى الحبال والحديد وقتل الرجل على عشرين فضة وشنق آخر بغضب المدير أو المأمور ونهب المزارع والماشية وإصدار الأحكام بحسب ما يتصور الحاكم الخط فضلا عن المأمور وفضلا عن المدير كما يمثل أحوال من تفاضوا عن بيوتهم واهملوا المحافظة على أعراضهم وأتمنوا الخدم والمالين قرأوا ما ساءهم وغير ذلك ولكن كانت فائتة عندنا أن نضحك عليه وكذلك خلبوص العرب إلى الآن يمثل وقائعهم وما جرى بين القبائل من ظفر وخذلان وحط وارتحال. فهو فن قديم أخذه الأوروبيون عن العرب عند مخالطتهم لهم فى الأندلس والشام ولكنهم هذبوه وبنوه على تمثيل الوقائع الشهيرة التى لها وقع فى التهذيب والتأديب وطهره من كل ما يخل بالآداب العامة فلا تستحى الأنثى من حضور مجلسه ولا يأنف الأمير من تلك المواضيع وما زالوا تتقيحا وتحريرا حتى صيره أحسن فن تميل النفوس إليه للتهذيب والترويح وكتبوا فيه الروايات الكثيرة بين حاصلة ومصورة واعتنى به علماءهم ومهذبوهم وقام به شرانم من أدبائهم ونبهائهم وبنيت له المبانى العظيمة وصارت مجامع الأمراء والفضلاء والأعيان وقد أخذه

الآن بصورته الأخيرة جماعة من الشرقيين منهم من أحسنه ومنهم من بقى تحت التمرين فكان من المحسنين الفريق (الجوق) الشرقى المكون من المجيد العاهر الشيخ سلامة حجازى ومعه المحسن أحمد افندى أبو العدل والمتقن حسين افندى الانبائى وجماعة من الشرقيين يصحبهم ثلاث مشخصات شرقيات لم يفتن من الإحسان شيء يرأس هذا الفريق مديره المحسن المتقن اسكندر افندى فرح الشرقى وقد شهد كثير من الامراء وفى مقدمتهم عطفونلو وفضيلتو على باشا مبارك إنهم أولى بالتشخيص فى الأويره من غيرهم لإحسانهم التمثيل وعدم وجود فرق بينهم وبين من اتقنه من الأوربيين ولقد رأيت ممن يحضرونهم أريحية عصبية لوقائع الرواية فيفرحون عند الفرح ويحزنون عند الحزن ويتأثرون بالتمثيل تأثر من شاهد الأصل فنحث أبناء مصر على الإقبال عليهم سعيا خلف ما فيه منفعة النفوس وتكثير الآداب .

\*\*\*

### (لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلا)

هى كلمة أوروبا التى ترددها على أسماع الشرقيين كما فعلت فعلا يحملها عليه الاستعمار الملكى أو الانتشار الدينى وقد احكمت التاليف بين القوتين الدينية والملكية فجعلت الأولى سفير وداد والثانية فارس جلاذ وقد أضاف كل ملك أوروبى إلى عنوان الملك حماية الدين فيقول فى مخاطباته ملك أو امبراطور كذا وحامى الدين المسيحى أو عبارة أشد وقعا فى النفوس من هذه ليعلم الأمم أنه القابض على زمامى السياسة والدين فيؤيد رجال السياسة بتنفيذ ما يروونه من لوازم تأييد الملك وأتباعه ويساعد رجال الدين بما يبعث فيهم الفيرة على بثه والدعوة إليه فنرى رجال القوة ماشين على نسق واحد كل فيما فوض إليه لاتفتت

لهم همة ولا ترقد لهم عين عن وظائفهم التي فيها حياة الدين والملك وزيادة  
شرف الأمم. والأمم لكونهم أدركوا ما قصده الملوك ورجال السياسة وخدمة  
الدين اندفعوا معهم اندفاع السيل في المنحدرات فعمدوا الجمعيات الدينية  
والعلمية والصناعية والتجارية والزراعية والسياسية وأخذ كل فريق في إحسان  
ما كلف به نفسه وأوجبه عليه مجاراة جاره في الملك ومباراة نظيره في العلم أو  
العمل ومسابقة غيره ممن قصدوا قصده فاشتغلوا بما اشتغل به. وقد بلغوا  
القصد في بلادهم وخرجوا من بلادهم محمولين على قوتى الدين والملك  
سائرين على نور العلم والصناعة فدخلوا الأقطار الشرقية سائحين ومتجرين  
واستوطنوها مراقبين ومتغلبين وجراندهم الكثيرة العدد برزت تتسابق في  
ميادين الإنشاء بمواضيع مبتكرة ومقالات مطولة وعبارات مزينة فأصبحت ناقلة  
للأخبار ناشرة للأدب معلمة للعلوم مؤيدة للمبادئ حاثّة على المقاصد منشطة  
للهمم مرشدة للأمم منبهة على الأغاليط محذرة من التقاعد والتكاسل والغفلة عن  
وثبة الجار أو معاكسة المتأخر ناشرة للفضائل مؤرخة لرجال الفضل والعمل  
حافظة لسير الملوك داعية أفراد الأمم إلى ما فيه خير البلاد وتأييد الدين  
خادعة للشرقيين لاعبة بأفكار رجالهم خاتلة لعظمائهم مقبحة لما هم عليه من  
دين وسير ومعيشة وانتماء وصناعة وتجارة وزراعة منادية بينهم بأن الغرب  
محل التشريع ومنبع العلم ومرجع الفضائل لأحياة للأمم إلا بما تأخذه عنه ولا  
مجد لمن لم ينتم إليه ولافضل لمن لم يتعلم فيه ولاشرف لمن لم يتكلم بلسانه  
ويتعبد بعبادته ويتقيد بعادته. هذه كليات تحتاج لبيان جزئياتها التي لا تحتاج  
لبرهان بعد ظهورها للعيان قالت أوروبا إنكم متوحشون لكونكم لاتحسنون صنع  
الأثاث واللباس وأنكم في حاجة إلى مصنوعنا ولاتصلون إليه إلا بعقد  
المعاهدات التجارية وبذا تمكنت من إدخال مصنوعها في الشرق لتحول الثروة

إليها فأماتت ما كان يصنعه الشرقيون وحجرت على ما لا بد منه من صناعة الشرق الهندية وغيرها فما يصنع في الهند والصين والعجم والأناطول وغيره إنما ينفق ويباع على يد الأوروبي كما يباع وينفق مصنوع بلاده فالشرقيون أجراء يزرعون ويحصنون ويصنعون ليرجوا تجارة أوروبا ويعظموا ثروتها ويؤيدوا قوتها الملكية بالإيرادات العالية فلا حظ لهم في الوجود ولا رغبة لهم في الملك كأنهم أمام أوروبا جنس خلق لخدمتها لتقاعدهم عن مجارة أهلها ومما زادهم بعدا عن الصناعة وثمراتها وجود نخلاء أجراء يزعمون أنهم نصحاء يثبطون الهمم ويرمونهم بالضعف ويوهمونهم عدم صلاح بلادهم للصناعة ويفرونهم بتعذر ذلك لتعذر المعدات والآلات وهم يعلمون أن كثيرا من الممالك التي لا آلات فيها استعانت بالآلات اشترتها من الغير واحيت صناعتها الوطنية وحتمت على أهلها شراها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير حفظا لثروة أهلها فهم بصرفهم الهمم بهذه الترهات يريدون بقاء الشرقى في قبضة الغربى احتياجا اليه وترك الشرق ميدانا لمسابقة رجال أوروبا فلا يجنون مصنوعا يعطل عليهم ولا معرضا عن صناعتهم فتبور. وضعفاء العقول يفترون بخداع هذا الدخيل ويظنون أنه من المخلصين فلا يتحركون لعمل من الأعمال لوقوعهم فى اليأس والقنوط بالمفتريات ورجال أوروبا تتعجب من تقاعدهم ويقول لو كنتم مثلنا لفلتم فعلنا.

قالت أوروبا أن وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخليكم بأخلاق آباؤكم بقاء على الهمجية والتوحش فلا بد من مجاراتنا فى حركاتنا المدنية لتساوونا فى الرتبة وفتحت لنا البير والخمارات والمقامر وأباحت الزنا والريا ووسعت دائرة اللهو والخسران فغفل الشرقيون عما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف وانكب الاغبياء والمغفلون على الخمر فسأت أخلاقهم وضعفت

عقولهم وفسدت عقائدهم وتحولوا إلى المومسات فارتكبوا الاثم بارتكاب المحرم  
 والعار باتخاذهم الوطنية آلة للفحش وجعلها عرضة للأجنبي بعدم غيرتهم عليها  
 فهم في رتبة القواد بل هم هم ومال فريق إلى القمار فباع الغيط والدار واضطر  
 لبيع حلى زوجته برضاها أو بسرقة منها والكُل عطف على المرابين يقترض  
 ويصرف في الملامى ومتلفات العقل والجسم والملك حتى أسكن الأروبي مكانه  
 وصار له خادما بعد أن كان عظيما محترما وكلما تهالك الشريقيون على الخمر  
 والملامى وأصلت أوروبا رسائل الخمر وارتحل إليهم المومسات وأرباب  
 الملامى تحويلا للثورة وازهاقا لروح الدين حتى أصبح المتلبسون بهذه القبائح  
 والفضائح لاشرقيين ولا غربيين واتخذتهم أوروبا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها  
 إلى مقاصدها من الشرق وهي تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية  
 وما هي إلا التوحش والرجوع إلى الحيوانية المحضة إذ لو كان الانغماس في  
 الملامى ومفسدات العقل والدين من المدنية لما تحاشته أوروبا وعدت مرتكبه  
 همجيا جاهلا مجنونا ولما وضعت القوانين الشديدة للمسكرات ومنع التلامذة  
 منها ولما كتبت الرسائل العديدة في ذم الخمر والفسوق وحرمان ضعفاء  
 العقيدة والمتقاعدين عن العبادة وحضور الكنائس وإنما هذه إشراك وقخاخ  
 تنصب في طريق الشرقى حتى لا يخطو خطوة إلا وقد وقع في حباله أوروبا.  
 ولما رأته أوروبا أن الشرقيين لا ينتبهون من غفلتهم ولا يعقلون مقاصد الدول ولا  
 يدركون مكاييد الملوك ولا يسعون في صالح بلادهم ولا يحافظون على دينهم  
 ولا يعرفون شرف لغاتهم ولا يحفظون كراسي ملوكهم ولا يهتمهم ضياع أوطانهم  
 اتخذتهم كرة تلعب بهم كيف تشاء وهي تقول لهم لو كنتم مثلنا لفلتم فعلنا .  
 قالت أوروبا إن الشرق في حاجة لتداخل أوروبا لإصلاح إدارته وماليته وتجارته  
 وتهذيب أممه بالتعاليم الأوروبية واجمع رجال أوروبا على جعله قسما مقابلا لها

وربطوا عزمهم على ضمها إليهم الجزء بعد الجزء والقطعة بعد القطعة على اتفاق معقود بين الدول هذا لي وهذا لك ثم تلوا في الدخول فيه تلوى الأفعى وملكوا بعضه بالتجارة والبذل وبعضه بدعوى من حق نولة أو إهانة بواب قنصل أو حفظا لطريق مملكة. والداهية الدهياء أن ملوك الشرق وعظماء ملأوا قلوب أممهم بالأوهام وخوفهم من الأوروي وأرهبهم باسم اللورد والبارون والكونت والمركيز والجنرال والاميرال والسير والماجور حتى خيلوا لهم أن الأوروي ملك يمكنه قلب المملكة أو جني يقدر على حرقها فامتلاوا رعبا وخوفا ولبسوا ثوب ذل وهوان وذلك بسبب المعاملة التي يعاملونهم بها في وقائعهم مع الأورويين وقد اضطروا كثيرا من الوجهاء والنبهاء الذين ينتفع بهم الوطن والملك إلى الاحتماء بالغير تقاديا من تلك المعاملة فكانوا أقوى يد للأوروي في تداخله واستيلائه على ممالكهم . فلوروا رجالهم على الحماسة ومرنهم على الأعمال ويعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة وهذبهم بالأدبيات وصانوهم من المقاسد العقلية وعلموهم العقائد الدينية وعوبدوهم على الشعائر المليية ونهبوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية عارفة بما يقدمهم وينفعهم وأوقفوهم على تواريخ آباؤهم ومسابقات النول في بلادهم ودراسات أوروبا وحذروهم من رجال الفتن والاجراء الذين يخدمون أوروبا باسم المصلحة الشرقية لوجنوا أمامهم رجالا وأي رجال ولكنهم أهملوا ممالكهم وأهدروا حقوق رعاياهم فأصبح ملوك أوروبا يفخرون عليهم ويعيرونها بما صاروا إليه من الضعف والاضمحلال ويقولون لو كنتم مثلنا لقلتم فعلنا .

ولا لوم على الأورويين في ذلك فإنهم إنما يسعون في مصالحهم واتساع ممالكهم وتجارتهم والشرقيون يرونهم يعملون الأعمال العظيمة في بلادهم وهم

ينظرون إليهم نظر المغشى عليه من الموت ولا يتحركون لمجاراته أو لإيقاف تيار  
تداخلهم ويرونهم يسلبون أعمال أمرانهم وولاتهم عملا فعملا وهم ناكسون  
الرؤس ومنكمشون في ثيابهم تسمع منهم أصوات عالية في خلواتهم يظنها  
السامع أصوات أناس حريصين على المجد والشرف فإذا خرجوا إلى الطرقات  
ساقهم أضعف أروبي بعصاه وهم بين يديه كأنهم قطعان الأغنام تساق إلى  
الحظائر. بمن تقيس الجزائرى إذا شاركه التونسي والهندي والمصري  
والقبرسى والعدنى والمسقطى والزنجبارى والبرنوى والبخارى والمروى  
والطاغستانى والتركمانى والسرخسى وقابله المراكشى والأفغانى. برعدة  
الخائف الوجل ونظر إليه العجمى والعراقى واليمنى والحجازى والنجدى  
والسورى والطرابلسى والأناطولى نظر المتوجس الحذر الذى تبعثه الهمة  
وتعده اللة كلما شموا رائحة السلم من دولة جا هم انذار الحرب من أخرى  
سعي خلف الدين لا طلبا لسعة الملك فإنه لو كانت الدولة العثمانية مسيحية  
الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة التى هى جزء منها فى  
الحقيقة ولكن المغايرة الدينية وسمى أوروبا فى تلاشى الدين الإسلامى أوجب  
هذا التحامل الذى أخرج كثيرا من ممالك الدولة بالاستقلال أو الابتلاع. وإنما  
نرى كثيرا من المغفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم أوروبا يذمون الدولة الطيبة  
ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الإدارة وقسوة الحكام ولو انصفوها لقالوا  
إنها أعظم الدول ثباتا وأحسنها تبصرا وأقواها عزيمة فإنها فى نقطة ينصب  
إليها تيار أوروبا العدوانى لأنها دولة واحدة إسلامية بين ثمانى عشرة دولة  
مسيحية غير دول أمريكا وتحت رعايتها جميع الطوائف والأجناس والأديان  
وكثير من اللغات والفنون متواصلة من رجال أوروبا إلى من يماثلهم مذهباً أو  
يقرب منهم جنساً وكل دولة طامعة فى قطعة تحتلها باسم المحافظة على

حدودها أو وقاية دينها مع اتساع أراضيها وعدم وجود السكك الحديدية  
المسهلة للنقل والتحول وعدم وجود أنهر مستمرة الفيضان في غالب أراضيها  
ووجودها تحت رحمة الله تعالى إن شاء أمطرها فأخصبت أو منعها فأجدبت  
وهذه أمور لو ابتليت بها أعظم دولة أوروبية ما قاومت هذه الصواعق أكثر من  
عام أو عامين وتسقط أو تتلاشى. ولكنها تلام على إعطاء السكك الحديدية  
التزاما للأوروبيين بواسطة أناس يزعمون أنهم من رعيته ظاهرا وهم  
فرنساويون أو انكليز باطنا فإن السكك الحديدية بالنسبة إلى المملكة  
كالشرايين بالنسبة إلى الجسم فهي من أعظم العلل التي ستتخذها أوروبا  
وسيلة للتداخل باسم وقاية أملاك اتباعها ومن لن يكف يد الوزراء عن مثل هذا  
التهاون ويكفي ما جرى وما ذهب منا سدى فإن ارتكنا على الشروط فقد ارتكنا  
على أوهم من العنكبوت فإننا لم نقدر على تنفيذ عهدة برلين فيما يختص بنا  
وقد وقع عليها النول فكيف ننفذ شروطا بيننا وبين رجال جعلتهم النول ذرائع  
للتداخل ووسائل لا سوء المقاصد. ولقد أذهلتنا أعمال أوروبا التي لم تسمح  
لشرقي بامتلاك شبر في أرضها وهي تخرجنا من مساكننا وتقيم فيها بلا  
شروط معقودة ولا حجة مسجلة ولكنها معنورة فإنها لم تجد من يعارضها أو  
يجاريها فهي لاتعترف اننا معها في ثوب الإنسانية بل تقول لو كنتم مثلنا  
لفعلتم فعلنا .

إن دولة من دول أوروبا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء وإنما باسم  
الإصلاح وبث المدنية وتتأدى أول دخولها أنها لاتعرض للدين ولا للعوائد ثم  
تأخذ في تغيير الاثنتين شيئا فشيئا فلا تقدم على العمل بل تفعل الشيء على  
قبل التجربة فإن نفذ فقد مضى وإن عورضت فيه التزم التويل كما تفعل  
فرنسا في الجزائر وتونس حيث سنت لهم قانونا فيه بعض مواد تخالف الشرع

الإسلامى بل تتنسخ مقابلها. من أحكامه ونشرته فى البلاد واتخذت لتتفيذه قضاة  
ترضاهم ولما لم تجد معارضا أخذت تحول كثيرا من مواده إلى مواد ينكرها  
الإسلام توسيعا لنطاق النسخ الدينى ولم تلبث أن جارينها وأخذنا بقانون  
يشبهه إن لم يكن هو هو ولم ينتطح فى إصلاح مواده المخالفة عنزان ثم  
تداخلت فى الأوقاف واستولت على غلها ومنعت المستحقين وطردت كثيرا من  
خدمة المساجد اقتصادا ماليا وتخفيفا دينيا ثم رفضت ضباط العساكر  
الوطنيين الكبار واستبدلتهم برجالها خوفا من ثورة يدفعونها بها عن بلادهم أو  
يحمون بها دينهم ثم حجرت على المدارس تعليم بعض علوم شرعية والزمتهم  
بتعليم لغتها والأخذ بالطبيعيات والرياضيات حتى لا يشم الأبناء رائحة الدين  
لئلا يعلموا أنهم يغيرونهم دينا فيثورون عليهم أو يلتجئون إلى دولة أخرى وهذه  
عواقب الالتجاء إلى دول أوروبا والاعتزاز بوعودها الخلية وشروطها المكتوبة  
بالماء على صفحة الهواء. وهذ دولة الروسية نخلت مرو وهراة ويخارى باسم  
حمايتها من اعدائها وبعثت إليها بتجارتها فنقذت ثم برجال يساكنون أهلها  
فمضوا ثم بعساكر فى الحدود فأقاموا ثم بشروط تربطها بها فأمضيت ثم هى  
أخذة فى تقدم لغتها هناك توصلا لاعداء اللغات الوطنية التى يموت بموتها  
الدين وحمية الجنس والغيرة الوطنية وهذه انكلترة دخلت مصر باستدعاء أهلها  
وأخذهم بناصرها بعة تأييد المركز الخديوى الشريف ثم زيد على تلك العلة علة  
بث النظام ووضع حكومة ثابتة تشابه حكومات أوروبا وقد بذلت ما فى وسعها  
فى التحسين والتنظيم بما يتراعى لها ولم تجد غير أذان سامعة وأيد عاملة  
ولكننا مع كثرة سماعنا وتعليمها لنا لم نقلدها فى شيء مما دخلت لبثه فينا بل  
تركناها تفعل أفعالها ونحن نتفرج عليها كأننا فى ساحة سيمابوى يرينا من  
أعماله العجائب ونحن فى حيرة من العابة المدهشة. ومن جهل أعمال انكلترة

فى مصر بيناها له ليرى أنه حقيق بما يوجهه إليها من النكير.

أولا أطلقت حرية المطبوعات والأفكار فرأينا الجرائد الكثيرة تتكلم بما تريد وتتصرف فى أفكارها كيف تشاء. هذه تقول أنا وطنية أناذى بأن خير البلاد وصلاحها موقوف على جعل الأعمال بيد المصريين تحوطهم عناية الحضرة الخديوية تحت مراقبة بريطانيا العظمى حتى إذا رأيتهم قاموا بحكومة ثابتة مؤيدة بالقانون الحق الناقد وقت وعدها واجلت جندها وتركتهم يتمتعون بحريتهم فى بلادهم كما تتمتع البلغار والجبل الأسود والسرب وغيره مما هو أقل من مصر بكثير والأمة مرتاحة لها. وهذه تقول مصلحة البلاد موقوفة على زيادة نفوذ الانكليز فوضع الإدارات تحت أيديهم بمساعدة النزلاء حتى يتهاى المصريون لاستلام أعمالهم لاتبالى رضى عنها المصريون أو غضبوا منها. وهذه تقول إن فرنسا هى الدولة الوحيدة فى المحافظة على مصر وحقوق السلطان فيها وتأييد الخديوى ولايضرها إلا وجود الانكليز فيها.

وهذه مذبذبة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهذه علمية تهذب النفوس وهذه تورد لهم من مصادرات الأديان ما يوقعهم فى الشك والتردد وهذه دينية وهذه حقوقية وهذه طيبة. ثم تركت المصريين يغدون ويروحون بين هذه المتناقضات وهم يتناظرون ويتجادلون لارقيب عليهم ولاجاسوس ولما رأت أن كثرة المؤثرات الفكرية لم تتبهم على طلب حقوقهم وظهورهم أمامها بالتظاهرات الأدبية استدلالا على استعدادهم للقيام بأعمال بلادهم تركت الجرائد تخوض فى المواضيع المتضادة وتلعب بالأفكار الجامدة ونحن فى بحار اللهو غارقون.

ثانيا : إنها كفت يدها عن الأعمال عند دخولها مصر وسلمتها إلى المصريين ظاهرا لتقيم الأدلة لأوروبا أنها ما دخلت إلا لتراقب المصريين وتشير عليهم بما

فيه التوفيق بين مصالحهم ومصالح الدول ولما لم تجد أمامها من يجعل هذا الظاهر باطنا بحصر السلطة في الذات الخديوية الفخيمة والإدارات في الوطنيين أخذت تقول وهم يفعلون حتى. أصبحت تفعل وهم لا ينطقون وكانت تتقى باسمهم المطاعن الأوروبية حتى خلا الجو وامنت الاعتراض فأخذوا يذمونها ويرمونها بخلف الوعد ونكث العهد وعدم الصدق وطول الباع في الخداع وهم غير محقين فإنها ما دخلت إلا لتعمل عملا أمام أوروبا قلما فوضوا إليها الأعمال استلمتها بهمة ونشاط. ومثلها ومثلهم كمثل لص دخل دار قوم وقال لهم حملوني ما عندكم من أثاث وحلى وأتية فأخذوا يحملونه ما يبيد من غير معارضة فهل إذا دخل عليه البوايس وأهل الدار يحملونه بأيديهم يقول هذا لص كلا بل يقول إنه صاحب الدار وهؤلاء خدمه.. أيرون أن الانكليز هم الذين نشروا منشور المومسات. ورخصوا للنساء أن يخرجن للبقاء تحت حماية القانون. أم هم الذين سنوا كشف الأطباء على البغايا واعطاهن شهادات بآتهن صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراة بتحليل ما حرمه الله تعالى في كل كتاب. أم هل قالوا للمصريين ستتنفق ملايين في المقاولات والأعمال الهندسية من غير أن نسأل عما نفعل فيها فأياكم والسؤال عن مبالغ ستكتون عبيدا مكلفين بسدادها إلى روتشك وغيره. أم هم الذين اعطوا الالتزامات الواجورية والأرضية ووسعوا نطاق المعاهدات إلى أن ضيقوا كل عمل مصري. أم هم الذين منعوا المصريين من زراعة الدخان والحشيش لتروج مزارع أوروبا بخراب بيوت هؤلاء الضعفاء. أم هم الذين باعوا مهماتهم والآتيم بغير ثمن وربما اعطوا من أخذها شيئا يستعين به على نقلها حتى تركوا البلاد محتاجة لمن يحرسها بالعصا أو بالنبوت. أم هم الذين أبعدوا المصريين عن الخدمة وحشروا الغرياء في المصالح حتى أصبح ألوف من

المصريين لا يجدون القوت ولا يعرفون لاستخدامهم مرة ثانية سبيلا. أم هم الذين قللوا من تلامذة المصريين في مدارسهم وأكثروا من استخدام الأجانب فيها وتدرجوا لإماتة لغتهم الوطنية بفرض المكافآت لمن ينبغ في الانكليزية لتتسى لغة القرآن فينسى بها الدين الواقف عقبه أمام أوروبا كما يصرحون بذلك في مجالسهم وأندية شورايم. لا والله ما نالوا أملا ولا قارفوا عملا ولا أذلوا رجلا ولا خربوا بيتا ولا هتكوا حرمة إلا بالمصريين. ماذا على الانجليز اذا سيعوا في ربح تجارتهم واستخدام ابنائهم ولم يجدوا عائقا أيرجعون وهم لهذا مرتحلون. ومن يلومهم إذا وجدوا طريقا لتوسيع ممالكهم لآخوف فيه ولا عقبات أيتركونه وهم في جميع بلاد الدنيا طامعون كانوا يرون أن المصريين إذا رأوا دولة حرة دخلت بلادهم لتأييد خديريهم وإصلاح بلادهم وتعريفهم حقوقهم بين الأمم تجمعوا حول أميرهم حاملين كرسى فخامته على رؤسهم منادين باسمه قائمين بتنفيذ أوامره محافظين على حقوقه مستميتين في اختصاصهم بأعمالهم والقيام بشعائر دينهم مجتهدين في حفظ الأمن وخدمة البلاد حافظين لحقوق الأجانب والغريباء والنزلاء والمجتازين جاعلين حافلهم التي استخدمتها أوروبا في مصالحها محافل وطنية تستخدم أوروبا في مصلحتهم فكانت تساعدهم على هذه الأمور التي تعهدت لأوروبا أن تعلمها للمصريين وتؤهلهم إليها ولكنها رأت غير ما ظنت فلا لوم عليها إذا وضعت قدمها على عمامنا لتعلموا جواد الفخر والخيلاء .

لماذا نتألم من أعمالها وامراؤنا اقتصروا على القعود في القصور وركوب العربيات للتفسيح في المنتزهات وعقلاؤنا صامتون لا ينطقون بكلمة رجاء أو صوت استصراخ وضعفاؤنا حيارى ينتظرون هؤلاء وهم عنهم لاهون ونهياؤنا في المحافل يتحاورون ويتناظرون بما لا يفيد الوطن والملك شيئا متعللين بأن

مخالفهم لاتعرض للسياسة ولا للدين فإذا انصرف النبهاء عن وجهتى السياسة والدين فبمن تقوم الأعمال ويتقوم أود الحكومة ويبقى عمود الدين قائما كبقية الأديان. أبا لأخاء الذى ربطناه بين الأجنبى نتخلى له عن مرجع المجد واصل الشرف. وهل تريد أوروبا أن تنتصر علينا فى حرب عوان بأكثر من صرف نبهاء البلاد عن النظر فى الملك والدين ليخلوا لها الجو فتفعل ما تشاء وتغير ما تشاء مع أن النبهاء يمكنهم أن يستخدموا مخالفهم فى مصالح بلادهم فيتمكنوا بقواهم العقلية مما لايمكنهم منه سيف ولامدفع من غير إثارة فتنة أو إراقة قطرة دم ويصلحون ما أفسده الاغترار والانخداع ويحدثون فى البلاد عصبية وطنية لاتردها أعظم أمة عن مشربها المصرى وسعيها المؤيد بربط القلوب على عزيمة واحدة صانقة. وما الذى استفاده النبهاء المصريون من الأخلاط والامشاج غير تقدم الغير وتأخرهم واتخاذنا بيت مال لفقرائهم وعجائزهم. دعونا من المجاملة فى الكلام والتستر بما استهجنه العقلاء ما ابتدعت المحافل إلا لتصير الممالك دستورية وقد نجحت فى ذلك وقلبت كثيرا من ممالك أوروبا وحيث أننا بين يدي حكومة دستورية فلم لم نؤيدها بعصبية وطنية ونظهر من أعمالنا ما تفتخر به انكلترة أمام أوروبا وإلا فإن بقى الأمراء فى البيوت والنبهاء فى المحافل على ما هم عليه والعقلاء صامتين والضعفاء طائرين حول أوهم الأجنبى وإرهابه والخديوى الأعظم ينظر إلى هذه الجموع نظر الأب الرحيم إلى الأبناء العاقين فلا تعترض على بزير افريقية فضلا عن الانكليز اذا جاوا وأخرجونا من مساكننا وأبعدونا عن عائلتنا وتمتعوا بما نخلفه لهم من عرض ومال ومتاع وعقار. مضت والله أيام التقاعد والاغترار بالترهات وصرنا بين يدي خديوى يريد أن نجاري الانكليز فى الأعمال الإصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية ونحن عن إرادته السنية ساهون، ويحب أن نتقدم فى التجارة

والصناعة والزراعة والمعارف ونقبض على أزمة أمورنا ونحفظ عرشه المصرى  
بالمصريين ولكننا عن نظره العالى عمون. يتألم من ضياع المصرى  
والاستخفاف به وتركه فى زوايا الإهمال أكثر من تألم المبعدين ولو أحسننا  
بما عنده من الآلام لبنتنا لمضاجعنا جافين. إن أوروبا تنظرنا من بعيد لترى  
أعمالنا وما نتقلب فيه من الأحوال وما تهدينا إليه انكثرة مما تؤيد به الخديوى  
الأفخم كمنشورها التداخلى ونحن عن هذا كله لاهون. كفوا أيها المصريون عن  
القييل والقال فقد غيرتنا الأمم بأننا نقول ولانفعل وظهروا بين يدي انكثرة  
برجال يسرها تجمعهم حول أميرهم الذى جاءت تؤيده واطلبوا منه حقوقكم  
المقدسة واشكروا انكثرة على ما أوصلتكم إليه من الحرية التى تركتكم  
تتظاهرون تظاهرا أدبيا طلبا للحقوق وسعيا خلف الحقائق والامتيازات الوطنية  
فإن كل انكليزى يراكم فى هذا التقاعد وهو يدأب فى عمله الليل والنهار يقول لو  
كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا.

لكم قائل «بيدى لا بيد عمرو» مضت السنين العشر التى قابلتم غرتها بالأفراح  
والزينة وطرتم فيها حول الأوهام طربا وسرورا وعميتم عن سوء العاقبة فأنشد  
شعراؤكم القصائد الطنانة الرنانة مدحا وثناء وشربتم الخمر جهارا باسم من  
استعديتموه على بلادكم ونصرتموه بتثبيط إخوانكم وبذلتكم أموالكم وأرواحكم  
فى دخولهم البلاد والتخلى لهم عما بأيديكم من الأعمال. ولطالما طأطأتم  
الرؤوس وحنيتم الظهر وركعتم أمامهم تعظيما وتسليما وبصقتم على وجوه  
إخوانكم ولبستم أجمل ثيابكم تنتظرون يوما يقتل فيه مائة ألف مصرى. فهذه  
الأيام تريك كيف تدور الدوائر وكيف تتقلب الأحوال بالأموال على من لم يقرأ  
العواقب ومن يلقى نفسه بين نيوب الصل خائفا من العظاية (السحلية) فقد  
ابدلت المصائب الولايم الأجنبية بالمآتم الفقرية وبعتم لتكسير أعواد الطرب

والسرور وضرب دف الندب والرتاء، وهل تجزون إلا ماكنتم تعملون. مضى أمس بخيره وشره وجاء اليوم بتحذيره وأنذاره وقد سار المرحوم أفندينا توفيق باشا إلى جنة ربه. وزين عرش الحكومة المصرية الملحوظ بعناية الله تعالى أفندينا عباس باشا الثانى ولا عسكرية تطلب منه حقوقا وطنية فيقال إنها تريد أن تستبد عليه أو تضعف سلطته فنؤلى أن يستعين بدولة كذا. ولا خوف عنده من أجنبي يهدده بمنشور ينشره ليجعله وسيلة للتداخل العدوانى. ولا أحزاب بين يديه فرقتهم الضغائن الباطلة فشقواعصا الجامعة الوطنية والوحدة الدينية بوسوسة جاهل وتزغ محتال. بل هو الهمام الحازم الصابق الوطنية المحب لجميع أجناس رعيته على اختلاف أديانهم الساعى فى منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الإدارية وما يحتاج فى تنفيذ إرادته إلا إلى رجال نبهتهم صدمة أوروبا إلى الرجوع عما هم فيه من الاغترار والاستغفال فحاطوا أميرهم مخلصين فى انقيادهم إليه لينادى بهم رجال انكلترا قائلا هؤلاء رجالى الذين تريدون أن تؤيدوا بهم حكومتى النظامية فضعوا الأعمال فى أيديهم واختبروهم فيما يقومون به من الأعمال. هؤلاء الذين ربتهم مصر وشهدت لهم أوروبا ووقفوا مع سابقهم تسعين سنة يديرون الأعمال بأنفسهم ويصلحون البلاد حتى حاكوا بها مدن أوروبا الشهيرة بل ربما وجد الأجنبي فيها من الراحة ما لايجده فى أعظم مدن أوروبا هؤلاء الذين قلتم لأوروبا إذا وجدنا قوما لهم قدرة على الأعمال وفيهم استعداد لحفظ لآمن ونشر المدنية سلمناهم بلادهم وودعناهم بسلام فهلا جريتوهم فى عمل. هؤلاء الذين لا يحتاجون لمجاراة غلاستون فى سياسته ولايسمارك فى خداعه ولا القيصر فى شدته فإنهم يديرون أعمالا بسيطة مكتولة بالقوانين والنظامات ليس فيها سعى خلف استعمار ولا اجتهاد فى نشر دين ولاتحايل على توسيع حدود فأية صعوبة فى مثل هذه الأعمال.

هؤلاء الذين جئتم لتأييدهم في مراكزهم ودفع يد العدوان الوهمي عنهم وقتلهم في مصر من الرجال فلان وفلان فلا يحتاجون إلا إلى مراقبتهم مدة قصيرة في إداراتهم الجديدة. هؤلاء الذين درسوا أعمالكم وحفظوا نظامكم ووقفوا منتظرين تحقيق الآمال وصدق الوعود فعلاهم تتعبون في تهذيبهم إن كانوا لا يصلحون . وماذا ترجون منهم بعد تعليمهم أصولكم العسكرية والإدارية والمالية والقضائية إن كانوا لا يصلحون. هؤلاء الذين هم أحق وأولى من غريب تستخدمونه بأموالهم المتحصلة منهم وتتفقون عليه من ذهب ما دفعه أوربي ولا حصله غير مصرى فأى مانع يمنع المصريين من المطالبة بحقوقهم بالتظاهرات الأدبية أصرنا أقل درجة من فعلة الانكليز والفرانكين الذين تعصبوا لحقوقهم وتجمعوا لراحتهم وأذهلوا العالم بأفعالهم التى ما دخلها شغب ولا تخللها خلل. وكأنى بدخيل يوسوس للأجانب قائلاً إن الأستاذ يدعو إلى ثورة مصرية بهذه العبارة فقد تعودنا سماع الأراجيف من الدخلاء وتسليط الأوروبيين على كل بلد نوذي فيه بالمحافظة على وطنيته ونحن نضع حجراً في فم هذا الدخيل قبل أن يحرك شفثيه بكلمة اغراء. إن المصريين قد جربوا أنفسهم فى التظاهر بالقوة فوقف شقاقهم بينهم وبين الظفر بالمقصود وهم شاكو السلاح كثير العند والعدد والآن لاقوة بأيديهم ولا سلاح وقادة الجند من الأجانب ولا يحمل العسكرى إلا بندقية فارغة حكها حكم عصا الراعى. ولا موجب لحركة الأهالى حركة عدوانية بعد خضوعهم لأميرهم وأنقيادهم إليه فى السر والعلن. وقد تأدبوا وعلموا دسائس أوروبا وتتهبوا لمقاصد الدول وسعيهم فى اتخاذهم آلة لبلوغ مآربهم لا لمصلحة المصريين معاذ الله ولا لمنفعة المسلمين استغفر الله فما من مصرى إلا وهو يعلم الآن أن أوروبا لاتصدق فى قول ولا تقى بوعد ولاتحب شرقيا ولا تسعى فى خير مصرى وإنما

هى ملاعب سياسية يقدمونها بين أعين الجهلاء الذين لاخبرة لهم بدهاء الدول  
ومطامعها يستميلونهم بها استعماله الطفل بقطعة حلوى أو ثوب منقوش. ومن  
انتهى بهم الأمر إلى الوقوف على الغايات والمقاصد السيئة مع فراغهم من  
المعدات الآلية وعدم حاجتهم إليها يستحيل عليهم أن يكدروا صفو الراحة  
بشغب أصوات فضلا عن قعقعة سلاح. وما يدعوهم الاستاذ إلا إلى مجارة  
الأوروبيين فيما هم فيه من معرفة وقدر نفوسهم والمحافظة على حقوقهم  
ولفاتهم وأديانهم وعوائدهم والدأب خلف الاستقلال بأعمال بلادهم فإنهم  
لايجهلون أن كلا من السرب والبلغار والجبل الأسود ورومانيا أقام تحت  
تصرف الدولة العلية أكثر من خمسمائة سنة وفى هذه المدة ما استطاعت  
الدولة أن تغير دينهم أو لغتهم أو عاداتهم بل حافظوا على الأصلين العظيمين  
اللغة والدين وزاحموا ولاة الترك فى الأعمال والإدارات وأكثروا من الصياح  
والاستنجاد حتى وقعت الحرب الأخيرة واستقلوا فلم يحتاجوا لتجديد لغة أو  
عهد دين أو إعادة معبد ووجدوا أنفسهم هم الذين كانوا قبل ذلك بخمسمائة عام  
وقد قوبلوا على ذلك بمدح جميع أوروبا وثنائها عليهم وكان من أعظم  
المساعدين لهم بل المنحركين لهم نفس انكلترة التى نريد أن نجارها فى  
أعمالها أو نجارى من أنجدهم من بعيد ونحن أقرب إليها من حبل الوريد.  
والاستاذ يعرض مقالته على كل عاقل منصف مصريا كان أو غير مصرى  
وأظنه لايسمع إلا قول المخلصين إنها إخبار بحقائق وطلب بحقوق لاتمس  
شرف رجل ولاتعرض لأمة ولا تطعن فى سياسة وإنما هى محض درس تهنيئى  
لمن يسوهم قول الأوروبيين لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا .

قضى المسلمون مع الأقباط ثلاثة عشر قرنا وهم فى اختلاط أهل بيت ومعاملة  
عشيرة واتحاد عائلة ما جرى بينهم يوما واقعة عنوانية مسببة عن اختلاف

الدين كما نشاهد ونسمع من طرد اليهود من بلادهم وسلب أملاكهم وحلبيهم  
واستحلال تعذيبهم وسوقهم إلى سيبيريا حفاة فيهم القيود والأغلال وتخييرهم  
بين الانتقال من بينهم أو الرضال بالاشغال الشاقة في سيبيريا التي هي جهنم  
العذاب أو جهنم شبيهة بها . ولا فعل معهم المسلمون مثل ما فعلته فرنسا مع  
الجزويت وهم إخوانها في الدين وان اختلفوا في المذهب ولا مثل ما فعله البلغار  
مع المسلمين من هدم مساجدهم وقتلهم وهم في الجمعة يصلون ولا مثل ما  
فعله الروس في الشركس الذين اضطروا لترك أوطانهم وأثاثهم وماشيتهم  
وهاجروا إلى بلاد الدولة مشاة لا يحملون إلا أجسادهم . بل بقينا معهم كل هذه  
العدة تتبادل الوظائف والزيارات وامتلاك الطين والعقار فلم نسع في شق عصا  
اجتماعهم وتفريق كلمتهم لنتخذ ذلك ذريعة إلى أمر مطوى في باطن المستقبل  
ولهذا لم تجد دولة من الدول العدوانية علة دينية تتداخل بها في شأن مصر  
باسم راحة المسيحي والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الأقباط حريتهم  
في عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجابا بين مصر وبين تلك  
الدعوة التي تعودتها أوروبا تغريرا وتضليلا وفتحا لباب الحروب بعلل وهمية لا  
وجود لها في الخارج . ولهذا نرى المسلمين متأملين من انشقاق اخوان الوطنية  
وحل رابطتهم التي مضت عليها القرون الكثيرة وهي أوثق رابطة عقدت عليها  
القلوب لا الخناصر والكل يهجس ويضمن في الباعث والعاقبه فقد أدبتهم  
مساعي أوروبا الخيرية ووجدوا تحت كل نصيحة من نصائحها أساليب شتى  
للإذلال والاستعباد على أن الأمر لو كان متمحض القبطية لساء المسلمين  
تتأفرمهم وهجرهم كئاشهم ومقابلة بعضهم بعضا بصدور ممثلة بغضا وحقدا  
بعد أن كانت وعاء ألفة ومحبة وهذه ثمرة المخالطة الأجنبية وحسنة من حسنات  
أوروبا التي تتصدق بها علينا وأسنا نتكلم في الشقاق من حيث داعيه وإنما

نتالم منه من حيث هو شقاق بين طائفة صغيرة يكفى فى فصل القضاء بينها أحد العقلاء حرصا على الجنسية والجامعة الوطنية وجبرا لصدع قلوب كلها فروع أصل واحد ولا نتكلم على الباعث الدينى باكثر من أملنا فى التوفيق بين الفريقين وسد الأذن عن سماع الأصوات الأجنبية التى تحرك النفوس وتظلم القلوب وتدخل المجموع تحت كلية اتفقنا واختلفتم لو كنتم مثلنا لفلتتم فعلنا

فيا بنى مصر لم تبق قطعة فى الأرض إلا والجرائد تنقل لكم أخبارها وترىكم أعمالها فإذا لم تكونوا أهلا للاختراع كما قال لكم أحد الانكليز فقلوا عقلاء أوروبا فى أفعالهم وكفالكم الاغترار بترهات المضلين واللياذ بالأجنىبى الذى سلبكم ثوب المجد ولم يبق إلا أن ياكل لحمكم ويشرب دمكم غيظا على أمة تدفعها الطوارئء إلى وهدة المصائب وهى قادرة على دفعها ولا تتحرك ولا حركة مذبوح. ليعد المسلم منكم إلى أخيه المسلم تاييفا للعصبية الدينية ويرجع الاثنان إلى القبطى والاسرائيلى تأييد للجامعة الوطنية وليكن المجموع رجلا واحدا يسعى خلف شىء واحد هو حفظ مصر للمصريين. ايكفينا من الثروة أن نرى أكبر تاجر منا لا تزيد مألتيه عن عشرين ألف جنيه وإذا عدنا هذا القسم قلنا واحدا اثنان فإذا انتهينا إلى التاسع وقفت بنا الأعداد أما تتحرك الهمم الخامدة لفتح محال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيرا وتفتح بيوتا أغلقت أبوابها أو كادت أعجزنا عن مجارة الأمم حتى فى هذا العمل الذى يقوم به الاميون والجهلاء الذين تبعثهم ضرورة المعاش إلى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد. ألا تقدرين على عقد شركات تشتري أجزاء من أطيان النومين أو الدائرة لتربحوا منها وتستخدموا فيها أحكام الفلاح وتعوضوا بعض ما أضاعه الإسراف فى الملامى والخروج عن الحد وصيره فى يد الأجنىبى . أفلا يحسن فى أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم تهذبونهم فيها

وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجة الأوروبية التي تفرسها ببلادنا مدارس أوروبا في أزمانهم تداركوهم قبل أن تفقدوهم. عرفوهم أنكم أبائهم قبل أن ينكروكم. لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم. حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم. ربوهم إلى الوطنية قبل أن يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدمائكم إلى من ربوهم وتبنوهم «جازو الحزام الطيبين» ومرق السهم من الرمية وأصبح لقيفهم ينادى غافلكم

فإن كنت مأكولا فكن خير أكلى وإلا فأذركنى ولما أمزق

وارحمته لصبية وضعهم الله تعالى أمانة في أيدينا فحناء فيهم وأسلمناهم إلى أجنبي يسقيهم شرابا ما شرهه الآباء ويسوقهم في طريق ما سلكه الأجداد وكلنا يعلم ذلك علم اليقين وفيه القدرة على حفظ ابنه من هذه النزعات السيئة ولا ندري ما يمنعنا من ذلك أخذت أبنائنا في الحديد وسيقت إلى هذه الساحات الأجنبية لا والله. أم أكرم هنا الحاكم على إرسال ابنائنا إلى الفرير والأمريكان وغيرهم لا والله. أم جهلنا ما يتعلمونه من مغاير الدين واللغة والعادات لا والله. نحن سلمناهم بأيدينا وصرقنا على إخراجهم عنا من مالنا ورضينا بما هم فيه من النقل وسوء التعليم فنحن عنهم بين يدي الله مسئولون. نعلم أن أوروبا لاتعطى شهادة لتلميذ إلا إذا أحسن لغته كل الإحسان ولا تدخل تلميذا يغاير التلامذة مذهباً إلا إذا صلى على مذهبهم أو يبعونه عنهم وتنقل لنا الجرائد أخبارهم وسعيهم خلف تعليمهم الوطنية وحقوق الجنسية فهذه انكلترة الحريصة على جنسيتها المتعصبية لدينها أشد التصعب تطالب الأمة بتعليم أبنائها حقوق الوطن والجنس مع أنه ليس وراء ما هي فيه من ذلك مطلب لطالب. وهذه فرنسا تصدر المناشير إلى الكنائس تلزم الأمة جميعها بالصلوات لله

تعالى رجاء أن يخلصها من العراقيل التي هي فيها وهاتان هما الدولتان اللتان  
تدعيان انحصار المدنية فيهما فلم لانقلدهما في المحافظة على الوطنية  
والجنسية والدين وبنادى بذلك في القرى والمدن وحجتنا حاجتهم وحاجتنا  
حاجتهم، نرى كثيرا من الشرقيين بل المصريين يحومون حول حمى الأجنبي  
ليأذا به وطلبها لمعرفة فهل تناول منه إلا لقمة لو لم يجده لطحها للكلب ولكنها  
فضلة طعامه وفتات خوانه وهل جلس في حضرته إلا مهينا مزدرى منظورا إليه  
بعين الاحتقار بل الاستعباد وهل مكنه من أضعف الأعمال إلا ليستعمله آلة في  
تنفيذ أماله وتحقيق أمانيه وهل بش في وجهه مرة إلا ليدخل عليه غفلة الرحمة  
والحنان ليصرف نظاره عما يراه من سلب الحقوق، أن والله أن يتبصر  
المصري ويشابه رجال أوروبا في الأخذ بالحزم والاعتماد على صدق العزم  
حرصا على ما بقى وطمعا في فرص المستقبل وتحقيقا لأمال الانكليز في  
صلاحنا على أيديهم حتى لايبكتونا بقولهم لو كنتم مثلنا لفلتم فعلنا «طول  
العمر يبلغ الأمل» وبالرفق يستخرج الإنسان الحية من وكراها فلايحملن الطيش  
الأحمق منا على التهور والتخلق بأخلاق اليهيم فإننا نعلم أن صيانة بلادنا  
موقوفة على حفظ الراحة ومعاشرة الأجانب والنزلاء بالمعروف ويقائنا على الهدو  
والسكون وبعدنا عن الفتن التي يحركها الدخيل والأجنبي لمصلحة دولته فيجنى  
ثمارها ويلحقنا عارها وناهيكم مذبحه الاسكندرية التي تعيرنا بها أوروبا إلى  
الآن وهي تعلم من أحدثها من رجالها بحيث تسميهم رجلا رجلا تقدر ما صرف  
للإجراء جنيتها جنيتها وقد نجت من نسبتها إليها وجعلتها قويا في غرة مصر  
ومصر بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولا ننسى العار الذي ألحقه بنا  
بعض المأمورين في فتنة طنطا التي دفعته اليها اليد الأجنبية أيضا فباء بخزي  
الدنيا وعذاب الآخرة ولحق ببيتة غير مأجور على سعيه ولامشكور على فعله

وهذا جزاء ضعفاء العقول الذين يتجرأون على ضرر عباد الله وإهلاكهم قى  
 مصلحة من يرضيهم بما لا يساوى قلامة ظهر إنسان تاله أنه لو جاز لمصرى  
 أن يصرح بكل ما يعلم لذكرنا من الحقائق العنوانية ما يكون عبرة وذكرى لقوم  
 يعقلون. وفي الإشارة ما يغنى عن الخبر. فاعتبروا يا أولى الألباب. ومن لم يقرأ  
 العواقب وقع فى المعاطب. والعاقل من اعتبر بغيره. فالله الله أيها المصريون  
 فى أنفسكم وأميركم وأعراضكم وأموالكم وبلادكم. جاهدوا أنفسكم فى توحيد  
 كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن أبواب أوروبا وفتنها واخدموا بلادكم بظهوركم  
 أمة واحدة واقفة على قدم الخدمة لاميرها والمحافظة على حقوقها والمطالبة  
 بخصائصها ولا تشغلكم المظاهر الأجنبية عن تصحيح أغاليلكم وتطهير  
 بواطنكم ولا تنظروا أنكم عاجزون عن استرجاع مجدكم والقيام بأعمالكم فإنما  
 أنتم بشر مثل رجال أوروبا ولكنهم تجمعوا وافترقنا وعرفوا حقوقهم وجعلناها  
 ورفضوا نصائح الغير وقبلناها وحفظوا دينهم ولغتهم وجنسياتهم وتهاونا فى  
 البعض وتركنا البعض فإذا جاريناهم فى طرقهم الوطنية ساويناهم فى  
 الخصائص والمزايا ووثنا لنا تاريخا جليلا يفتخر به الأبناء وترحم بسببه الأباء  
 . عما قريب تنبش قبور آبائكم وأضرحة عبادكم وسادتكم لتؤخذ تلك العظام  
 النخرة إلى معامل سكر أوروبا حتى لا يبقى هناك أثر لذي مجد من الشرقيين  
 فإن خفتم من ذلك فاتخذوا اعظم الوسائل لبقاء موتاكم متوسدى تراب قبورهم  
 فإننا نرى الأوروبيين ينقلون عظام موتاهم من بلاد حاربوا فيها ليحفظوها فى  
 أوطانهم حتى يزورها الآتى ويقرأ تاريخها العجيب.

لاتظنوا أن هذا لسان التخريف أو التزييف فإنكم ان استبعدتم الأمر وانتم على  
 ما انتم فيه من التهاون والإهمال فكل ما هو آت أت وأن تنهتكم لذلك وحافظتم  
 على أوطانكم بالمحافظة على امتيازاتكم المكفولة ببقاء الخديوي الأعظم فى

منصة حكمه مؤيدا بخضوعكم إليه وتأييدكم مبادئه الوطنية وأعماله الإصلاحية  
رضى الله عنكم وأرضاكم وحفظت أضرحة ساداتكم وقبور موتاكم وما ذلك  
بعزيز على أمة خالطت كل الأمم وقرأت تواريخ الممالك وتعلمت كل ما يلزم  
للوطن وحكومته وساح منها فريق بلاد أوروبا وعرفوا طرق التقدم والإصلاح .  
أفيليق بمن هذه صفتهم أن يكون غاية تهذيبهم قعودهم على القهاوى وفى  
الخصارات واجتماعهم للتشائم والتقاذف بالمذام والسعى فى المضار . لا والله  
أن هذا لمن أكبر العيوب وأعظم المصائب ومن لم تتببه الحوادث فهو الغافل  
ومن لم يؤدبه الماضى اضربه الآتى أفلا يحركنا قول أوروبا لو كنتم مثلنا لفلتم  
فعلنا

«أنا خوك فلم انكرتني» ما الشام ومصر إلا توأمان أبوهما واحد يسوء الاثنين  
ما ساء أحدهما فلم تنافر ابناؤهما وانحاز السوريون فى جانب بعيد عن  
المصريين وان ساكنوهم فى مصر ألم يكن الأجدد بنا أن نصرف علومنا  
ومعارفنا وقوانا العقلية فى صلاح بلادنا وبيت روح العلم والحياة الوطنية فيها .  
إبراتب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل وجنسه ودينه أم  
بكلمة تغرير نصرف حياتنا فى خدمة الأجنبى لنعيه على إخواننا لينتقم منهم  
بغير نذب ويجتى على غير جان . بشس والله ما وصلتنا اليه هذه الخزعبلات التى  
نسميها معارف وأدبا زرعنا الاحقاد فى قلوبنا بغيا وعدوانا. أهلكنا أنفسنا  
بالعداوة فى غير مصلحة جهلا وحماقة. فضحنا أنفسنا بنقل عوراتنا للغير  
سفاهة وجنوننا. بعنا هيئتنا للأجنبى بلا ثمن خيلا ويلاهة. ولو اجتمعت كلمتنا  
وانتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هذه الهمم فى حفظ الوطنيين واعلاء  
كلمة الجنسین لحسدتنا المعالى ووقفت أوروبا تنظرنا بعين الاعظام والاجلال  
ولكن قضت شقوة الشرقيين أن يكونوا كحطب النار ياكل بعضه بعضا لينتفع

الغير بنارهم اصطلاء وطبخا واستعمالا فيما يشاء والعهد قريب والعود غير  
عسير فما نتكلف في جمع الكلمتين وتوحيدهما أكثر من الانصراف عن  
شياطيننا الذين قاموا فينا خطباء ووعاظا بدروس يتلقونها اليوم بعد الآخر عن  
الأجنبي وتبادل الزيارات والمسامرة في المجمع وإخلاص السير وما ذلك على  
الله بعزیز. وإلا إذا بقينا على هذا التناحر والتضاد اتخذنا الأجنبي آلات لتنفيذ  
أوامره فيوقع بيننا العداوة والبغضاء وربما انتهى الأمر إلى ما لاتحمد عقباه  
بجهالتنا واعتمادنا على العضد الأجنبي وفي ذلك من الخزي والعار ما لا يحويه  
أكبر الحسنات. وأسفاه على رجال قضى أباقهم الدهور الطويلة يتبادلون  
العمران والاستيطان لايفرق بينهم لخيلا ولا يقطعهم عن بعضهم أجنبي فجاؤا  
من بعدهم وخالفوا سيرهم وحالفوا غيرهم وخدموا الأجنبي بمساعدته على  
التداخل في بلادهم بل على الاستيلاء عليها لا لعداوة بين الأمتين ولا لحرب  
جرت في الوطنيين بل برغيف يحصله الزبال وخرقة يملكها الشحاذ. وإن قيل إن  
جامعة الدين اضطرتهم قلنا إن غر الاستقلال بالوطنية خير من الإزلال بجامعة  
الدين فإن الأجنبي يغر الرجل منا حتى يوصله إلى غرضه ثم يلحقه بغيره عند  
تمام الاستيلاء ولا يعرف له حقا غير خدمته ولا يفرق بينه وبين من غايره ديننا  
في الاستخدام والاهتباء. أنقول هذا وقتنا فنحصل فيه لذاتنا البدنية البهيمية  
ولا نبالي بقاء المستقبل على أهلنا وإخواننا بالعز أو بالهوان. بئس ما يختاره  
الرجل لنفسه من أن يطعم لقمته مغموسة في دماء جنسه وإخوانه، إن البهيم  
ليدافع عن جاره فضلا عن نوعه فكيف يرضى العاقل أن يكون أقل فضيلة من  
البهيم » إن كان هناك اعتقاد بجنة ونار فتقربوا إلى الله بما يدخلكم به جنته  
وليس ذلك إلا البعد عن مساعدة الأجنبي على إخوانكم وإن كان الاعتقاد وجود  
الله وخلود النفس فقط أو لا رب ولا إله كما يقول الفريق المدنى الاحمق فيبضوا

صحائف التاريخ بمجد خالد ونكر جميل وإن كان لا اعتقاد رأسا ولا مجد ولا شرف وإنما هي بهيمية محضة تبعثنا الطبيعيات فيها إلى ما لا تعلق للعقل فيه فيا سوء ما وصلنا إليه. وبالجمله فإن آخر الدواء الكى وقد بلغ السيل الربى فإن رفانا هذا الخرق وشددنا أزر بعضنا وجمعنا الكلمة الشرقية مصرية وشامية وعربية وتزكية أمكننا أن نقول لأوروبا نحن نحن وأنتم أنتم وإن بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقا بعد فريق حق لأوروبا أن تطردنا من بلادنا إلى رؤس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشي وتصدق قولها لو كنتم مثلنا لفلتم قتلنا .

### (من خطبة يوم الجمعة وهو مختلف في الريف)

الحمد لله الذى أحل البيع وحرم الربا وهو أعلم بمصالح العباد \* وأجاز القرض والرهن والسلم بلا ازدياد \* فمن أطاعه تطهر ومن عصاه تضرع بالأوساخ \* احمده حمد من اتبع الزواجر \* واشكره شكر من انزجر بالزواجر \* واعبده عبادة من وحده حتى كبر وشاخ \* واصلى وأسلم على المخصوص بالوسيلة الفحاء \* سيدنا ومولانا محمد صاحب الشريعة السمحاء \* وعلى آله وصحبه الأساتذة الأشياخ \* عباد الله ما شدد الله تعالى فى محرم تشديده فى الربا \* فقد مرتكبه بعد النهى محاربا \* وأمره تعالى لايقبل الانتساح \* فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله \* إن شاء الله عفا عنه وإن شاء أخذ به بما جناه \* ومن عاد فأولئك أصحاب النار يوم لاينفع الصراخ \* فتأملوا تهويله تعالى فى خطابه أهل الدين \* يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين \* فإن لم تفعلوا فأنذونا بحرب من الله ورسوله فياله من وعيد يصم المصاخ \* الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس \* يوم يخرجون من الأجداث ويذكرون ما فعلوا بالأمس \* ويأكلون النار كما أكلوا الربا فى البيوت والاكواخ \* الربا وإن كثر فهو إلى قل كما قال صاحب المعراج . \* فلا تغرنكم ثروة المرابى فإنها ابتلاء واستبراج \* وإثمه يشترك فيه الأخذ والمعطى والشاهد والواسطة والنساخ \* غركم المرابون بالنقود فتوسعتم توسع المقاخرة \* ثم استولوا على العقار والمزارع فجمعتم بين خزي الدنيا وعذاب الآخرة \* واستخدموكم اجراء لما وقعتم فى الفخاخ \* وقد عمت به البلوى حتى عرفه النساء فى الربوع \* فتقول المرأة لجارتها اسلفينى قرشا بستين قرضه إلى اسبوع \* وأتيك به عند بيع الغزل أو الفراخ \* بل استعمله الناس استعمال الأمر المشروع \* وغنوه

نوعاً من أنواع البيوع \* ولفقوا له صوراً لتثبت صوكه عند القضاة بلا انقساخ  
\* وكم من حيلة يضعونها وما ريك بغافل عما يعملون توالت علينا المصائب فإننا  
لله وإنا إليه راجعون \* وقد صارت المواعظ كالزرع فى السباخ \* فاتقوا الله  
وذروا ما بقى من الربا واطلبوا منه المغفرة \* فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره  
ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره \* لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين يوم  
ينقض عليكم الزبانية كالرخاخ

الحديث

قال صلى الله عليه وسلم من أجبى فقد أربى أى من باع الزرع أو الثمر قبل  
بدو صلاحه \* وقال صلى الله عليه وسلم الربا وإن كثر فهو إلى قل

(خطبة ثانية)

الحمد لله ذي السطوة العظيمة العامة \* والوطأة الشديدة التامة \* والحكم  
النافذ فى جميع العباد \* أحمده حمد من عرف بطشه فخافه ورجاه \* وأشكره  
شكر من علم عفوهُ فلجأ إليه ودعاه \* وأعبده عبادة من انتمر بأوامره وانتهى  
بواهيه ليبلغ المراد \* وأصلى وأسلم على من جرت من بين أصابعه المياه \*  
سيدنا ومولانا محمد واسطة كل مخلوق إلى مولاه \* وعلى آله وصحبه الموالى  
والأسياد \* عباد الله إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل  
الشیطان \* هذا نص آله العالمين فكيف يخالفه الإنسان \* لا يخالف مولاه إلا  
من أضله عن سبيل الرشاد \* اجتمع فى الخمر من المفاسد ما لا يجتمع فى  
غيرها من البواعث \* وحسبك قول الشارع صلى الله عليه وسلم الخمر أم  
الخبائث \* فانطوى تحت هذه الجملة أنواع الفساد \* كل مسكر خمر وكل خمر  
حرام \* فالعصير والنبيذ شريكان فى الآثام \* وبه الفتوى فى مذهب أبى حنيفة

كما اعتمده ابن العماد \* شارب الخمر يغيب عقله فينتكم بما به يفكر \* وربما  
 طلق زوجته وهو لا يشعر \* والحكم عليه كالحكم على العاقل لتعديه بالسكر بعد  
 الاعتقاد \* شارب الخمر لا يبالي بالزنا والقتل والسب والفحش \* ويعامل  
 الشريف والوضيع معاملة الوحش \* فإن الفارق بينه وبين البهيم غاب عنه وحاد  
 \* قد صرنا إلى زمان فتحت فيه المواخير في الشوارع بلا نكران \* وصارت  
 مجامع الأمراء والوجهاء والأعيان \* وعم الأمر حتى شربها النساء والأولاد \*  
 وقد تنقلت من المدن إلى الأرياف \* واجتمع عليها مشايخ القرى والعمد  
 والأجلاف \* فلا يوجد في البلد من لا يشربها إلا أحاد \* وقد اختلطت بسببها  
 الانساب في القرى والبنابر \* فلاتجد ولدا يشبه أباه إلا النادر \* وقد فقدت  
 الغيرة فلا إنكار ولا انتقاد \* وإذا تأمل عاقل فيما تركناه من الأحكام \* قال إن  
 هذه الدار ليست دار إسلام \* فلا زجر ولا حدود فما بقي إلا الجهاد \* فتوبوا  
 إلى الله تعالى من هذه الذنوب \* وطهروا أنفسكم ودياركم من هذه العيوب \*  
 عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عادت لكم الانكاد \* وتداركوا أنفسكم قبل أن  
 تؤاخذون بما تعملون \* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في  
 الضمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون \* قولوا  
 انتهينا يارب قبل أن يحال بينكم وبين التوبة فإن الله قد حكم بين العباد .  
 «الحديث» قال صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وعاصرها وبياعها  
 وشاربها وحاملها والمحمولة له .

\*\*\*

(عقد اتفاق)

اجتمع المعلم حنفي وأبو دعموم ومرعى وحنيفة ولطيفة ودميانة وزبيدة ونبوية

عند نديم وأنا ابوا المعلم حنفي ليتكلم عنهم فقال مرادنا تعمل لنا مدرسة في  
 جزناك تعلم الأخلاق اللطيفة والآداب الجميلة ماذا تقول يا جلو . ن. حبا وكرامة  
 ولكن المدرسة يلزم أن يكون كلامها بالعربي الصحيح ليس باللغة العامية . ح.  
 ويمكن أن ما تقدر تفهم الكلام العربي النحوي لأنه كلام صعب على الستات  
 والناس امثالنا . بقى انت تريد تحرمنا من التعليم بكلامك النحوي . ن. لكن  
 على انى أخاطبكم بكلام يفهمه الطفل الصغير والرجل والمرأة من غير تعب  
 ولا يحتاج لتفسير ولا لشيخ يقول لكم على معناه . ح. واذا كنت تمشى مثل ما  
 كنت ماشى ماذا يكون هو أحد خانقك على الكلام العادي. ن. أما أن أحدا  
 خانقني فإن ذلك ما حصل وإنما رأيت بعض المشتركين في الاستاذ أرسل  
 محاوره بالكلام البلدى تراها مطبوعة فى الملزمة الثالثة فحفت إن الكتابة  
 تمشى بالبلدى فنحارب لغتنا العربية بجيشين جيش الدخيل الأجنبى وجيش  
 اللغة العامية فلذا جمعتم لاخبركم أنى مستعد لمخاطبتكم بكلام بسيط من  
 جنس البلدى فى سهولته ولكنه عربى صحيح . ح . بقى الكلام المخصوص  
 بالمدرسة يبقى بالعربى النحوي. ن. نعم . ح. الآن اسالك عن حاجة لما تحب  
 تتكلم مع لطيفة أو غيرها تكلمها بالنحوي والا بكلام النسوان. ن. أكلمها  
 بالعربى الذى تفهمه مثل ما تفهم كلامها العادى من غير فرق. لطيفة. اسالك عن  
 مجلس الهوانم فقل لى على ما جرى فيه وما تم عليه الرأى. ن. عند ما انعقد  
 مجلس الهوانم قالت أم حسن لما تحضر أزواجنا سكارى نضربهم. فقالت  
 است نجيه أولا ضرب الرجال من النساء أمر قبيح ولا تفعله إلا قليلة الحيا  
 عديمة التربية ولا يقبله على نفسه إلا رجل دون عادم الشرف ليس له بين الرجال  
 قيمة. ثانيا إن العصمة بيد الرجال فيمكن أن المرأة اذا ضربت زوجها يطلقها  
 اذا كان فيه حرارة وبعد ما تكون ست بيتها تصبح عدم العدم والداهية أنها اذا

كان معها أولاد وكانت فقيرة الحال فإنها تحتار بهم وإن راحت بيت أبيها تبقى قاعدة مثل الغريبة. فقالت نقوسة. إذا جاء الرجل وهو سكران نقفل الباب في وجهه ونتركه ينام على الباب لأجل يتأذب. فقالت الست سنيه. هذا رأى بطال فإن المرأة إذا قفلت الباب في وجه زوجها يغضب عليها ويمكن يطلقها والواحدة إذا أمكنها تطرد زوجها وتخليه ينام على باب بيتها أوفى بيت ثان يبقى الرجل عندها مثل الخدام فتقل قيمته وتبهده بين الجيران والست منا اذا ما كانت تعرف قيمة زوجها تبقى هي والكلب على حد سواء فقال الست أم قلتاؤس. نعذر الرجال إن سكرنا ونضيق مناقسهم لأجل ما يتوب الواحد منهم وكل ما جاء واحد وهو سكران ننزل عليه بالكلام المؤلم ونرذله بين أولاده حتى يعرف قيمة نفسه ويفضها سيره. فقالت الست نجيه. الواحدة إذا طال لسانها على زوجها صارت قليلة الحيا وضيعت الأدب ويمكن الرجل ينفر من كلامها ويطلقها. وفي أي شريعة أن المرأة تشتم زوجها وترذله هذا رأي فاسد. نحن يلزمننا التمسك بالآداب مع الرجال ونحافظ على شرفهم ونعطيهم حقهم الواجب علينا في كل وقت حتى لو كانت الواحدة منا غنية وزوجها فقير لا بد أنها تعطيه حقه وتعرف مقامه فإن الرجل هو عز المرزة وحافظ شرفها وهو الساعي في المعاش التعبان فيه وعليه مدار البيت والمرأة من غير الرجل لاتساوى ابيض ولا اسود والواحدة منا على رأي المتل سيدى ما أحسن وصفه لا في يده ولا في طرفه . الست عزيزة . نعمل طريقة لطيفة نكتب للحكومة نطلب منها أنها تصرف للمستخدمين السكرارى نصف ماهيتهم وتعطى نسوانهم النصف الثانى وتحيل أولاد البلد السكرارى على المجلس الحسبى وتعمل لهم مشرفين مثل المعاتيه يحافظون على أموالهم أظن أننا إن عملنا هذا العمل نحفظ حقوق إخواننا الهوانم والستات ونهذب أخلاق الرجال. الست نجيه. لا يخفك إن الحكومة

لاترضى بهذا الرأي فإن كل إنسان حزن في ماله وهو المستول عن بيته وعياله  
ومسئلة المجلس الحسبى لايجوزها قانون ولا حكومة ومع ذلك فإن هذه قضية  
كبيرة للرجال وعار للنسوان وإنما الرأي عندى إننا نكتب عرض حال السكارى  
عن لسان أزواجهم بقلم النديم ونشره في الأستاذ ويكون من باب الرجا  
والالتماس فإن نفع ورجعوا عما هم فيه من البلاوى يا دار ما دخلك شر وان  
استمروا فى خسرا نهم نكتب عرض حال للحكومة وتبقى تعرف شغلها فيمن  
يأخذ فلوسها ويرصفها فى ضياع عقله وشرفه. الجميع. هذا هو الصواب ثم ان  
نجيه هانم كتبت لى تقول أن الستات اتفقت كلمتهن على أنك تكتب عرض حال  
عن لسان نساء السكارى إلى أزواجهن فأنا بالثيابة عن الكل أرجوك أن تكتب  
عرض حال يلين الحجر ويبيكى الذى عمره ما يبيكى وأنت لا تحتاج لوصاية فإنك  
عارف بالحالة كما ينبغى وبالله عليك ما تخلى وراك ورا فى الاستعطاف بالكلام  
الطيب وتعال لهم من باب مسح الجوخ وهز القاوق وعرفهم شرفهم وصبر  
نسوانهم عليهم كل هذه المدة الطويلة وربنا يأخذ بيدك ويجزيك عن الولايا كل  
خير . ن. سمعا وطاعة لابد أن اكبت ولو يشتمونني .

#### (عرض حال نساء السكارى لأزواجهن)

نسؤكم اللاتي أخذتموهن بكتاب اله تعالى واستلمتموهن من أبائهن على أنهن  
أمانات عندكم وضريتم عليهن الحجاب غيرة على أعراضكم وحفظا لأنساب  
أبنائكم ومنعتموهن من مخالطة الرجال والخروج إلى المجامع تشريفا منكم لهن  
وتعظيما لمجدكم المرتبط بعفافهن وصيانتتهن يتقدمن بين أيديكم بهيئة  
الخصوع والادب ولسان الذل والاحترام سائلين مقام رجوئيتكم ان تفضلوا  
عليهن ببعض الذى تنفقونه فى الملامى ومذهبات العقل والشرف ليسدنن به

رمق العيال ويحفظن لأنفسهن حق التمتع بلوزام الزوجية كما يلتمسن أن  
 تصرفوا بعض أوقات فراغكم من الأعمال بين أولادكم تلاعبونهم وتهذبونهم  
 وتجبرون خاطرهم بوجودكم بين أعينهم وإلا إذا بقيتم على ما أنتم فيه ونحن  
 حبيسات البيوت من تروته يجالسنا ويؤانسنا في الليالي الطويلة التي تقطعونها  
 في مجالس اللهو واللعب. هلا تأملتم وتدبرتم وعلمتم أننا خلق مثلكم يطراً علينا  
 من العوارض ما يطراً عليكم ولولا حجاب الشرع وشرف الوحدة منا لساعكم  
 منا ما ساعنا منكم معاذ الله تعالى. ألا ترون أن الافرنج الذين أباحوا لنسائهم  
 الخروج لا يدخل الرجل منهم مجلساً إلا وقرينته معه وهي كذلك لا تخرج من  
 بيتها ما دام زوجها في عمله وما يفعل الرجل ذلك إلا ليعطيها حقها في وقت  
 فراغه من العمل وحيث أن خروجنا ممنوع شرعاً فوفونا حقوقنا بوجودكم معنا  
 في البيوت للأنس بكم ودفع الوحشة والريبة عنا. على أن الافرنج الذين  
 قلدتموهم في شرب المسكرات والقعود في البير لا يأكل الرجل منهم لقمة إلا  
 مع زوجته وأولاده وقد رتب أوقاته وحدها لزوجته فهي تعلم أنه يأتي ساعة كذا  
 وأنه الآن في مكان كذا فإنه لا يخطو خطوة إلا أعلمها بها مع أنهم لا يشربون  
 من الخمر إلا ما يمرون به الطعام لتعودهم في بلادهم الباردة وأنتم تركتمونا  
 وديعة عند الإهمال واهدرتم حقوقنا واغفلتم أبناعكم وهجرتم بيوتكم ووصلتم  
 اللوكائيات فإن كنا لانحسن الطبخ وترتيب أدوات السفرة فاستخدموا لنا من  
 تتعلم منهن من الطابخات لنساويكم في أكل التنظيف والجميل من الأطعمة وكيف  
 ترضون لأنفسكم أن تأكلوا شيئاً لم تراه أولادكم ولا ذاقته نساؤكم. ولاي علة  
 حبستمونا في البيوت إذا كنتم لاترضون لأنفسكم القرار بها وتعلمون انكم  
 مسترسلون خلف لذائذكم لاتبالون في تحصيلها وقعتم في العار أو رددتم الى  
 النار . أي شرف لرجل تضحك عليه اطفاله ويعاشر المرأة معاشرة الأبله

المجنون إلى من تتزين المرأة منا بعد فراغها من عمل البيت اذا جئتمونا  
 سكارى مساطيل لاتنظرون ولاتعقلون . بأى سوط تتأذب المرأة وقد تعطلت  
 حواسكم بسورة الشراب وربما وقع الرجل منكم طريحا كأنه بين يدي المرأة  
 قتيل. افتونا هداكم الله تعالى اذا نزل علينا لص وأنتم فى خمود السكر من  
 يدفعه واذا احتجنا القوت أو اللباس وأنتم مفلسون من يأتينا به واذا طردتم من  
 الخدمة أو أفلس تاجرکم ولا شيء عندنا من يموتنا وبماذا نقيت عيالنا .  
 ارحمونا يرحمكم الله فقد ضج منكم أهل الملاء الأعلى يشكون الى الله تعالى  
 سوء فعلكم وقبح سيرتكم إن البهيم النفور يلاين فيرجع عن نفوره ويستأنس  
 بصاحبه ونحن نخدمكم وننظف ثيابكم وأبدانكم وبيوتكم ونطبخ وننخل ونعجن  
 ونخيط ثيابكم وتتزين لكم بكل ما تقدر عليه ولايزيدكم عملنا إلا نفورا منا وبعدا  
 عنا . هل نحن جنس آخر غير مألوف عندكم . تراكمت علينا المصائب فيمن  
 نستغيث وضاعت طرق الحيل فيمن نستجير ليس لنا فى هذا الباب إلا نخوتكم  
 الانسانية وغيرتكم الزوجية وتعطفاتكم على كسيرات الجناح ضعيفات الجانب  
 مغلولات الأيدي محجوبات الابصار عما فى العالم من غير ازواجهن .. رفقا  
 رفقا فقد دارت حولنا الضرورات . عطا عطا فقد تلوت علينا سبل الاصطبار .  
 حفظناكم فيما مضى فاحفظونا فيما بقى . خدمناكم بالذات فكافئونا بالالتفات .  
 إلا تذكرون أننا مع ما أنتم فيه من الاغضاء عنا نجزع إذا أصبتم ونمرض إذا  
 مرضتم ونبكي إذا غبتم وننلهف إذا أبطتم سيئاتكم عندنا مغفورة واساكنم  
 محتملة . وهذه فروض تقدمها لكم استعطافا لخاطرکم واستجلابا لمحبتكم ولم  
 يفرض الله تعالى علينا شيئا من ذلك بل كلفكم بكل ما يلزم المرأة من  
 ضروريات المعاش وما عليها إلا أن تسمع وتطيع . أجيبيوا ملتمسنا منكم فقد  
 رفعنا هذه العريضة إليكم مشهدين عليكم أهل بلادنا وجموع العقلاء راجين من

الله تعالى أن يلهمكم الصواب في أمرنا ويردكم عن طريق الفجوة إلى سبيل الهداية وأن يديم علينا ستره ويحفظنا من العار والنار في هذه الدنيا ويوم القار فإنه القار على ذلك وحده جل شأنه الإضا (حرائركم)

(مدرسة البنين)

(نديم وحافظ)

ح. وعدتني في الدرس الماضي أن تعلمني شيئا من الحقوق المدنية وما أنا مستعد للتلقى فتفضل بما تسمح به النفس الكريمة. ن: أراك قد ترققت أفكارك ودخلت في طور أدبي وصلت إليه باحتكاك أفكارك في أفكار إخوانك التلامذة المتنورة بمصباح الأساتذة القائمين بنقلهم من الجهالة إلى العالمية فيجب عليك أن تعرف قدر نعم أسيادك ومعلميك وتحترمهم إذا حضروا وتثنى عليهم إذا غابوا كما يجب عليك أن تحفظ حقوق إخوانك التلامذة الذين معك في مدرستك والمتعلمين في مدرسة أخرى وطهر باطنك من بغض أبناء جنسك فإذا رأيت أحدا متقدما عليك في الدروس فبدل أن تحسده وتسعى في إضياره تمنى له النجاح لتنتفع به وجد لتدركه. وإن ذكر أمامك واحد من أبناء جنسك فتلطف في ذكره بخير وإن ذكر الغير له معائب فادفعها بأدب واذكر محاسنه وأثاره وشرف عائلته ومنجده في سيره فإنك إن جريت على أفكار الغير وذممت أخاك فقد قطعت الوصلة التي بينك وبينه ومكنت الغير منك ومنه فهو يلعب بك ويأفكارك متى شاء. ولا تجعل محبتك لأخيك طريقا لبغض غيركما فإن المجتمع الإنساني قاض بالتناهم الأجناس ووقوف كل عند حدوده وانتفاع كل جنس بمزايا الآخر وفوائده العامة وقد مليء الشرق عموما وبلادك خصوصا بالأجناس المتنقلة خلف التجارة والتماس التجارة والتماس الرزق فيلزك أن تعامل الناس معاملة

العارف بحقوق المدنية الحريص على حفظ الخصائص الوطنية ولا تسع في  
ضرب الغير لئلا تجلب على نفسك واخوانك الدمار وتمكن الغير منك. ولا تسكت  
عن نصيح إخوانك وتعليمهم كل ما تتعلمه منى ومن اساتذتك لتكون مدرسا  
أيضا تعلم العاجزين عن دخول المدرسة أو المتخوفين منها فتحثهم بمعارفك  
وأدائك على دخولهم معك فى أماكن التعليم. واحرص على استجلاب رضا  
والديك بالتأدب معهما والتلطف فى مخاطبتهما والإسراع فى إجابة طلبهما  
والبعد عما يكرهانه وإياك أن تظهر النفور من أمر يأمرانك به بل إذا أمرك  
أحدهما بأمر ورأيت ضارا بك أو به أو مخالفا للأدب أو مغائرا لما عليه أبناء  
جنسك أو خارجا عن حد طبعك فتلطف فى رده بتبيين السبب والضرر. ولا تنجح  
لهما عملا خاصا بهما وإن رأيت موجبا لمؤاخذة أو لعار فاسلك طريق الالتماس  
والرجاء مع الخضوع والخشوع ليكون رجاؤك مقبولا مثلا إذا رأيت والدك يأكل  
وهوماش فلا تقل له إن هذا شأن الرعاع وعادة الأوياش فتتفره منك وربما  
قطعت ما بينك وبينه بهذه العبارة الخشنة بل قل له إن بعض الناس كان عند  
القاضى يترافع مع شخص فى قضية وأورد الشهود على حجة دعواه فجاء  
خصمه ببينة نفى ليدحض دعواه فعارضه بأن شهود النفى ياكلون فى الطريق  
وهذا مسقط للعدالة ويتجريح شهوده حكم له بصحة دعواه لعدم وجود ما يبطلها  
ومن وقت ما علمت أن الأكل فى الطريق مسقط للعدالة مضيع لاعتبار الإنسان  
عند القاضى ما أكلت شيئا فى الطريق حتى إذا اشترت لب البطيخ الذى يأكله  
الناس فى الطريق فإنى استحيى من أكله ماشيا لئلا يسقط عدالتى وهكذا كلما  
رأيت منه أمرا مخالفا تلتطف فى تفهيمه ما فيه من القبح أو العيب وهو يتنبه  
لتركه وتكون نصيحتك بهذه الصورة أوقع فى النفس من التشنيع عليه الذى  
ربما صار إغراء على الفعل. واستشر والديك فى أمور الخاصة بالبيت لتدخل

عليهما السرور بإرجاع أمر البيت إليهما ولو تخالفهما في مشورتها إذا رأيتها غير نافعة وتعتذر لهما عن العول عن رأيهما . واحفظ أسرارهما فإنها عورتك التي إذا ظهرت كان عارها عليك. واستر عيوبهما فإن مجدك الأولى مربوط بمجدهما . وإذا ارتفعت لدرجة ثروة أو رتبة فارفعهما معك بتحسين ثيابهما وإجلال قدرهما وإبعادهما عن كل ما يعيرك به متتبع لعيوبك. وتفاقل عن حقواتهما معك حتى إذا تمكنت من تنبيههما فتلف في ردهما واحرص على تعليم اخوانك التلامذة هذه الفضائل ليكون مجموع الجنس في فضيلة واحدة . والتزم الصدق في أقوالك فإن الرجل إذا كذب كذبة وعلمت للناس ترقبوه فإذا كذب ثانية سقط اعتباره وأهدر حديثه الصدق وعد كذبا حتى لو حلف لهم على أمر فإنهم لا يصدقونه . ح . إنى إذا قلت الصدق في كل شيء تتعطل علي أموري فإن الإنسان يجب أن يكذب ليروج كلامه عند السامع ويقضى له حاجته . ن . هذا عين الخطأ في الفهم فإن الإنسان يقضى بالصدق ما لا يقضيه بالكذب حتى لو وقع في جناية وأخذ بها لإقراره بالصدق فإنه اكتسب شرفا يفوق ما كان يتمتع به لو كذب . على أن الإنسان إذا احتال لوقائعه فإن احتياله بالجزئى لا يقدح في صدقه الكلى فإن ما يوجب الاحتيال وقائع ينذر حصولها فلا تؤثر في عادة المرء التي رفعت بين قومه والمطلوب البعد عنه هو استعمال الكذب لقضاء الأوطار به أو لغش الناس أو لإيقاع الفتن والبغضاء بينهم أو لإفساد طائفة أو غير ذلك مما هو قبيح عند كل إنسان. وإياك أن تسرق دفاتر أخيك أو قلمه أو بواته أو شيئا مما يختص به فإن أقبح عيوب الإنسان السرقة واللصوص إنما ألقت السرقة بالتعود والانتقال من سرقة البيضة إلى سرقة الفرخة ومنها إلى الخروف إلى الثور إلى الهجوم على البيوت فطهر نفسك من هذه الرذيلة وعودها على الأمانة حتى لو خانك إنسان في شيء فلا تخنه أنت لأنك استقيحت عمله

وعلمت أنه نقص فيه فكيف ترضى بالقبيح والنقص بعد ذلك . ح . وإذا شتمني  
 أحد اخواني ماذا اصنع . ن . انت تعلم أن الشتم قلة حياء وبذالة لسان  
 ولا يرضى به إلا النون من الناس فإذا شتمته في مقابلة شتمه فقد ساويته في  
 رتبته وجرأته عليك وحرصته على التوسع في الشتم واقتراء القبائح اليك  
 فالأحسن أن تسكت عنه سكوت حلم فإنك تخجله وتسكته عنك فإذا اعتذر إليك  
 فبادر بالسماح وبش في وجهه والتمس له ما لا يلتبس من الأعذار فإنك تأخذه  
 أسير . حلمك وتلطفك معه وتصيره حبيبا بعد أن كان عدوا فلا يعود لثمتك مرة  
 ثانية حتى لو كنت في المدرسة فلا تبادر بشكواه إلى الضابط واستعمل الحلم  
 معه أولا وثانيا فإن رجع فقد غنمته وإن استمر كان سفيها ينبغي أن يؤدب  
 فارفع امرك إلى رئيسك المتولى أمرك ودعه يؤدبه بما يشاء . وكما تكره شتم  
 غيرك لك فإن الغير يكره شتمك له أيضا فإياك أن تطيل لسانك على أحد أو  
 تقبح عمل أحد بغير حق أو بتشنيع عليه أو تغري إنسانا بإنسان ليؤذيه ويضره  
 انتقاما منه أو تجعل نفسك بمنزلة جاسوس لغيرك تنقل له أخبار الغير فإنها  
 حالة مستقبحة عند كل إنسان ومتوليها مسترذل مبعوض لا يكلمه أحد إلا ابتغاء  
 شره وحسب الإنسان نقيصة أن يعامل بالحسنى دفعا لشره لا رغبة في ذاته  
 وأدابه . ح . اراك تعلمنا هذه الدروس وغيرك من المعلمين يعلمون علوما شتى  
 بين ابتدائية وعالية ولكني مع صغر سني أكره بعض أمور تصدر من بعض  
 الأفاضل فإني كثيرا ما اسمع بعض اناس ممن انتسبوا إلى العلم يسهرون مع  
 أبي فإن ذكر عندهم عالم أو معلم قبحوا سيره وجهلوه وعدوا سناته سيئات  
 واقتروا له ذنوبا وعيوبا ولم يردم علمهم عن هذا الطريق القبيح فهل المقصود  
 بالتعلم أن يصير الإنسان جرابا مليئا علما مع عدم تأثير العلم في أخلاقه وإذا  
 كان القصد أن يصير الإنسان بهذه الصورة فأى حاجة للعمل وقد ضاعت ثمرته

ولم يعمل العالم بعلمه .ن. إن ما ذكرته ليس أمرا مطردا في كل فاضل معلم وإنما يوجد فرد أو فردان في كل إقليم تحكم عليه دناءة الأصل وكبر النفس أن يوحد العالمية في ذاته ويجهل غيره ومن اتصف بهذه الصفة تراه ممقوتا بين الناس مطالباً بنفسه بما ليست له بأهل وإلا فإننا لم نر معلما إلا وهو متحل بأحسن حلية صاغتها الآداب والمعارف وله أخلاق يعشقها كل من خالطه وعاشره وقد بعد كل فاضل عن ذم الناس والوقية فيهم لعلمه قبح هذا الأمر ولتصديه لتعليم الفضائل والتحذير من التلبس بالردائل فأياك أن تقع مرة ثانية في حق المعلمين الذين هم أرواح الأمم أو أن تقيس الأمة على فرد منها وما حملك على ذلك إلا صغر سنك وعدم اختلاطك بالناس وستكبر إن شاء الله وتتأهل للدخول في مجالس العلماء وترى من مخاسن أخلاقهم ولطائف آدابهم وحسن معاملتهم وتلبسهم بكل فضيلة ما يحقق لك هذا الذي أقوله لك الآن . ح . أحب أن ترخص لي في التوجه فقد أمرني والدي أن أكون عنده وقت الظهر .ن. لا بأس من جعل الدرس ما تقدم ولكن احرص على ما فيه واتبع عملك به أيضا وسأقدم لك في الدرس الآتى ما يلزم من مسائل العبادة إن شاء الله تعالى .

نديم وحافظ

.ن. حفظت الدرس الماضى . ح. نعم واحب أن تعلمنى الصلاة كما وعدتني .ن. قبل الصلاة يلزمك تتعمل كيفية الطهارة. إذا كانت ثيابك نجسة يلزم أن تطهرها بالماء حتى تزول عين النجاسة ورائحتها إن كان لها رائحة ولونها إن كان لها لون ظاهر في الثوب .ح. والنجاسة التي يلزم تطهير الثوب منها ما هي .ن. هي البول والعنزة سواء كان من إنسان أو حيوان عندنا معاشر الشافعية ودم الحيض والنفاس ودم الجروح والخمر ولمس الكلب المبتل والخنزير أو بيد مبتلة

فكل هذه نجاسات إذا تلوث الثوب بشيء منها لا يطهر حتى يغسل وتزول  
النجاسة والنجاسة الكلبية تغسل سبع مرات منها مرة بالتراب .ح. البول ليس  
له لون وكذلك الخمر إذا كانت غير ملونة فكيف نعرف طهارة الثوب منها . ن. إن  
كان لها رائحة فتغسل حتى تذهب وإن كانت خالية من الرائحة فتغسل حتى  
يغلب على ظنك إزالتها ويكفيك أن تصب الماء على الثوب المتنجس بهذه  
النجاسة حتى تذهب النجاسة .ح. إذا كان الإنسان ماشيا في الطريق وحيوان  
يبول فأصابه رشاش هل ينجس ثوبه . ن. إذا كان الرشاش يرى بالعين  
الصحيحة ويحس باليد تنجس ويلزم غسله وإذا كان لا يرى ولا يحس يعفى عنه  
.ح. إذا كان الإنسان في زمن الشتاء والأرض فيها وحل أو ماء راكد وأصابه  
شيء من الوحل أو الماء ماذا يصنع . ن. مثل هذا يعفى عنه وإن كان نجسا لأن  
الإنسان لا يمكنه الاحتراز عنه فالشرع خفف عنا ولم يلزنا بغسل ذلك إلا إذا  
كنت تحب أن ثوبك يبقى نظيفا دائما فاغسله وإذا تعذر عليك الغسل أو لم تجد  
ماء يكفي الغسل والوضوء فصل بآثر الوحل والصلاة صحيحة .ح. وإذا تقيأ  
الإنسان وأصابه شيء منه ماذا يصنع . ن. يغسل الجزء الذي يصبه القيء فإنه  
نجس لأنه خارج من المعدة فحكمه حكم الخارج من أسفل الإنسان . ح. على  
هذا يصير الفم نجسا أيضا . ن. نعم ويكفيك أن تتمضمض حتى يزول أثر  
القيء منه .ح. ورمص العين ووسخ الأذان نجس أيضا . ن. لا بل هما طاهران  
والعرق كذلك طاهر وإن كانت رائحته كريهة بل لو كانت رائحة العذرة  
فإنه طاهر لا ينجس الثوب ولا البدن وإنما إذا كان الرمص في العين قبل  
الوضوء يلزمك غسله لئلا يبطل الوضوء لأنه يكون حائلا بين الماء وبشرة الجفن  
أو الماق وفضلا عن كونه حائلا فإنه ضار بالعين مشوه للوجه أمام الناس وإذا  
كنت عرقانا عرقا له رائحة يلزمك الاستحمام لنا يتضرر الناس برائحتك فتكون

ميفوضا عندهم ينفرون من مجالستك ومع ذلك فإن تراكم العرق على الجلد يسد  
 المسام ويحدث أمراضا صعبة فيلزمك تنظيف بدنك ليكون التنفس الجلدي  
 مستقيما و لا بد من غسل الإفرازات الجلدية لنظافة البدن والتحفظ على الصحة.  
 ويلزم أن لاتهاون في الأشياء الطاهرة الملوثة للثوب مثل الطين والتراب ووسخ  
 الجسد فإن وساخة الثياب تضر بالصحة وتتفر الناس منك وتصيرك في حالة  
 الازدراء فيلزم أن تكون ثيابك نظيفة طاهرة على الدوام ولا جل التحرز من  
 النجاسة عند قضاء الحاجة يلزمك أن تقعد لقضائها إن كان في الخلاء أو في  
 المراض لئلا يصيبك رشاش البول إذا بلت من قيام ولا تقعد في مهب الريح  
 لئلا يرد عليك البول فينجس ثيابك ولا تبلى في الطريق لئلا تؤذي الناس وتنجس  
 نعالهم وربما كان في المارين امرأة فتستحي من المرور عليك ولو كنت مستور  
 العورة على أن البول في الطريق وقاحة وتشبه بالحيوان البهيم إلا إذا كان في  
 محل معد لذلك فلا بأس به .ح. وإذا احتلمت وتلوث الثوب بالنطفة هل ينجس.  
 ن. أما عند الشافعية فإنه لا ينجس لأن هذا الماء طاهر عندهم وإنما يغسل  
 الثوب تنظيفا وعند المالكية يجب غسله لأنه نجس وعند الحنفية إن كان طريا  
 يغسل وإن كان جافا يفرك وعلى كل مذهب يجب عليك الغسل وهو أن تعم جميع  
 جسدك وشعرك بالماء وكذلك عندما تتزوج كلما باضعت زوجتك يجب عليكما  
 الغسل فإنه لاتصح لك صلاة ولا يجوز لك أن تقرأ القرآن أو تمس المصحف أو  
 تطوف بالبيت في الحج إلا بعد أن تغتسل من الجنابة بنية التطهير منها . ح.  
 ماذا أقول في نية الغسل .ن. تقول نويت رفع الحدث الأكبر أو نويت استباحة  
 مفتقر إلى طهارة فإذا اغتسلت بلا نية كان الغسل باطلا وبقيت على جنابتك .ح.  
 وهذه الأحكام تلزم بطرس ورحمين صاحبي . ن. هذه من أحكام ديننا الإسلامي  
 ، وأما بطرس ورحمين فإن لكل منهما رئيسا دينيا يأخذ عنه أمور دينه. ويعلمه

الواجب عليه إنما النظافة الاعتيادية تلزمهما كما تلزمك فيجب عليهما تنظيف  
جسدهما في الحمام أو بالاعتسالة في البيت وتنظيف ثيابهما لأجل حفظ  
صحتهم وعدم تضرر الناس منهما ولا تنس أنهما بالنظافة وحسن الثياب فإن  
النفس تسر بما تراه من حسن هيئة البدن والثياب وتنقبض بالوساخة والروائح  
الكريهة فالدين ليس بشرط في النظافة والتجمل بأحسن ما عند الإنسان عند  
خروجه إلى المجالس العامة ويلزمك أن تنبههما على ما يلزم من هذا القبيل  
فإنهما ابنا وطنك وإنسانان مثلك والدين لا يمنعك من نصيح غيرك وإرشاده  
فيلزمك أن تحافظ على دواعي الألفة ما دمت في المجالس العامة فإذا جاء وقت  
العبادة ذهب إلى المسجد وذهب كل إلى الكنيسة وبعد العبادة تعوبون لتناول  
أشغالكم بلا تتأفر ولا إضرار فإن الحقوق المدنية تقضى عليك بأمر كثيرة ..

### (الانسجام)

هو عبارة عن خلو الكلام من التعقيد والحشو والكلمات المهجورة والألفاظ المستهجنة مع عدم تكلف الشاعر أو الناثر شيئاً من الأنواع اللهم إلا ما جاء منها عفواً واسترساله في موارد الرقة حتى يصير البيت أو القصيدة كالماء المنسجم وقد اعتنى به المتأخرون فهذبوه ورفعوه إلى ذروة الكمال والطف وهو اليق ما يكون بصدر القصائد والگراميات فإن أتى به الشاعر في مدح أو هجو زو فخر أو رثاء دل ذلك على اقتداره وقوة ملكته والقرآن العظيم كله من هذا النوع وانظر إلى الفاتحة التي يحفظها العوام والصبيان والنساء لسهولةها وأنسجامها وتأمل آية الكرسي الشريفة تجد انسجامها أحلى من انسجام العباء وانور من نيرى السماء وقد اشتملت على تسع جمل كل جملة تنادي بشأن من شئون الحق سبحانه وتعالى تحته حيثيات شتى الأولى. الله لا إله إلا هو الحي القيوم فهذه لبيان وحدانيته والرد على جعل مع الله إلهاً آخر أو نسب إليه شريكا أو ولداً أو بنتاً تنزه ربنا عن ذلك وأنه حي لا سبيل لورود الفناء عليه قيوم أي دائم القيام بتدبير ملكه من إيجاد وإعدام وحركة وسكون وخلق ودمق وغير ذلك من الشئون. والثانية لاتأخذه سنة ولا نوم أي أنه كما كان قيوماً مديراً لملكه فإنه لاتأخذه سنة أي فتور يتقدم النوم فإن القيوم إذا نام أو فتر غفل عن ملكه فتلاشى ووجود هذه الأجرام العظيمة على نسق لا يتغير دليل على أنه لاتأخذه سنة ولا نوم وفيه رد على من اتخذ آلهة من الإنسان فإنه تأخذه السنة وينام وهذه صنعة العبيد لا الآلهة. الثالث له ما في السموات وما في الأرض أي أن ما في السموات من فلك وملك وكوكب ونفس وما في الأرض من عنصر ومعدن ونبات وحيوان ملك له وخلق لاتصرف لأحد سواه في شيء منها وفيه رد على من يعبدون الكواكب والحيوان فإنها إذا كانت مملوكة للغير مصنوعة له مقهورة

يقوله مسيرة بأمره كيف تكون آلهة تعد مع فقرها وعجزها وانحصارها في قبضة الغير فهذا الغير المالك لها هو الأحق بالعبادة والتوحيد جل شأنه. الرابعة من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه أي ليس لأحد أن يتقدم بين يديه بالشفاعة لأحد إلا من أذن له من خاصته وأحبابه وفيه دليل سطوته وجبروته وكبريائه وانتهاء العظمة إلى حد أن لايجرأ أحد من خلقه كائننا من كان على الشفاعة قبل أن يأذن له. الخامسة يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الضميران راجعان إلى السموات والأرض باعتبار ما فيهما من العقلاء أي يعلم ماكان قبلهم وما يكون بعدهم وما هو حاصل فيهم جزئيا وكليا فلا تغيب عن علمه ذرة ولايشذ منها هباء وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. السادسة ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء أي لايحيط أحد بشيء من معلومه تعالى إلا بالذي شاء أن يحيط به من جزئيات الأكوان وطوارئها وفيها إثبات لحجب الخلائق عن الوصول إلى مفاتيح الغيب وأنه لايعلم أي مخلوق إلا ماتصل إليه أنظاره وأفكاره من المرنثات علما قاصرا عليها غير بالغ حد معرفة الحقائق على ما هي عليه في نفس الأمر وفيها رد على منكرى معجزات الانبياء وكرامات الأولياء فإنه تعالى إذا شاء علم نبي أو ولي بكائن غيبي فتح له باب الوصول إليه فيخبر عنه قبل حصوله ويترجم عن الماضي بما كان عليه من غير أن يراه ويتكلم في علوم لم تكتب في أوراق ولا مارس شيئا منها مما هو مشاهد في كل عصر من الأولياء وما ثبت في الكتب السماوية من أخبار الانبياء. السابعة وسع كرسيه السموات والأرض أي علمه أو ملكه أو سرير معين تحت العرش كما جاء في الحديث الشريف ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على

تلك الحلقة وفيها دليل على إحاطته بكل كائن علما وحفظا وتدييرا فإن السموات  
وما فيها اذا كانت كحلقة الكرسي والكرسي كحلقة العرش ونسبة العرش إلى  
ما فوقه من حجب الجلال والعظمة كنسبة الحلقة إلى الغلاة كانت جزءا صغيرا  
من كل كبير وهذا الكل مقهور لكبريائه متحرك بإرادته فقهر الجزء وبخوله في  
باب العام والإحاطة مع صغره عن الكل أولى فسبحان من قهر بعظمته كل  
مخلوق. الثامنة ولا يؤده حفظهما أى لا يثقله ولا يعجزه حفظ السموات والأرض  
وما فيهما فإنه ما خلقهما إلا وهو قادر على حفظهما إن الله يمسك السموات  
والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده وفيه رد على من  
ينسب الحوادث الجوية إلى الكواكب والحوادث الأرضية إلى الطبيعة فإنه إذا  
كان حافظا لهما كان حافظا لما فيهما لزوما ويلزم من حفظهما وحفظ ما  
فيهما أن لا يقع فيهما إلا ما يريد وإذا امتنع وقوع غير مراده امتنع وجود مؤثر  
سواه. التاسعة وهو العلى العظيم أى هو العلى فى ملكه وسلطانه وتصرفه  
واستثنائه بتدبير ملكه العظيم فى عزه وجلاله ومهابته وكبريائه فلا يشبهه شيء  
من العوالم ولا هو من شيء منها بل هو العلى عن الصفات الخاصة بالعبيد  
العظيم بالصفات الخاصة بالإلهية ففيها الرد على القائلين بالحلول والجسمية  
والأبوة فانظر لفخامة قدر هذه الآية واشتمالها على علم الأصول برمتها وما  
يلحقه من أحوال الناشئين مع انسجامها وسهولة تركيبها ورقة الفاظها تعلم  
الفرق بين انسجام القوى القدير وانسجام العواجز الضعفاء فلو تعلق البلغاء  
بحبال الفصاحة فى سقف البيان وامطرتهم السماء بدل المياه معانى  
وانحصرت أنوار النيرين فى عقولهم ما قربوا من باب مجاز الوصول إلى مبدأ  
هذا البيان فضلا عن الحوم حول حماه قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن  
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

منادية بصوته مؤيدة مبتكراته فيقوى بذلك عزمه ويسهر في طلب راحة الأمة  
وتقدمها فرحا بمعرفة الأمة لقدره مسرورا بتدوين الأمة لتاريخه إذ لا بد لكل  
إنسان من غرض ذاتي مهما كانت حرية ضميره في أعماله ولاغرض لخدمة  
الأوطان والأمم من كبار الرجال إلا حفظ تاريخ حياتهم بين الأمة التي يخدمونها  
ويتركون لذاتهم ومشتبهاتهم في جانب تمتع الأمة بنتائج أفكارهم التي تركوا  
الذائد والمشتبهات لأجلها. وفي مقدمة رجال الهمم والآثار الملوك والوزراء  
فترى صورهم مرتسمة أمام التلميذ وأعمالهم مدونة بين يديه فيعرف قدر ملوك  
وطنه وشرف المحافظ على بيت الملك والدفاع عن أهله ومنصبهم الجليل إذا  
لاشرف لأمة لا ملك لها ولا مجد لمملكة أضاعت بيت ملكها ولهذا نرى  
الأوروبيين متعاضدين على حفظ ملوكهم متدافعين في طريق وقايتهم من  
العوارض الضارة قائمين بآداء واجباتهم وفروض رسومهم كما نراهم يتمدحون  
بوزرائهم وينابون بمجدهم وينشرون أعمالهم في جرائدهم ويحفظونها في  
تواريخهم ويعاملونهم معاملة الآباء الرحماء ويعظمونهم تعظيم أشرف الناس  
وأعلام قدرنا. وبهذا أفنى الوزراء أعمالهم في خدمة الأمم وجبوا في حفظ  
أوطانهم وجلب موارد الثروة إليها وتربية أبنائها تربية الحكماء المدربين على  
جميع الأعمال ومن مبادئهم تحذير التلميذ من الثورة على ملكه أو إحداث الفتنة  
بين قومه وتغييره من الانضمام إلى الأحزاب القوضوية وتبحيح كل مخالفة  
لأوامر ملوكه ووزرائه التي تصدر للإصلاح وإحياء المعارف والصنائع ووقاية  
الملك من الأعداء. وينكرون له بعض قصص الثائرين وما تم لهم من العقاب  
وبعض المعارضين وما أنبنى على معارضتهم من الدمار فيخرج التلميذ قريبا  
من كل خير للوطن وأهله بعيدا من كل شر للوطن وأهله. ثم يضيفون لهذا كله  
تاريخ الأمم وما لهم من العلائق والروابط ويضمون إلى ذلك مكارم الأخلاق

ومحاسن الصفات والإرشاد إلى الاقتصاد المالى والانتظام البيئى وتعليم  
ضروب التجارة وما يلزم لها فإذا تمت لهذه المبادئ وانتقل منها إلى العلوم  
العالية خرج من المدارس قابلاً للكمالات مستعداً للإدارات مؤهلاً للسياسات  
فلا يزال يطبق عمله على علمه وأشغاله تشهد له حتى ينتظم فى سلك الرجال  
العظام وهناك تظهر ثمرات مجرياته وقوائد مخترعاته ومروياته ويشار إليه بأنه  
الرجل الذى بحسن تربيته وشريف عمله زاحم بمنكبه أعظم الرجال . وهذه  
التربية هى التى رفعت ممالك أوروبا إلى أوج السعادة والمنعة وانتهت بأهمها  
إلى سنام الكمال :

ومن هذا الإنموذج نعلم أن رجال الدين فى أوروبا هم أساتذة السياسة ورجال  
السياسة هم حفظة الدين فاتحد المبدأ والغاية وهذا عكس ما نراه فى جميع  
أهل الشرق فإن العلماء مبتعدون عن السياسة مقتصرين على العلوم الدينية  
فإذا عرض عليهم أمر سياسى أحجموا عن الخوض فيه لجهل طريقه وإن تكلموا  
فيه بالجرأة كان الخطأ أكثر من الصواب لعدم اشتغالهم بمثله ولهذا أهملهم  
الأمراء فى المجامع السياسة المدربين على أعمالهم مع أن فريق العلماء أحق  
الناس بالاشتغال بها والتفنى فيها وغوص بحارها فإن نوازل الملوك تقضى  
عليهم فى الغالب باستشارة العلماء فإذا جهلوا ما استشيروا فيه ربما أشاروا  
بما فيه ضرر الأمة وهم يظنون أنهم محسنون صنعا بخلاف ما إذا اشتغلوا  
بالأمور السياسية فإنهم بما عندهم من تربية الملكة واقتدارهم على فهم عريص  
المعانى يمهرون فى السياسة ويتقدمون على المشتغلين بها عمراً طويلاً إذا  
اشتغلوا بها زمناً قصيراً وليس فى النصوص ما يمنع من الاشتغال بها حتى  
نعدده معصية بل كل العلوم الشرعية من قواعد السياسة فإن أبواب البيوع  
والزروع والوقف والحرب والسلم والجنايات والشهادات والحقوق والعق

تكن كالتلير يكون له ريش فإذا زنى ذهب ريشه أو نه لم ينزجر بروية يعقوب  
فجاء جبريل فركضه فلم تبق فيه شهوة فكلام لا يقبله الا جاهل بمقام النبوة  
والرسالة متبوع للخرافات من غير بحث فيما تؤدي اليه ولو علموا أن ذلك يؤدي  
إلى تكذيب الله تعالى فى الأخبار عنه بالعصمة والإنصراف عن الهم لما تجرأوا  
على مثل هذه المفتريات التى اخفها يشين أقبح الفساق فضلا عن نبي مرسل  
ولا يغرنك نسبة هذه الأقاويل إلى مثل ابن عباس وعكرمة وقتادة وسعيد وجعفر  
الصادق وغيرهم فإن مفترى الخبر مفترى النسبة ليروجه عند ضعفاء العقول  
كما لايفرك وجود هذه المفتريات أو بعضها فى بعض تفاسير من لايتحاشون  
النقل من السير وأخبار القصاص إذ لو حصل منه أدنى سوء للزم أن يستغفر  
الله تعالى منه أو يتوب ولاخبرنا الله تعالى بذلك فى قصته كما أخبر عن كثير  
من الأنبياء ممن وقعت منهم صور المعاصى فأردفها بالاستغفار أو التوبة -  
وله در الإمام فخر الدين الرازى حيث قال هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى  
يوسف عليه السلام هذه الفضيحة أن كانوا من اتباع دين الله تعالى فليقبلوا  
شهادة الله تعالى على طهارته وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا  
شهادة إبليس على طهارته ولعلمهم يقولون كنا فى أول الأمر تلامذة إبليس إلى  
أن تخرجنا عليه فزدنا عليه فى السفاهة كما قال الخوارزمى  
وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى \* بى الدهر حتى صار إبليس من جندى  
فلومات قبلي كنت أحسن بعده \* طرائق فسق ليس يحسنها بعدى  
والله تعالى يحفظنا من الخروج على أنبيائه بما لايجوزه عقل ولانقل ويوقفنا عند  
تنزيه هذا المقام الشريف من كل سوء بفضلته جلت قدرته .

(جواب على سؤال عن أرم ذات العماد التي لم يخلق  
مثلها في البلاد)

أرم اسم ابن سام بن نوح جد عاد بن عوص ابن أرم فهو اسم لقبيلة عاد أو اسم لبلدهم التي سمعت باسم جدهم بدليل قراءة الإضافة أي بعاد ارم والمراد بذات العماد ذات الأخبية والخيام التي لا بد فيها من العماد والعماد بمعنى العمود أو ذات البناء الرفيع لما كان في تلك القبيلة من الشدة والقوة والصبر على الأعمال الشاقة كما قال تعالى فيهم «اتبثون بكل ربيع آية تعبتون وتتخنون مصانع لعلكم تخلون» وإن أردنا بها البلد كان المعنى أنها ذات أبنية مرفوعة على عمد محكمة الصنع. والمراد بقوله لم يخلق مثلها أي مثل عاد في صبرهم على نحت الصخور واتخاذ البيوت في الجبال وما يروى من أن شداد بن عاد ملك الدنيا ودانت له ملوكها وسمع بذكر الجنة فبنى مدينة سماها ارم أقام في بنائها ثلثمائة سنة وعاش تسعمائة سنة وبنى قصورها بالذهب والفضة وجعل أساطينها من الزبرجد والياقوت ووضع فيها أصناف الأشجار والأنهار ثم سار إليها بأهل مملكته فلما كان على مسيرة يوم ويلة منها بعث الله تعالى صيحة من السماء فأهلكتم وإن عبد الله بن قلابة نذت أبله فخرج في طلبها فوصل جنة شداد وحمل ما قدر عليه منها وبلغ خبره معاوية فاستحضره وقص عليه قصته فبعث إلى كعب الأحبار فسأله فقال هذه إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب إبل له ثم التقت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله هو ذلك الرجل. فمما لادليل على صحته بل هو من وضع القصص فإن شدادا لم يملك الدنيا ولا أثر له في غير بلاد العرب وما جاورها وتاخمها وخبر كعب الأحبار لا بد وأن يكون مذكورا في كتاب ولاكتاب تسند إليه أقاصيص كعب إلا التوراة وليس فيها شيء

من القصة ووصف ابن قلابة ويستحيل على ملوك النول الآن بناء مدينة من ذهب وفضة ولا يوجد فى معادن الزبرجد والياقوت ما يكفى لعمل عمد قصر فضلا عن مدينة قضى العمال فى بنائها ثلثمائة سنة فيلزم لها من العمد ما يساوى جبلا عظيما خصوصا وأنها عمد تقطع كما تقطع الصخور فلا بد وأن يكون قد تخلف من الاحجار الثمينة عند قطعها ما يكون حليا للعالم أجمع ولو كان شيء مثل هذا ويعلمه كعب لكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعلمه أولى ولم يصح عنه شيء فى هذا على أن عادا كانوا يسكنون بين عمان وحضرموت وهى بلاد الأحقاف وكلها أرض ذات رمال ولم يكن فيها معادن ذهب ولافضة ولاياقوت ولازبرجد وإن قيل إنه استحضر الذهب والفضة من بعيد قلنا أن هذين المعدنين لم يكونا مستخرجين ومستعملين بقدر ما هما عليه الآن ومع عناية الأمم باستخراجهما فى العصر الحاضر فإن المستعمل منهما لا يكفى لبناء مدينة يصرف الصناع فى بنائها ثلثمائة عام والقرآن الشريف لم يتعرض لهذه القصة ولا ذكر شيئا ما يومى إليها فلا نعول عليها والحق أن ذات العماد وصف للقبيلة أو لبلدهم المحكم بناؤه الصخرى أو المنحوت فى الجبال فإن القصد زجر الكفار بأن الله تعالى أهلك عادا مع شدتها وقوتها وعملها الأعمال العجيبة كما أهلك ثمود أى قوم ثمود الذين جابوا الصخر أى قطعوه واتخذوه بيوتا وكما أنزل الهلاك بفرعون ذى الأوتاد فهو قادر على إهلاكهم لتكذيبهم رسوله كما أهلك من كذب رسله السابقين والله اعلم.

(بعض كلمات من كلامه أرسلها أمثالا)

أبدك حياتك فطول أو قصر. روحك غذاك فاصلاح أو افسد. عملك قدرك فارفع أو اخفض. انت لا أنت فاعرف من أنت تعرف. ترك الحزم يضيع الفرص..بعدك عن الشر مع حب أهله وقوع فيه . كن حيث صرت تقطع العقبات وأنت جالس.

كل خلاف كذاب. إذا استقيحت ما أنت عليه فاختر لولدك مهذباً غيرك.. امرك بيدك فإذا جذبت مطامعك تبدد. بين المبدأ والغاية التبصر فاحفظه تصلها. يومك كأمسك فأعد لغدك ماتخيرته منهما . لاتضق صدرا إلا بما لم يحل بمثلك . أصل الدناءة دناءة الأصل. رد بابك نون أمر لم تحضر تأسيسه. نولة بلا قانون فوضى وإن كثر العادة. كل ملك قوض إلى الأحداث ضاع. أكبر اذات العلوك حرب تعدم الإنسان. وقوفك عند الرعادة يقطع طريق الأمنيات عليك. تعلم الصنعة وأنت غنى عنها تخل بينم وبين المعوزات. مملكة يسوسها غارق فى الشهوات مقبرة تزار ولا تسكن. إذا ظلمت الراحة فارجع إلى ظهر أبيك. إذا سميت ممكن غيرك مستحيلا فأنت العاجز. جهلة الحاكم حكام الجهلة. لن للظالم ما تتبه فإن غفل فاحمل عليه. إذا وصلت الغاية فقف فوزا كانت أو خذلانا فما بعدها إلا العدم. لك عندى بقدر مالى عندك فلا تطالبنى بمنزل لم تبنيه. إذا ساعدت الأجنبى على أخذ بلادك فلا تغضب إذا نام فى فراشك. المتجنس بجنسيتك طامع فى متاعك أو جاهك. إذا حركت الخواطر لأمر فكن الأول فعلا. من أهان ظالما عد من الأبرار. المطامع تحت أقدام القرص متى تحركت وثبت. أقوى سلاح الطامع فيك اغتراك بليته. اذا ولعت بالخمير فاحرص على نصف مالك لكفن شرقك. كل ذى أمل ينتظر غفلة مثيله فكن الحذر وما عليك إذا فجئت من جهل حقائق الأمم قاداته المرثيات. أحسن معاملة الأجنبى واحرص على خصائصك. إذا كنت وسيلة للغير فكن فضيلة لقومك. قلبك مرجع حسك فلا تقبضه بكره المحسوسات. كل بعيد قريب وإنما تبعده الأيبصار أو الهمم. كن كيف شئت إذا لم تجد لانما . مخك أثيرك فلا ترفع دخان الغضب إليه يعد عليك صواعق.. كما يدل اللسان على العلل كذلك يدل على الأمل. التمدح بالأزواج بين الرجال دياثه. المشرب السياسى يغالب الجنسية

والدين فانظر مع من تكون. جنسك واياك فاذا واليت غيره فوق الحاجة انكرك  
الاثنتان. إذا نغذت كلمتك فاحفظها بالرفق وايدها بالاستقامة. إذا اختلفت  
الاحزاب فكن مع أحفظها لوطنك. سح الكائنات فإن وجدت خالدا بالجبن فعش  
بما عاش به. إذا رأيت المعذبين في الحرية فجد في تخليسهم أو اللحق بهم.  
إذا صح تأثير المعلوم في الموجود صح تأثير مختل الملك في منتظمه. وثوقك  
بغير المجرب بله. علم ولدك الكلام وما عليك إذا أخرسته العوارض. إذا  
صاهرت من هو فوقك فتعلم عبادة الأوثان قبل الإقدام. أوص على أهلك قبل أن  
تخرج للفتنة. إذا صرت في الغوغاء فلسك شريفا. إذا ألقيت السلاح تعباً فانت  
المقتول. تغافل عن أهل العيوب فضيلة. من نام في جحور الأفاعى خافها.  
مسكن بين الأعدى حبس ردىء. غاية السعى رغيف أوردا. من فوض الأمر  
لمولاه استراح. فقد الرجال علامة التهقر. من أمرك بغير حق فأنمرت له هان  
عليه دمك. أجهل بجهل زوجتك تلتذ ولا تجهل بجهل الملوك تقتل. هيبة الظالم  
بالسلاح وهيبة العادل بالصلاح. إذا حكمت فتجنب ما لا ترضاه لنفسك إلا  
بحق. من يملك ميتا يملك حيا فصله واقطع غيره. تجاهل العالم وقت الرجوع  
إليه انقلاب إلى الحيوانية. إذا ربح في القمار دينارا فهىء ما تملك للخسارة.  
إذا سست أمة جسمها في ملكك وفكرها في غيره فقد أضعت نفسك والملك معا  
. بالمقول تعرف العقول فعنون عقلك بأحسن ما فيه.

جزاء فعال اسوء في العدل مثلها \* قنفس بنفس والجروح قصاص  
دنوك من مرضى القلوب تعرض \* لعدواك فاحذر فالسواء عزيز  
نوق المعانى لئذ \* وسواء يأتى بالهوس  
ذم التقى وأهله \* أمر يحسن لى الطرش  
خذ من زمانك صفوه \* ودع التعمق تسترح

## (تربية الأبناء)

اشتغل الكتاب قديما وحديثا بوضع الكتب والرسائل في تربية الأبناء وتهذيبهم ونقلهم من حضيض البهيمية إلى أوج الإنسانية ومدار الكمال وقد اختلفت عباراتهم باختلاف الأفكار وتباين الأقطار وكان للشرق القدم الراسخة في هذا الباب فتهدب رجاله وترقوا إلى أعلى مقامات الفضل بما أخذوه عن أساتذة التربية وكانت طريقة التعليم واحدة في جميع أقطاره ثم انتهى إلى تعلم العلوم من طريقين طريق التلقى عن الأشياخ وسموه الطريق الديني وطريق الأخذ عن الأساتذة وسموه التعليم المدرسي وهذا الأسلوب معترض عند الأوروبيين فإنهم الآن محل الاختراع ومرجع الترتيب فالحسن ما حسنوه والقبيح ما قبحوه والرواية إن لم تنته إليهم فهي باطلة والنسبة إذا لم تتصل بهم فهي عاطلة وهذا الذي ألزمتنا الدول عن البحث في طرق تعليم الشرقيين إلى النظر في طرقهم لنجاريهم فيما هم فيه فإن التمدن موقوف على تقليدهم والأخذ بطريقتهم والهمجية لا توجد إلا في مخالفتهم والعمل بغير آرائهم. ولا بد لنا معاشر الشرقيين من مجازاة الأمم المتقدمة للخروج من مشيق التوحش المنسوب إلينا ما دمتنا على تعاليم أسلافنا ولانصل إلى هذا المقصد إلا بالوسائل التي اتخذتها أوروبا وكلها محصورة في طرق التعليم وهي أنهم خلطوا التعليم الديني بالتعليم المدرسي وصيروهما طريقة واحدة فبنوا في كل مدرسة كنيسة يصلى فيها التلميذ قبل الدخول إلى الدرس وعند انتهاء الدروس ليخرج من صفه عارفا بواجباته واتخذوا المعلمين من القساوسة فالكاتب والحاسب والرياضي والطبيعي حتى فراش المدرسة وطباخها كلهم منهم قد جربوا أنفسهم في الوحدات الجامعة فلم يجدوا أنفع من وحدة المذهب ولذا تجد الكتب التي بأيدي الأطفال كلها محشوة بالأمثال الدينية فإذا ترقى الطفل إلى درجة عليا وجد

العلوم الرياضية والطبيعية مخلة بقواعد دينية ليكون المذهب ملحوظا بعين الاعتبار محفوظا عند الصغار والكبار وقد حتموا القيام بالمظاهر الدينية على الأطفال والنساء والفتيان والشيخوخ حتى أنك تجد أرباب الفكر الحر الذين لا يدينون بدين يجارون بالمتدينين فيما هم فيه فلا يقدر أحدهم على فتح دكانه يوم الأحد بل يقفله موافقة للسواد الأعظم ولا يأخذ زوجة بغير تكليل شرعى ولا يترك ميتة يفارق الدنيا من غير أن يستحضر له تسييسا ولا يشتغل فى أيام الأعياد تظاهرا بعدم اعتقاده ولا يطعن فى دينه وهو فى مجمع أنبى أو عامى ولا يسكت عن إقامة الحجة عن صحة دينه إذا عورض فيه. وما يعتقد من فساد العقيدة على زعمه الفاسد إنما هو أمر باطنى لا يتظاهر به إلا عند من يماثله فيه. وهذا الذى جمع وحدة أوروبا الإجماعية وإن اختلفت المقاصد السياسية التى هى فى حكم الفروع لهذا الأصل الوثيق. ثم أنهم يدنون كتب التعليم بلغتهم المستعملة فى وطنهم فلا تجيد فرنسويا يتعلم بالانكليزى ولا روميا يتعلم بالألمانى ولا نمساويا يتعلم بالروسى ولا إيطاليانيا يتعلم بالاسبانيولى بل كل دولة تحافظ على لغتها بجعل التعليم بها فتجد جميع الكتب العلمية موضوعة بلغاتهم إلا ما يكون من بعض الكلمات التى تضعها العلماء باللسان اللاتينى أو اليونانى فإنها تقرأ بين أهل كل لغة باللاتينية أو اليونانية لأنها فى حكم الاصطلاح الذى لا يتغير ولكنهم يترجمون المعنى بلغتهم فإذا تعلم التلميذ كلمة أخذ معناها معها حرصا على بقاء اللغة حية بمعرفة معانى لسان الغير بها. وهذا الذى طلبنا له عقد جمعية علمية. والسبب الباعث على المحافظة على اللغة إنها العنوان الجامع للجنسية الحافظ للتاريخ الداعى لاجتماع الأفراد إذا تفرقت الأمم فالمحافظة على اللغة محافظة على الجنسية بل على الملك وما يشتمل عليه ولهذا لاتباع أية دولة لنقل التعاليم من لغتها إلى لغة أخرى مهما

مست الحاجة إليها ولا تعطى شهادة لتلميذ أدى الامتحان في جميع العلوم بغير لغته مهما كان تمكنه من اللغة الأجنبية عن لغته وبهذه الوسيلة حفظت مقاصد الدول وامتازت كل أمة بخصائصها التي حفظتها لها لغتها. وكثيرا ما سمعنا ورأينا أناسا من أوروبا اختلطوا بغير جنسيتهم وتكلموا بلغتهم ثم جاء أبناءهم من بعدهم وتعلموا بلغة الغير فانسأخوا من جنسيتهم وتجنسوا بجنسية من يتكلمون بلغتهم كما حصل في الألمان الذين تأتجوا والذين تفرنجوا أيام ثورات الأوسترغوط والنورماندية وغيرهم وما ذلك إلا بترك لغتهم واستعمال لغة الغير التي حكمت بتسليم الذات تبعا لها. ومن مبادئهم تعليم روابط الجنسية وشرفها ووجوب المحافظة عليها فيخرج التلميذ عارفا بقدر نفسه محبا لأبناء جنسه حافظا لتاريخ قومه عالما بثارات الدول معهم وارتباطهم بغيرهم محيطا بالفروع التي تفرعت من جنسيته والأقطار التي حلت بها باحثا فيما يحفظ وحدة جنسيته ويجمع كلمتها ويرفع قدرها وينمي ثروتها ويكثر عمارتها ويقدم تجارتها ويصلح زراعتها ويحفظ جنودها وينور أفكارها فما رأى فضيلة في أمة إلا نقلها إليها ولا مزية في موجود الأسهل لها الحصول عليها وبهذا رأينا كل جنس في أوروبا مرتبطة أفراده ببعضها ارتباط أهل بيت واحد وأن توزعت الأهواء حول المشارب السياسية والمذاهب الدينية. ومن مبادئهم تعليم التاريخ الملى والوطنى فيعرف كل تلميذ أصول آباءه والمتقلبين في وطنه وأنوار عمرانه وأسباب تقدمه وتأخره والعوارض التي طرأت عليه من خير وشر والأمم التي هاجمتها والتي تتاخمها والتي تواد أهلها والتي تتافروهم ومن تاريخه يعلم الرجال الذين خدموا وطنه من سياسيين وحربيين وكتّاب وفضلاء فترى الأمة سارية خلف رجال الطبقة الأولى من المدربين على الأعمال معضدين آراءهم معارضين أعداءهم فإذا شرع العظيم منهم في مشروع نافع للوطن وأهله رأى الأمة أمامه

(جواب على سؤال)

السؤال. ما هو البرهان الذي رآه سيدنا يوسف حتى عاد عن الهم بامرأة العزيز فقد اختلفت العبارات فيه

الجواب . اعلم أن الهم مشترك في اللفظ مختلف في المعنى فإنه منها ما كان يقصد الفاحشة ومن سيدنا يوسف لدفعها عنه والدليل أن الله تعالى قال قيل ذلك في جانبها وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك فاثبت مرادتها التي تثبت أن همها كان للفاحشة خصوصا وقد وجدت القرائن من تعليق الأبواب وقولها هيت لك. وقال في جانب الصديق قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي فشهد عليها بهم الفاحشة وشهد له بالانصراف عنه وعنهما فلم يبق إلا أن يقال إن الهم مختلف ولو اتحدا لقال ولقد هما بالفاحشة أو ببعضهما فلماذا اعاد الهم تحققنا انه غير الهم الأول فهمت به مرادة وهم بها مدافعة كادت تفضي إلى ضربها ولو فعل لامرت بقتله ولولا ان رأى برهان ربه وهو النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش فيكون هم بها جواب لولا ويكون الأنظم ولقد همت به مرادة وطلبا للفاحشة ولولا أن رأى برهان ربه هم بها دفعا بالضرب المؤدي إلى قتله لو فعل كذلك لتصرف عنه السوء أى القتل والفحشاء أى الزنا ولمثل هذه الآية في حذف اللام من جواب لو وتقديمه عليها أمثال منها قوله تعالى «إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبه» فالبرهان هو نبوته وعلمه بتحريم الزنا على الأفراد فضلا عن المرسلين وتيقنه من أنها تأمر خدما بقتله لو ضربها في دفعها عنه أو عن الفاحشة. والذين لهم تعلق بهذه القصة شهدوا ببراهته من كل سوء فلم يكن هناك وهم لحمل الهم على همه بالفاحشة فإله تعالى أخبر عنه بقوله قال معاذ الله وقال كذلك لتصرف عنه السوء

والفحشاء وقال إنه من عبادنا المخلصين: والطفل شهد بقوله إن كان قميصه إلى آخر الآيتين والمرأة قالت للنسوة أنا راودته عن نفسه فاستعصم شهدت على نفسها بطلب الفاحشة وله بالعصمة وقالت بين يدي الملك الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وزوجها قال إنه من كيدكن أن كيدكن عظيم ثم خاطب الصديق بقوله يوسف اعرض عن هذا ولو هم بها لقال له استغفر لذنبك كما قال لامرأته واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين فأنبت الذنب لها وعدها في الخاطئين وإبليس قال لأغوينهم أجمعين إلا عبادك المخلصين. ويوسف قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثوأي أي فلا أخونه في عرضه فإن ذلك دناءة وخسة من الأفراد فكيف من مهبط الرسالة وقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه والا تصرف عني كيدهن أصب إليهن أي أنه إلى ساعة الدعاء التي هي على بعد من الواقعة بكثير لم يصب أي لم يمل إلى النساء ولا هم بحبهن فضلا عن القرب من الفاحشة. والنساء اللاتي قطعن أيديهن عندما قال لهم الملك ما خطيبكن إذ راودت يوسف عن نفسه فأنبت أنه كان منهن مراودة كما كان من سيدته فلما سألهن قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فإذا شهد الله تعالى ويوسف الصديق والطفل والمرأة وزوجها والنساء وإبليس على عصمته وبراعته من السوء كيف تحمل الهم على الفاحشة وهو تكذيب لهذا كله نعوذ بالله من ذلك. وأما ما قيل من أنه عليه السلام جلس منها مجلس الرجل من المرأة أو أنه هم بحل التكة أي أنه حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن أو أنها استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه وإن البرهان استحياء المرأة من صنم عندها فقامت لتستره فاستحيا من ربه أو أنه رأى يعقوب عاضا على أصابعه ويقول له اتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء أو أن يعقوب ضربه في صدره فخرجت شهوته من أنامله أو أنه سمع صوتا في الهواء يقول يا ابن يعقوب لا

والقسمة وغيرها كلها من أصول السياسة ومن درس العلوم الكثيرة لا يعز عليه دراسة القوانين والمعاهدات الدولية والأخبار اليومية بعد أن تمت له المعدات ومواد التحصيل. فما لنا نتقاعد عن طرق أوروبا النافعة ونسعى في طرق تفقدنا معاشر الشرقيين روابط الجنس واللغة والوطن والدين وما لنا غفلنا عن مبادئ الجمعيات الأوروبية وسلمنا أولادنا إلى أساتذتهم فأعادوهم إلينا متجنسين بجنسياتهم حقيقة وإن شابهونا صورة فنرى المصرى والسورى والتركى والعراقى الذين تعلموا من بادية أمرهم على أساتذة القرير والبروتستانت والجوزيت صاروا قسما ثالثا بين الشرقيين والغربيين اللهجة شرقية والمساعى غربية . فماذا على أغنياء الشرق لو عقدوا الجمعيات الخيرية تحت حماية دولتهم وفتحوا بها المدارس الوطنية وعلموا فيها هذه المبادئ تقليدا لأوروبا وساعدتهم الحكومة بحفظ مشروعهم من السقوط وتسهيل طرق تعميم التعليم وتوسيع نطاق الجمعيات بإعداد محافل الخطابة العلنية العلمية ونشر المطبوعات الأهلية ومكافأة النابغين ومساعدتهم على جنى ثمرة أتعابهم باستخدام أو تسهيل طريق معيشة أو إعانة على صناعة وحفظ الامتيازات للمؤلفين والمخترعين لتمتو الأفكار وتكثر المبتكرات فهذه أوروبا تتنادينا

غنى خنوا بى اقتنوا ولى اسمعوا وتحدثوا بفرائى بين الورى

(بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد)

هذا السؤال لهجت به ألسنة الشرقيين واشتغل العقلاء به فى كل الممالك الشرقية فعدوا يتساطون فيما بينهم عن الأوروبيين ما قدمهم وأخرنا والخلق واحد. ولما دار السؤال على ألسنتهم دار عليها كثير من الأجوبة وكل واحد يزعم أنه عرف السبب ووقف على علل التأخر فمنهم القائلون أن الجو له حكم فى انفعال الأجسام بحسب ما تدعو إليه طبيعته وقد قضى على الشرقيين

بالكسل والتقاعد عن الأعمال العمرانية كما قضى على الأوروبيين بالعمل وعلو  
 الهمة وعللوا ذلك بعلل تنكرها عليهم الأوار الماضية فقد أخذ الشرق أنوارا  
 علمية مدنية استمدت أوروبا مدنياتها من نوره الأخير أيام كانت على أسوء معا  
 عليه الشرق الآن. ومنهم القائلون إن الدين الإسلامي مانع من التقدم وهو علة  
 العلل في هذا الباب وأصاب هذا القول كالببغا يحكون الصوت ولا يدركون  
 المعنى فقد قللوا في هذا الوهم أوروبا في قوله الذي طارت به الصحف في  
 كل مكان وقاتهم أن الشرق ممتلئ بأديان تغاير الدين الإسلامي والأخذون بها  
 أضعاف الأخذين بالإسلام. ومع ذلك فإن تقهقرهم في المدنية والقوى العلمية  
 أكثر من المسلمين بل لا نسبة بينهم وبين المسلمين في المدنية والألفة بين  
 الناس ومعاشرة المغايرين لهم جنسا ودينا. فلو كان الإسلام مانعا لرأينا الهند  
 والصين في تقدم أوروبا وحالهم شاهدة بأنهم أحط من المسلمين بدرجات.  
 ودعوى الأوروبي أن الإسلام سبب لحركات الشرق ضد الغرب وأنه لاسكون  
 للأفكار إلا بإعدام القرآن والأخذين به مدحوضة بالحروب المتواصلة بين دول  
 أوروبا المسيحية من عهد الرومانيين إلى الآن وكلما كثرت مدنية دولة أوروبية  
 كثر تفتنها في آلات القتال والتدمير مع سكون الشرق هذه القرون الطويلة  
 لا يتحرك إلا دفاعا عن وطنه الموطوء بأقدام أوروبا الملوثة بالدماء الشرقية.  
 ولا يحركه إلا فتنة أوروبية ولا داعى لأوروبا في تحريك الممالك الشرقية إلا  
 الطمع الملكي والتعصب الدينى وإنما لشدة تمسك هذا الأوروبي بدينه كره أن  
 يرى ديناً غيره وأحب أن يسمع صدى صوته في بلاده لتميل النفوس إلى رجل  
 غيور على الدين. وقد كان للإسلام اليد القوية أيام صولته فلم يبطش بها  
 بمواطنيه ولا مدها إلى معاهديه بل ولا حرك بها عصاه نحو المتوحشين عند  
 نزولهم على حكمه تحت سطوة سلطانه. ولم يكن عند رجاله من التعصب ما

يحملهم على قهر الناس بالتضييق على ترك أديانهم بل خير من نازلهم بين  
الأخذ به أو الاستيطان على حكمه وهذه خصوصية له من بين الأديان ويكفيه  
من إطلاق حرية الأعمال أن وفدا من نصارى العرب وقد على سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجده فلما أدركتهم الصلاة قاموا ليصلوا جهة  
الشرق فأراد الصحابة التعرض لهم فمنعهم النبي وتركهم يصلون فى حضرته  
لغير قبلته وعلى غير ملته وليس بعد هذا مسلك لحرية الأفكار والأديان. ومنهم  
القائلون أن اختلاف الجنس مانع عظيم وهذا وإن كان له وجه ولكن هناك  
وحدات أخرى تترك للجنس خصوصيات ومزايا لا تبعده عن الانقياد للسلطة  
الجامعة للأجناس. ومنهم القائلون أن الأديان سبب التخاذل الحاصل فى العالم  
ولا سبيل لمنعه إلا بتركها جملة واعدامها من الوجود وهذا الفريق مقلد لدهاة  
أوروبا الذين أفسدوا كثيرا من الأخلاق الشرقية بهذه الترهات والأوهام. مع أننا  
لو فرضنا عدم صحة الأديان وأنها وضعت نظومات فى أيام الخشونة والجهالة  
ولا لزوم لها الآن مع وجود القوانين الوضعية لكان من الواجب احترامها  
واعتبارها فإن تأثير وعدها ووعيدها فى النفوس لا يبلغه قانون فإن الشخص  
يمكنه أن يفر من عقوبة القانون إما بالبعد عن موجبها وإما بالتحايل على تأويل  
مواده بالوسائط ولكنه لا يمكنه أن يفر من عقوبة الله بأية حيلة على معتقده. ولو  
ترك الناس وشأنهم لكل بعضهم بعضا وأعجزت أية دولة قانونية عن ضبط  
أفرادها ولو كان لها فى كل ذراع عسكري حارس. وما ساعد الملوك على  
النظام وبت الأمن إلا القانون الدينى وما فتح الباب لأهل القوانين الوضعية إلا  
الشرائع الدينية والدين هو الذى يحمل العسكري على بيع حياته فى حرب دينية  
انتصارا للدين وإقدامه فى الحرب الدينية يفوق إقدامه فى الحرب الملكية  
أضعافا وما يدعوه للدخول فى ساحة القتال إلا الطمع الأخرى الآتى به الدين.

قلو علم العسكرى أن لا يبعث ولا أجر على عمله لفر من ساحة القتال فإن أرغم قاتل مكرها . ولا يقال إن الشرف الوطنى يلزمه باقتحام غمرات الموت فإنه إذا علم أنه يقم للموت ليفوز الملك أو الأمير بمراده ولا ثواب ولا نعيم فإنه لا يبيع حياته بلذة غيره وإذا بطل هذا كله لزمنا البحث فى العلل التى أوجبت التأخر ولا نتوصل إليها إلا بمعرفة الأسباب التى قدمت أوروبا فبضدها تتميز الأشياء .

### السبب الأول

لا ينكر أن ممالك أوروبا كانت بوقات وكونتات وإيالات وممالك صغيرة وكبيرة وأن الذين صيروها إلى ماهى عليه الآن عائلات تسلطت على عائلات وضمت الأجزاء إلى بعضها وصيرت كل قطعة عظيمة مملكة مستقلة. وعندما تغلبت هذه العائلات خافت من تحرك الهمم خلف الاستقلال فهدهتها التجارب إلى توحيد اللغة فى بلادها لتميت حمية الجنس التى تدفع إليها اللغة فلم يكن فى بلاد فرنسا وانكلترة أو ألمانيا من يتكلم بغير لغة البلاد والمراد بعدم التكلم بلغة الغير أن المملكة توحد اللغة فى المعاملات والتأليفات والتعليم والمخاطبات فلا يستعملون لغة الغير إلا لضرورة تدمو إليها بحيث لا يتوسع فيها إلى حد أن تسطو على اللغة المحلية. وقد اعتنت الدول بذلك حتى أن مثل البلغار قلدت الدول الكبيرة ومنعت لغات الغير من استعمالها فى مدارسها. وبهذا القانون نقلوا كل جنس دخل تحت سطوتهم إلى لغاتهم فحكمت اللغات على الأجناس التى اخذت بها وصيرتهم كاهلها فى الأخلاق والعادات لتسيانهم لغاتهم وانفعالهم بفواعل اللغة الموضوع لها تلك الألفاظ. وملوك الشرق أخطأوا هذا الغرض وتركوا المحكومين. يتكلمون بلغاتهم ويتعلمون بها فبقيت الجنسيات حية بحياة اللغة وذلت خاضعت بقدر مادعت ضرورة الضعف والفراغ من المعدات وكلما فتح لجنس باب ثورة أو محرك لاستقلال تدافع حول الداعى

وتفانى في الخروج من أسر الغير يشهد بذلك الأمم التي حكمها العرب ولم يوحدا اللغة فيهم فخضعوا بقدر ما استعدوا للخروج من سلطتهم أو للتغلب عليهم حتى تمرقت المملكة وتوزعت في أيدي الشائرين والمتغلبين. والترك والفرس عند ما أفرغت إليهم دولة العرب تركوا الناس ولغاتهم ولم يوحدا لغتهم في محكوميهـم لبطريق الإجبار ولا بطريق التعليم فبقيت نار الجنسيات تحت ردم انتهاز الفرص حتى تمت المبادئ فقامت عليها الأجناس ثائرة بنفسها أو متبعدة بتحريك الغير لها. ولاينكر ذلك إلا من جهل استقلال الفرس والأفغان وبخارى واليمن وتونس ومراكش ومسقط وزنجبار والبلغار ورومانيا والجبل الأسود والسرب وممالك السودان والهند الإسلامية وقد كانوا تحت السلطة العربية ثم التركية والفارسية بعدها. وهذا الذي أخاف ممالك أوروبا فتخذت ماحصل للعرب والترك والفرس كتابا تدرس فيه وقاية ممالكها من العوارض المعددة لوحدة كل أمة منها. وكما اتخذت هذه الطريقة لتوحيد الجنسية في بلادها التزمتهـا في الأمم المتغلبة عليها ولكنها لم تجعل الانتقال إلى لغتها إجباريا بل التزمت التدرج لذلك بتعميم التعليم بها لئلا ينفر المحكومون إذا علموا سعيها في أمانة لغتهم فهي تخادعهم باسم التعليم حتى إذا انقرضت الطبقة الحاضرة خرجت التي بعدها مذبذبة فإذا مضت جاءت الطبقة الثالثة من جنس الأمة الحاكمة لغة ودينا فتأمن ثورتها وتحركها عليها لكونها صارت منها وإذا دامت هذه الحرب الخفية قرنا أو قرنين والشرق في غفلته منحدر في تيار الأوهام ماتت الأجناس العربية والتركية والفارسية والهندية والمغولية والحبشية والأفريقية وأصبح الشرق مسكونا بأمم أوروبية لغة ودينا وإن ولدوا في آسيا وأفريقيا .

### السبب الثاني

عندما تم لكل عائلة أوروبية الاستيلاء على قطعة مخصوصة وحدت السلطة في الجنس المتغلب فلم تمكن أي إنسان من المتغلب عليهم من أي إدارة فرارا من

توزيع السلطة وضياع القانون بالأهواء والأميال الجنسية وخوفا من اتساع سلطة المقهورين بما يحركهم للاستقلال. واستمرت الحال كذلك حتى تم نقل الأجناس لغة ودينا وصار المجموع جنسيا واحدا. وعند تغلب مملكة أوروبية على مملكة شرقية تجعل الإدارات العالية بيد رجال منها لتوحد السلطة وتتمكن من القبض على أزيمة القوى الحربية والمالية والإدارية فتراها تسوق الملايين من الشرق بعشرة رجال منها. وهي لاتمكن أجنبا من إدارتها فلا ترى روسيا قائدا لجيش انكليزي ولا انكليزيا وزيرا لمالية روسيا ولا فرنساويا وزيرا لمعارف ايتاليا ولا ايتاليا وزيرا لحربية فرانسوا وهكذا بقية الدول. وبول الشرق اخطأت هذا الطريق ولغقت العمال من الأجناس المحكومة وغيرها فانحلت عربى قواها وكثر فيها الثورات والتغلبات حتى جاءت الدولة العربية فوحدت سلطتها فى دورها الاول فنمت مملكتها بكثرة فتوحاتها ونفذت قوانينها الشرعية والوضعية فى الممالك التى ربطت خيولها بأبواب ملوكها وامرائها. فلما اتسع نطاق المدنية وجنح الخلفاء والأمراء إلى الرفاهة والسكون أسلموا أمور إداراتهم إلى الأجناس المحكومة بهم فدعاهم حب الأثرة إلى نزع ما بيد مواليهم وساداتهم ورجعت العرب القهقرى وكثر المتغلبون وفسد النظام وجرت الدماء فى كل جهة وطمعت دول أوروبا فهاجمت الشرق بعد أن كانت ترعد من ذكره ثم انتهى الأمر بجمع السلطة للأمة التركية فأخذت دورها الاول بما لاينزل عن دور العرب بل تخطت من أسيا لأوروبا وفتحت بعض قطع منها وأستولت عليها قرونا وما زالت تزال الأعمال بنفسها حتى وقفت برزخها ضيقا بين أوروبا وبين بلادها وممالك الشرق ولما انتهت فى المدنية إلى حد الرفاهية والخلود إلى الراحة وغوضت أمر كثير من الإدارات إلى غير جنسيتها كانت تلك الأجناس الوسيلة العظمى لتداخل أوروبا فى مملكتها وكذلك بقية الممالك الشرقية التى أصبحت ميدانا للعب رجال أوروبا بعقول أهلها .

### السبب الثالث

كل عائلة تغلبت على قطعة في أوروبا وحدت دينها والزمّت المحكومين بالأخذ به وأراقت غزير الدم في سبيل توحيد الجامعة الدينية لئلا تترك بينهم ديناً آخر يوجب الفقرة والفتن الداخلية والتداخل الخارجى وقد اعتنت أوروبا بالدين اعتناء غريباً حتى ملأت بكلماته كتب التعليم من أى فن كانت ورسمت الصليب الذى هو الصورة المحترمة ديناً على الملابس وأوانى الأكل والشرب والبسط والقرش والآلات وأوراق الزيارة والمباني حتى على أعتاب الأبواب فلا يكاد يقع بصر إنسان على شيء إلا وعليه هذه الصورة المقدسة ليكون الدين فى فكر الواحد منهم فى كل طرفة عين. ولعلمهم أن وحدة الدين اذا انضمت إلى وحدتى اللغة والسلطة قامت المملكة على أساس متين واهتموا بنقل الأمم الشرقية بطريق التدرج فلم تقهر فرانساً أهل الجزائر وتونس على ترك دينهم كما فعلت أسبانيا فى مسلميها عند تغلبها عليهم حيث الجأهم إلى التنصر أو الخروج من البلاد وكذلك انكثرت لم تكره مسلمى الهند ولا روسيا قهرت مسلمى طاغستان والتركمان وغيرهم ممن هم فى حوزتها وإنما التزمت كل دولة أن تعم لغتها فيهم وأن تفتح المدارس لتعليم الأبناء على أخلاق الأمة الحاكمة وتمنع تعلم الدين إلا مبادئ قليلة جداً تموه بها على ضعفاء الإدارك ليخرج المتعلمون فارغين من الدين فيسهل نقلهم لأى دين بعد. إن تعرضت أمة شرقية لذكر دينها ولو لم تكن محكومة بأمة أوروبية نودى عليها بالتوحش والخشونة والهمجية وقيل أن هذا تعصب دينى مع أن التعصب الدينى لا يوجد إلا فى صنع أوروبا ولكن القوة تقول للضعف ما تشاء. وقد اخطأ ملوك الشرق هذا الطريق واكتفوا بالفتوح أو التغلب على الغير وتركوه على معتقده كما كان يصنع قداماء المصريين والبابليين والفرس والهنود وغيرهم ثم جاء الإسلام فاكتفى من الناس

بالأخذ به أو الإذعان لمملوكه وعند ما نشر جناحيه فى الشرق والغرب وترك أمما كثيرة على أديانهم المسيحية والموسوية والبرهمية والمجوسية والوثنية وأعطاهم حرية التعبد من غير أن يتعرض لهم أحد من المسلمين وهذه مزية لاتوجد فى دين غيره. ولكنه لم يجن من هذا الغرس الجميل ثناء ولا شكورا بل هاجمت أوروبا بأجمعها الشام بالنزعات الدينية وخربت دياره وأراقت فى كل شبر منه دم إنسان فجلبت الدمار على مسلميه ومسيحييه واسرائيليه وأصبح فارغا من معدات العمران محالا بينه وبين التقدم بسور الفقر الذى بنته أوروبا بيد التعصب الدينى. ومع كل هذه الفتن فإن أصول ديننا توجب علينا حسن معاملة من غيرنا دينا ومعاشرة الوطنى والمستوطن معاشرة المثل وإن عاملنا بضد معاملتنا له لعدم إمكاننا التصرف فى أصول ديننا. ولم تكتف أوروبا بتوحيد الدين فى بلادها بل عقد الأهالى الجمعيات الدينية وربوا لها ألوفا من القسوس وبدلوا لهم الملايين من الذهب ويثوهم فى الشرق تحت حماية دولهم ورعايتها فجاسوا خلال أفريقيا وآسيا داعين إلى الدين وقد انحدر الشرق فى هذا التيار الذى لامرسى له ولا مرجع إلا توحيد الدين شرقا وغربا. وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق فنامت الأمم فى زوايا الإهمال وعكفوا على الملاهى يصرفون فيها الذهب والفضة وتركوا العلماء والأخبار والرؤساء يجلسون فى المساجد والمعابد والهياكل منتظرين من يقطع البرارى والقفار ليتعلم منهم الدين وقد التزموا الطرق البطيئة وصعبوا على المتعلم طريق الحصول على المعارف ولا نعيهم بالتقاعد عن جوب الأقطار مع ما هم عليه من القاقة والحاجة إلى القوت الضرورى وإنما نعيب الأغنياء وأصحاب الأوقاف الذين ضلوا هذا الطريق وجعلوا أموالهم غنيمة لمن لا يستحقها من نائم فى تكية أو شموع لمولد أو نذور لأضرحة حتى من وفق لرصد شىء للتعليم صودر بما لم يكن فى

حسابه ولهذا تأخرت المعارف في الممالك الشرقية وعمت الجهالة عوامه واقتصروا العلماء على التعاليم الدينية في بعض البلاد وتركت العلوم الرياضية فماتت الصنائع بموت أهلها وعدم بحث الملوك في أحيائها وغفلة الأمم عن فتح المدارس والمعامل على نمة الجمعيات الخيرية والتجارية فأصبح الناس يعدون مخترعات أوروبا من وراء العقول وحكموا على أنفسهم باستحالة الوصول إلى تقدم أوروبا لفراغهم من المبادئ العلمية وبعدهم عن المسائل الدولية .

#### السبب الرابع

لما تمت تربية أمم أوروبا تحت أحضان ممالكها وجمعياتها العلمية والتجارية ورأت الدول أنها لو بقيت على التقاطع والتضاغن مع توحيد الدين بينها صارت عرضة للتفاني في سبيل الأطماع وفتحت للشرق بتخاذلها باب تداخل في شؤونها الحربية أو السلمية ولم تجد شيئاً تسد به هذا الباب إلا المعاهدات الدولية لتأمين كل مملكة شر جاريتها وتلتفت لتنظيم إدارتها فاجتمعت كلمة ملوك أوروبا على حفظ الوحدة الأوروبية من مس الشرق لها مهما تقلبت المسائل الدولية بين أيديهم وعلى توجيه الهمم إلى الشرق فتحا واستعمارا فتراهم إذا هموا بأمر ضد مملكة شرقية خابر بعضهم بعضاً فإذا أرضى هذا ذلك وتمت كلمة التداخل والاستيلاء وثبتت الدولة العاملة تحت مراقبة اخواتها فإن فازت بالظفر فذاك وإن خذلت تداركها الكل وأوقفوا الشرقية عند حدودها وكلفوها ما لا يطاق. فإذا انتهت من دورها قامت الأخرى لو ثبتها التي أباحها لها الاتفاق وعلى هذا جرت ممالك أوروبا حتى مكنتها الوفاق من التغلغل في أفريقيا وآسيا. وقد اخطأت ممالك الشرق هذا الطريق الجليل فاستبدلت الاتفاق بالنفرة وبثت العداوة بين أفراد الأمم وانتهت العداوة إلى مساعدة دولة شرقية مثلها لاستيلائها عليها وما تشعر أنها واقعة في حبالها بالقوة أو بالحيلة المالية

ولهذا لانرى اتحادا بين ملوك الصين والهند ولايين ملوك الصين والهند ولا بين هؤلاء والفرس ولا بين المجموع والترك ولا بين هؤلاء والافغان ويخارى ومراكش وزنجبار وبهذا التقاطع تمكنت أوروبا من التداخل بين ملوك تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فبتقاطعهم صارت ممالكهم اجزاء صغيرة فى قارتين عظيمتين فسهل الاستيلاء عليها واحدة فواحدة وكل ملك ينظر الحاصل لجاره ولا تتحرك همته لجمع الكلمة الشرقية أو الاتفاق الدفاعى. وكان لأوروبا اليد القوية فى إفساد ملوك الشرق وإيقاع العداوة بينهم بالأكاذيب الموهمة حتى صيرتهم أشد عداوة لبعضهم من عداوتهم لها بل بتلطفها فى الخداع والتمويه صارت محبوبة عند البعض من ملوك الشرق. وعلى هذه الأصول الأربعة بنت أوروبا قواعد ممالكها وبترية الأمم تحت أحضانها على هذه المبادئ العظيمة تفرع عن هذه الأسباب أسباب ثانوية كانت قوة على قوة بل صارت مادة الحياة المدنية وتقدم العلم والصناعة واتساع العمران .

### السبب الأول الفرعى

إطلاق حرية الكتاب فى نشر أفكارهم بين الأمم لحياة أفكار العامة باحتكاكها فى أفكار العقلاء وبهذه الوساطة ربي الكتاب الأمم وهذبهم ونقلوهم من حضيض الجهل والخمول إلى ذروة العلم والظهور ووجدت الدول رجالا مدبرين لم تتفق فى تربيتهم درهما ولا دينارا وإنما رباهم المحررون والعلماء وقد اخطأ الشرق هذا الطريق فخاف ملوكه من الكتاب والعقلاء فضغطوا على أفكارهم حتى أماتوها فى أذهانهم إلى أن جاءت الثورة العربية وأطلقت حرية الأفكار وجمعت العلماء من جميع الجهات وترجمت كتب الأرائل الحكمية وغيرها وفتحت بابا أغلقه الجهل قرونا طويلة ثم انقضى دور الضخامة وتوحيد الكلمة وجاء وقت

المقتلبين فتجزأت المملكة وتصدى الثائرون لقتل العلماء وإحراق الكتب وهدم المدارس فانطفأت أنوار العلوم الشرقية وضيق ملوك الشرق على أرباب الأقاليم فبات الصين والهند والعراقان وبلاد العرب والجبال والغرب على ماكانوا عليه من عداوة الكتاب ونفى الظاهر منهم أو إعدامه حتى أُلجأوا كثيرا منهم إلى اللجوء لأوروبا وخدمتها بتفريغ قومه وتضليلهم انتقاما أو قياما بحق حاميه من الإعدام ولو أطلق ملوك الشرق حرية التحرير وجعلوا المحررين تحت مراقبتهم وساعدوا المخلص في خدمة مملكته وجنسه واسكتوا المفسد والمهيج لحيوا الأمم التائهة في القفار وبعثوا فيهم أرواح غيره وحمية تصان بها الممالك .

#### السبب الثاني الفرعى

بهداية الأمم الأوروبية إلى المعارف وطرق تجمع أرباب الأموال منهم لفتح صناديق الأعمال المالية فتحصلوا بالسهام القليلة على نقود كثيرة واستعملوها فى المعامل والتجارة وساعدتهم الدول فحجرت على مصنوع الغير وتجارته لتروج البضاعة الأهلية وتحفظ الثروة فى داخلية البلاد وبهذه الطريقة اتسعت الثروة وارتفع الفقراء إلى مقام الأغنياء وأصبحت الممالك تباهى بعضها بثروة أهاليها ووفرة ماليتها . وقد أخطأ الشرقيون هذا الطريق وجمعوا المال لوضعه تحت الأرض خبيثة أو لصرفه فى الملاذ والشهوات وتركوا صنائعهم عرضة للضياع واستعملوا مصنوع أوروبا حتى أماتوا الصنعة والصناع وحولوا ثروتهم إلى أوروبا فترى الصانع الشرقى ينن من ألم الفقر وهو جار الغنى ولكنه لايشعر بأثنيه لاشتغاله عنه بالملاذ والملاهى .

#### السبب الثالث الفرعى

لما رأت دول أوروبا أن المخترعات والصنائع النافعة لا تكون إلا من فريق

الفقراء سنت قانون الامتياز والمكافأة والشهادات العلمية والعملية ونياشين الشرف لتبعث في الناس غيره المجارة والمباراة في التقن والاختراع وكلما اخترع واحد شيئا كوفىء على اختراعه والتزمه منه الأغنياء وأرباب المعامل فكثرت المخترعون وانتهت بهم البيعة العلمية إلى استخدام البخار والكهرباء واكتشاف العوالم القديمة والحديثة. وقد أخطأ الشرقيون هذا الطريق فحطوا على المخترعين وتركوهم وأعمالهم وانكبوا على الأجنبي ومصنوعه وأغضت الملوك عنهم عين الرعاية والاعتبار ففترت الهمم وقعدت عن السعى خلف النافع من بنات الأفكار واكتفى كل صانع بالبسيط من الأعمال المتداولة التي لا بد منها لكل أمة

#### السبب الرابع الفرعى

لما رأته نول أوروبا أن الأبية ما تمكنت من أمة إلا عرضتها للضياع والاستسلام إلى الغير عممت التعليم وجعلته إجباريا حتى أصبح الأميون يعنون في ممالكها العظيمة. وقد اعتمدت كل دولة على توحيد التعليم فعلمت الأمة الدين وتاريخ الجنس واللغة وأخلاقها وعاداتها والقانون المدنى الجامع لوحدة الأمة وتاريخ المملكة وحقوق الملك وواجبات الدفاع عنه حتى سرت روح الحياة الدولية في كل فرد من أفرادها واتسع نطاق الأفكار فأصبحوا في حروب فكرية نتائجها الأحياء وامتداد السلطة. وقد أخطأ الشرقيون هذا الطريق فتركوا الأمم تائهين في الجهالة العمياء لتوهمهم أن المتعلمين يعارضونهم فيما هم فيه وما صيرهم لذلك إلا إسناد بعض الأحكام إلى الجهلة وضعفاء العقول. وقد نامت الأمم الشرقية تحت ردم التهاون وعدم التبصر حتى مات العلم وأهله وما تحركت طائفة لعقد جمعية تساعد من بقى من العلماء على نشر المعارف

وتوسيع دائرتها بل كل غنى وأمير يجعل الذنب للعلماء لتقاعدهم عن جوب البلاد وجوس الغدافد والفقار وهم يعلمون من شأن العلماء أنهم لا يملكون شيئا من الذهب والفضة وقد حبس الأمراء والأغنياء الذهب والفضة وجعلوهما وقفا للملاهي واللذائذ وكلما هبت عليهم ريح تبكيت قالوا ما أضر الشرق إلا العلماء. ويموت أهل المعارف احتاج ملوك الشرق لاستخدام أناس من أوروبا يقومون بهم أود ممالكهم. ومن نظر لجمعيات أغنياء أوروبا وعدم حصر مدارسها في الشرق والغرب ورأى أغنياء الشرق وهم يبعثون أولادهم إلى مدارسهم ليتعلموا على قساوسة أوروبا أمور دينهم وديناهم سفه أحلامهم وأيقن أنهم العلة الوحيدة في تأخر الشرق عن أوروبا فالفقير العالم ماذا يقول والصانع المعدم ماذا يصنع والعامل المحتاج ماذا يعمل وكل يحتاج إلى المادة ولا مادة إلا جمعيات الأغنياء والأمراء واتجاه الملوك إليها بالعناية والمساعدة المادية والمعنوية .

#### السبب الخامس الفرعى

لما رأت ممالك أوروبا كثيرا ما يقعون في أخطاء الرأى بالانفراد فيه احدثوا مجالس الوزراء والشورى التى تقيدت بها الممالك ظاهرا فالقت أوزارها على عواتق أعيان الأهالى ومنتخبهم لتستمد من أفكارهم ما به يحسن النظام وتبقى المملكة حية بحياة قواها العاملة وصار للأمم الثقة بملوكهم ووزرائهم لعلمهم أنهم لا يصرفون شيئا ولا يحدثون عملا ولا يبرمون أمرا إلا بمشورة نوابهم ويتبادل الأفكار بين الوزراء والنواب ظهرت ثمرات عظيمة واشتد عضد الدول وعظمت قوتها واتسعت تجارتها ومعارفها وكثر المرشحوون للأعمال والإدارات العالية بالتربية فى المجالس. وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق بسبب الجهالة

التي عمت الأمم الشرقية فلم يكن عند ملوكهم ثقة بأعيانهم ووجهاتهم ولا يحبون كثرة العقلاء خوفا من التغلب الذي يحلم به كل ملك شرقي وهو وهم لاحقيقة له ولذا نراهم إذا نبغ في ممالكهم أناس وضعوهم تحت سوط التضيق حتى يبغض الغير طريق العقلاء والنبهاء فرارا من الوقوع فيما وقعوا فيه من البلاء والعناء .

### السبب السادس الفرعي

انتجت تربية الأمم على المعارف أحداث أندية السمر والتجارة فاتخذت المجالس العديدة لاجتماع أهل الأفكار ممتزجين ببعض الضعفاء لينقلوا عنهم ويتربوا تحت أحضانهم وفي تلك المجالس تدور الأحاديث على الأمم والممالك وأعمال الملوك وأخلاق العالم وتاريخ العمران فكانت هذه المجالس روحا ثانية في جسد المملكة المتحرك بروح النواب والعمال وقد علم الملوك حسن مقاصدهم فلم يضيقوا عليهم بشيء يحول بينهم وبين مدارسهم الأدبية. والشرقيون اخطأوا هذا الطريق وجعلوا مجالسهم قاصرة على الغيبة والنميمة والسعي في أذية فلان ومعاكسة علان والتحاسد والتباغض وتقبيح بعضهم بعضا واللهو واللعب وانقطعوا عن العالم بالمرة. ومنهم من اقتصر على الإقامة بين أولاده. ومنهم نفر قليل اشتغلوا بالمعارف واضطروهم تيار المجتمع المدني إلى الانحدار معهم في غالب الأوقات وقل أن يجتمع جماعة للبحث فيما ينفع الأمة أو النولة لعلم العقلاء أن أبحاثهم غير معول عليها ولا ملتفت إليها لانصراف معظم الأمة إلى الشهوات. فهذه هي الأسباب التي قدمت أوروبا ونشرت ألوية التقدم في جميع جهاتها وبالقوف عليها عرفنا العلل التي أخرت الممالك الشرقية على اختلاف مواقعها وأوقعتها في فخاخ أوروبا وعلمنا أن

الدين الإسلامى والأديان الشرقية لم تكن السبب فى التأخر كما يزعم كثير من الطائرين حول دهاة أوروبا بل إن الدين الإسلامى كان السبب الوحيد فى المدنية وتوسيع العمران أيام كان الناس عاملين بأحكامه. والجو هو الذى كان فيه المتقدمون من المصريين والفينقيين والفرس والهنود والعرب والترک وقد تحققنا أن التأخر إنما جاء من تعميم الجهالة باغضاء الملوك عن وسائل التعليم والتضييق على أرباب الأقلام والأفكار وبعد الاغنياء عن الجمعيات وتقاعدهم عن ضروب التجارة والصناعة والزراعة ورضاهم بالبقاء تحت أشر الشهوات فإذا أطلق الملوك حرية الأفكار والمطبوعات تحت المراقبة وبذل الاغنياء الذهب فى حياة الصناعة وتعميم المعارف فى المدن والقرى ومساعدة العلماء على الرحلة خلف حياة العلم واجتمعت كلمة الملوك والوزراء والأم على السعى خلق التقدم أمكنهم أن يوقفوا تيار أوروبا شيئاً فشيئاً حتى يضارعوها قوة وعلماً. وإلا إذا تركوا هذه الأسباب ويقوا على ما هم فيه من التقاطع والتحاسد والجهالة كان من العبث تجمعهم فى الأندية وتمشدهم بقول بعضهم لبعض بم تقدمه الأوروبيون وتأخرنا والخلق واحد .

### (أشنتات الشرق وعصبيات أوروبا)

من نظر فى تقدم الشرق فى العصر الأول قوة وعلماً ومدنية وتأخرت مبتدئاً بالتقهقر من أربعة قرون مضت قال ما لهذه الأمم العظيمة صارت كتفاريق العصا ورجعت شعوباً وقبائل ويطونا وأفخاذاً وانزوى كل فريق فى قطعة من الأرض اتخذها وطناً فيها ولد وتربى وإن سرت فيه حمية أبائه عنها يدافع وفى أحيائها يموت ويتعدد الجوامع الشرقية من جنس ولغة ودين، بوطن نبؤوا الوحدة الإجماعية ظهرياً ومالوا مع الأهواء وجعلوا المنافع الذاتية والسطوة الشخصية

وجهة فانحلت العرى التي ربطها الجنس العربي الذي ذك كثيرا من عروش أوروبا وجلس على كثير من كراسى ملوكها وإذا نادى تلك الجموع الخاضعة إليه سمع لبيك لبيك الجواب العربي ممن جوابه سى سى أو وى وى وطرد جياده من تهامة فسمع صهيلها فى ليون من أراضى فرانسى وفى جميع أراضى أسبانيا والبورتغال وصقلية ونابلى وجزائر البحر الأبيض وسمع صدهاء فى خط الاستواء والممالك الهندية والفارسية والتركية والتركمانية وإن شئت فقل لم تبق أذن فى آسيا وأفريقيا إلا وقد سمعت صهيل خيل الفريق العربى حتى لهج كل ناطق باسم الأرب أو أرابو. وأتجرده من الانفعالات النفسية وتحركه بروح الدين وقوة الملك سوى بين عربى وتركى وفارسى وهندى وقبطى وشامى بل بين كل أفريقى وأسيوى وضم الجموع تحت نظام واحد يرجع إليه رجوع الأبناء إلى أبيهم فاختلفت المشارب والمذاهب وتوحدت الوجهة الملكية انتظاما واستيطاناً ودفاعاً فكانت ترى فى المسلمين سنيين وشيعيين وخوارج ومعتزلة ودهرية ومعتلة ودروزا وكل قسم من هذه الأقسام يشتمل على مذاهب شتى وترى فى النصرى الروم الكاثوليك والأرثوذكس والمارونية والأروسية والإنجيلية وفرق اليعقوبية والنسطورية واليسوعيين وما فى كل مذهب من الفروع والشعب وترى فى اليهود الهارونية والموسوية والقرايين والسامريين وما فى كل قسم من الفروع والأحكام المتغايرة وربما رأيت كل هذه الأديان بأقسامها وفروعها فى بلد واحد يجرى كل إنسان فى طريقه الدينى غير معارض فى شىء من أصوله أو فروع أو عاداته فإذا انتهى من العبادة عاد إلى المجتمع الملكى وانتظم مع حزبه يؤيده برأيه أو يساعده بما له فى الخصائص المشربية تحت بساط الحاجة حتى يفرغ من صيانة الوطن والدفاع عن الملك ثم يعود إلى حزبه يشتغل معه فى صالح الوطن والمنفعة العامة من طريق المشرب الخاص تحت

عناية عظيم يدبره وعامل يرشده فكنت ترى المسيحى والاسرائيلى يقاتلان مع المسلم من مائلهما دينا دفاعا عن الوطن وشرف الملك لاستوائهما معه فى الجوامع الوطنية والقوانين الملكية. وهكذا الشأن فى كل إقليم وبلد. والقائمون بأمر الأمة يربون الرجال تحت حضانتهم باحتكاك الأفكار والمشاركة فى الأعمال وترقية الأهلىن إلى الرتب العالية بعد التجربة والاختبار والتمرين على شاق الأعمال والتربية فى الإدارات المختلفة المواضيع. وبهذه العصبىات ارتفع كثير من العقلاء إلى رتب الوزارة والقضاء وولاية الأقاليم بأصوات حزبه أو جملة أحزاب تؤيد مبادئه وترجو حسن غايته وانحط كثير ممن تحولوا عن الوجهة الوطنية والحق الدولى بسعى الأحزاب المخالفة لحزبه. والمدقق الخبير يجد هذا الاختلاف ظاهرى الصورة يرجع إلى غاية متحدة هى وقاية الوطن والملك. وعند مخالطة الأوروبىين للشرقىين فى الحروب الصليبية التى عادت على أوروبا بكل خير ومنفعة أخذوا عنهم هذه الطريقة السياسية وانقسموا أحزابا بين حر ومحافظ وجمهورى وملكى وكمونى ونهليست وسوسىالست ومتطرف ومعتدل واتخذت كل عصبية وسيلة تتوصل بها إلى حياة الأمة وصيانتها وحفظ الوطن وامتداد سطوة الدولة ونفوذها فى التضوم وما يصل للاستعمار فاختلفت الوسائل وتعددت العصبىات مع اتحاد الوجهة فكان للمجموع مبدأ يبنى عليه أعماله التى يريد الوصول إلى غايتها وترقت هذه الأفكار عاما فعاما حتى انتهت بهم إلى انتخاب الوزراء بأصوات العصبىات وعظمت ثقة الأهلىن بالحكومات المقيدة بأصواتهم فنفذت فى أقاليم كثيرة وممالك متباعدة ووضعت بيت الملك على أساس متين إذ صارت وقايته مفروضة على العصبىات بالمسابقة إلى التقدم الملكى. ولم يجر المجموع تحت حكم وزير يستعملهم آلة فى تنفيذ آرائه بل اتخذ كل فريق رئيسا عاقلا مجربا محنكا

وعملوا مبادئه وغاياته فصاروا أعضادا ينصرونه ويؤيدونه وينادون به في  
 الانتخابات وينبهونه على الأغاليط ويساعدونه على امتداد نفوذه المؤيد للنولة  
 بكل ما يقدرون عليه وكل رئيس يرى رجالا يخلفونه اذا انقضى دوره ويمدونه  
 بأرائهم إذا قبض على زمام الاحكام. وبهذه الوسائل المحكمة عظمت ثقة  
 الملوك بالوزراء فأسندوا إليهم الأحكام موقنين أنهم يحافظون على الملك أعظم  
 من محافظتهم لو استقلوا بالحكم والإدارة حتى أنهم لو عينوا سفيرا أو قنصلا  
 في جهة قالوا له إن سلفك وقف عند نقطة كذا الدولية فإذا لم تتمكن من التقدم  
 عليها فاجتهد في محافظتك على ما وصلنا إليه بهمة غيرك. ولهذا لا ترى دولة  
 أوروبية تتقهقر في الشرق أو في جهة أوروبية إلا بقوة عظيمة مشكلة من  
 مجموع دولي. وفي مقابل هذا الاتقان البديع مع علمنا بما عليه عصبية أوروبا  
 لم نزد إلا تقهقرا بأعراض رجالنا الشرقيين عن تربية الخلف والاعضاد ونوم  
 الأفراد تحت ريم الغفلة أو الخوف الوهمي فلا نسمع إلا عزل فلان وأسند أمر  
 الوزارة إلى فلان في الأستانة أو طهران أو مصر أو مراكش أو تونس وإذا  
 بحثنا في المعزول والمولى رأينا كلا منهما لا يقول إلا براهيه ولا يعتمد إلا على  
 قوته العاقلة وتدبيره الذي كثيرا ما يراه أحدهم صوابا وهو خطأ عظيم ونرى  
 حول كل وزير ووال ومتصرف ومدير ومفتش ومأمور زمرا توسم بالمحاسيب  
 وهي اخلاط من الفوغاء والرعاغ يستعملهم مع الجهل في الإدارات والوظائف  
 فيعيثون في البلاد عيث الذئب في الغنم المهمة فإذا عزل أحدهم جاء الثاني  
 بمحاسيبه وطرد السابقين ووضع جماعته مكانهم فيفعلون وبهذا ضاعت  
 المصلحة الوطنية وتوزعت في الشهوات والأهواء وصرنا نعد العقلاء ثلاثة أو  
 أربعة في الأستانة واثنين أو ثلاثة في مصر وإذا رأينا تخلخل وزارة أخذنا  
 نهجس ونخمن فيمن يكون بعد الحاضر لعلمنا أنه لا يوجد من المرشحين

المؤهلين لهذا المنصب إلا فلان وفلان وهما لم يربيا أحدا مدة توليهما الأحكام حتى يخلف الواحد منهم آخر من مشربه فيسير بسيره ليتم عمله الذي كان مشتغلا به وإنما كنا نرى هذا يشتغل بوضع اللوائح والنظامات وترتيب الأعمال والأعمال وأحكام العلاقات بين حكومته وغيرها ويسعى في توسيع التجارة والصناعة والزراعة بطرق سهلة وقبل أن يتم عمله يعزل ويخلفه من يخالفه مشريا فيهدم ما بناه ويفسد ما أحكمه ويغير نظامه ويأخذ في مجاراته بأحداث أعمال تنسب إليه ويشتغل بما اشتغل به سابقه وقبل أن يتم عمله يعزل ويأتى غيره على هذه الطريقة. وبهذا السير اختلفت ممالك الشرق وكثر فيها الفساد وتمكن الأجانب والدخلاء من الرؤساء الذين لم يربوا أحدا من أهل بلادهم وخافوا من العقلاء من قومهم وظنوا استخدام الدخيل يقيم فتنة الرعاية ويؤيد سطوتهم فيهم فآكثروا منهم فجاؤهم بالمصائب ولكننا إذا قابلنا أعمالهم بأعمال رجال أوروبا وجدناهم في خطأ عظيم وقد تحملوا مسئولية أمم عظيمة بإهدارهم طرق الإصلاح. وإنما نرى الآن المشابهة سرت في رجال الشرق فأخذوا يحاكون أوروبا فيما به يفرون من اسم الهمجية والتوحش وسعوا في جمع كلمتهم وعقد الجمعيات لفتح مدارس العلوم والصناعات وتهذيب النفوس وتعميم الآداب ولكنهم مع بقائهم على التفريق وعدم اتخاذ مبدأ بينون عليه أعمالهم لاتزال الأيام تقيمهم وتقعدهم وهم حيارى بين المقعد والمقيم. فلا بد أن يكون لكل عصبية وزير مدرب يرجعون إليه فإذا أسندت إليه وزارة عانوه وساعدوه وبثوا مبادئه وتعاليمه في العالم المحكوم ليقروا بذلك أعماله الداخلية والخارجية إذا خالف مبادئهم انضموا إلى العصبية الأخرى وعارضوه برفع أعماله المختلة إلى الملك أو الأمير حتى يغير وجهته أو يتخلى عن الوظيفة ويتولاها آخر له مبدأ وطنى أيضا تؤيده عصبية أخرى تحت مراقبة العصبية

الثانية كما هو حاصل في بلاد الانكليز الذين تخللوا ممالك الدنيا بأعمال حزبي الأحرار والمحافظين وأحكام سيرهما في توحيد الوجهة الملكية مع اختلاف الوسائل المؤدية إلى المقصد الإجماعي. نعم إن الأستانة ومصر ليستا متأهلتين للانتخاب وحرية الأفكار كما ينبغي ولا تتوسع الحكومة بأكثر مما هو حاصل الآن ولكن إذا اجتمعت الأمة على مبدأ وطني نولي غاية حفظ كرسى الملك الأعلى وعقدت إجماعها على الخضوع إليه والرضوخ لأحكامه وتأييد مبادئه وتعظيم مقاصده وحفظ النظام الذي بيته فيها وربطت عزائمها على حفظ مركزه ووجوده في منصة حكمه مؤيدا باتحاد الأمة معضدا بانقيادها مسرورا بما يراه من الأمن وحسن المخالطة والمعاشرة أمكنها أن تعطى لجماعة من الأمراء جانبا من الاعتماد على هذا الاتحاد والثقة بصالح نية العصبية فإذا علم الوزير منهم أنه مسئول بين يدي عصبية عن أعماله وهم يرون أن غيرهم يراقب أعمال رئيسهم انبعثت في الوزير حمية الخدمة الوطنية وتفتت أفكار عصبية في مراقبته ويبحث أعماله وتبنيه على كل ما يؤاخذ به أو يلام عليه أو يوجب سقوطه من منصبه. وهذه الأمانى وإن كنا لانتق بالوصول إليها تماما في عصرنا ولكننا إذا بدأنا بتأسيس المبادئ وتخصيص العصبية وجرينا على ذلك الهوينا جاء من بعدنا على نظام لا يكلفه إلا القيام بما فيه. وهذه العصبية والأحزاب لا يمكن تكوينها إلا من الوطنيين الذين دفنوا أجدادهم في البلاد فهم يخافون أن تطل خيل الغرياء تلك القبور الحافظة لعظام المجد الوطني والشرف الملكي ففي مثل بلاد الدولة العلية غير الممتازة تتكون من الترك والعرب والجرس والكرد والأرمن وفي مثل مراکش والجزائر وتونس تتكون من العرب والأفريقيين وفي مصر تتكون من المسلمين والأقباط والإسرائيليين وفي مثل طهران تتكون من الفرس والكرد وهكذا تتكون

العصبيات من أهل كل وطن ويعقدون عزائمهم أولا عقد إجماع على تقديس مناصب الملوك والأمراء ثم يبحثون فيمن يمشى بهم في طريق حفظ الملك أو الأمير من كل ما يمس أى حق من حقوقه المقدسة. ولاي فهم غبى من ذكر العصبيات والأحزاب. إن المراد عصبيات إفساد أو أحزاب فتن وحروب فإن ذلك محض الجنون لأننا محاطون بدول أوروبا وإن كنا فى قطعة شرقية وقد امتلأت بلاد الشرق وممالكة بالأوروبيين متجرين وسائحين ومعلمين وصناعا ومع هذا الاختلاط القاضى بالمحافظة على الأمن والراحة فإن افتراق ممالك الشرق واختلاف كلمة معظم أهله يقضى عليهم بالدول عن كل فتنة توقعهم فى حرب أوروبية لايقربون على اقتحام عقباتها لاتفاق ممالك أوروبا عليهم واختلاف ممالكهم الشرقية مع فقد المعدات والمواد الحربية وإذا كان ذلك مرسوما بين أعين العقلاء منا استحال تصور التجمع لفتنة أو لمعاكسة دولة أوروبية وتعين فهم مجاراتنا لأوروبا فى اتخاذ طرق المدنية . خصوصا ونحن معاشر المصريين بين يدي أمير سكنت محبته قلوبنا وتخلت أجزاء نواتنا وتعلقت أماننا بهمته العالية وأفكاره المنيرة ولكننا لاننسى إننا تحت مراقبة دولة عظيمة تسعى فى تقدم مدينتنا وتوصيلنا لمعرفة حقوقنا الوطنية وتبذل جهودها فى نشر التعاليم الأوروبية فى أنحاء بلادنا وتفتخر وزراؤها ووكلائها بأنهم أوصلونا إلى المدنية وعلمونا كثيرا من طرق الإصلاح التى كنا نجهلها ونبهونا للمطالبة بحقوق خديونا المفخم ووطننا العزيز وأرشدونا إلى طرق حرية الأفكار والمجامع فعلا بهذه العلوم النفسية واتباعا لتصانحها واقتداء برجالها ينبغى أن نقابل سعيها بالتظاهر أمامها بثمرات أتعابها ليكون فخرا بين الدول بنشأتنا الوطنية وعصبياتنا المصرية أكبر وأعظم وليعلم العالم المدنى الأوروبى أنها وعدت ووفت وإلا فإن بقيت على اجتهادها وبقينا على تقاعدنا كنا علة لما

نحبه ولبسنا ثوب عاريين الأمم وأصبحت النولة المراقبة لنا تبكتنا وتومينا  
بفساد الأخلاق وجبن الطباع وعدم الاقتدار على الاختراع فقلنا معاشر  
المصريين خصوصا والشرقيين عموما أن نبحت في طرق أحزاب أوروبا  
وروابطهم وكيفية سيرهم وموجب استمرارهم على ما هم فيه ونقلدهم بسير  
لطيف واعتدال في الحركات والسكنات مع لزوم الهدوسن الانقياد والمحافظة  
على حقوق الأجانب والنزلاء والانتباه لسناس الدخلاء وفتن الأجراء ولتكن لكل  
فريق جرائد تنتشر أعماله وتؤيد أقواله وتبين له سناس بقية الجرائد وتنبهه  
على ما يجب اتخاذه مما تراه صالحا أخذه أفكارها عن مجموع أعمال الحزب  
أو آراء عقلائه بحيث تلزم مشريا لانتحول عنه بتحول الأحوال ولاتتلون أمام  
حزبها بتلون المطامع ولايلزم من اختصاصها أن تكون مضادة لغيرها من  
الجرائد في كل ما يكتب فيها فإن الجرائد مدارس الأفكار ومعارضتها إقفال  
لباب التعلم الأدبي وإنما تحافظ على مبادئ حزبيها وتجاري الجرائد في  
المقالات العامة والأفكار النافعة وإلا إذا تركت الأحزاب والجرائد وأخذت  
بالقبول من غير بحث في مصدره وما تحته من السناس تحول مجرى سيلها  
الوطني إلى الأودية الأجنبية ووقعت في إشراك أوروبا وهي لاتشعر ولتكن  
المجامع مطهرة من نوى الأفكار الفاسدة محفوظة من الطائرين خلف  
المحسنات الأوروبية مصونة من التخاذل والتباغض متعلقة برئيس لايفتلف في  
استحقاقه للرئاسة اثنان فإننا إن فعلنا ذلك قالت أوروبا قد عمت المدنية  
واستوى فيها اشتات الشرق وعصبيات أوروبا

### (إنما يقبل النصيحة من وفق)

أيها الشرقي- نمت حتى إذا سمعت تنبّهت ولكنى أراك مذعورا مدهوشا وقد اختلفت كلمة الدعاة فأنتك ملأى بعبارات متناقضة وأنكار متضاربة وأنت متردد بين المنافقين وطبيعتك المائلة بك إلى مماثلة الأجناس علما وشرقا. لاتأس فإن معك من إخوانك ألوفا من الأفاضل العقلاء والملا الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الصلاح والاصلاح والبلغاء الذين أقاموا أنفسهم خدما بين يديك ليرشدوك إلى سواء السبيل والاستاذ أضعف إخوانه الشرقيين وأحوجهم إلى الاستمداد من أفكارهم العالية أحب أن يكون خلف الناصحين ليعمدك بقدر ما يمكن ويبين لك بعض ما اقتبس من حكم أخواته واكتشفه من خفايا وضعاك المصطنعين فاسمع وقيت الشر وكفيت السوء - احسن ما اتخذته قاعدة تبني عليها تقدمك الهدى والسكون والبعد عن أهل الفتن. وأفضل أساس تضعه لعمار بلادك تعاونك باخيك على تمهيد طرق التقدم. إياك أن تظن أن التقدم موقوف على ثورة تريق فيها الدماء فإن من زين لك هذا العمل فقد أضلك واسلمك إلى الغير. لايتوقف التقدم إلا على قطع الأضغان وترك التنافر بالدنيئات وجمع الشتيت مما تفرق من الأجناس الشرقية ولايكون ذلك إلا بالتربية على الآداب ومكارم الأخلاق. وليس القصد بهذا الجمع أن تثور فى وجه الأجانب مزحزا لهم عن أوطانك بل القصد أن تشابه الأجناس فى سعيه العلمى والتجارى. ولاتنظر لسوء تأخرك فتياأس من الوصول إلى التقدم المطلوب وأعمل من الأعمال ما يكون كالأساس لمن يأتى بعدك فتكون كمن غرس لغيره فجنى والفضل للفارس. وإلا فإنك إن دخلت باب اليأس وأنت فكرا ونظرا جاء من بعدك قانطا مستسلما لأهل التقدم استسلام ضعف وذلة. وإذا رأيت مصريا أو سوريا أو تركيا أو هنديا أو فارسيا أو مغربيا يوقع النفرة بينك وبين جنس

شرقى كأن تكون مصرىا وترى شرقيا ينفرك من السورى أو التركى فاعلم أنه  
 أجير يشتغل لغيره ويريد أن يأكل خبزه مؤتدما بدمك أن أهاجك للفتنة أو  
 ثروتك أن اسلمك إلى الغير بشقاشقة. فلا تغرنك عبارته العربية ولهجته الشرقية  
 فما هو إلا شرك نصب لتصاد به فاضرب بما يسميه نصحا ووعظا حائط  
 الإهمال والإهدار واستمسك بمحبة أخيك السورى أو التركى أو الفارسى أو  
 غيره فما أرجعك عن طريق التقدم إلا اغترارك بالمصطنعين وأقوالهم. وإذا كنت  
 فى مصر ورأيت من يميل لمس حق من حقوق أميرك الخديوى الأفخم ويوهمك  
 أن صالحك موقوف على ذلك فارفض قوله وحذر قومك منه فإنما هو خادع غاش  
 بل عدو مبين واستمسك بجبل الانقياد إلى أميرك واملا باطنك بحبه واخلص فى  
 دمتة فلا حياة لك إلا بحياة سلطته ولاشرف لك إلا بشرف وزائه الحافظين  
 لنظام حكومته. وإن رأيت تركيا يستهيج سوريا يحرك شاميا فايدل لهما النصح  
 وذكرهما بحاجتنا إلى السكون وقطع عروق الفتنة الداخلية وبعدنا عن كل ما  
 يوجب تداخل الغير فى شؤوننا وإياك أن يحملك الطيش على أن تسيء معاملة  
 أجنبى استوطن بلادك أو اجتاز بها فتجلب الدمار على بلادك بل عام كل  
 مستوطن فى بلادك بالحسنى فإن أوروبا لا تلتمس من الأعذار عن تداخلها فى  
 الشرق إلا دعوى همجيتنا وعدم استعدادنا للقيام أمامها بمواد العمران  
 وضروريات المدنية فإن اسأت أجنبيا مستوطننا بلادك فقد وقيت دعواها  
 وساعدتها على فتح باب التداخل. وإن رأيت من يطعن فى سلطانك أو يستميلك  
 إلى غيره من الشرقيين فاعلم أنه أجنبى أو اتصل بك نسبا وقرابة. وما ضر  
 الشرق وفرق جمعه ويدد ممالكه إلا أمثال هذا فاقرب من الأفعى ولا تقرب منه  
 فإنه تاجر يتجر ببيع الأرواح بثوب أو لقمة. ولا ازال أكرر عليك لزوم الهدوء  
 والسكون وحفظ حقوق الوطنيين والغرياء والأجانب واستعمال الرقق واللين مع  
 الجدد فى إحياء العلم والصنعة وتقديم الزراعة فى مثل مصر التى وقفت ثروتها

على خدمة تربتها . واعلم إن أفاضل الشرق ليسوا قليلين حتى نستبعد الوصول إلى معارف أوروبا أو إلى مبادئها إن قصرنا ولكنهم يحتاجون لشدة أزد بعضهم بعضا في فتح مجال التعليم وتكثيرها في المدن والقرى . فاجتهد في تعليم الأبناء ودع العلم يطالب بمجد الجنس وشرف الشرق فالبعثة العلمية خير من البعثة الحربية ولا شاهدا أكبر مما تشاهده من قوة أوروبا بقوة علمائها . هذه نصيحتي إلى كل شرقي سمعها مسلما كان أو مسيحيا أو إسرائيليا أو غيره .

### باب الأدبيات

يا آل بيت المصطفى إني لكم  
ما سرت قط إلى عظيم راجيا  
عبد لما قلدتموني من ممن  
إلا إليكم فالرجا فيكم حسن

\*\*\*

واحد في خلقه فيه انطوت  
سورة في كل ذات كسامن  
وحدة الأفعال من بارى الرماح  
يصقل العقل فلا تهوى الجماع  
نور نعمة حول نور الأتباع  
عالم الذر ولبت بارتياح  
في ذر الأفلak والأجوا الفساح  
ساحة ما طار فيها نوجناح  
حول معنى نونه ضرب الصفاح  
هامت الأرواح في أشباحها

\*\*\*

صـدق النبى أتى به  
فـالله قال لقومه  
وحى تنزل م السما  
ماضل صاحبكم وما (غوى)

\*\*\*

اعلم أن المرء يلقى سعيه  
وأن للرب العظيم المنتهى  
يوم الجزا أبداه أو أكنه  
وأنه وأنه وأنه وأنه

وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحى وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى

\*\*\*

تنهد من جواه فقيل إنا  
إذا كان الأنين يعد ذنبا  
برزتم كالشموس بغير ستر  
لو أنا قد لثمناكم عذرتم  
أسرنا معشر العشاق حرنا  
خرجتم للرياض فكل غصن  
وعود السرو لما أن رآكم  
ومال النخل يتحفكم بنثر  
وحياكم من التفاح خد  
وضم الغل للتقبيل فاه  
وحيا حتى عالمكم بلثم  
وقام الموز يرفع فى يديه  
ومد البساع عناب وأوما  
وشيب بالعقيق فقيل حنا  
فكيف بفاتك قتل المعنى  
وصرتم تعجبون إذا فتنا  
وماذا غير قتلتنا لو أنا  
غسرتنا نون من نلقاه هنا  
للثم نعمبالكم أديا تثنى  
تمثل قوائمنا والورد هنى  
من الياقوت والكرم اطعمان  
اسيل ورده بالثغر يبنى  
ولكن ما أجيب ولاتهنى  
لترب النعل لما صار أنى  
شماسى كى يظلكم بمعنى  
بانمل مخضبة بعنا

رحيق الطل واللوز استكنا	وقام قرنفل بالكاس يسقى
تزرکش بالزمرد فوق مغنى	وست الحسن قد ألت أزارا
بحق الماس مقفولا فأغنى	ورمان الرياض غدا يهادى
ومد الكف يطلب ماتمنى	وقام التين يشكو فقر حال
لطيفا قد حوى زيدا وسمنا	وقامت قشطة تهدى حليبا
بأغصان فصار الروض زينا	وعلقت القناديل ابتهاجا
للطف فيه لم يظهر وكنى	وصاح الماء يمدحك ولكن
تفت الصخر والشحرور غنى	وطار النسر خوفا من نبال
فلا تعجب اذا الإنسان جنا	اذا حن الجماد وهام طير
وتيهوا واهجروا بالعشق بنا	عشقناكم عشقناكم فصولوا
والا فاهجروا معنا شهرنا	اذا جاء العنول فوشوشوه
ومن خمر المرأش قد سكرنا	قطفنا ورد خدكم جهارا
ومزقنا اللثام وما جبنا	وعريدنا بتقبيل وضم

\*\*\*

وانظر لنفسك تعذر مثلك الجانى	دع عنك لومى فى شيء خصصت به
بل ذاك للمرء يدعى حسن إيمان	فتركك الشيء لايعنيك منقبة

\*\*\*

ظهر الثبات ترد الصعب للذل	مأ حامى الصخر فى الرمضاء ممطيا
وليس فى الصنف غير الحر والبطل	كما جاء قبلا ملايين مملينة

\*\*\*

انظر لما تبديه من فعل يرى  
والناس شتى في التقافر والمرا  
فمعل الرجال لعقلهم عنوان  
والكل ان الفتيهم انسان

\*\*\*

سلو السيوف من الجفون تدلا  
وتعلموا بقودهم في تيههم وضعوا  
وضعوا على الياقوت طلسم فضة  
وتكحلوا بالليل في أجفانهم  
وتدرعوا في حريهم بعفافهم  
أسروا جنود غرامهم بجفونهم  
نظم اللئالي في ثغورهم حوى الـ  
فمن اهتدى بجمالهم لهم نحر  
طعن المدرع في قواد المعتجر  
سموه من عجب لثام المختمر  
وتلثموا بالصبح من حسن شهر  
شأن الكريم مع الشجاع المنكسر  
ومحارب الفرزان يعذران أسر  
حسن الذي في كل ذى حسن نثر

\*\*\*

شهودى على دعوى الغرام عدول  
فقلبي يزكيه اصفرار وعبرة  
وأقلام جفنى فوق خدى سطرت  
وقاضى الهوى أمضى بعشقى حجة  
فحدى من شرق الغرام صبابة  
ومنى إلى حـر الجنوب توله  
وفى باب هذا البيت قاعة عبـرة  
ومنه إلى حوش التيتم طرقة  
وفى الحوش باب فيه سلم حسرة  
وفيه على الخط اليمين مواقد  
فمبلى لتجريح العنول عدول  
وجسمى يزكيه جوى ونحول  
كتابا به ما فى القواد يصول  
وحدد فيها ما إلى يؤل  
وحدى من غرب الهيام نهول  
ومنى إلى برد الشمال نبول  
ومخزن حزن للهموم طويل  
بها لوفود العاشقين وحول  
وصالون هجر للمشوق مهول  
بها الكبد والاحشاء ثم نزول

وعند شمال الداخلين مناظر  
وفي الصدر حنّام تزايد حرها  
وقد شهد المحبوب أن محبه  
وحرر هذا في محرم وصله

\* \* \*

ما قام حظى وعمري في شبيبة  
ما في المشيب سرور لو أرى ملكا  
وإن يقم بعد شيبى كان كالعدم  
وإن يكن قصرت عن دركه قدمي

\* \* \*

واخجلتي من أربعون قطعتها  
ولى الشباب وصحتى في زهوها  
لا فى الشباب عملت ما يرضى ولا  
أعريت أفراس التقى فتأخرت  
لو أسرجت بلغت مدى مضمّارها  
من لى بذا والنفس فى بحر الهوى  
نسبى مظاهره مطالع للتقى  
أجى ممن اشرعوا طرق الهدى

\* \* \*

ياسيد السيدات قلبى خائف  
أنا منهم فالنفس كم شطحت على  
مما يرى العاصون فى الميعاد  
أجهدتها فى الفى ياليت النهى  
أرض الضلال وماصبت لرشاد  
سوت صحفى بالتثوب وقد علا  
رد الشريدة باجتهاد جهاد  
عين السواد اختلاط سواد

ما كان في الآباء مثلي مسرف  
خالفتهم جهلا مفورا  
واتيت بابك فارغاً من كل ما  
ما في الفؤاد سوى محبتك التي  
فالكل كانوا قدوة السجاد  
إذ صار منجدهم مع الأصعاد  
يرجوه وقد الخير والزهاد  
هي جنتي حصني شرابي زادي

\*\*\*

اترك النفس والورى وتعالى  
تلق من جل شأنه وتعالى

\*\*\*

فهرست

الجزء الأول من سلافة النديم

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٣٣	دراسة تحليلية	١
مجلس طبي على مصاب بالاقرنجي	١٣٦	ترجمة التقيد	٣٤
عربي تفرنج	١٣٩	لواء النصر في أدباء العصر	٦١
سهرة الاطعام	١٤١	التور المسجور في المفخرة بين السقيفة والوابور	٦٨
تخريقه (الجنون فنون)	١٤٤	طالع الكرامة بحسن السلامة	٧٤
محتاج جاهل في يد محتاج طامع	١٤٥	نار العدو وثار العدو	٧٦
غفلة التقليد	١٤٨	استغاثت المقر قلب المحرر	٧٩
أضاعة اللغة تسليم للذات	١٥٣	درر النحلة وحرر الرحلة	٨٢
رسالة في الحكم بين متناظرين	١٥٦	حفظ الودائع لدرر البدائع	٩٦
جرائد الاخبار مدارس الأفكار	١٦٣	تتبية للبيب وتسلية الحبيب	٩٧
هف طلع النهار	١٦٦	رسالة على لسان المرحوم السيد عبد الواحد الحريري	١٠٠
حكم في الزوايا خبايا	١٦٨	دفع الغرام بذل الغرام	١٠١
جواب عن سؤال	١٧٠	رسالة شكر على لسان الشيخ احمد ابراهيم الاسكندري	١٠٢
تخريقه خذ من عبد الله واتكل على الله	١٧٣	نجوم الليالي في عقود اللالي	١٠٥
انذار صباخر عن لسان الاتسانية	١٧٦	رسالة شوق لبعض أصدقائه	١١١
تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان	١٧٦	الساق على الساق في مكابدة المشاق	١١٥
حوادث خارجية	١٨٤	رسالة شوق لبعض أصدقائه	١٢١
اخبار آخر ساعة	١٨٥	رسالة أخرى مثلها	١٢١
اعتراض على التتبيت وجوابه	١٨٥	رياض للرسائل وحياض الومائل	١٢٢
حر الكلام كلام الحر	١٨٦	زنا الأذهان وزيد الأذهان	١٢٦
اتبع الحق وان عز عليك ظهوره	١٩٠	حوض الخمر وحوض الجمر	١٢٨
السن الخطباء تحيي وتميت	١٩٣	منتخبات التتبيت والتتبيت	١٢٨
منشورات	٢٠٣	اعلان إلى النهاء والأنكباء	١٣٣





